

سليم بركات

أقاليم الجن



أبو عبدو البغل

<https://facebook.com/groups/abuab/>



Scanned by
Jamal Hatmal

أقاليم الجنّ

أفانيم الحن / رواية عربية
الدارات / مؤلف من سورية
الطبعة الأولى، يناير، 2016
موقع الطبع محفوظة ©



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:

المصيطبة، شارع ميشال أبي شهلا، متفرع من جسر سليم سلام
مفرق الجامعة اللبنانية الدولية LIU، بناية النجوم، مقابل أبراج بيروت
ص. ب 5460-11، الرمز البريدي 1107-2190، بيروت، لبنان
هاتفكس +961 1 707891/2

e-mail: mkpublishing@terra.net.lb
موقع الدار الإلكتروني: www.airpbooks.com

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع

ص. ب 9157، عمان 11191 الأردن،

هاتف +962 6 5605431 / +962 6 5605432 هاتفكس +962 6 5685501
info@airpbooks.com

تصميم الغلاف والإشراف الفني:

عبدالله (R) عمان، هاتف +962 7 95297109

لوحة الغلاف: سليم بركات / سورية.

الصفحة الضوئية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت، لبنان

التنفيذ الطباعي: ديمو برس / بيروت، لبنان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

ISBN 978-614-419-621-2



سليم بركات

أقاليم الجن



تنبيهات الراوية في التذكير بالسجلات، الأعلام والمعالم

- * إقليم زِينَاْفِيرِي : أرض وقائع الرواية .
- * «النسيان الأعظم» : مصطلح يعني الموت عند جن إقليم زينا فيري .
- * واحة كَيْمًا : الواحة الكبرى في أرض زينا فيري الرمال .
- * أسواق كَاتْرَامِيل : أسواق المقايضات . ولقبها «أسواق الصمت المقدس» .
- * صحراء مُوْهِي : صحراء الأعالى السيارة كالنجوم .
- * قروود هِيْهْمُو : قروود يثير ذكرها الهلع في زينا فيري .
- * كَاشَاْجُو : سلطان زينا فيري .
- * شَاكْذُ : مطية السلطان .
- * شِيْكْتَان : زوجة السلطان .
- * نِيْنِيْسُو : مطية شيكتان .
- * رِيْكَمَا : ابن السلطان .
- * زِيْدِيْكََا : مطية ريكما .
- * سُوْكَ : زوجة السلطان الثانية .
- * نَاكُوْلِي : مطية سوك .
- * مَايَاكِي : عميد المحاربين في زينا فيري .
- * رَاْتُو : مطية ماياكي .
- * تَايْتُون : زوجة ماياكي .
- * شَاتِيْكَ : مطية تايون .
- * خَاْمِيْدِس : كبير المنجمين .

- ❖ «بُونِيَا ، تَوَهَّتُو ، كَاسَاك : منجمون .
- ❖ «لَبَف الذئب الأبيض» : وحي المنجمين في المعبد .
- ❖ «نَانَس . نِيدُج . دَارْدِيك . فِيدُرُوكَا . مِيلْدَان . لَالَاك . كُورُتَا . نَانَس . أَتْلُو . مِيَهَانيس . سَافْتَار . مَآكَلُونِي . سِيدَانْدَا . رُوجَان . رُومُسُو . أُوبَا . نُوكَاك : سادة فرق المحاربين السبع عشرة .
- ❖ «مَجْمَع الذباب» : مَصْنَعُ ذَبَابِ الاستئصال - جناحُ في القصر .
- ❖ دَامِيكُو : شاعر مَجْمَع الذباب .
- ❖ نُوكَا : شاعر آخر في مجمع الذباب .
- ❖ شَاتَار : أنثى تَرِيكَة ، تتزعم فصيل الإناث التَّرِيكَات ، اللواتي لا يتخذهم الذكور شريكات .
- ❖ مَاشْفِير : المتمرّد الأعمى على شرائع إقليم زينافيرى .
- ❖ هَايْكَاهِيكْسِين : أنثى إنسية تظهر فجأة في أرض زينافيرى .
- ❖ آرْدُو . زَاي . دُويَان . رَانِيلا : رسامات قصر السلطان .
- ❖ أَلَا : نَحَاتٌ متفرّغ لتصميم هيكَل الإله كوياسي .
- ❖ كُويَاسي : إله إقليم زينافيرى ، الذي لا يتوقف النحات أَلَا عن إضافة تفاصيل إلى تصميمه بلا نهاية .
- ❖ مَائِشَا : جنى يزعم أن قبائل الجن ستبعبه .
- ❖ سَانِيَارِي : جنى يزعم أنه يحتجب أنا ويظهر أنا .
- ❖ هَسْتَار : زوجة سانياري .
- ❖ تَارْتوك : مغني أرواح طيور لَآكِيلَا .
- ❖ طيور لَآكِيلَا : عُمِي ، لاجلود على جماجمها .
- ❖ وَيِلَابو : قِيَاف البروق .
- ❖ مَائِتا : بَوَاق زينافيرى .
- ❖ لِيُوفَا : أمير مهندسي مانعات الرياح .

- * الأرض المنخفضة : أرض مصانع مانعات الرياح .
- * بُوْكُلُو : نائب الأمير ليوفا .
- * المؤجَّرات : إناث في جناح من القصر يستأجرهن للتناسل الذكور الذين لا يجدون شريكات .
- * لِيلُوت : مطية دارديك سيد إحدى الفرق .
- * لِيَكْمُورا : أمين أسرار خزائن القصر .
- * دَايُجِيك : أمين أسرار تجارة القصر مع القبائل .
- * آمَارُوك : أمين أسرار الحصون الرمال في إقليم زينافيرى .
- * آسْمَا : أخت سوك زوجة السلطان الثانية .
- * رَادُبُور : جلاّد زينافيرى القادر على استنطاق الخارجين على القانون باستنشاق ذاكرتهم .
- * زاجرانو . ماسْتُو . بُوْهِيْدَار . جِيْرَاجِيك . شَائِمَات : علماء أقاليم الجن .
- * مِيْهُو : سلطان إقليم سَاينون الجنوبي .
- * ماشايو : سلطان قبيلة يَتْرَاك الغربية .
- * دَازْدَاه : إقليم الجن الشماليين .
- * حانة يَامُوْز : حانة التخاطر .

الفصل الأول

(غايات التفصيل، ومطالع التوثيق)

تلقفت طيورُ لاكيلا ، ذوات الجسوم النسور ، والرؤوس العظام
بلا لحم عليها أو جلد ، نفير البوق الحجر ، جاثمة على أعشاشها
فوق قمة الهضبة الحمراء . منذ ثمانين عاماً لم ينفخ بواق في البوق
الحجر معلقاً إلى غصن من شجرة لا كالشجر ، ابتناها النحاتون
تصميماً من عظام شتى لحموها قطعاً بالسيور الجلد ، ونصبوها إلى
الجهة الشرق من بوابة المعبد الكبير ، في الساحة ، وسط مساكن
قبيلة زينافيري المنيعه ، المهيبة ، في أقاليم الجن .

أدارت الطيور رؤوسها الفارغة المحاجر ، لاعيون فيها ، صوب
مهب النفير لم تبعثره الريح كاقْتدار الريح على التقويض . داخل
النفير الريح ، ذلك الصباح ، على الأرض الرمل ممتدة كسماء ؛ علق
بزغبها الخفي ، فوزعته الريح قطرة قطرة من الصوت على الجهات ،
حيث حلت وارتحلت بالنقوش النافرة للصوت كارتحالها بالنقوش
المتقوضة ، الفوضى - نقوش الرمال .

سبع مرات نفخ البواق في الأسطوانة النحت من حجر ذي
مسام ، ثم أعاده معلقاً إلى غصن في الهيكل المصمم شجرة من
عظام . نهض الصخب واقفاً على أقدامه الذهبية مذكراً تزامنت
المعابر في مدينة جن زينافيري بالملبئين النداء النذير . جموع هبت
قفزاً على سيقانها ، ثم تراصت ، بعد بعثرة ، في انتظام . جمهرات

جاورت جمهرات على نحو محسوب في علوم الخطط أنجزها عقل
المحاربين جيلاً عن جيل ، فطنة عن فطنة ، دُرْبَة عن دُرْبَة ، واختباراً
عن اختبار . سريعاً كانت فِرْقُ المحاربين على أهبة بأسلحتها العظام
في أيديها ، والخذ الحجر على الرؤوس ، مستقبله بوجوهها ، صفوفاً
انصاف حلقات ، هيكل الإله الأكبر كُوياسي ، الذي لم يتوقف
مصممو هيئته ، منذ النشوء الأول لقبائل الجن ، عن التبدل فيه .
كلٌ حكيم ، أو قائد ، أو مُنجم ، أو سيد من أسياد السلاطات ، له
الحق في إِملاء إضافة إلى الشكل استزادة ، أو إِملاء إنقاص يتولى
المصممون تنفيذه بلا اعتراض . هو هيكل ضخم من مجموع عظام
المخلوقات شتى ، جنأ ، وحيوانات ، وطيوراً ، جرى رصّها قطعة إلى
قطعة ، في حساب حاذق لسقوط الظلال من بعضها على بعض ،
ولعبور شعاعات الشمس من خلل فراغاتها على الساحة المحيطة
بالمعبد . وقد تراكم الهيكل الإله علواً ، واتساعاً ، على نحو يرى ،
من كل جهة فيه ، مخلوقاً متداخلاً من هيئات محيرة في انتسابها
إلى كائن بعينه . والجموع المحاربون ، الذين لبثوا نداء البوق النذير ،
قادمين قفزاً على سيقانهم - سيقان الجراد ، شخصوا تحديقاً إلى
الهيكل الإله يرى كل فيه ، بالخيال النحات في باطني عينيه
الحجرتين ، صورة الحقيقة التي تُلهمه الولاء عنيفاً للإرث في إقليم
زينافيري .

بعد برهات من إحكام الفرق صفوفها منتظمة ، متهيئة ،
متأهبة ، شق الغبار العاصف قميصه عن قائد المحاربين مآياكي
ممتطياً جنياً ضخماً يقود الريح خلفه بأرسان السرعة قفزاً على أربع -
ساقيه ، ويديه معاً كدابة . لجم الجنى المطية سرعته غوصاً بقدميه
في الرمل . انتصب واقفا فنزل ماياكي عن ظهره .

للجنّ السادة مطاياهم من الجنّ الضّخام تمشي على أربع إن اقتضى الانتقال ، أو على الساقين إن اقتضى . الجنّ السادة ، والعاديون ، والجنّ المطايا ، كلهم متشابهون في نشأة أعضائهم ، إلّا بتمايز في ضخامة المطايا عن غيرها ، لذا تتخذ كالدّواب لنقل راكبيها . ماياكي وصل بمطيته الأسرع من شعاع على هضبة طيور لا كيلا المقدّسة ، حين اكتملت أهبة الفرق المحاربين تلقاء بلا مرشد ، يعرف الواحد ، بخصيصة الخطط عن خيال المحارب فيه ، أين موضعه وموقعه .

تمشي قائد المحاربين مستعرضاً جمهراته في سلاحها وخوذها ، فتمشي الجنّي المطية من خلفه كحرسيّ . قلب عينيه الحجريتين الرماديتين في محجريهما تقليب الرضا .

عيون الجنّ عيون حجر في محاجرهما ، رمادية ، كتيمة كأعين التماثيل لا يريق فيها ، أو حدقات . لا أجفان لعيونها . محدقة أبداً من الرؤوس الصغار ، المستطيلة الوجوه . ذكورهم جرد لا ينبت شعر على جلودهم . وهم يتخذون من شعور رؤوسهم الرمادية على زرقة جدائل طويلات ، حرّة على جهات الوجوه . عجاف هزيلون ، ذكوراً وإناثاً ، كهياكل عظام عليها جلود خشنة ، رمادية ، بنقوش من خطوط ونقاط بيض وصفر تولّد معهم ، هي - في زعمهم - تدوين من أقدارهم في حياة سابقة على الحياة الراهنة . والجنّ ، جملة ، ذوو أيدٍ ضخام ، مفرطة في ضخامة راحتها وأصابعها ، لا تتناسب مع جسامهم العجاف . هي أيدٍ كلما تضاءلت ، وانكمشت ، وتضاغرت ، دلّهم أمرها على شيخوخة واحدهم . أنوفهم مطموسة ، مسحاً ، مستوية مع صفحات الوجوه ، لا دليل عليها إلا ثقبان في الوجه الواحد ، فوق الفم ، ينتفخ جلد الخدين حولهما شهيقاً وزفيراً .

أَسْنَانُهُمْ ضِيخَامٌ فِي الْأَفْوَاهِ . يُولَدُونَ بِأَسْنَانٍ ضِيخَامٍ ، فِي سِيَاقٍ
 مِنَ الْإِسْتِنْسَالِ قَائِمٍ بِقَوَانِينِهِ - قَوَانِينُ نَشْوِءِ الْجَنِّ . كُلُّ زَوْجَيْنِ
 بِسَبْعِ حِمْلَانِ ، مُطْلَعٌ اخْتِيَارَ الْوَاحِدِ شَرِيكَهُ ، كُرَّةٌ حَجَرًا تَتَسَعُّ مِلءَ
 أَيْدِيهِمَا . فِي الْكُرَّةِ الْحَجَرُ ثَقْبٌ عَمِيقٌ حَتَّى مَرَكِزُهَا ،
 تَوْضِعُ فِيهِ ذَبَابَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ مَجْمَعِ اسْتِنْسَالِ الذَّبَابِ ، الْقَائِمِ سُلْطَةً
 بِذَاتِهِ فِي جَنَاحٍ مِنْ قِصْرِ السُّلْطَانِ كَاشَا جُودَ - سُلْطَانِ إِقْلِيمِ
 زَيْنَافِيرِي . شَعْرَاءُ يَتَوَلَّوْنَ ، خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ ، إِدَارَةَ الْمَجْمَعِ ، حَيْثُ
 يُحْتَفِظُ بِالذَّبَابِ ، عَلَى أَنْوَاعٍ بِلا حَصَرٍ ، فِي قَوَارِيرٍ مِنْ خَرْفٍ
 مَغْلَقَةٍ . هُمُ الشَّعْرَاءُ يَهْبُونَ كُلُّ زَوْجَيْنِ ذَبَابَةً ، بَعْدَ دَرَسٍ عَنْ سِيرَةِ
 سَلَالَتَيْهِمَا ، وَطَبَاعِيهِمَا ، وَمَقْدَارِ طَاقَتَيْهِمَا عَلَى اسْتِحْضَارِ صُورٍ
 مَغَالِيَةِ فِي غَرَابَتِهَا - صُورَ رُؤْيٍ .

قَبْلَ وَضْعِ الذَّبَابَةِ الْمُخْتَارَةِ فِي ثَقْبِ الْكُرَّةِ الْحَجَرِ ، تَحْتَفِظُ الْأُنْثَى
 بِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْجَنِّ فِي رَاحَةٍ يَدُهَا الْيَسْرَى مُطَبَّقَةً عَلَيْهَا ،
 لَا تَفْتَحُهَا قَطْ ، بَلْ تَنْفَخُ عَلَيْهَا مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ . ثُمَّ تُثْقِلُ الذَّبَابَةَ
 إِلَى رَاحَةِ الذَّكَرِ يُطَبِّقُهَا عَلَيْهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَنْفَخُ عَلَيْهَا مِنْ وَقْتٍ إِلَى
 وَقْتٍ . بَعْدَ الثَّمَانِينَ يَوْمًا تَلْكَ تَوْضِعُ الذَّبَابَةَ فِي ثَقْبِ الْكُرَّةِ الْحَجَرِ ،
 وَيُسَدُّ الثَّقْبُ بِسَدَادَةِ جِلْدِ ثَمَانِينَ يَوْمًا هِيَ دَوْرَةُ الرِّيحِ بِالرَّمَالِ حَلَقَةٌ
 مِنْ حَوْلِ هَضْبَةِ طَيَّورٍ لَا كَيْلًا ، وَإِرْسَاؤُهَا النِّقُوشُ مَتَمَاوِجَةً بِإِتْقَانٍ
 عَلَى الرَّمَالِ فِي الْعَرَاءِ الْمُحِيطِ بِالْمَعْبَدِ .

بَعْدَ الثَّمَانِينَ الْأَيَّامِ مِنْ أَيَّامِ الْجَنِّ تَنْشَقُّ الْكُرَّةُ الْحَجَرِ عَنْ وَلِيدٍ
 كَخَادِرَةِ الْفَرَّاشَةِ ، لَكِنْ مَكْتَمَلِ الشَّكْلِ عَلَى صِغَرٍ فِي الْهَيْئَةِ ، بِأَسْنَانٍ
 كَبِيرَةٍ ، وَعَيْنَيْنِ حَجْرِيَّتَيْنِ ، وَرَجْلَيْنِ كَرَجْلِي الْجَرَادَةِ تَمَامًا : فَخِذَانِ صُلْبَتَانِ
 مِنْ عَظْمٍ عَلَيْهِ جِلْدُ خَشْنٍ مُعَرِّقٍ ، وَسَاقَانِ قَصَبَتَانِ ، مَنْشَارِيَّتَانِ ، تَنْتَهِيَانِ
 بِرَسْغَيْنِ عَظْمَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ هُمَا قَدَمَا الْكَائِنِ الْجَنِّ .

يقفز الوليدُ بعد تصدُّع الكرة الحجر كالجرادة ، دائراً دورتين من حول والديه . يقفز الوالدان من حول وليدهما دورتين . يضربانه على صدغيه ، كلُّ بقبضة مضمومة ، ضربة تصرعه برهةً مغمىً عليه . يفيق فينطلقان به إلى مسكنهما .

مشيُّ الجنِّ مشيُّ الجرادة مُذُّ يولدون بأرجل كأرجل الجراد من ذباب حاضنته الكُرَّة الحجر . شعراؤهم المتوارثون مَجْمَعُ انتخاب الذباب للاستئصال لا يُعهد بالمهنة إلى سواهم . يقلُّون عدداً أحياناً ، أو يزيدون ، لكنهم لا يجاوزون الأربعة . منجمو إقليم زينا فيري عهدوا بالتكليف إلى الشعراء منذ ما لا يحصره تحديدٌ من أزمنة الجن . ذلك كان زعمهم في اقتسام عادل للسماء والأرض بينهم : همَّ المنجمون يتتبعون نشأة الخطط ، وقواعد الخطط ، وأخاديع الخطط في المشوف من كُرَّة السماء وبريق زجاجها المعتم ، ومطاوي البرازخ بين الكواكب وبناتها النجوم . أما الشعراء فيتتبعون المستور من كُرَّة الأرض - باطنها العماء ، وأسس العماء ، وفروع الملتبس المُشكل من فيض اللامحسوم : يتتبعون الكلمات حتى يرثوا منها ثقة الجنِّ بالأرض من حولهم ، كثقة الذباب بطيرانه المحيّر ، وإخلاص الذباب للاستحالات في العناصر من نشأت أجسام إلى روائح .

توكَّل الشعراء باختيار الذباب ، ونوعه ، وجنسه ، لطالب النسل من الجن تحفظ أنثاهم ، وذكرهم ، حظَّهما الحشرة في راحة اليدين ، كلُّ أربعين يوماً ، فإن سَها أحدهما مرةً ، وتراخت يده المضمومة عن ذبابته ، قبل اكتمال الأربعين ، لم ينبج بعد ذا قط . قد يحدث أن لا تُنَجَزَ النشأة ، لا من خطأ يقترفانه ، بل من عجز الكرة الحجر ذاتها عن الإيفاء بوعدها - وعد الحاضنة . يحدث أن لا تتصدع الكرة الحجر عن وليدٍ مكتمل بعد ثمانين يوماً من احتباس

الذباب في جوفها ، بل تخرج من ثقب صغير آخر فيها ، ذبابتان
من ذراوان قرصتا الحجر حتى أحدثتا لنفسيهما مخرجاً . ثمومان حول
رأس الذكر الجن قليلاً ، ثم حول رأس أنثاه ، ثم تحتفیان : تلك
، لامة إخفاق الكرة الحجر في الحبل . لكنهما يستطيعان ، في
الحال هذه ، إعادة الكرة طلباً للنسل من اجتماع نفخهما على خيال
الذباب ، التي تعرف ، دون سائر حشرات الأرض ، أنها وعد
الانتقال بجسدها البزرة ، في الظلام ، إلى انبثاق الشكل الجن ولیداً
يبدأ سيرته بالقفز أول خروجه من الكرة الحجر .

الجن يتحركون قفزاً على أرجلهم - أرجل الجراد . مامن تأويل
لذلك الرثق الغامض بين أنصاف أجسادهم العليا الأدمية
وأنصافهم السفلى مستعارة من هيئة الجراد . كان حرياً بمنطق النشأة
أن يستولد الجن مزجاً من هيئة الأدمي والذباب الحاضن لبزرة
العبور إلى تشكيل الجنين . في أقاليمهم جراد كثير ، تعرف
نساؤهم ، اللواتي لاتتوقفن عن الغناء المهمة عالية أو خفيضة ،
كيف يستخلصن من عصارة حشوها ترياقاً يزيل انتفاخ الركب
دهناً ، ويلحم الكسور في العظام طلياً على مواضع الكسور . منجمو
إقليم زينا فيري الأربعة ، المتطبعون على ربط الإشارات الكونية
بطباع العناصر ، وترويض الطلسمات في إنشجار البروق برسمها
هيئات ، واستنزاف المُلغز شرحاً موثقاً في الأعراض الظاهرة
للمخلوقات الخنثى ، والهجناء ، لم يكلفوا أنفسهم جهد النظر إلى
المرج في هيئات الجن يولدون بأنصاف متراكبة من حشرة بعينها
هي الجراد ، ومن الشكل الأدمي . لا يرون في الأمر إلا نشأة محضاً
قائمة بذاتها ، يتميزون بها عن طيور لاكيلا ، والذئاب الصفر ،
وقرود براري هيمو ، التي يرتعدون من ذكرها . لكنهم يرون الجراد

مراراً في تأملهم سُحْبَ الغبار ، فيتأولون أن الجراد جني متنكر في صورة الحشرة لا غير ، هارباً من غزوات قروود هيهمو الزرق الأقدام ، الحمر العيون ، الذهبية الأنياب . هُم لا يهابون حيواناً ، أو حشرة ، أو زاحفاً ، إلا قروود هيهمو المتلذذة التهاماً للجن أحياء وموتى . قروود تغزو أرض الجن إن بخلت أرضها البراري جنوباً بوفرة في الطعام عليها نباتاً ، وحشرات ، وثماراً ، ودرنات عسقلية .

الجن لا يأكلون طعاماً إلا العظام . يأكلون عظام موتاهم ، وعظام الطير ، وعظام الحيوان من كل نوع ، مجففةً ، فيما يطرحون اللحم على سفوح الهضبة الحمراء مقدمةً لطيور لا كيلا المقدسة ، ذوات الرؤوس العظم بلا جلد عليها ، والفارغة المحاجر لعيون فيها . يثيرون الغبار بأقدامهم الأرساغ الحشرية ، أو بأيديهم ، فيحتسونه استنشاقاً إن عطشوا . لانسغ ، لاسائل ، لاعصارة ، لادماء فيهم . جراحهم يسيل منها غبار رمادي ، وإذ يلفظون أنفاسهم موتاً ينفثون ، في الزفير ، غباراً برتقالياً . عيونهم حجر بلا أجفان تدور في محاجرها كعيون الحرباءات . لا ينامون . يتشاءمون من ذكر الأعمار . كلما كبروا تصاغرت أيديهم المفرطة ضخامةً : ذلك مَسُّ الزمن في دورته أعمارهم . سلاحهم عظام ، أو نزال بالركل من سيقانهم القصبات المنشارية يتضاربون بها مستدبراً أحدهم الآخر بظهره ، وللزمن عندهم وحدة قياس هي ترقوة الثور .

مامن ضرورة لفهم تلك الوحدة في قياس الزمن . قد تكون اقتباساً مُستغلَقاً في مطابقة الزمن بالأبعاد المسافات ، والحجوم . أو ربما يرى الجنُ الزمنَ استواءً محسوساً كالأرض تُقاس بالقفزات ، والأذرع ، والنظر الحاسب بالتخمين .

مامن مطر في أرضهم . يعرفون سُحْبَ الغبار ، لا غيرها ، مُدُّ

أرضهم ريح متصلة في شهور أعوامهم كلها . قد تهدأ أحياناً في
الشتاء مكتومة تنهياً بها للوثبة أكثر عصفاً . وهم ، في الأثناء القصار
من هداة الرياح يحمدون فلا يتحركون كأنهم في صوم . لا جن يغزو
جناً ، أو يسرق من مخازن العظام ، أو يكمل نزاله عراقاً ، أو يكمل
معركة ، أو يُبارح المكان الذي هم فيه إن خمدت الرياح .

لا ينام الجن . فإن توسّلوا حلماً ما ، مقصوداً بالتحديد مثل
وصف بالكلام واضحاً ، أُلصقوا عيونهم بساق الشجرة العظام ،
شرق المعبد ، وتكلموا . كلام الجن ، في حالهم تلك اختلاءً
بأنفسهم ، مكشوفين في الساحة الرمل ، هو حلمهم . ما يتخيّله
الجنّي ، سرداً لرغائبه على نفسه كلاماً ، هو حلمه . إنه يتدبر الحلم
كاملاً ، موصوفاً ، منطوقاً بكلمات رغبته ، ثم يخترنه ملصقاً عينيه
الحجريتين بساق الشجرة العظام ، فيغدو الحلم المحاك بعناية اليقظة
حلماً رؤياً .

سحب غبار في أرض الجن ، وبروق مُسَطَّرة بشهوة المصادفات
الكثيرة للجفاف العميم ، العظيم . بروق صلبة ، لا من نار ، بل من
حجر نار ، وفلز معدن ، ترمي على الرمال ، بعد اشتعالها الزئير ،
برادة سوداء يجمعها قياف البروق ويلابو الطويل ، الذي لا يُبارى
طولاً في إقليم زينافيرى ، ويقايض بها الآخرين على العظام . يمزج
الشارون البرادة بعصارة جوف الجراد فيدهنون ، بالمزيج ، أبواب
مخازنهم الصغار لصق البيوت حرزاً من اللصوص ، أو دعاء صامتاً
باستنزال البرق لعنة على مغتصب ما يخزنون من عظام فيها ،
لا غير . كل ناحية من إقليم زينافيرى تشهد مواكب بروق ، وقطراً
بروقاً متتابعة تخصّها بأشكال الشعب النار ، وتشجر اللهب بما
لا يحصى ، أو يُحصى ، من غصون في البرق الواحد . برادة البروق

على أهضام الهضبة الحمراء - هضبة طيور لا كيلا ، هي الأوفى
إغراء يطلبها الطالبون من وبلا بوذي القفزة الواحدة المديدة أوسع من
أربع قفزات لجني آخر . لذا هو الأوحـد يصيد الذئب الصفر ركضاً
خلفها حتى إنها كها ، فيما يتصيد الآخرون بمقاذ عظام .

جنوب غرب إقليم زينا فيري تمتد واحة كيما شرقاً أخضر ،
مستطيلاً ، في مرآة الرمال . أيلك لفيف من شجر ذي شوك ، وثمر
ذي شوك ، يطوق الحدود الماء ، وسط الواحة ، منبجساً من نبع
مستور هو بقايا الذاكرة الظاهرة لنهر أثر النسيان فغار دفيناً في ملجأ
الماء الأصل . الجن لا يردون الواحة إلا بحثاً عن قنائص حيوانات
أراوي ، وثيران ، وطيور ، وذئب صفر ، يتموهون لقنصها اختباءً تحت
الرمـل ، أناء مجيئها للشرب ، أو قذفاً بالعظام مبرية كحراب .
يأخذون اللحوم مقدمة لطيور لا كيلا العُمي ، ويجففون العظام
فيخزنونها طعاماً إلى جوار عظام موتاهم . غير أن الأكثر إغراءً من
بين القنائص جن صغار الحجم ، ضئال ، قُزْم ، لا يزيد طول
واحدـهم عن شبر من يد الجن العادين ، لهم أذيال ، وعلى
جسومهم المهازيل ريش بني وأحمر ، يقايضون به أسنان الموتى في
سوق كاتراميل - سوق الصمت ، الواقع على بعد قليل جنوب
الواحة ، تختلف إليه القبائل للمقايضات .

صعب قنص الجن الضئال ، ذوي الريش والأذيال . يلزم
القناص وقت يُحتسب بالأيام الكثر في كمينه ، تحت الرمل ،
ليختطف واحداً من المخلوقات القُزْم ، الساكنة جحوراً ضيقة ، غائرة
عميقاً أسفل جذور الشجر الشوك الأيك ، الضخام الجذوع ، في
واحة كيما . مخلوقات حذرة أولالك كالومض في برق . إن بوغت
ألقت بأنفسها في الماء حيث لا جراءة للجن على النزول إليه . كره

الجن ، في زينا فيري ، للماء ، وتهيا بهم الليل شببهان بالكوايبس ،
 أنهم من الخناجر إن ذكروا قروء هيمو . حيلة الجن المريشين ،
 الن : ال ، تنجيهم كثيراً ، لكن يحدث أن لا يُنجد حظ الحيلة
 والعدا ، أو أكثر ، فيؤخذ قنيصة نفيسة ، يُقايض ريشه بأسنان الموتى
 الأكثر فخامة في المقايضات ، أما العظام فتستطاب مضعاً في ولائم
 الأعياد ، بعد الشبع ، أو يتبادلون القليل منها قطعاً هدايا أثيرة .

سوق كاتراميل هي ملتقى القبائل للمقايضات : عظام طيور
 تُقايض بعظام ذئاب . عظام شيوخ موتى تُقايض بعظام أطفال
 موتى ، وريش الجن الأقزام بالأسنان . لكنهم لا يقايضون من منافع
 حاجاتهم جلوداً بجلود . كل جني ذكر يتخذ ثوبه من جلد أنثى
 ميتة في عائلته . وكل أنثى تتخذ ثوبها من جلد ذكر ميت في
 عائلتها . يتوارث الجن جلود آبائهم ، وأمهاتهم ، وإخوتهم ،
 والأقربين الأحوال ، والخالات ، والأعمام ، ونسلهم الأولاد . منذ
 ما يُستحضر ، وما لا يُستحضر من ذاكرة شيوخ الجن ، كانت سوق
 كاتراميل في موضعها جنوب واحة كيما . سوق الصمت المقدس -
 هذا هو وصفها المقدس بلا كلمات . يجتمع الجن ، في السوق ،
 للمقايضات صامتين ، حذرين في الحركة لا يحدثون جلبة ، أو
 ضوضاء ، أو صخباً . يُحاذرون التلامس مهما كان اكتظاظ السوق
 الدائم بعروضه ، وبالجماعات على مشارفه تقيم أياماً ، ثم تحل
 محلها جماعات أخر أياماً بعد رحيل الأول : كل شيء يُنجز
 بإشارات خرساء .

بلا أسلحة يحضر الجن سوق الصمت المقدس . لا ينتقم منتقم
 لنفسه هناك إن صادف غريباً خصماً . لا يسرق اللصوص في زحامه
 أحداً . الإناث ، والذكور المقبلون منهم على رغائب الإنجاب ، في

الأعمار الناضجة ، يتبادلون إشارات الرغبة من صميم المصادفات ، في موضع منفصل من السوق . معهم عيدان من نبات الواحة يربط إليها الواحد منهم ، ذكراً وأنثى ، ذبابةً بشعرة من شعر رأسه الطويل . إن حطت الذبابة على كتف العابر به ، أو بها ، تلازما زوجين للاستئصال ، بعون من اختيار مَجْمَع الذباب ذبابةً لاثقة بهما ، للبلوغ بالرغبة قَصْدها في الحاضنة الكرة الحجر .

يفهم الجنُّ لغات الجن كلهم . يتلقَّفون اللغات مكتملة المعاني من هبوب الريح على أقاليمهم من الجهات كافةً بنبرٍ في العزيف هو بلوغ المقاصد في الكلمات الغمغمة ، والهمهمة ، تعبیرها منجزاً مستوفىً تتحصَّله ذاكرةُ الجنِّي فتختزنه . هم ناطقون بلغات ثعالب أرض كارُوس ، وثيران أرض هادولا ، وعصافير أرض كُوشنو ، وبعوض بحيرة سيمير ، وحيثان أرخبيل محيط زيلو السحيق على تخوم نهاية الممالك القديمة ، وجراد أودية بأكُنون ، وعناكب كُشان أرض ماناو المتراففة الرمال كالحراشف . قاطنو إقليم زينا فيري الأكثر ذباباً مكنون ، إضافةً إلى اللغات أولالك ، في لغة ذبابهم على أنواعه : اللحوحة ، والطائشة الرعاء ، والجسورة لاتابه لانتهار ، والهادئة طيراناً ، والطَّنانة طيراناً ، والمشعَّة ، والكامدة ، والسريعة ، والبطيئة ، والواضحة أشغالاً ، والغامضة أشغالاً تحطُّ على موضع أياماً بتمامها ، واقفة على رؤوسها في توازن يحفظه الخفق المتلاحق للأجنحة . والجنُّ يخصصون هذا النوع من الذباب بلقب «الْمُنْجَم» .

مدن إقليم زينا فيري ، وقراها ، أبنية ومساكن بلا تصاميم في الهندسة تُحسَب رُقياً ، أو براعات من اختصاص في العمارة : عظام تكوَّم فوق عظام بأناة من حفظ الثقل متزناً على الأرض الرمل . تُقام الجدران أولاً ، دائرية في أغلبها ، غير عالية ، ثم تُجعل عليها

الموارد، فوفقاً تُغطى بالعظام الصغار حتى تغدو قباباً . تُحاط المدينة
 من العظام الكبار بلا ارتفاع ، وفي السور معابر إلى القرى
 بالمدينة عن قرب كبير ، حتى تكاد تلامس مساكنها السور
 الجهات كلها . فإن باغتهم غزاة لجأ أهل القرى سُرْعاً إلى
 الداخل . غير أن إقليم زينا فيري لا يُفاجأ بغزاة ؛ لا يجرو غزاة على
 انتداب الخطط لغزو الإقليم المنيع ، الكثير المحاربين لم تخض قبيلة
 حرباً ضد أهلها منذ ثمانين عاماً من أعوام الجن البالغة مَبْلَغَهَا
 طولاً .

غزو قبيلة لأخرى ، في تاريخ الجن ، الذي يُدَوّن بإضافة العظام
 إلى الأسوار ، يُتحكّمه طلبُ العظام لا غير ، إن فَرَعَتْ مخازن أمة
 منها ، وصَعُبَ عليها التعويض بعظام موتاهها فقط ، وقلّت الطرائد ،
 والموارد من الحيوان والطيور . لآعن استزادة للسّعة في ماتخزنها ، أو
 تغليبا للرفاه في المخزون من العظام ، تغزو أمة من الجن أمة أخرى ،
 بل الإضطراب من مسّ الجوع . قد تققطع مللٌ ثرية ليل محتاجة
 بعضاً من وفرة مواردها ، إذا توسّلتها العون : ذلك قليل ، بل نادر .
 أما غزو أمة لأمة ، لأسباب أخرى غير طلب القوات ، فلربما اقتضته ،
 على حَصْر كبير في الحدوث ، رؤى منجميهم إن غلب على تأويل
 وحيها الذعر من نفاذ المؤنة ، أو الإنذار مبكراً بترئص من أم
 أخريات بمخازنها نهبا . تلك هي الغزوات الإستباقية يسير بها وحي
 العلامات الموصوفة ، وتراكب الإشارات الصور ، وتقاطعات المعارج
 بين الأفلاك ، ومجاهرات الكسوف والخسوف ، واحتجاب النجوم
 في مياه الكواكب ومرايا الشهب والرجوم .

حروب الوحي ، استباقاً من الأقدار ، لاتنتهي بتسويات
 إخضاع ، أو اتفاقٍ على الحد من الخسارة يُرتضى به وصفاً

لِلْأَغَالِبِينَ ، بل بإفناء نهائي من أمة لأمة حتى آخر محارب فيها ،
وآخر نسل صغير أو كبير ، ذُكرانا وإناثاً . المنتصرون يعرّون عظامَ
المغلوبين من اللحم الضئيل عليها فيؤخذ تقدمةً إلى طيور لاكيلا ،
ويقيمون الولائم وقتاً على قدر انتهاهم من التهام آخر عظم من
عظام من قَتَلوا . هي الحال الوحيدة في إرث الجن يأكلون عظاماً غير
مجففة بعد . لا يستسيغونها ، لكنهم لا ينتظرون انتقال الغضب ،
الذي تلهبهُ المعركة فيهم ، من جهة في قلب الواحد إلى الجهة
الأخرى . هُم عنيفون أبداً . غاضبون أبداً . أنصافُ قلوبهم الأيمنُ
مضطربةٌ غضباً في أعمارهم ، ونشوبُ المعارك يملأُ الجهات
اليُسُريات . لا ينتظرون انحسار الغضب عن جهات قلوبهم
اليسريات : يأكلون عظامَ الأعداء القتلى غيرَ مجففة بعد قبل
انحساره .

في أعيادهم - أعيادِ أرض زينافيرى ، يصحب الجنُّ إلى
الساحات في المدينة ، وفي القرى ، أفضلَ ما أدخروه من مخازنهم :
جمجمة أب ، أو جد ، أو أم ، أو أخت ، أو أخ . يصحبون جماجمَ
الأقربين إليهم في كبار الأعياد - عيد طيور لاكيلا ، وعيد الجراد ،
وعيد العاصفة الزرقاء .

يصعدون الهضبة الحمراء ، في عيد الطيور . القمةُ المستوية ،
الشاسعة الأرجاء ، تتسع لسلطان زينافيرى ، والمنجمين ، والأسياء ،
فيما يقيم المحاربون ، والعامّة ، شعائرَ العيد على أهضام الهضبة ،
وسفوحها ، في خشوع يتوسّلون به ترويضَ المصائر إفراغاً للموت من
هيبتة كطيور لاكيلا أفرغتِ الظلام ، في محاجر رؤوسها العظامِ
الحية ، من هيبة الظلام .

عيدُ الجراد شعائرُ احتفالٍ مفتوحة : يدور الجنُّ قفزاً من حول

أنفسهم ، متصنعين بأيديهم الضخام رفيفاً كرفيف أجنحة الحشرة ،
 التي منحتهم كمالاً في الأرجل على مطابقة من شكل رجلها في
 «رأه ثلاثاً الظاهر». وفي عيد الجراد هذا تستحضر إناث الجن السمِّ
 الداقع ، الفتكة ، من دقيق عظم فقر الأطفال الموتى ، إذ خاصية
 السم في عظام أطفال الجن موصوفة معلومة ، لكنها تتلاشى كلما
 كبروا . والذكور ، الذين تستخلص نساؤهم هذا السم دقيقاً
 مطحوناً ، يحفظون الدقيق في رقائق جلد مطوية مغلقة بإحكام .
 فإن راموا انتقاماً ، أو ثأراً ، نثروه على وجوه الخصوم في غفلة منهم :
 من يتنشقون شيئاً من طحين السم تتصلب مفاصلهم كلها ، تلتحم
 فلا يتحرك فيهم عضو بعد ذلك : تموت الضحية متحجرةً .

الجن الخلق الذين لا ينامون ، ويبتكرون أحلاماً متوافقة مع
 رغباتهم المتوسلة أحلاماً معلومة بتفاصيلها ، يعمدون ، في عيد
 الجراد ، إلى إلصاق عيونهم الجواظ الحجر بأي موضع من جدران
 المعبد الدائري ، العظيم بناء قببة من العظام ، منقسمين على
 صنفين في الفكر يهّبونهما أجسادهم كأنما في أشغال مرهقة ، وهم
 ثابتون لا يتحركون ؛ مرهقة تبلغ مبلغها من الكدح ضراوة . فكرتان
 تشبهان الركض وراء طريدة ، أو منازلة خصم ركبلاً . فكرتان
 مجهدتان : الأولى أن الجني يتوهم حفر سرداب حفرًا شاقاً بيدي
 خياله ، للعبور إلى الجهة الأخرى من الأرض ، ثم يجد نفسه ، بعد
 إنجاز الحفر ، في متاهة من ممرات رمل ضيقة جداً ، بين مياه مترامية
 تتماوج في قاعها وجوه كوجوه قروء هيهمو المحاطة بشعر أصفر
 طويل . ممرات تتأرجح به كأنها طافية ، ودعره من السقوط في الماء
 يقوِّض بُنيانه ، أو يكاد .

الفكرة الثانية التي يهّبها الجني خيال جسده ، هي انكبابه ،

في حاله المتفكّرة ، على تركيب أجنحة كأجنحة الذباب على جانبيّ جذعه ، حَفراً بشظية مسنونة من العظم في جلده ، ولحمه الأعجف الضامر ، لتثبيت جذور الأجنحة في الجراح المستوهمة ، الأكثر إيلاماً من جراح حاصلة حقاً . وإذ يثبتها ، ويهمُّ بالطيران ، يسقط أرضاً متمرّغاً في الرمل .

الجن الذين يلصقون عيونهم بجدران المعبد العظام من كل صنف وخلق ، ينهارون حالما يستنفدون ما تفكروا فيه . يتراخون منهكين ، أو ينطرحون صرعى من الإعياء .

فكرتان يمتحنُ الجنُّ بهما ، في عيد الجراد ، احتمال أجسادهم ، ذكوراً وإناثاً . ولما ينجزون الإنهاك قوياً كما توقّعه ، يلبثون في غضبٍ يوماً بتمامه من أيام الجن ، فيقوضون منازلهم سقوفاً ، وجدراناً في النهار ، ثم يعيدون بناءها في الليل على نحو مختلف عما كانت عليه قبل الهدم . يدورون حول منازلهم الجديدة قفزاً هياجاً يثيرون به الغبارَ زوابعٍ يستنشقونها في نشوة سُكْر .

عيد العاصفة الزرقاء عيدٌ بلا احتفال . مناسكُ القيام به عيداً تخصُّ أطفالَ الجنِّ الإناث . ففي كل عام من نضوج الوقت على غصن مصادفاته المتقنة نظاماً ، يحملُ الهبوبُ من الغرب سحائبَ نَملاً أزرق الأجنحة . سُحْبٌ تدفع سحباً من مناكبها . تتقاطع ، وتتلاحم ، فلا تُرى السماءُ في أيّما جهة من إقليم زينافيرى . تَطُرُ السحائبُ نملها على كل شيء ، فلا تُرى أرضٌ في إقليم زينافيرى . الأعراءُ الرمالُ تنزفُ زرقَةً من كل رملة أو حصاة . سفوحُ الهضبة ، وقُلَّتُها المستوية الشاسعة ، تنضو عنها حُمرةُ التراب ، لتتدرّج بالزرقة . منازل المدينة ، وأكواخ القرى ومساكنها تغدو قِباباً صِغاراً زُرْقاً بعد المطرِ النملِ . زرقة تدوم يوماً ونصف اليوم من وقت الجن

قيل أن نمل السحائب من الأرض ما أمطرته من نمل . عاصفة
اشتهرت التي حملت النمل إلى إقليم زينا فيري ستدفع السحائب
: وبأ . كل شيء يرجع إلى حصن لونه : الرمل العُرام ، والهضبة ،
والمساكن ، والأغاني المهمات في حناجر النساء .

أن مكوث النمل على أرض زينا فيري ، تعمد كل عائلة لديها
طفلة أنثى إلى إلزامها الوقوف على صخرة ، أمام باب مسكنها .
تغطي الأمهات بناتهن الصغيرات بالنمل من رؤوسهن إلى
أرساغهن الأقدام - أقدام الجراد . لاتريم الأنثى الصغيرة ، ولا تتحرك
في وقفها على الصخرة . لكن الخوف ، والرغبة من النمل الذي
يتزاحم طبقات على جسدها ، يستنبتان مهمة في فمها بلا
كلمات . مهمة تعلق ، أو تنخفض بحسب ارتداد الهلع من قلبها
إلى لسانها . يوماً ونصف اليوم ، من مكوث النمل في أرض
زينا فيري ، لاتتوقف الأنثى الصغيرة عن ترديد الصوت الخائف في
أعماقها على نبر يتخالف ، ويتجانس ، ويتنافر ، ويتناغم ، ويخمد ،
ويعلو ، ويتقطع ، ويتصل . ذلك اليوم ونصف اليوم هما المِرائ
الواجب ، الذي سيهيئ حنجرة الأنثى الصغيرة للغناء بلا انقطاع
قط ، منذئذ حتى آخر نفس من الرمل في رثة عُمرها .

كل عام تنضم طائفة أخرى من الإناث إلى جوق المهمات
الأكبر - جوق النساء يغنين بأصوات خافتة ، أو صادحة . وفي كل
عام ، بعد نهاية المِرائ على الغناء من تلقين الخوف للغناء للحناجر ،
يضع السلطان كاشاجو ذبابة الإستنسال في راحة يد زوجته
شيككتان طلباً للنسل : لقد استولدا معاً من الكرات الصخور
الخواصن حشداً من الأطفال لم ينج منهم إلا ابنه ريكما . عظام
ألفالهما الموتى قبل أوان نضجهم محفوظة طحيناً سماً في رقائق

من جلودهم . سمٌ لم يستخدمه كاشاجو ضدَّ أحد بعد . وهو يعاودُ ، الكَرَّةَ تلو الكَرَّة ، أن يختبر مصادفات حظوظه كلما أمطرت السُّحْبُ غملاً أزرق على أرض زينافيرى ، غير أبه بالتوريات في لسان كبير المنجِّمين خَامَيْدِس عن ملوك غَيَّرُوا الأعيادَ ، وَغَيَّرُوا أَسْمَاءَ البروج الفلكية ، وَغَيَّرُوا الآلهة .

حفلاتُ جنِّ زينافيرى لا تقتصر على بعض الأعياد حَسْبُ : لهم في بزوغ القمر هلالاً ، ناجياً من غمر السماء الأسود بعد اختطافه في المَحَاق ، تَدَاع إلى ساحة المعبد بالمصارعين يراهنون عليهم ، ويستعذبون نَشَقَ الغبار يثيره المستعرضون ضراوة النَّزال ركلاً ، وقفزاً صِدَماً . غبار العراكِ مُثَاراً حول المصارعين هو النفيس نوعاً يتهافت المستنشقون عليه حلقات ، ويتزاحمون في كَسْبِهِ بأنوفهم الممسوحة المطموسة ، حتى أن المصارعين يرتطمون بهم أحياناً ، فيطرحونهم بعيداً مقدوفين .

بلا أسلحة يتجابه الأقوياء في النَّزال استعراضاً للقوى . الأذرع ، والأرجل ، وبراعاتُ القفز ، والزحف على البطون من بين سيقان المتجالدين تحايلاً ، هي الأسلحةُ شرعاً إلى الغلبة . لكن يحضر هذا الحفل من مولد القمر الناجي من خَطْفَةِ غمر السماء الأسود ، جنٌّ أوثقوا جنّاً آخرين بالحبالِ الجلدِ من سيقانهم الحشَريَّة ، ومن معاصم أيديهم . إنهم المنتقمون ، طالبو الثأر يجيئون بمن يثأرون منهم ليقاصصوهم على مرأى من الجموع في الساحة . هُمْ يحدِّدون صورة العقاب ثأراً ، أو انتقاماً . مامن أحد يتدخل في القضاء أبرمهُ المنتقمون ، والثأرون ، وأوجبوا تنفيذه على النحو الذي يشاؤونه بالمطلوبين . لاسلطان زينافيرى ، لا المنجِّمون ، لا الأسياد ، يوقفون إجراءً ، أو يعترضون ، أو ينصبون حَكْماً بين طالب الثأر

والمللوب ليثار منه ، والمنتقم والمنتقم منه .

أحكام القضاء ، في إقليم زينايري ، واضحة كأرضها الرمال .
هي أعرف موصوفة إرثاً لا يحوجها قضاة . كل جنّي هو قاضي
نفسه ، ومصدّر حكم على من يوجب الحكم القصاص عليه . كل
قاتل عليه أن ينتظر من يثار منه قتلاً . أقرباء المقتول موكلون ، عرفاً ،
بتدبير القصاص الذي يرفّهون به عن روح قتلهم في فردوسه النار .
الفردوس الشمس ، ويبشرونه بلقاء روح قاتله كي يتهيأ للثار منه
ثانية هناك . قصاصان يستحضران لكل قاتل : الأول انتظاره - هلعه
المرقب أن يقتل يوماً ما ، والثاني طريقة القتل . القتلة الأقوياء ،
الذين ليس في أقرباء من قتلوا جنّ قادرون على النكال بهم ثاراً ،
يصيرون موضع مشاع في القصاص حكماً ، يطلبهم من هم أقوى
منهم ، من غير أقرباء ألقيل ، فيثأرون ثار غيرهم لقتيل لاصلة لهم
به .

من يسرق عظماً ، أو جلود جنّ موتى ، من مخزن جنّي آخر ،
في أرض زينايري ، تُباح سرقته ، إن عُرف ، من كل قادر مستطيع
بلوغاً إلى الاختلاس من مخزن السارق ، وإلى نهبه . وفي مقدور
أطفال من عائلة جنّي سرق مخزنه ، أن يقتلوا واحداً من أطفال
السارق إن عُرف ، من غير أن يثار منهم على انتقامهم من السارق
بقتل طفل له .

لأعرف آخر تُذكر من القضاء جاريّاً في أرض زينايري
الناطقة بلغة الذباب . الأحكام الصغار ، خارج القتل والسرقة ،
يتولاها كلّ جنّي بنفسه ، بحسب إحساسه بالضرر إن تضرّر ،
كالخيانة الزوجية مثلاً . كأن يضع ذكر متزوج ذبابته في راحة أنثى
عزباء أو أرملة ، أو أن تضع أنثى متزوجة ذبابتها في راحة ذكر

اعزب ، أو أرمل . هما ، الخائن ، لن يحظيا برعاية وليدهما بعد انفلاق الكُرة الحجر عنه . قد يعمدان إلى إخفاء الكُرة الحجر بعيداً في أرض ما . لكن أنى لهما أن يرعيا المولود من انفلاقها؟ سيكشفان إن حاولا . لذا يلجآن إلى أخذ الوليد ، سراً ، إلى بوابة المعبد ، ويطرحانه هناك مقيداً . المنجّمون سيَهَبون الوليدَ سفاحاً إلى مجمّع سادة فِرَق المحاربين . هناك يتولون رعاية اللُقطاء تدريباً ، وتمكيناً من فنون النزال بالأسلحة العظام ، وطرائق الرّكل الفاتكة في المواضع الأكثر ضعفاً من أجساد الجن .

قليلة خيانات الجن الزوجية على أية حال ، لتعذر إبقاء راحة يد الذكر ، أو الأنثى ، مطبقةً على ذبابة الاستنسال من غير أن يلحظ أحد ذلك ، مهما تحايلا . لكن يحدث الأمر أحياناً ، في عزلة ما . يحدث الأمر كعناد ضدّ الحظوظ لم تمكّن ذكراً ، أو أنثى ، انجذب أحدهما إلى الآخر ، من أن تستقرّ ذبابة واحد منهما على كتف الشخص المرغوب ، في سوق كاتراميل - سوق الصمت المقدس . هما ، إذ تلبّسهُما الغواية بوميض برقها الأخرس ، يتجاسران على المغامرة المخوفة بنوافذ افتصاحهما وأبوابها ، كتواطؤ كَيْد ، في تصحيح عابر للمصادفة خانتتهما ، وفي تأكيد الولاء للأحاسيس لما تزل جاذبة طباع الاستنسال فيهما إلى أن يتشاركا ، هما لا سواهما ، في وليد .

قصاص الخيانة الزوجية يتولاه الشعراء في مجمّع الذئاب يُحضرون الخائنة ، أو الخائن ، إلى ردهة الجمع في جناح من أجنحة قصر السلطان كاشاجو - القصر القبة الواسعة تضاهي تصميماً ، بالعظام من ثلاث سلالات في الجن ، تصميم المعبد فخامة من غير أن تَبْزّه ، إجلالاً لمقام المعبد . جراح يشق ، بمبضع من شظيّة عظم ،

في زواياها من جلد كتف الجاني ، أو الجانية . تضع ذبابة
 .. ، شديدة الهياج ، في الجرح الجاف ، ثم يُخاط الجرح بشعرة
 رأس الجراح نفسه . أربعون يوماً ، كمقدار حفظ الذكر ،
 والأنثى ، ذبابةً في راحتي يديهما للاستئصال ، ستطنّ الذبابة تحت
 الجلد الذي سيعروه حكاك مزعج ، وقع ، طوال الوقت . بعد أربعين
 يوماً يُعاد فتح الجرح ، في ردهة الجمع ذاته . تتحرّر الذبابة . يتحرر
 الجاني من الحكاك ، ويُختتم القصاص .

في احتفالات الجن الأخريات المرتجلة ، خارج عيد الجراد ،
 وعيد طيور لاكيلا ، وعيد العاصفة الزرقاء ، الموسومة أعرافاً خالدة ،
 تُذبح الذئب الصفر في العراء أسفل سفح الهضبة الغربي . قنّاصو
 الجن الحدّاق في صيد الطرائد أحياء هم عمادُ الحصول على الذئب
 الصفر ، المرغوبة الجلود . أكثر هؤلاء القناصين من الجنّ المطايا عادةً ،
 الأقوياء قفزاً يسابقون به الحيوانات الواردة مياة واحدة كيما . يلتقطون
 الذئب بأيديهم الضخام من أعناقها حيّةً ، ويجرّونها من أقدامها
 إلى أقفاص من أضلاع الثيران الضخمة ، أمام منازل أسيادهم .
 تُطعم الذئب ذوات العواء الزفير الحجريّ ، وتُسقى ، في انتظار
 مناسبة ما يرتجلها واحدٌ من الأسياد أنفسهم ، فيتداعى الآخرون
 إلى مواضع اللهو بذئابهم تُذبح من حناجرها رمياً ، عن بُعد ،
 بصفا فيح حجر شفرات . لا يقترب جزّارو الذئب منها حتى
 يستنفدها النزف . يُغطى الدم بالرمل على كُرهِ الجن كلّ شيء فيه
 بلل الماء ، أو بلل الدم ، أو رطوبتهما . يتجاذب كلّ قوين ذئباً من
 قدميه ، وذراعيه ، حتى يتشقق الجلد فينتزعانه سلخاً فظاً ، مع
 غمس أيديهما في الرمل ، ورشّ الرمل على لحم الذئب كلما
 تعرّى ، كي يُبقياه جافاً قدر استطاعتهما .

أطفال الجن ينضمون إلى الجزّارين عوناً لهم في رشّ الرمل على اللحوم ، التي ستُحملُ فوق محفّاتٍ من جذوع الشجر إلى قمة الهضبة الحمراء طعاماً لطيور لا كيلا . ولربما عضّ بعضُ الأطفال ، متقرّزين ، على العظام معرّةً ، في استعراضٍ لجسارتهم على اقتراف ما يُدعَرُ ويُسْتَهْوَل .

لحوم الذئاب الصفر ، المريشة الجلود ريشاً صغيراً ، لحوم عجاف ، ضامرة على هياكلها الضخمة البادية العظام هزاً . دمها قليل في النزف . جلودها زينة أوشحة ، وعصابات للرؤوس ، وأحزمة ، وأطواقاً للرقاب ، وأساور للمعاصم . ولربما عقدت نساء الأسياد شرائطٍ منها على نهايات صفائر بناتهن ، أو قايسن بها عائلات الأثرياء شراءً للجنّ المطايا يهديهم أولادهنّ سعة في الرفاه ، وإفاضة في امتلاك الدّواب .

تنتهي الاحتفالات المرتجلة هذه ، وكذلك الأعياد في اختتام شعائرها ، بوداع مهيب يستمرّ يوماً بتمامه : سبعة وسبعون قارعاً لحجارة كُراتٍ في أيديهم بحجارة أخرى مسطحة ، يوطّدون الوداع بإيقاع في النّقر خافت أوجبه المنجمون مُقطّعاً ، وفق حساب للبعد بين ممالك الأعالي - ممالك الجنّ الأصول ، الخفية في أفلاك الكون ، والممالك الظاهرة على صور البروج .

خافتاً يقرع القارعون الحجارة بالحجارة ، وسط سكون يشلّ كلّ شيء يوماً بتمامه ، فلا يتحرك جنيّ من موضعه ، كحال المخلوقات الجنّ إذا خمدت الريح . صمتهم هو طربهم ، استغراقاً في الإصغاء إلى الأمكنة المهجورة ، والأمكنة المهاجرة وراء كلّ ريح . صمتهم قَبَسُ طَرَبٍ من بزوغ الصمت الأعظم ، وراء كلّ وراء ، متوطّداً ، خالصاً لا يُداخله شيء آخر ، ولا تُخالطه إلّا حقيقته صمّتا مُحْكَمًا

بقضائه التَّكَلُّمِيَّ . هُمْ ، فِي سَكُونِهِم الصَّامَتِ ، عَوْدٌ إِلَى مَا كَانُوهُ قَبْلَ
الْوَسْوَاحِ الْوُجُودِ ضَيْقًا فِي الْكُونِ ذِي الزَّوَايَا الثَّلَاثِ - كَوْنِ الْجِنِّ .

مِسَادِفُ الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنْ اخْتِتَامِ عِيدِ الْعَاصِفَةِ الزَّرْقَاءِ انْطِلَاقُ
دَهْرِ الْبُقُوعِ الْعَظَمِ ، بَعْدَ ثَمَانِينَ عَامًا مِنْ صَمْتِ الْهَوَاءِ فِي عَقْلِهِ
الْفَرَاغِ . قَفْزًا أَحْكَمْتَ فِرْقُ الْحَارِيِّينَ نِظَامَ احْتِشَادِهَا عَلَى نِصْفِ دَائِرَةِ
كَبِيرٍ قِبَالَةَ هَيْكَلِ الْإِلَهِ الْأَكْبَرِ كُوْيَاسِي . اسْتَعْرَضَ عَمِيدُ سَادَةِ
الْحَارِيِّينَ مَا يَاكِي الْفِرْقَ يَتَّبِعُهُ الْجَنِيُّ الْمَطِيَّةُ الضَّخْمُ رَأَتْهُ ، الْمَقْطُوعُ
الْإَصْبَعِ السَّبَابَةِ مِنْ يَدِهِ الْيَمْنَى ، زَحْفًا عَلَى يَدَيْهِ وَرَكْبَتَيْهِ .

جَمُوعٌ مِنْ جِنِّ زَيْنَافِيرِي ، نِسَاءً وَأَطْفَالًا ، وَشِيُوخًا مُتَكَتِّينَ
عَلَى عِظَامِ طَوَالٍ ، أَحَاطَتْ بِالسَّاحَةِ عَلَى اسْتِدَارَةِ الْمَعْبَدِ ، قَبْلَ أَنْ
تَنْشَقَّ ثَغْرَةً فِي لَحْمَتِهَا أَحْدَثَهَا انْدِفَاعُ جِنِّ ضَخَامِ هُمْ طَلَاتُوعُ عِبُورِ
مُوكَبِ كَاشَا جُو السُّلْطَانِ .

عَلَى ظَهْرِ دَابَّةٍ مِنَ الْجِنِّ وَصَلَ كَاشَا جُو تَرَفَاقَهُ زَوْجَتَهُ شِيَكْتَانِ ،
وَابْنَهُ رِيكْمَا ، عَلَى دَابَّتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ، تَبَعَهُمُ الْمُنْجَمُونَ ذُوو الْأَعْنَاقِ
الطَوَالَ قَفْزًا عَلَى سَيْقَانِهِمْ ، بِشُعُورِ ضِفَائِرٍ مَضْمُومَةٍ بِانْتِصَابِ فَوْقِ
رُؤُوسِهِمُ الصَّغِيرَةِ . وَقَفَ الْمُوكَبُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ تَمَثَالِ الْإِلَهِ وَصَفُوفِ
الْفِرْقِ الْحَارِيِّينَ . تَقَدَّمَ مِنْهُمْ مَا يَاكِي ذُو الشِّفَةِ السُّفْلَى الْمَشْرُوخَةِ مِنْ
ضَرْبَةٍ . قَلْبٌ عَيْنِيهِ الْحَجَرِيَّتَيْنِ فِي وَقْبِيهِمَا دَلِيلَ جَاهِزِيَّةٍ لَمْ يَوْقِظْهَا
نَفِيرُ الْبُقُوعِ الْحَجَرِ ، بَلْ رُسُلُ اسْتِطْلَاعِ مِنَ الْمُرَاصِدِ عَلَى التَّخُومِ قَبْلَ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ بِتَمَامِهَا ، فَأَعَدَّ مَا يَاكِي خُطَطَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ مَعَ سَادَةِ
الْفِرْقِ .

نَزَلَ كَاشَا جُو عَنْ ظَهْرِ مَطِيَّتِهِ مُمْسِكًا بِسَلَاحِهِ الْعَظَمِ الْغَرِيبِ ،
الضَّخْمِ ، الْمَعْقُوفِ . أَخْرَجَ لِسَانَهُ الرَّمَادِيَّ . نَضْنَضَ بِهِ كَثْعَبَانِ
يَبْغِي ، ثُمَّ أَبْقَاه خَارِجَ زَاوِيَةِ فَمِهِ الْيَسْرَى مُتَرَقِّبًا تَبَاشِيرَ الْأَصْوَاتِ .

كاشاجو لا يسمع . ليس له أذنان ، أو ثقبان للإصغاء في موضع الأذنين . وقد استعاض للسمع بلسانه يتذوق نثار الأصوات توابل مترجمة إلى كلمات في صمت وجوده الأخرس . هو الأوحـد بين جن زينا فيري لا يسمع ، أصمٌ مُدٌّ وُلدَ من غير أذنين ، لكنه ثرثار إن نطق . وإن نطق استكمل كل ما يريد قوله ، دفعة واحدة ، قبل دفع لسانه خارج فمه يتنصت نضضةً به إلى محدثيه . وفي يوم النفير ذاك ، وقف ساكناً يصغي ، بعينين محدقتين إلى عميد سادة المحاربين ماياكي ، فتكلم ماياكي ذو النقاطِ الصفر الثلاث - الوشم على موضع أنفه المسوح لم يوجد في وجهه قط :

- هم وراء الهضبة شرقاً . مهيو من إقليم سائون الجنوب ، وماشايو من إقليم يتراك الغرب . تكفينا عظامهم ولائم أربعة أعياد . صرت الأسنان الضخمة في أفواه المحاربين صريراً حجرياً . نضض كاشاجو بلسانه متلقفاً وعيد الهول من فم ياماكي . أرسل بصره إلى المحاربين ، وصر بأسنانه مثلهم . اقترب من عميد سادة المحاربين . تكلم :

- ألم نرسل عظاماً إلى سليل الذئاب ماشايو؟ توسلنا عظاماً فاعطيناه . لماذا هو قادم مع ميهو صاحب الفم الكهف؟ سأمزق الثوب الذي يرتديه من جلد أخته ، وسأكل جمجمته في عيد لاكيلا .

«وأنا سأحتسي غباراً في جمجمة ميهو» ، قال ابن ريكما ، الذي تتوسط عينه اليسرى نقرة محفورة في حَجَرها . ألوى عنقه صوب أمه . تخطاها ببصره إلى الصف الثاني من إحدى فرق المحاربين المتجاورة بفواصل بينها . ثبته على وجهه سوك الفتاة المحاربة ، ذات الوشم المثلث أصفر خطوطاً تحت العينين الصغيرتين .

رجت من بين الصفوف المنتظمة قبالة تمثال الإله الأعظم
 أربع نساء ، يحملن حجارة رقيقة الواحاً . وضعتها على الأرض
 قريباً من سلطان زينافيرى وعميد محاربيه . جثين على
 رذاب سيقانهن - سيقان الجراد . أخرجن من جعب معلقة إلى
 أكتافهن حجارة ملونة صغاراً . انكبن في عجلة يرسمن شيئاً من
 تاريخ الريح في ذلك اليوم الطافي على نفير البوق الحجر . حدق
 كاشاجو إليهن في ثيابهن المتشاكلة تفصيلاً من جلود إخوتهن ،
 كل ثوب قطعة واحدة من العنق حتى الركبتين . قسم صوته نبراً
 حجرياً عليهن من بين شفثيه الرقيقتين ، المنفرجتين :

- املائن أنصاف ألواحكن برسومنا . أبقين الأنصاف الأخر
 لميهو مذعوراً ، ولجيشه أكواماً لحوماً على المحفّات يصعد بها المحاربون
 إلى طيور لاكيلا .

«سأمزق ماشايو . سترسمنه ممزقاً» ، قال ابنه ريكما مقحماً
 لسانه في عروض الوعيد .

«أقلت شيئاً؟» ، تساءل كاشاجو ، مديراً وجهه صوب ابنه
 العاري الرأس من الشعر إلا غرته القصيرة مضفورة . نضنض بلسانه
 منتظراً رداً .

تحرك ماياكي صوب كاشاجو . لاصقه ، فالتفت سلطان
 زينافيرى إلى عميد محاربيه .

«سأذل ماشايو أمام ميهو ، اليوم» ، قال ماياكي .
 تلقف كاشاجو كلمات ماياكي بالتذاذ على لسانه الرمادي .
 أدار عينيه على وجه عميد المحاربين . تساءل مستنكراً : «أريد ميهو
 حرباً؟!» . نقر الأرض الرمل بقدميه الرُسغين - قدمي الجراد .
 «أريد ميهو حرباً؟» . كرر سؤاله قبل أن يرد بنفسه : «حشد مثل

الذي معه حشدُ حرب ، ياماياكي» ، قال بصوته الحجري . نضنضُ
، لسانه مديراً وجهه إلى صفوف المحاربين : «حننتُ إلى حرب ،
ياماياكي . حننتُ إلى احتساء غبار تثيره الأقدام في الحرب . للريح
هبوبٌ في الحرب لا يشبه سواه . آخر حرب خضتُها مع أبي ضدَّ
إقليم دازداه الشمال . لم تزل في مخزني ، حتى اليوم ، عظامُ زوجة
كوئو - زعيم دازداه» .

قفز كاشاجو ، بعد كلماته ، قفزة قصيرة ، واحدة ، إلى الأمام ،
ثم استدار إلى عميد المحاربين . نضنضُ لسانه يتحسّس في الهواء ،
كلمات معلّقة . ألقى بصره إلى زوجته ملتصقة بابنها ريكما . قفز
قفزة قصيرة أخرى راجعاً إلى موضعه قرب عميد المحاربين . همس :
- هي أجمل من رأيت ، ياماياكي .

«هي جميلة ، ياكاشاجو» ، عقب ماياكي متطلعاً إلى حيث
ينظر سلطانُ زينايفيري ، الذي استدار إليه محدّقاً :
- أقلتَ شيئاً ، ياماياكي؟

«نعم . هي جميلة» ، ردَّ ماياكي .

تلقف كاشاجو كلمات ماياكي بلسانه - لسان الأفعى . همهم
مستدركاً :

- نعم . زوجتي جميلة . لكنني عنيتُ زوجة كونو - سيد إقليم
دازداه ، ياماياكي . هي أجمل من رأيت من نساء مخلوقاتنا .
عظامها في مخزني بعدُ ، ملفوفة بجلد زوجها . لم أكل منها إلا
ترقوتَيها ، وفقرتين من العَصعص .

قرَّب رأسه من رأس ماياكي : «هل سمعتني شيكتان؟» ،
تساءل بصوت خفيض . نضنضُ لسانه خارج فمه متهياً أن يسمع
ردَّ عميد المحاربين . أبعد رأسه قليلاً . قلب عينيه في وجه محدثه

وهو يتجسس ، بيده اليسرى ، قلادةً من جلد في عنقه ، يتدلى منها
«نقار» طائر أحمر . تساءل :

ماذا عنيت من أنك ستُذلُّ ماشايو أمام ميهو؟ .

«سأذله . اسمعني» ، ردَّ ماياكي ذو الصوت الطنين . انتفخ
الجلدُ حول ثقبَي أنفه الممسوح ، ثم انكمش مع حركة لسانه
بالكلمات كأنما يندفع هواءٌ تحت جلده وينحسر . مدَّ عنقه الطويل
صوب كاشاجو . انتصبت أذناه الكبيرتان ، الطويلتان يتدلى من
ميناها قرطٌ خرزةٌ بيضاء ، معلقة بخيط أسود . استرسل محدثاً سيدَ
زينافيري في هدوء ، بصوت خفيض تتبَّع لسان كاشاجو كلَّ نبرةٍ
فيه ، حريصاً أن يلتقط تفاصيل خطة عميد المحاربين المرتدي ثوباً
قطعتين رماديتين من جلد أختين من أخواته الخمس الميئات ،
واحدة من العنق حتى السرة بلا كمين ، والأخرى كالمئزر لفاً على
وسطه حتى الركبتين .

طويلاً عَرَضَ ماياكي لعبته الخطة التي سيُذلُّ بها ماشايو .
طويلاً أبقي كاشاجو لسانه مهتزاً خارج فمه يتذوق به خطة عميد
المحاربين . اكتفى إصغاءً مُدٍ استوعب التفصيل . همس :

- هذا مَكْرٌ جيد .

تنهَّدَ ماياكي مستريحاً فانتفخ الجلدُ حول ثقبَي أنفه . استدار
إلى مطيئته الجنِّي راتو الضخم ، ذي الندبة الطويلة في وجهه ، من
صدغه الأيمن حتى حَنَكه الأيسر . أوماً ، فاقترَبَ الجنِّي بنصف
قفزة فصار قبالة راكمه . كلَّمه ياماكي باستفاضة تفهمها راتو . طأطأ
برأسه . قفز مبتعداً إلى مهمته سريعاً كالريح ذاتها .

استدار الرمل على نفسه في الهبوب الجامح . انبسط وانطوى .
تسطَّحَ على امتداد العراء ، وتحَدَّبَ في بلوغه جدران المعبد وقاعدة

تمثال الإله كوياسي ، المرتفعة قدماً واحدة لا أكثر ، مزيجاً حصيً وكعابرٍ عظاماً .

تراجع كاشاجو قفزتين إلى الوراء . جاور المنجمين الثلاثة الذكور ، ورابعتهم الأنثى بُؤنيا ذات الوشم التسعة الخطوط صفراً من جبينها حتى الذقن ، مروراً فوق العينين . غمغم بنبرٍ حجري :
- ما حال الذئب الأبيض ؟ .

«لم يكلمنا منذ ثمانية أيام ، ياكاشاجو» ، ردّ كبير المنجمين خاميدس ، ذو العصابة من سيورٍ بيضٍ حول رأسه .
«ماذا يعني ذلك؟» ، تساءل كاشاجو منضنباً بلسانه - لسان الأفعى يتقرى الصوت صلباً كنقشٍ نافر .
«هو في نزهة» ، ردّ توهتو المنجم ، ذو العينين الحجر البنيتين .
«في نزهة أين؟» ، تساءل كاشاجو .

«هناك» ، ردّ توهتو ، مشيراً بيده اليسرى الضخمة إلى فراغ في الأفق الشمالي ، ملبّد بالرمل معصوفاً .
«لاشيء هناك» ، تتمم كاشاجو . استرسل : «لاجيوش .
لامدن . لأسواق . لأكهوف . لارياح أيضاً» .
«هو هناك ، إذا» ، ردّ توهتو ، ذو الوشم الدائرة البيضاء ، الصغيرة ، بين عينيه .

الذئب الأبيض هو وحي المنجمين في إقليم زينا فيسيري . يُستقصى موضعه ، في الأمكنة المحجوبة ، بعيون الخيال الثالث - خيال المؤتمنين على نبوءات اللاتعيين . المنجمون لا يستنطقون الذئب كشوفاً في آتي المصائر ، وقادم الأحوال ، بل يلاعبونه ، هم في زوبعة ، والذئب الأبيض ذو العينين البيضاوين والأنياب الحمر ، في زوبعة . تتداخل الزوبعتان تحت قبة المعبد . يصيرون هم والذئب

شبحاً رملياً نصفَ جنِّيٍّ ونصفَ ذئبٍ ، متكلماً بلغاتِ أقاليم
الأراضي الظاهرة والمحجوبة - لغاتِ عصافير كوشنو ، وبعوض بحيرات
سبيلير ، وثيران هادولا ، وثلالب كاروس ، وحيثان أرخبيل زايلو ،
وذباب زينافير ، وطيور كُوْتِيرِي الشبيهة بالسحالي ، وأرواح
الأودية ، وأرواح الكهوف ، وأرواح الصدوع الكبار في صخور
الشمس الأمّ ، وجراد حدائق الأسلاف الرمل بتصاميمها الفوضى
تحت السماء ذات الغيوم العَظُم - السماء الأولى ، التي أنجبت
السماءَ الراهنة سِفاحاً من لقاء عابر بجَدِّ قُرود هيهمو . المنجمون
ينطقون ، مُذ يصيرون شبحاً من مزيج الشكل الجنِّيِّ والشكل
الذئب ، لالتعيين مُلغِز ، أو فكٌّ طَلَسَم ، أو استنباء في إشارات
البروق ، وعويل طيور لاكيلا العمياوات . هُم في مرج والذئب ،
مُلهَمُون أن يرجعوا إلى أنفسهم وحدها إن سئلوا في مُعْضَل ، أو
مَخْرَج من معضل . حسبُهم أنهم في خلوة تحت قبة المعبد ،
يلعبون الذئبَ الطيفَ . حسبُهم أن يمرَّ بهم الذئبُ الأبيضُ
الطيفُ ، لا غير . وعليهم الاستلقاء ، بعد ذلك ، على بطونهم ، في
حلقة صغيرة ينفخون على الرمل بأنوفهم المسوحة ، وينظرون في
آثار النفخ ، ثم يقرّرون الأحكامَ عن عَمَدِ عقولهم المتفحّصة في
الظواهر وضروبها .

امتطى كاشاجو ظهرَ الجنِّيِّ الدّابة الضخم . تباعدَ شقاً ثوبه من
جانبَيْ فخذه - فخذَي الجرادة . خفقَ ثوبُه الرمادي ، الذي بلا
كُمين . ثوبه شبيهه بجلده ، تحصّله من جلد جدّته عمّرت مائةً
وثمانين عاماً من أعوام الجن . كان يرتدي جلدَ جدّة جدّته قبلاً
فأورثه ابنه ريكما . لقد جفّفوا جلدَ جدته ، بعد سُلْخها ميتةً ، على
حبل في ساحة القصر ، وحملوا لحمها إلى طيور لاكيلا . كل جن

زينا فيري يصنعون ذلك بموتاهم الأقربين ، ويحفظون عظامهم
معروضة للريح على مساطب حصى ليخزنوها قوتاً .

خَفَقَ ثوبُ ياماكي الجلدُ الجاسى - جلدُ أختيه من صفع الريح
عليه ، حين صعد ظهر مطيته الجنيّ راتو . خَفَقَ ثوبُ شيكتان
المتشعبُ خيوطاً سيوراً حُرَّةً فوق ركبتيهما ، فصلَّته من جلد عمها ،
حين صعدت ظهر دابتها الجنية الضخمة الأثنى . خفقت أثوابُ
أسياد الفرقِ القصارِ حتى ركا بهم إذ صعدوا ظهورَ مطاياهم الجنّ
الجاثين على ركا بهم .

رفع ماياكي ذراعه اليمنى بسلاحه من عظم فخذ الثور فانطلق
نفيرُ البوق الحجر أكثرَ عُمقاً ؛ زفيراً عريضاً كالريح .
عضَّت الريحُ أذيالَ بناتها يتلهَّينَ . عضَّتْهنَّ مستثارةً فاثارتهنَّ .
نزف الرملُ تحت الأقدام ماينزفه من جروح الرمل عادةً .

الفصل الثاني (توثيقُ النشأة الناقصة)

ليس معبد إقليم زينا فيري بمكان لمبادلات الخوف ، والرجاء ، أو للتذكير بوعد ، وأتقاء وعيد ، بين الجن والههم كوياسي المتنافر شكلاً في تمثاله ، الخاضع - كل وقت - للبتير ، والإضافة ، والامتداد ، والانحسار ، والتجانس في موضع ، واللاتناسق في موضع منه بحسب مائمليه أسيادُ فرّق المحاربين ، وأسيادُ المآدب ، وأسياد المقايضات الكبريات في سوق كاتراميل ، على النحات أُلما ، مصمّم هيكَل الإله من العظام شتّى ، إن عبّروا .

أُلما النحاتُ لا يُخضعُ تدخُّلاً في تصميمه الهيكلَ الشكلَ للمساءلة . هو يبري عظاماً ، ويقطعها ، وينجرّها بصُفّاح حجر كالشفرة ، ويربط بعضها إلى بعض بالسّيور ، ويُداخلها من ثقبٍ فيها ، ويعلّق عظاماً صغيراً بالحبال تتقارع مصوَّنةً بندائها الخفيض المبرّد متحاكاً بمبرّد الريح . كل يوم ينجز أُلما شيئاً ممّا قدره بخياله مرسوماً شكلاً على الرمل لا يلبث أن يتدرّى ، فيُعادُ الرسمُ التخطيطي . الأسياد ، الذين يعبرون الساحة من الجهة الغرب للمعبد ، يوقفون مواكبهم . يتأملون المنجز من هيكل الإله النحيل متشعباً في فضائه . يخمّنون النقصان ، أو التفصيل الذي بلا لزوم . يكلمون أُلما همساً بما عراهم من رأيٍ نازعهُ الإتنان . بعضهم لا يوقف كعبه في العبور . يدقّقون ، من ظهور مطاياهم ، في الشكل

الهيكل ، ثم يبعثون رُسلًا إلى آلهة بعض التنبيهات ، والتوجيهات ،
والتصحیحات . غير أنهم لا يُجاوزون تدخلهم بأكثر من طلب
واحد ، صغير عادةً .

منذ ما لم يدقّ الجن في أصله من الوقت ، واتّفاقه من تاريخ
زينافيري ، يجري تحصيل أعضاء الإله كوياسي من خيال النحاتين
يتوارثون تصميمه نكتاً في الرمل ، ومن خيال الأسياد أسلافاً عن
أسلاف . يزعم بعض الجن أن التمثال التجميع عظاماً بلغ أحياناً ،
في ماضي زمن الجن ، سفوح هضبة طيور لا كيلا ؛ بل تسلقها
نحاتون لتثبيت عين له في الوسط بين السفح والقمة ، وتثبيت عين
أخرى من عيونه الستمائة قريباً من قُلَّتْها المسطحة . هي عيون
تخضع ، بدورها ، لزيادة أو إنقاص ، وفَقَّ استشراف النحاتين
المصمِّمين ، والأسياد ، لكمال الإحاطة البصرية بالوجود من زوايا
الكون الثلاث . لذا أوجبوا عيوناً لإلههم كوياسي من أنصاف
جماجم طيور لا كيلا ، ودفنوها تحت قاعدته ، ليكتمل له الإشرافُ ،
والإحاطة الكُلِّيان بظاهر الأرض وباطنها ؛ والإحاطة ، من ثم ،
بنفسه الأخرى الدفينة التفاصيل في خيال كل جنّي ، وكل طير ،
وكل حشرة وُجدت أم لم توجد بعدُ .

تخالطت التصوراتُ المراتبُ ، وأقيسةُ الكمّلاتِ ، في تقريب
الشكل الإله كوياسي إلى تصميم من تضافر العظام الملائمة ،
وتجاوُر المتناسب ، وتحصين المفاصل وتعضيدها بالسيور من
الذئب الأصفر ، وإحاطة العيون بأنياه . شكلُ رَسَا ، متقلّباً ،
الغَلْبَة ، على بعض من صورة الجنّي ، وبعض من صورة
وبعض من صورة طيور لا كيلا ، وبعض من صورة الجرادة ، وبعض
من صورة الذبابة البيضاء ، وبعض من صورة الأفعوان ، وبعض من

ضرورة درة الاستئصال . كما عُضِدَ الشكلُ ، المتقلبُ في غلبة هذا
الـ : دسر عليه أو ذاك ، بمرموزات من عظام سلاميات الأيدي لم
تأخذ صوراً ، وإنما اكتُفِيَ منها أنها إشاراتٌ إلى الرمل والريح .

الإله كوياسي قائمٌ على الجهة الغرب من المعبد . لا يدخلُ
أحدُ المعبدِ ذكراً ، أو تقديساً . لا يتقرب أحدٌ إليه بقربان ، ولا
يُشركُهُ جنيٌّ في وجوده كقُدرة : كوياسي مصادفةٌ لم تَشْغَلْ نَفْسَهَا
بأكثر من أنها إلهٌ ذَكَرَتْ تتخالط الصورُ فيه ، ويتراكبُ جِرمُهُ تزييداً ،
أو تنقيصاً ، من يوم إلى آخر .

المنجمون الأربعة ساووا معبدهم بالإله كوياسي نفسه .
معبدهم ليس بمكان لمناجاة القُدرة ؛ ليس بمكان لاستصلاح الحظوظ
تضرعاً ؛ ليس بمكان للمقايضات على ثواب إيماناً ؛ ليس بمكان
للاحتكام إلى الضرورة كي تتساهل الضرورة ؛ ليس بمكان لتجرّد
الجن من وجودهم ، في برهة مناجاة ، تعظيماً لوجود آخر ؛ ليس
بمكان لتشغيل الأرواح بملكات الغيوب أو تعطيلها . المعبدُ ، على
التخصيص ، ملتقى المنجمين لاستحضار الذئب الأبيض ، الوحي ،
يلعبونه بلا استثناء ، أو تصريف للمستغلاقات كشفاً وتفريجاً . هو
ملتقاهم ليتدارسوا الأعمار التي يكره الجنُّ ذكرها ؛ الأعمار في
ظهورها واختبائها ؛ في خصائص قصرها وطولها ؛ في انحسارها
وامتدادها ، الذي لا يتوقف أحياناً إلا عند السفح الجنوبي من
الوقت .

«لاشمال للوقت» ، تقول بونيا ذات الشوب القطع الثلاث
موصولة من العنق حتى البطن ، ومن البطن حتى الركبتين ، ومن
الركبتين حتى أرساغ قدميها بحاشية ذيلٍ يزحف خلفها على
الرمل .

«الوقت ثلاث جهات ، كزوايا الكون الثلاث : الشرق ،
والغرب ، والجنوب» - ذلك ماوثَّقه لها في أسْماع الجن صَوْتُهَا النَّقْرُ
بلسانها على أعالي فمها .

المنجمون يتدارسون ما سيقولونه للجن من كلام يريدونه
محفوظاً كاعتقاد . يوثِّقونه أولاً برفع وجوههم إلى قبة المعبد ،
وترديده ، ثم بالسجود فالنفخ على الرمل : هكذا انتظم العِلْمُ في
الأجيالِ الجنِّ من ولاية المنجمِ خاميدس ورهطه على مصكوكات
الخلود ، مثل عودتهم ، في الموت ، إلى الصميمِ النارِ من فردوس
الشمس ؛ إلى المخاطبات الدائرية بألسنة لهب .

لا ذكريات للموتى في الموت . الموتُ هو «النسيان الأعظم»
صكَّه المنجم كاساك ، القصير بين جن زينافيرى ، صورةً معنًى بنقْرِ
حجر على حجر . لا يذكُر الجنُّ الموتَ ، بل «النسيان الأعظم» ،
الذي ليس فيه إلاَّ المخاطبات الدائرية بألسنة من لهب الشمس ، في
دورة أرواحهم الخالية من أيِّ التماس لاستقرارها . مخاطباتُ زمجرة
على فلَكِ الشمس - الفلَكِ الرملِ المتَّقدِ بحُبَّباتِهِ النارِ .

في فجر اليوم الذي استنهض نفيراً البوق الحجر محاربي
زينافيرى ، خرج المنجمون الأربعة من المعبد بحفنات من الرمل في
يد كلِّ واحد حفنة . نثروا الرملَ في الريح دائرياً . خبطوا بأقدامهم
الأرضَ فأثاروا غباراً تنشقَّوه بقوة ، ثم اتجهوا قفزاً سريعاً إلى مقام
الإله كوياسي العشواء الهيئة ، حيث تجتمع الفِرَقُ إن استنْفِرت .
جاوروا موكب السلطان كاشاجو ، الذي التحق سريعاً بعميد
المحاربين .

«كأنني لمحت طيف الذئب الأبيض ، بجسم أكثر طولاً» ، قالت
المنجِّمة بونيا ، وهي تقي عينيها الحجريتين بيديها ، كأنما تثبَّت

طيف الذئب في البعد الضيق للرؤيا . «جسمه طويل كأفعى» ،
أردت . «إنه يتسلل من بين المحاربين في اتجاه المعبد» .

قالت بونيا ذلك بعد وقت من سؤال كاشاجو المنجمين عن
الذئب الأبيض ، قبل انطلاقه والمحاربين إلى ملاقاته الغازين ميهو
وحليفه ماشايو ، اللذين بلغت طلائعُهما السفوحَ الشرقَ من
الهضبة الحمراء .

استعجل المنجم القصير كاساك قفزاته بسُعار وتَرَّ ساقيه من
كلمات بونيا الرؤيا . ضاعفَ قفزاته حتى بلغَ جوارَ كاشاجو . جاوزَه
قليلاً ليلفت بصر السلطان الأصم ، فالتفت السلطان إليه .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو ، مدركاً أن كاساك يريد إبلاغه
بشيء ما . نضنض بلسان - لسان الأفعى مستمعاً .

«رأت بونيا طيفَ الذئب الأبيض» ، قال كاساك ، ذو الوشم
النقاط الصُّفر والببيض تغطي نصفَ وجهه الأيسر ، نزولاً حتى
عنقه .

«ماذا يعني ذلك؟» ، تساءل كاشاجو من فوق ظهر مطيته
الراكضة قفزاً .

«لا شيء» ، ردَّ كاساك بصوته الزفير . أضاف : «لقد ظهر
الذئب» .

«أترمعون العودة إلى المعبد لتلاعبوه؟» ، ساءله كاشاجو بصوته
الحجري . «هذا ليس يوماً لملاعبة ذئب ، أو مداعبته» . ربت على ظهر
الجنِّي المطية كي يبطن قفزه قليلاً . التفت إلى الوراء : «أين رهطك ،
يا كاساك؟» . تساءل . نضنض بلسانه ينتظر جواباً . أكملَ قبل أن
يتكلم المنجم القصير : «أراهم» ، ردَّ بنفسه على سؤاله . ربت ثانيةً
على ظهر مطيته الجنِّي يستحثه على الإسراع لاحقاً بعميد المحاربين

ياماكي ، القريب من شيكتان ، وابنها ريكما . نادى :
- ماياكي .

خفف راتو ، مطيةً ماياكي ، من قفزاته الطويلة ، لكن من غير
توقف . التفت ماياكي إلى السلطان :
- أناديتني ، ياكاشاجو؟ .

«نعم» ، ردَّ كاشاجو منضنباً بلسانه . «رأت بونيا طيفَ الذئب
الأبيض» .

«مانفعُ ذلك؟ مانفعُ الطيفِ الرؤيا؟» ، تساءل ماياكي بصوته
الطنين وقد تلاطمت ضفائره الطوال الأربع عشرة ، كلُّ سبع على
جهة من رأسه .

«لانفع» ، ردَّ كاشاجو . تلوى لسانه خارج فمه يتلقَّف سؤالاً
آخر من ماياكي :

- ما مهمة الذئبِ الوحي ، ياكاشاجو؟ .

«ملاعبة المنجمين» ، ردَّ كاشاجو ، مبقياً بصره ، جانبياً ، على
وجه ماياكي .

«أيجعلهم ذلك أكثر استبصاراً في الأحكام ، وفي التأويل؟» ،
تساءل ماياكي . أردفَ : «لماذا لا يظهر طيفُ هذا الذئبِ الأبيض
على أيِّ منّا؟ هل منجمونا صادقون في ادّعاء ظهور الذئبِ
عليهم؟» .

ارتدَّ رأس كاشاجو إلى الوراء قليلاً . فاجأه ملمحُ الشك أسألَهُ
لسان ماياكي في شأنٍ يخص منجمي إقليم زينافيرى . لجَمَ نقرّة
خياله . ردَّ على سؤال عميد المحارين :

- لا معنى لظهور طيف الذئب علينا . لا نلاعب ذئاباً ، أو
نداعبها .

«امعنى ظهوره عليهم؟» ، تساءل ماياكي . «قد أصير منجماً
الأم واحد» ، أضاف ، محدقاً إلى وجه كاشاجو . شدّ صفائر شعر
«بلينه راتو بيده اليسرى كالرسن ، يحثه على الاقتراب أكثر من
السلطان :

- كيف أصير منجماً ، يا كاشاجو؟

نفض كاشاجو بلسانه وهو يشدّ ، بدوره ، صفائر مطيته
كالرسن ، فحفّف الجنّي المطية من قفزه . أربكه قليلاً سؤال
ماياكي .

«لم أسائل نفسي في ذلك ، ياماياكي» ، ردّ كاشاجو . «قد
اسأل خاميدس بعد أن تنتهي من هذا» ، مشيراً بسلاحه العظم
المعقوف إلى نواحي الهضبة في البعيد البعيد . قلب عينيه على
الأفق الشرق نازفاً رماً من وريد الريح ، ثم أعادَ بصره إلى ماياكي :
- أقلتَ شيئاً؟

«لا» ، ردّ ماياكي . استرسل مقتنصاً برهة النظر من عيني
كاشاجو إليه :

- لا مخازن ستوسع لعظام محاربي ميهو ، وماشاو . أين
سنخزن فائضها؟

«أوه» ، تتم كاشاجو . نقل سلاحه خطفاً إلى يده اليسرى .
نظر إلى أظافر يده اليمنى المصبوغة خضرةً ، وكذلك سبابتها
الخضراء صباغاً . «سنجد مخزناً» ، ردّ .

«المعبد فارغ» ، قال ماياكي في تلميح منكشف القصد .
«المعبد؟!» ، تساءل كاشاجو مستغرباً . «أأنت جاد في
اقتراحك؟» .

«ولمَ لا؟ معبد واسع الأرجاء يقطنه أربعة منجمين» ، ردّ

ماياكي . ألقى إضافةً تحتمل السخرية : «أربعة منجمين ، وطيفُ
ذئب» .

نفضض كاشاجو بلسانه يتذوّق الرملَ ملتصقاً بالكلمات . أعادَ
سؤاله :

- أأنت جاد ، ياماياكي؟

لم يُجِبْه ماياكي عن سؤاله تخصيصاً . وسّع فكرة المُقترح :
- عظام ميهو وحليفه ماشايو في المحراب . عظام أسياد فرقهما
في القوس اليمنى من جدار القبة . عظام المحاربين تُنصَدُ مساطب
على جهتيّ المدخل . زرتُ التخوم مع الرُقباء . المحاربون كثرُ ،
ياكاشاجو ، وأرى عظامهم في المآدب .

«ماذا لو رفض المنجمون؟» ، تساءل كاشاجو ، فردّ ماياكي
متسائلاً :

- أرسلُ كاساك ليحلب بقيتهم إليك . اسأّلهم . لن يرفضوا .
لم يكن كاساك على مبعدة بعد حديثه العابر مع السلطان ،
الذي أشار إليه بيده الممسكة سلاحه ، فاقترب المنجم القصير
باستفاضة في القفر .

«نعم» ، قال كاساك ملبياً النداء الواضح في عيني كاشاجو .
«فليعجلُ رهطُ المنجمين إلى لقائي» ، قال كاشاجو .
رعودُ حجريةُ الصوت كلمت سفوح الهضبة . أضاء برقُ قُلَّتْها
في مرآة الرمل محمولةً بيديّ الريح .

ربت ماياكي على كتف راتو المطيئة وهو ينظر ، من خلفه ، إلى
المنجمين قادمين تسبقهم بونيا قفزاً : «أين الفتاة؟» ، ساءل الجنّي
الضخم .

«في مطلع حشد الموابكين من العامة فرقة المحاربين الثالثة» ، ردّ

راتو بصوته المتسرّب من حنجرتِه الكهف .
«أَلْقَنْتَهَا ، تماما ، ماسأَلْتُكَ أَنْ تَلْقَنْهَا؟» ، ساءله ماياكي ، فردّ

راتو :

- تماما .

«سأهين ماشايو» ، تتم ماياكي .

راتو المطيّة مضى ، قبل مسير المحاربين ، إلى بيوت زينافيرى في المهمة التكلّيف من عميد المحاربين . لم يُطلْ غيابه المختصر بقفزاته أضعافاً ساقَ بها هيكله . كلّمه ماياكي في خطّة يلقّنها راتو فتاةً بعينها ، ويأتي بها في الحشود خلف الفرق . هي خطّة سرّدها عميدُ المحاربين تفصيلاً على كاشاجو ، فأكد سلطانُ زينافيرى اقتدارها : «هذا مَكْرٌ جيد» ، قال بصوته الحجر .

أحضر راتو الفتاة إلى الحشود متهيئةً بالتلقين لمهمتها ، ثم عبر صفوف المحاربين إلى ماياكي ، الذي لم يسأله ، في برهة من انشغال بصره ، وعقله ، باستعراض سادة الفرق ، عن إنجاز ما أوّفه إليه . امتطاه فانطلقت سيقان المحاربين قفزاً ، بنفير البوق ، إلى مجابهة الدخلاء . لكنّ أمرَ الخطّة الحيلة التمع على الصّفاة الصقيلة من خيال ماياكي حين ذهاب المنجم كاساك لإحضار رهطه الآخرين ، لذا سأل مطيّته راتو عن الفتاة فأجاب راتو على سؤال راكمه .

وصل المنجمون . حتّ كاشاجو ، وماياكي مطيّتهما على التخفيف من غلواء القفز فحفّفا . حدّق سلطان زينافيرى إلى وجه خاميدس . دحرج الكلمات على لسانه - لسان الأفعى :

- رأت بونيا طيفَ الذئب الأبيض .

«نعم . رآته» ، ردّ خاميدس .

«ماذا أنتم فاعلون الآن؟» ، ساءله كاشاجو .

«ماذا تعني؟» ، ردّ خاميدس ذو الثوب الطويل ، والعباءة المتشققة أربعة فتوق من جلد خالتيه .

«ألن ترجعوا لملاعبته؟» ، ساءله كاشاجو ، فرد خاميدس مؤكداً بقاء المنجمين حيث يتوجه السلطان :

- سينتظرنا طيفُ الذئب .

«وماذا إن لم تعودوا؟» ، ساءله كاشاجو .

«نذهب معك ، ونعود معك» ، ردّ خاميدس .

غمغم كاشاجو مستحسناً ردّ كبير المنجمين . نضنض بلسانه .

نادى :

- ماياكي . ماذا عندك من اقتراح لمنجمينا؟ .

استدار راتو المطية قفزاً ليصير راكبه على قرب من خاميدس .

تكلم ماياكي :

- ماذا سنفعل بعظام الدُّخلاء ، يا خاميدس؟ .

«نأكلها» ، ردّ خاميدس من فوره . «سنطعم لحومهم طيورنا

المقدسة لاكيلا العُمي» .

«سنخزنها عندكم ، في المعبد» ، قال ماياكي .

اختلّت قفزات خاميدس متجهاً ، في مقدّم المحاربين ، صوب

شرق الهضبة لملاقاة الدُّخلاء . ترنّح . كاد يسقط لولا أن أمسك به

راتو من كتفه .

حدّق خاميدس طويلاً ، في صمت ، مفتوح الفم ، إلى وجه

ماياكي . نقل بصره إلى كاشاجو يستجلي في عينيه ارتداد الهدير

من كلمات ماياكي على قلبه هو - قلب خاميدس - إلى الريح . تتمّ

اسم السلطان بحروف متشاجرة كأنما يستغيث به ، ويستنجد :

- كاش - ش - ا - جو .

المان لا يتخاطبون باللقاب تبجيل ، أو تزلف ، أو إكبار ، أو
تأزيم . يتنادون بالأسماء صرْفاً لا يُدانيها لقبٌ يتقدّمها ، أو يردّها .
وهم لا يتبادلون تحيات إذ يتلاقون وقوفاً بعضهم على بعض ، أو
بورا بعضهم ببعض . إسم كاشاجو خرج حروفاً متصادمةً ،
متحاكةً ، من فم خاميدس الرمادي الشفتين . أردفَ اسمَ السلطان
بكلمة أخرى : «المعبد» ، تلقّفها منه لسانُ كاشاجو المتظاهر بجهلٍ
سببِ المخاطبة بين عميد المحاربين وكبير منجمي زينافيرى . صاح
في الريح النازفة رملأ من جرح هبوبها :

- ما به المعبد؟ .

«يريدہ مایاکی مخزنًا للعظام»، رد خامیدس متوسلاً الجسم
من السلطان بعینہ .

«ألا يصلح مخزناً للعظام؟»، ساءله كاشاجو.

موجةٌ ريحٌ، في استدارتها من الجنوب على الشمال، ساقَتْ
أصواتَ نساء زينافيرى في غنائهن الرِّفير من وراء حشود الفِرَق .
همهماتٌ، وغمغماتٌ موقَّعةٌ نحتت نقشها الوشمُ الهواءَ في غبار
الزحف قفراً بسيقان الجراد في الجذوع الأسافل للجن . بلغ الغناءُ
بهديره الخافت مسامعَ أسياد الفِرَق ، كأنما يحفر الصوتُ، خفيضاً ،
مجرى هبويه تحت الأقدام كي لا تبعثره الريحُ .

نساء زينا فيري ، المغنّياتُ دواماً لا يتوقفن عنه ، يتحسّبن بحناجرهن لقياس الأبعاد ، التي يقدّر الصوتُ فتقّها بيديه بلوغاً : في الريح العاصفة طبقةٌ صوتٌ من ضرب الألسنة سقوف الأفواه . في الريح المترددة بلا حزم أو حسم لصرف مشيئتها غلواً ، أو وسطاً في الهبوب ، طبقةٌ صوتٌ من التكتكة برؤوس الألسنة على الأسنان ، مع امتصاص للهواء من بين الشفاه إلى الحناجر . في

خمود الريح يخمد غناؤهن ؛ يصير طنيناً كذاب عالق في وعاء
مقفّل بإقفالهنّ أفواههنّ تماماً .

غمغمت بونيا رجّعاً من صدى الأغاني البعيدة فاسكتها
توهتو :

- منذ متى تغنين ، يابونيا؟ تنصّتي إلى خاميدس . هو مرتبك
منصدم .

ترنّح خاميدس من جديد ، كأنما تخذله ركبته ، حين تلقّف ردّ
كاشاجو موجعاً على توّسله : «ألا يصلح مخزناً للطعام؟» . كيف
تأتّى لسلطان زينايري أن يتواطأ مع ماياكي على مُقترح كذاك ولو
في صيغة سؤال لا يحسم انحيازه؟ .

«أصلح المعبد لخزن عظام؟» ، تساءل خاميدس مستنكراً ، ردّاً
على سؤال كاشاجو ، فأعاد سلطان زينايري صوغ المباحكة الخافتة
في سؤال ثالث ردّاً على سؤال ثان كان ردّاً على سؤال أول :

- ألا يصلح المعبد مخزناً للعظام ، ياخاميدس؟ .
تضعض صوت خاميدس . لهث :

- أصلح أو لا يصلح ، ياكاشاجو؟ لا يصلح تداول مُقترح
كهذا .

«قلّ ذلك لماياكي» ، ردّ كاشاجو .
تمالك خاميدس أنفاسه الغبار في الزفير . استعاد بعضاً من
جأش المنجم فاتجه بصوته إلى عميد المحاربين :

- لا يصلح المعبد إلّا مخزناً للرؤى ، ياماياكي .
«ومُلاعبة الذئب» ، عقّب ماياكي .
«هو ذئب المعبد» ، أكّد خاميدس .

«أين يكون ذئب المعبد حين لا يكون في المعبد؟» ، ساءله

«اباإني ، فردّت بونيا من وراء ظهر خاميدس :
يكون حيث أرسله .

«أرسله إليّ مرة ، يابونيا» ، قال ماياكي متطلعاً جانبياً إلى
ناشاجو المتنقل بلسانه نضضة بين المنجمين وعميد المحاربين ،
صاعدين نازلين في ركضهم السريع قفزاً .
«لست مكاناً» ، ردّت بونيا .

«رثائي مثلثان رملاً . عينايت مثلثتان رملاً . صوتي مثلث رملاً . إن
جرحتُ نزلتُ غباراً رملاً . إن احتسيتُ ، في نشوتي ، احتسيتُ الغبار .
أنا رملُ زينافيرى وغباره . أمكانُ أوسع من رمل زينافيرى ، يابونيا؟» ،
تساءل ماياكي بصوته الطنين كطين الزنور . وجهه بصره إلى خاميدس :
- ماذا تقترح إن فاضت عن مخازننا العظام بعد هذه المعركة ،
ياخاميدس؟ أننشر الفائض على سفوح الهضبة الحمراء؟ اللصوص
يكثرون كما عرفت . ملكهم ميسودا يتقرب من سلطان المتمردين
علينا ماشفير الأعمى . هم في كل مكان من نهايات إقليم
زينافيرى ، وليسوا في أي مكان . لهم أنفاق تحت الرمال ، وأسواق
تحت الكثبان .

نظر خاميدس إلى سفح الهضبة الغربي ، فالجنوبي . كُتل
رمادية كانت تتماوج على استدارة الأهضام في بطن خاله كبير
المنجمين وهما :

- أتحرك الهضبة ، أم عينايت لم تعودا تخترقان الريح ؟ .
«بل تتحرك الهضبة» ، ردّ ماياكي . «كماثن محاربي زينافيرى
تتحرك في ثيابها الرمادية على السفوح الحمر» . جال ببصره على
أسياد الفرق على مطاياهم الضخام - كلٌ سيد في خوذة حجر ،
ويده المسكة سلاحه في قفاز من جلد الذئب الأصفر . نفص

براحة يده اليسرى ذباباً عن ظهر مطيته راتو ، وعن صفائره الطوال :
«أسياد الذباب يواكبونا» ، قال .

على نَوَلِ الريح تواشجت الخيوطُ المشغولةُ من وَبَرِ الصوت
وفروه : أغاني نساء زينافيري ، الهادرة عميقاً تحت أقدام المحاربين
كأنما من مدافن الأعماق السحيقة ، تَخَالَطُهَا نَوْحُ رِقراق من
الأعالي . طيورُ لاكيلا العَمِياتُ جاوينَ غناءَ النساء .

اشتدَّ القفزُ بالمحاربين ، وبالمطايا الجن تحت أسياد زينافيري . تفتَّق
الرملُ وتَرَتَّى ؛ تقلَّبَ مَخْضاً من نَقَرِ الأقدام في سُرَرِ الرمل وتعارج
بطونه . اغتلت الغمغماتُ مستثارةً في الحناجر توقاً إلى نزال .

بَدَّتْ طلائعُ محاربي إقليم ساينون ، وإقليم يَتْرَاكُ ، في الجنوب
الشرق من الهضبة . توقَّفَ غطاريفُ مقدَّمها رافعين أيديهم
بالأسلحة أماراً لإبطاء المسير . فوجئوا ، في الأرجح ، بحشد
زينافيري الهائل مسرعاً في قفزه ، الذي لم يتوقف حتى بات
كاشاجو ، وعميد محاربيه ، على بُعْدٍ يرى المحاربُ منه هيئة خصمه
واضحةً في غلالة الريح ذات المسامِّ الرمل .

«كَلِّمْ ميهو ، ياماياكي . لن يلحق لساني بفزعه ، وبفزع ماشايو
معاً» ، قال كاشاجو . «وسَّعِ الرعبَ في عينيه» .

تقدم ماياكي بمطيته راتو وثبتت اثنتين من طليعة المحاربين
الدخلاء . نادى :

- ميهو . اقترِبْ لَأَكَلِّمَكَ .

انفصل ميهو ، سلطان إقليم ساينون ، عن طليعة المحاربين .
تقدَّم على ظهر مطيته الجنية الضخمة ، الصلعاء ، ذات الأذنين
المتهدلتين حتى كتفيتها . أرخى الرسن الذي جعله حول رأس المطية
إذ وقف قبالة ماياكي .

«حشدٌ كبير» قال ميهو . تقلبت عيناه الحجريتان في
الجريهما .

«لم تر شيئاً بعد» ، ردّ ماياكي . «انظر إلى الهضبة» .
ارتجفت شفتا ميهو الرماديتان ، الضخمتان ، وهو يلوح التماوج
الرمادي على السفوح الأحمر للهضبة . غمغم :
- لماذا كل هذا الحشد؟ .

لم يكن كاشاجو يسمع بلسانه النضناض شيئاً من كلمات
عميد محاربيه ، المدير ظهره إليه ، لكن تلقّف شيئاً من النبر الثقيل
جارياً من حنجرة ميهو في الريح . حثّ مطيته الجنّي أن يقترب من
المتحاورين ، فقفز الجنّي حتى جاورهما .

قفزت مطية ماشايو ، حليف ميهو ، مقتربةً براكبها سلطان
إقليم يتراك من الثلاثة المتقابلين ، فرفع كاشاجو يده بالسلاح العظم
المعقوف معترضاً :

- ارجع أنت . لم نأكل ابنتك بعد ، لكن سنأكلك قبلها .
شدّ ماشايو صفائر مطيته فاوقفها . تباعدت شفتاه المتهدلتان
تستلقي العليا على السفلى ، مستغرباً كلمات كاشاجو .
استدار ميهو إلى ماشايو مستغرباً بدوره . تتمم : «إبنتك؟» .
أعادَ بصره إلى وجه سلطان زينافيرى ، الذي أخرج لسانه متوقعاً
سؤالاً من ميهو .

«لأعرف ماذا عنيتَ من ذكر ابنة ماشايو ، ياكاشاجو . لكن لم
هذه الحشود؟» ، ساءله ميهو ، فردّ كاشاجو مستنكراً بصوته الحجر :
- ما الحشد هذا الذي معك؟ .

«نتتبع متمردين علينا وعلى ماشايو» ، ردّ ميهو .
«لماذا تتبّعونهم في أرضنا؟» ، ساءله كاشاجو .

التفت ميهو إلى ماشايو الساكن في وقفته بعيداً قفزتين عنهم .
استفسر :

- ألم يترصد مخبروك المتمردين يعبرون من هنا؟ .
«نعم» ، ردّ ماشايو بصوت غير واثق من تسديد حروفه . أتُبِعَ
الردّ بسؤال من باطن حيرته :
- ماذا عنيتَ من أنك لم تأكل ابنتي بعد ، ياكاشاجو؟ أية
إبنة؟ .

لم يردّ كاشاجو الأصم . حدّق إليه ملياً قبل أن يقسّم صوته
الحجرَ على الأسماع :
- توسّلْتنا عظاماً فأعطيناك . تسلّلت بعد ذلك إلى أرض
زينافيري!

قاطعه ماشايو مذهولاً :
- لم أتسلّل قط إلى أرض زينافيري . جئتُ قبلاً إلى أسواق
كاتراميل في مواكب مُعلّنة .
«هيه» ، غمغم ماياكي مُقحماً لسانه في مخاطبة ماشايو :
- تركتَ وراءك محاربين أكلنا عظامهم ، وتركتَ ابنتك . لم
نأكلها بعد .

نزل ماشايو عن مطيته مُعتصراً الخيال ، مصعوقاً . تقدّم نصفَ
قفزة فألجمه الصوتُ الحجرُ ، الأمرُ ، من فم كاشاجو :
- لا تقترب أنت ، أو أكلناك أنت وميهو الآن .
«أوضح لي» ، قال ماشايو بنبرٍ متوسل . «أوضح لي هذا
التلفيق ، ياكاشاجو» .

«تلفيق؟!» ، زعق كاشاجو بصوته رنّاً طويلاً . «أسمعُ العظام
متهشّمةً قبل أن نبدأ المعركة» .

«لستُ هنا طلباً للمعركة» ، قال ميهو ملقياً بصره إلى سفوح
الهيبة متماوجةً بالمحاربين بدأوا نزولهم .

«أجئت ، مثل ماشايو ، متسللاً إذا؟» ، سألَه ماياكي .

«أيأتي متسللاً ومعه حشد كالذي معي؟» ، ردَّ ميهو .

«لستُ ذاهباً إلى صيد بهذا الحشد» ، قال ماياكي . «ولستُ

ذهاباً بهذا الحشد إلى مقايضات في سوق كاتراميل» .

اقترب كاشاجو من ميهو حتى كاد يلامسه بأنفاسه . وجهه

صوته إلى عميد محاربيه من غير أن ينظر إليه :

- فلنجعل الوقت ممتعاً قبل المعركة .

نزل ماياكي عن مطيته . دار من وراء كاشاجو ليتمكن لسانه

النضناض من سماعه :

- فلنجعل المعركة ممتعةً بتعجيلها . أُلستَ في لهفةٍ إلى

معركة؟ .

«بلى» ، ردَّ كاشاجو بصوته القابض على قلق تذرفه عيونُ ميهو

وماشايو . «فلمنهد لها بمتعة أيضاً ، ياماياكي . سنولم لميهو» .

«ماذا عن ماشايو؟» ، ساءله ماياكي .

«ماشايو؟» ، تساءل كاشاجو بامتعاض . حدَّق إلى ميهو :

- لماذا جئت به معك؟ محاربو ماشايو لا عظام لهم .

«لماذا تكرهه ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ميهو ، فردَّ سلطان

زينافيري :

- أعرفُ مُذْ رأيتُ حشدكم ، وتعرف أنت ، ياميهو ، أن ونيمَ

الذباب ماشايو لم ينضم إليك ليتتبع متمردين عليك . هو هنا

ليقاسمك الغنائم مُذْ ظننا غافلين . توسَّلَ عظاماً فأعطيناه ، ثم تسلل

إلينا خلصةً فأسرنا محاربين أكلنا عظامهم . لم نأكل ابنته بعد .

«لم أتسلل إلى زينافيرى . لا ابنةً لي عندك» ، غمغم ماشايو ،
ذو الأذنين الصغيرتين الملتصقتين الغضروفين بجانبى رأسه ، كأنما
يقنع ميهو ، فرفع كاشاجو سبابة يده اليمنى المطلية خضرةً يُسكته :
- لن تحضر وليمتنا الآن . احضُرْ وليمةَ الغد فجراً بعظام
محاربيك .

«لسنا هنا في معركة» ، كرّر ميهو تأكيده ، فكرر كاشاجو
استخفافه بعذر ميهو :

- لن أُقِلّت مني الآن معركةً أستطيع لمسها بلساني ، ياميهو .
حشدكم كبير يغري بمعركة حتى لو كنت ذاهباً لصيد النمل .
سأكافئك على إهدائي معركةً بمأدبة من عظام الذئاب الصفر .

أوماً كاشاجو برأسه إلى ماياكي . ترجم ماياكي العلامة إلى
همس في أذن مطيته راتو أولاً ، ثم أوعز بإحضار عظام للمأدبة .

تنحى كاشاجو بضيوف مأدبته ركناً من الرمل وسطاً بين
الحشدين . أحضرت عظامٌ كثرٌ في لفائف جلود كأنما أعدّها سلطانُ
زينافيرى جاهزةً قبل فكرته عن المأدبة . رقع على الأرض فرقع
الحاضرون معه : ميهو ، وبعضٌ من قوَّاد محاربيه ، وماياكي ،
وشيكتان زوجة كاشاجو ، والمنجمون الأربعة ، فيما وقف الجنُّ
المطايا الضخام كلٌّ خلف راكبه حَرَسِيّاً . وإذا اقترب ريكما
ليجالسهم ، شدّه أبوه بذراعه الطويلة من زنده فأجلسه إلى جواره
راكعاً على ركبة واحدة . قرَّب فمه من أذن ابنه هامساً :

- مَنْ تلك المحاربة التي لا توقِفُ ذبابَ عينيك عن الحوْم
حولها؟ .

«أتعني سُوْكُ؟» ، ردّ ريكما ذو الوشم النقاط بيضاً على استدارة
عنقه ، والخطين الأصفرين فوق الأنف المطموس .

«أهي التي تأكل عينيك بذباب عينيها؟» ، تساءل كاشاجو .
أم . . . دالر رد ابنه . أمره :
أحضرها .

أحضر ريكما الفتاة المحاربة سوك . ركعت الفتاة في موضع من
الحلقة ممثلة بلا تساؤل . تحسستها عيونُ الجلساء في فضول ، حتى
ماياكي . وأذ هم ريكما بالجلوس ركوعاً انتهره أبوه :
- عُدْ إلى المحاربين .

شيكتان لم تُردِّ ماحكةَ زوجها في شأن فتاة محاربة دعاها إلى
المأدبة . تجاهلت الأمر كالذباب حائماً حول الرؤوس تجاهلهُ الجالسون
حيث حظاً ، على العيون ، أو الشفاه ، أو الأيدي .
مدد كاشاجو سلاحه أرضاً . ربتَ براحتي يديه على فخذيهِ
إيقاعاً خفيضاً جاوبَ غناءَ النساء خفيضاً في سراديب الرمل
الأسافل ، كأنه يسمعه .

«كلوا» ، قال كاشاجو سافراً اللفائفَ الجلودَ عن العظام . نشرها
بيديه يقربها من أيدي الجالسين حلقةً . خبط براحته اليمنى
الأرضَ الرملَ فأثار غبارها . تنشقهُ من منخرية الثقبين أنفاساً ،
وتنشقهُ بفمه المفتوح يحتسيه . أثبت عينيه على عيني ميهو ، اللتين
استدارتا فجاءةً إلى الجهة حيث لم يبارح ماشايو واقفاً منذ ألزمه
كاشاجو أن لا يتقدم أكثر . ألقى كاشاجو وجهه متطلعاً إلى ماشايو
بدوره : كانت فتاةٌ بعشر صفائر ، وثوب حتى الركبتين مشقوقٍ من
جانبي فخذيها ، تقفز صارخة بصوتٍ لوعةٍ ، وشوقٍ معاً :
- ماشايو .

عينا ماياكي تفحصتا موضعَ انطلاق الفتاة . رأى مطيته راتو
قادماً من طليعة محاربي زينافير في اتجاهه . أعاد بصره راضياً إلى

وجه كاشاجو الذي كان ينظر إلى الفتاة بدوره ، ثم إلى ميهو الغارق في استغرابه .

«إنها ابنته» قال ماياكي بصوت عال .

نهض ميهو مدفوعاً بفضول ، وهو يضغط عظماً بعداً . توجه إلى حليفه ماشايو كي يشهد اللقاء الحير . نهض ماياكي بدوره على وقع سؤال من فم شيكتان : «ابنة من هذه؟» ، ساءلته ، فرد عميد المحاربين بحروف حزم وهو يرى الاستغراب ذاته في عيون المنجمين : - أتمنى عليكم الصمت الآن .

الجالسون في المأدبة من قواد ميهو لم يلحظوا ذلك التفاوت بين إعلان ماياكي أن الفتاة هي ابنة ماشايو ، وبين استغراب شيكتان والمنجمين . كان الأمر برمته حيلةً حصرها ماياكي به ، وبكاشاجو ، وبمطيته راتو ، الذي أوكله بجلب الفتاة الملقنة دورها . لقد دلها راتو ، منذ أوصلها إلى صفٍّ متقدم من حشد المحاربين ، على ماشايو . وها كانت الفتاة ذات الصفائر العشر منطلقة قفزاً بصوتٍ شوقٍ من صنُّع الخدعة تنادي أباه المزعوم .

لحق ماياكي بميهو المتوجه إلى حليفه . لحق بهما كاشاجو قفزاً . تقارب الأربعة في حلقة صوت الفتاة وقد أمسكت بيد ماشايو المنكمش العنق استنكاراً واستغراباً ، يتمم بلسان مُبعثرٍ في فمه على نبر كالنباح :

- من أنت؟ لست ابنتي .

تصنعت الفتاة بدورها ذهولاً من إنكار ماشايو نسبها :

- مابك؟ أنا ابنتك زاهو .

أفلت ماشايو يده الضخمة بفضفاضة من يد الفتاة . دار ببصره المتكسر على وجهي ماياكي وكاشاجو :

أية خدعة هذه؟

نضنض كاشاجو بلسانه - لسان الأفعى . زفر زفيراً حجرياً :
- أجثتني ، ياميهو ، بحليف لك يُنكر إبنته ؟ . ثَقُ : هو الذي
سيسلمك مقيداً إليّ غداً ، حين تخسر المعركة ، متضرّعاً أن نُبقي
على لحمه فوق عظامه .

تبليبل ميهو ، الذي بدا جاهلاً قرابات حليفه ماشايو وشأن
عائلته ، لكنه استعرض سؤالاً في منطق الغموض الحاصل :
- أما من أحد من محاربك هنا يعرف ، ياماشايو ، أولادك ؟ .
« نعم ، في الأرجح » ، ردّ ماشايو . « فلنعرض الفتاة على من
جاءوا معي من إقليم يتراك » .

أدركت الفتاة خلل الموقف إن عُرِضَتْ على من يعرفون أولاد
ماشايو . استجمعت نباهتها في صرخة غضب : « أتصنع أنك
لا تعرفني - أنا زاهور ابنتك ، ياماشايو ؟ » . استدارت إلى كاشاجو :
« فليأكل محاربو زينافير عظامي » . قفزت فاتحة ذراعيها ركضاً لم
توقفه حتى في بلوغها طليعة محاربي إقليم زينافير . احترقت
صفوفهم مختفية .

أمسك ماشايو بعضد حليفه ميهو كأنما يؤكد باللمس صدق
إنكاره أمر الفتاة منذ البداية :
- لم افهم هذه الحيلة .

« أكان الأمر حيلةً ، ياكاشاجو ؟ » ، ساءل ميهو سلطان زينافير ،
الذي صرف عينيه عنه ، متطلعاً إلى حشود المحاربين على جهتي العراء
المديد . ألقى صوته الحجر في الريح توزّعه على الأسماع :
- نراكم غداً فجراً ، في الموضع هناك قرب الكثيب جنوب
الهضبة .

امتطى كاشاجو دابته الجني الضخم قبل أن تنزلق كلمات أخرى على لسانه : «ارجع بقية هذا اليوم ، والليل القادم ، ياميهو ، إلى محاريبك . قُصَّ عليهم شيئاً من مولد أسلافك ، وغزواتك ، وما أردت أن تربح ، وما خفت أن تربحه أيضاً . أمّا أنت » ، تتم مستديراً بعينيه إلى ماشايو ، فتأرجحت قلادته التي يتدلى منها منقار طائر أحمر مفلطح : « لن نأكل ابنتك . سيشاركها محارب من إقليم زيناڤيري ذبابته ليستولدا إبنة يكون جلدك ثوبها » .

«لسنا هنا لحرب» ، دمدم لسان ميهو بأخر تأكيد يائس ، وهو يرى موكب كاشاجو منصرفاً .

كان في مستطاع الفريقين المتقابلين عن بُعد أن يرصدا كل نظام الآخر صفوفاً ، وهيئات ، بالرغم من عبث الريح بالأشكال في نثره الرمل على سوارى الرمل وأسرعته . عاصفاً تقلب المكان على سرير الريح . صفائر الجن تلوت طائرة على جهات الرؤوس ، وخفقت الثياب الجلود تكاد تُنتزع عن الأجساد . تلبدت المربيات وتداخلت وقتاً بعد آخر .

قبل مغيب ذلك اليوم لم تعد العيون الرواصد تستوضح ، من الجهتين المتقابلتين للمحاربين عن بُعد ، أبعد من الأيدي إن رُفعت أمام العيون . نساء زيناڤيري طوين أصواتهن بعد النشر حتى باتت ملتصقة بشفاههن لا تُجاوزها . لكن لم يتوقفن عنه هن اللواتي لا يتوقفن عن غناء منذ تُدرّبن أمهاتهن على الخوف من النمل الأزرق ، في أعياد العاصفة الزرقاء ، إلى اليوم الذي ينفثن فيه زفراتهن الأخيرة من الغبار برتقالياً .

زئير ، وعزيف ، وخمش رمل : ذلك كان ليل انتظارهم فجر المعركة - هم الجن الذين لا ينامون . أصغوا طويلاً إلى كل موجة ريح

«... نالها زهر أختها واعتلتها بالزئير العزيف ، والخموش الرمل .
أدعوا إلى الظلام يُوري الظلام قَدْحاً بحجره . لم يكلم أحداً أحداً .
نزع الفجرُ بطيئاً ، مفرطاً في بطئه ، ما امتلكه اللامرئيُّ من
حظوة منحّتها الريحُ العاصف للامرئي . استعادت الصورُ شيئاً مما
سَلَبَتْهُ ، فاستهلَّ لسانُ كاشاجو جذبَ الكلمات التي حوصرتُ
لأنْتُنطقُ حتى الفجر :

- تتبَّعتُ نشأة كُون الجن ، ياماياكي .

بدا ماياكي ساهياً حين التفت إليه سلطان زينافيرى ينتظر
تعقيباً منه على كلامه الرؤيا . نضضَ بلسانه : «أقلتَ شيئاً
فاتننى؟» ، ساءله ، فاستعادَ ماياكي نفسه من سهوها عن صوت
كاشاجو الحجر :

- أقلتَ شيئاً ، ياكاشاجو؟ .

«سألتك إن قلتَ أنتَ شيئاً فاتننى» ، ردَّ كاشاجو .

«لم أقل شيئاً» ، قال ماياكي . أشار بالسلاح في يده إلى
البعيد مجاوراً مطيته راتو :
- أترى أحداً؟ .

أنعمَ كاشاجو النظرَ إلى البعيد الرمل متصلاً بأهضام الهضبة
الحمراء جنوباً : ما من أثرٍ لمحاربى ميهو وحليفه . تلفَّت حوله
مستغرباً : «ألم أحددُ موقعَ النَّزال؟» ، تساءل سلطان زينافيرى
بصوته موزعاً على اللاتعيين . حدَّق إلى ماياكي :
- ماذا ترى؟ .

«لا أرى أحداً» ، ردَّ ماياكي . نادى مطيته الجنى الضخم :
«راتو . اجمعُ بعضاً من مطايا الأسياد ، واستقصِ أمرَ محاربى
ميهو ، وماشايو» .

غمغم راتو ذو الصوت الكهف زمجرةً . قفز يستجمع كالريح
جنًا مطايا من صنفه ضخاماً ، حذاقاً في لجم المسافات جذباً
بأرسان السرعة ، ثم انطلق برهطه شمال شرقٍ ، إلى الجهة الجنوب
من الهضبة .

«أيادلنا ميهو خدعةً بخدعة؟» ، سأل كاشاجو عميد
محاربيه . أضاف مسترسلاً : «أتظنُّ خدعةَ الفتاة المزعومة ابنة
ماشايو انطلت على ميهو؟» . هز رأسه : «لم تكن خدعة جيدة» .
تأمل ماياكي وجه سلطان زينافيرى المنضض بلسانه تهيوًا
للسماع . ردَّ :

- لحظتُ احتقاراً في عيني ميهو لماشايو المرتبك . هذا
مأردتُ ، لا غير .

«خدعتنا لم تكن مُحَكِّمة . ميهو لم يقتنع بها» ، كرَّر كاشاجو
شكّه بحروف في صوته الحجر . «أهرب ميهو؟» . ضرب ظاهر فخذَه
اليمنى بسلاحه ضرباً خفيفاً في استياء :
- كانت المعركة تحت لسانى .

«لئن انسحبَ الحليفان نكنُ ربحنا معركة بلا احتراب» ، قال
ماياكي ، فهز كاشاجو رأسه غير مقتنع :

- هذا لا يجعلها معركة . ربما أخطأنا في صناعة خدعة الفتاة .
لم نكن في حاجة إلى حيلة ، ياماياكي . تشوّقتُ إلى حرب ، فما
الفرق إن احتقر ميهو حليفه أو لم يحتقره؟ ماجدوى ذلك؟ ماذا كان
يهمنا من ثقة ميهو بحليفه أو عدم ثقته به؟ كانا هنا ، تحت لسانى .
كانت المعركة تحت لسانى ، وذلك يكفينى ، ويُرضينى ، ياماياكي .
أين المعركة الآن؟ .

صمت ماياكي برهةً . استجمع منطقه :

لم أعرف أن ميهو سينسحب ، ياكاشاجو . ربما لم يكونا
الذين للحرب أصلاً . ربما هما يكمنان في مكان شرق الهضبة ، أو
تحت الرمال . سيأتي جننا المطايا بخبر ، فاصبر .

أفاق كاشاجو من استيائه على يد جذبت ذراعه ، فاستدار .
كانت زوجته شيكتان تُلفته إلى سؤال لم يشرّد قلبها عنه ، لكنها
أجلته ليلها كله :

- لماذا جلبت الفتاة المحاربة إلى مأدبتنا ؟ .

التفت كاشاجو إلى ماياكي . باغته بسؤال :

- لماذا أحضرت الفتاة المحاربة إلى مأدبتنا ؟ .

بسرعة خاطر تلفظ ماياكي الجواب :

- ليرى ميهو ، وبعض قادة محاربيه ، عن كذب ، واحداً ممن
سيطحنون عظامهم .

أبقت شيكتان بصرها على ماياكي مرتابة في جوابه . لم تعاود
السؤال منذ تولي المنجمون بسط بعض من رضاهم عن رحيل
الدُّخلاء بلا حرب : « لا عظام فائضة لتُخزن في المعبد » ، قال
كاساك الأقصر بينهم .

غمغمت بونيا كأنما تهمس إلى نفسها :

- رأيت طيف الذئب الأبيض خارجاً من المعبد كما دخله
بجسد خيط . انقذف لولبياً إلى الأعلى .

« أأرسلته ، يابونيا ، في نزهة جديدة؟ » ، ساءلها ماياكي ،
فردت المنجمة :

- أخالني فعلت ذلك .

« كم ستطول نزهته؟ » ، ساءلها ماياكي ، فردت بونيا : « من
بزوغ النجمة الماء إلى أفولها تحت الرماد الحلقات - رماد الكوكب

الطاووس». أشارت بعظم طويل في يدها إلى كثيب ضخمة غرباً ،
تراكم عقل الرمل فيه فكرةً فوق فكرة :
- أسمع زفيره .

قادة أرهاط صغار من المحاربين ، ذوي الكمائن الظاهرة على
سفوح الهضبة ، عجلوا بالظهور يسألون عميدهم في الشأن الحير :
«أتنزل فرّقنا أم تظل في مواضعها؟ الدخلاء غادروا» .
«أرايتموهم يغادرون؟» ، ساءلهم ماياكي ، فردوا :
- لا .

«ألم تلاحظوا حركة ما ، أو جلبة في الليل؟» ، ساءلهم ماياكي ،
فردوا معاً بإيماءات التأكيد أنهم لم يلاحظوا حركة ، ولم يسمعوا
جلبة .

«إبقوا حيث أنتم بعض الوقت» ، قال ماياكي يصرفهم . تقدّم
من كاشاجو :

- ربما الأفضل أن نرجع إلى المدينة في بطة ، ريثما يأتينا الجن
المطايا بخبر . لقد أطلنا الوقوف هنا .

نضنض كاشاجو بلسانه يقلّب المقترح الواضح في الكلمات .
«ليكن» ، ردّ .

بلا قفز تراجعت فرق المحاربين يتبع بعضها بعضاً في انتشار
منتظم ، سائرة ، بعد إيذان البوق ، وراء موكب سلطان زينافير .
عبروا الكشبان الواطئة في اتجاه الجنوب الشرق من الأرض ، التي
تبدّل التواءاتها ، وتبدّل مخابئ يقينها ، وانحداراتها الهيئة ،
وارتفاعاتها الهيئة كل يوم ، كالإله الأعظم كوياسي الهيكل
المتراكب عظاماً .

خرج ريكما ، ابن كاشاجو من بين صفوف المحاربين ، تجاوره

الفتاة سوك ، ويتبعه الجنى المطية الضخم رؤُكتا . لحق بأبيه قفزاً
متصلاً . تنبّه أبوه لحاً إلى ابنه يخترق موكبه إليه . أوقف مطيته .
نفض بلسانه متلماً طعم كلماتٍ ما في الريح :
- أقلت شيئاً ، ياريكما ؟ .

« ليس بعد » ، ردّ ابنه . نظر إلى سوك :

- المحاربون يتحسّرون إلى معركة فاتتهم ، ياكاشاجو .

« وأنا أيضاً » ، ردّ كاشاجو .

« لماذا لا تلحق بالدّخلاء ؟ » ، ساءله ابنه ، فردّ ماياكي :

- هذا شأن مدبّري الخطط ، ياريكما .

« فلنرتجل خطةً ، الآن » ، قال ريكما ذو العين اليسرى فيها نقرة
صغيرة ككسر .

« لست من مدبّري الخطط » ، قال ماياكي بصوت فيه تذكير بأن

لشأن لريكما في التدبير ، أو الاقتراح بتدبير .

« أنا ابن كاشاجو » ، قال ريكما تذكيراً لماياكي بمقامه ،

فاستخفت به أمه شيكتان :

- خذ فتاتك إلى مجّمع الذباب . استنسلي حفيداً .

« ماسلاحك هذا ؟ » ، تدخل كاشاجو بسؤال رماه إلى الفتاة

سوك ، ذات الثوب المتزر من الصدر حتى الركبتين ، فردّت الفتاة :

- ترقوة ذئب .

« أعرف العظم الذي في يدك . لكنني عنيت السلاح الآخر » ،

قال كاشاجو مشيراً إلى عينيها الصغيرتين . أردف : « أين

الرّسامات ؟ فليوثّقن عينيكَ رسماً » .

« ربما هنّ يتقصّين ، الآن ، محاربي ميهو وحليفه الهاربين ،

ليرسمنهم » ، ردت شيكتان بنهرٍ ساخر . حدقت إلى سوك :

- خذي ريكما إلى الشعراء . اختارا ذبابةً لاستنسالِ حفيدِ

الـ

فتحت الفتاة فمها . اهتزَّ جلدُ وجهها بالوشم الأصفر مثلثاً فوق
الأنف المظموس . تدارك ريكما حياءَ سوَّك ، راجعاً إلى سؤاله
الأول :

- لماذا لا نلحق بالدخلاء؟ .

«استمعُ إلى سادة الخطط» ، قالت أمه شيكتان ، مشيرة برأسها
إلى ماياكي .

«أنا محارب» قال ريكما . «للمحارب حسرتهُ التي تُقال» .
«ليكنْ لك أدبُ المحارب أيضاً» ، ردت أمه . «استمعُ إلى سادة
الخطط» .

أمسك ريكما فجاءة بذراع الفتاة سوَّك . وجَّه كلماته إلى أبيه
المنفض بلسانه :

- سألحق أنا وسوَّك بميهو وحليفه .

غمغم كاشاجو بصوته الحجر على نبر هُزه :

- وماذا إنْ لحقتَ بهما ، وأدركتهم؟ . أَسْتَقْتَلهما ، وتأتي
بمحاربيهما أسرى زاحفين على البطون؟ .

«ربما على أحد أن يفعل ذلك ، ما دمتُ لا أرى إلاَّ
متخاذلين» ، ردَّ ريكما بنبر يردُّ الإهانة الساخرة في كلمات أبيه .
«مَن المتخاذل ، ياريكما؟» ، صرخ ماياكي غاضباً .

لم يردَّ ريكما . نادى مطيته الجنِّي :

- رُوْكُتا .

اقترب الجنِّي الضخم منه ، وانحنى . وضع ريكما يده على
ظهر المطية محدقاً إلى أبيه :

سأجد من أخذه معي ، وسألحق بالذُخلاء .

أمللق كاشاجو زئيرَ الوعيد والتوبيخ معاً ، بصوت زويدة
لائلمات فيه ، فتراجع الجنى روكتا المطية عن راكمه امتثالاً لسلطان
زينافيري المحتدم .

امتعض ريكما من تراجع مطيته . أشار إشارة الأمر النافذ :
« تعال ياروكتا » ، فلم يتحرك روكتا وقد صار على بعد منه مقدار
قفزة واسعة .

اختطف ريكما من يد الفتاة سوك سلاحها - ترقوة الذئب .
رمى بها مطيته روكتا فدارت الترقوة في الهواء كقرص ذي صغير .
صدمت ذقن المطية فانحذف الذقن من موضعه ؛ انكسر مقدوفاً هو
والترقوة السلاح . سقط العظمان على الرمل متجاورين .

كتم روكتا ألمه . ظل جامداً متجالداً . تحسّس ذقنه براحة يده
اليسرى الضخمة . أرسل زمجرة مكتومة تعضّ نفسها حقداً .
استدار قافراً ، مبتعداً كالريح في اتجاه الشمال ، قبل أن يلتقط أحد
نفسه من قسوة ما فعل ريكما .

مطية شيكتان الأنثى نينيسو أرسلت زمجرة من أعماق
حنجرتها . استهولت ما فعل ريكما بمطيته الجنى المخلص روكتا . لم
تتمالك لسانها فأفضت الكلمات عارية :

- أيها الطائش . أهنت ثمانية من الجن المطايا قبلاً . كلهم
التحقوا بالتمرد ماشفير . روكتا سيلتحق به أيضاً . أنت حليف
المتمردين .

استفظع ريكما التهمة . كاد يرفع أحد سلاحيه الاثنين ،
اللذين هما عظما ساقِي جدّه ملفوفين بسيور جلد ، مهدداً بعينيه
مطية أمه ، لولا أن بادر كاشاجو إلى نزع قِلادته من عنقه ، ورمى

بها رأس ابنه العاري من الشعر إلا غرة صغيرة ، مصفورة . شق المنقار الأحمر ، المعلق إلى القلادة ، ثلماً في صدغ ريكما الأيسر .
عوى ريكما من الإهانة . أمسك بيد الفتاة سوك يجذبها ، هاماً بمغادرة موكب أبيه ، لكن كاشاجو أوقف الفتاة منادياً باسمها :
- سوك . إبقى في الموكب .

امتثلت سوك لطلب سلطان زينافيرى . نظرت باعتذار من عينيها الصغيرتين إلى ريكما ، الذي ضرب الأرض غضباً بأحد سلاحيه العظمين من ساقى جدّه فانكسر العظم من شدة الضربة . قفز مبتعداً في سرعة كأنما يهرب من قرود هيهمو .
شيكتان ، التي تتبعت ببصرها ابنها محلّقاً قفزاً ، أعادته إلى زوجها باستنكار واستغراب ، وريبة ، من إبقائه الفتاة سوك في الموكب . ماياكي نفسه حذق إلى كاشاجو ، الذي تجاهل النظرات .
نفض بلسانه قليلاً قبل أن يوزع صوته على محاوريه :
- فلنعبر أحفّة المنهدّم الرملّي في العودة .

على تخوم القرى المتلاصقة بسور المدينة ، أرضٌ انهدامٌ خفيض مقدار ساقٍ جنّي عمقاً ، واسعة الأرجاء ، مهّدة من شرق دائرتها بمدخل سهل المنحدر للنزول إليها ، والخروج منها . مهندسون من إقليم زينافيرى اتخذوا الأرض المنخفض مصانع لمانعات الرياح ، التي لم ينجز أحد من الجن واحدة منها بعد . ربما خطر لكاشاجو ، كعادته حين العبور من حفاف المنهدّم ، أن يبري سخریات مُلطفةً ، بلا غلو ، من تلك الصناعة الغامضة انتدب لها المخططون في خرائطهم الرمل عمّالاً كثيراً ، جلب جذوع الأشجار من واحدة كيما ، وقطعها على مقاساتٍ صُرف في تقديرها جهد حساب بالمساطر العظام ، والأشبار ، والقفز المتوسط ، والأذرع الطوال ، كي

يسدّد قديم بناء أبراج مرتفعة ، عريضة ، قدّر ما يمكن الوزنُ احتماله ،
وتخمين وسائط النقل إن أنجزت .

منطقٌ من إشراف العقل المغامر على البراعات سلّك بالفكرة
إلى طبقة من الجن المهندسين ، زمناً بعد آخر . منطقٌ بسيط من
نسب المعقولات المتخيّلة أجاز للعقل تصاویر أبراج سدود مانعات
للرياح . سهلاً كان نظامُ البناء في الرسم على الرمل ، مُتَقَنّاً ، واضح
الغاية : أن يسدّد المهندسون ، بأبراج سدود قوية ، من جذوع الشجر ،
مجارى الرياح إلى أراضي الأقاليم الأخر . سدٌّ هبوب الرياح على
أرض يعني أن يخلد قاطنوها إلى سكون لا حركة بعده . هم الجن
لا يتحركون إن همدت الرياح وخمدت حتى عودتها جارية من
جديد . فماذا لو قدّر قادرون على قطع الرياح عن إقليم بمانعات
سدود أبراج ، متصلة بعضها ببعض كسور عظيم ؟ ردّد مهندسون ،
على مرار في المحاولات المخفقة عبر السنين ، أنهم سيمضون في
مجابهة الوجود بفكرتهم ، ولن يتراجعوا ، إلى أن يكتمل لهم ، يوماً
ما ، ترويضُ المُعضل في أمور الأوزان ، وترتيبات النقل ، وآلاتها .
كانوا ، بتريد المعقول المتخيّل على كاشاجو ، وعلى أبيه قبله ،
وعلى جدّه ربما ، يصفون خضوعاً من الأعداء لهم بلا مثيل :
«سنسدّد الرياح عن أرضهم . سيبقون ساكنين بلا حركة ألفاً من
أعوام الجن . بل ربما يبقون ساكنين ، خامدين ، جامدين ، ثابتين
حتى الزمن الذي ينتهي فيه زمنُ الجن» .

تفكّر المهندسون طويلاً في نقل الأبراج السدود إلى نواح أربع
من كل إقليم يريدون إخضاعه للسكون بحجب هبوب الرياح عنه ،
لكنهم في حيرة ، بعد ، من تدبير جذوع الشجر الكافية سدوداً
عظائماً كالزمن ذاته . جُلّ جهدهم ، في راهنه ، أن ينجزوا عيّنة

أُسْئِلَةُ أُولَى مِنْ مَانَعَاتِ الرِّيحِ يَجْرِبُونَهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوَّلًا ، فِي
الْأَرْضِ الْمُنْخَفَضِ . وَهُمْ كَانُوا فِي دَابٍّ مِنَ الشَّغْلِ عَلَى خُطَطِ
الْمَعْقُولَاتِ ، حِينَ مَرَّ بِهِمْ مَوْكَبُ كَاشَاوُ .

«لِيُوفَا» ، نَادَى كَاشَاوُ الْمُهَنْدِسَ الْكَبِيرَ ، الْمُتَصَاغِرَ الْيَدَيْنِ مِنْ
زَفَةِ الْعَمْرِ ، مُتَكِنًا عَلَى عَظَمِ طَوِيلِ مَتَقُوْسٍ . «أَسْتَحْمِلُ هَذِهِ
الْأَبْرَاجَ عَلَى مَنْكَبِيكَ؟» ، سَأَلَهُ ، مُشِيرًا إِلَى أَرْبَعَةِ أَبْرَاجٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي
الْمُنْخَفَضِ لَمْ يَجْرُ ضَمُّهَا كَسَدٌ وَاحِدٌ بَعْدَ .

«لَا تَهْتَمُّ بِأَمْرِ نَقْلِهَا بَعْدَ إِنْجَازِهَا ، يَا كَاشَاوُ . قَدْ أَسْتَعِيرَ مَطَايَا
الْجَنِّ كُلَّهُمْ فِي زِينَا فِيرِي» ، رَدَّ لِيُوفَا ذُو الْوَشْمِ دَوَائِرَ صَغِيرَةً أَرْبَعًا
عَلَى كُلِّ جِهَةٍ مِنْ عُنُقِهِ ، وَنَقَطَتَيْنِ بِيضَاوَيْنِ عَلَى الشِّفَةِ الْعُلْيَا .
«مَنْ سَيَحْمِلُنَا إِذَا أَخَذْتَ مَطَايَا ، يَا لِيُوفَا؟» ، سَأَلَهُ كَاشَاوُ ،
فَرَدَّ لِيُوفَا الْعَارِي الصَّدْرَ وَالْبَطْنَ ، فِي ثَوْبِهِ الْمُتَزَرِّ مَلْفُوفًا عَلَى جِذْعِهِ
الْأَسْفَلَ :

«سَأَتَعَهَّدُ أَنَا بِحِمْلِكَ .

«أَسْتَطِيعُ حِمْلِي عَلَى ظَهْرِكَ ، وَالْقَفْزَ بِي ، يَا لِيُوفَا؟» ، سَأَلَهُ
كَاشَاوُ ، فَرَدَّ لِيُوفَا الْمُتَهَدِّلَ الْأَذْنَيْنِ ، عَلَى شَحْمَتَيْهِمَا نَقَطَتَانِ
خَضِرَاوَانِ :

- حَمَلْتُ إِقْلِيمَ زِينَا فِيرِي عَلَى كَتِفِيٍّ مِنْذُ أَيَّامِ جَدِّكَ لِيَكُو
الثَّانِي ، فَكَيْفَ أَعْجَزَ عَنْ حِمْلِكَ؟ .

«أَنْتِ إِرْثُ زِينَا فِيرِي كَمَا نَعَاتِ الرِّيحِ هَذِهِ» ، عَقَّبَ كَاشَاوُ
مَنْضِنُضًا بِلِسَانِهِ .

«أَكْرَهُ كُلَّ إِرْثٍ» ، رَدَّ لِيُوفَا بِتَأْفُفٍ فِي لِسَانِهِ - لِسَانِ الزَّمَنِ طَاعِنًا
فِي قَدِيمِهِ .

«الْإِرْثُ رُوحُ أُمَةٍ زِينَا فِيرِي» ، قَالَ كَاشَاوُ ، فَرَدَّ لِيُوفَا :

أكره روح الأمة . أحبُّ روح بُوْكُلُو .

«بوكلو» ، تتم كاشاجو مديراً بصره إلى نائب ليوفا ، المهندس
ذو الإصبعين السبابة والوسطى المقطوعتين في يده اليسرى .
استرسل :

- تكره روح أمة زينافيرى ، وتحب روح نائبك بوكلو ، إذا .
ماختيارك الغريب في حُبِّ الأرواح ؟ .
«أحبُّ الروح مُفَرَّدَةً ، ياكاشاجو . أرواحُ الأمة مجتمعةً خلطُ .
الأمة أمرٌ مقلق» ، ردَّ ليوفا .

فوجئ كاشاجو قليلاً برد ليوفا . تلقَّف كلماته كأنما عليها نفسٌ
من حنجرة المتمرد ماشفير الأعمى ، الداعية إلى انعزال الجن
فردى ، عائدين إلى تيه في المهجورات ، بلا مدن ، أو قرى ؛ كل
فرد في شأنه . ماشيفر الأعمى استلهم دعوته مما تداعى إلى علمه
من أخبار الأسلاف الأصول كانوا في النشأة فردى ، لم يتصلوا
جماعات إلا بعد توطيد المارقين على الفطرة للذاكر القديمة ، ومن
ثم إعلان الممالك ، والأقاليم وفق تشريع مُختلَس من نُظُم الحيوان
القطعان . كلمات كبير المهندسين ليوفا موجت طيفَ المتمرد ماشفير
أمام بصر كاشاجو ، الذي رأى المسارَ ، في تخيُّره للمزاح الساخر ،
يمضي إلى توريات من خزائن المروق ، والشك في الأعراف . سأل
المهندس سؤاله المستدرج :

- أمة زينافيرى تحمي إقليم زينافيرى ، ياليوفا .

«كلُّ جنِيٍّ في زينافيرى يحمي الذي يخصُّه من أرض
زينافيرى ، ياكاشاجو» ، ردَّ ليوفا من شفّته الضخمتين ، اللَّمياوَيْنِ
على سواد في جلده الرمادي .

«لماذا أقمتَ كلَّ هذا الزمن مع أمة زينافيرى ، ياليوفا؟» ، ساءله

كاشاجو محاصراً ، فردّ ليوفا بصوته المتدرج خفوتاً ، لكنّ واضحاً :
- أعيش معي ، في المكان الذي يخصني ، ياكاشاجو .
«وما بناء السدود الأبراج هذه؟» ، ساءله ماياكي متقحماً
المعاورة ، فردّ ليوفا :

- هذه الأبراج هي ما يخصني في المكان الذي يخصني .
أدار كاشاجو وجهه إلى بوكلو ، نائب ليوفا في توطيد فكرة
الممكنات المقامرة المغامرة :
- ماذا عنك ، يابوكلو؟ .

«ماذا عني؟» ، تساءل بوكلو ذو الوشم الخطين المتوازيين عمودياً
على صفحة وجهه اليمنى ، بينهما أربع نقاط صفراء .
«ليوفا يحب روحك أكثر من روح أمة زينافير» ، قال
كاشاجو .

«يحب ليوفا روحي لأنّ لاروح لي ، ياكاشاجو» ، ردّ بوكلو .
نضنض كاشاجو بلسانه يتحسّس في الكلمات سيّرة المذاق .
أدار وجهه إلى ماياكي فألفأه والجمع الذي معه مرسلين أبصارهم
إلى زمرة من النساء الجن تخالطت أصواتهن الواضحة احتجاجاً ،
قادمات من تخوم المدينة في اتجاههم .
«أسمعنيهن ، ياشيكتان؟» ، تساءل كاشاجو مقترباً بمطيته من
مطية زوجته .

«إنهن غاضبات . لكنني لا أسمع مايقُلنه واضحاً» ، ردت
شيكتان المدهنة الأظافر بلون أصفر . أضافت : «أرى شاتار العنيدة
تتقدّمهنّ . أنت لا تعرفها ، وإلى جوارها الشاعر داميكو» .
«داميكو؟» ، تساءل كاشاجو . «أحمل إليّ ذباباً؟» ، أضاف
بنبرٍ ساخر ، ملقياً نظرة واضحة المقصد إلى زوجته . حتّ مطيته

ما، الإسراع للقاء الزمرة الغاضبة ، فجاوره ماياكي راكضاً قفزاً .
1. ذراع كاشاجو يُلَفَّتْ عينيه . نضض سلطان زينافيرى بلسانه
«سغيا» .

«أظنني أعرف لَمْ هُنَّ حانقات ، ياكاشاجو» ، قال ماياكي
«النساء أكثر رقة وهن حانقات» ، عَقَّبَ كاشاجو قبل أن
يتساءل :

- عَلَامَ حَقَّقْهَن ؟ .

«هؤلاء نساء لم يجدن ذكوراً يقبلون مشاركتهن الذباب
للاستئصال» ، قال ماياكي ، فأبدى كاشاجو استغراباً :
- إِنْ كُنَّ يَقْصِدُنِي فَمَاذَا فِي اسْتَطَاعَتِي فَعْلُهُ لِهَن ؟ .
«هُنَّ يَقْصِدُنكِ . ستعرف . لقد اقتربن» ، ردَّ ماياكي .

نزل كاشاجو عن مطيته . مشى زاحفاً على قدميه ويديه ،
فقلَّده الآخرون جميعاً ماشين على أيديهم ، وأقدامهم الأرساغ
الحشريَّة كمشي الجراد زاحفاً . اقترب موكب سلطان زينافيرى من
الزمرة النساء من غير أن ينتصب كاشاجو على رجليه . جَارَتْهُ
شاتار ، المتقدِّمةُ أرهاطها ، فانحنت أولاً ، ثم اتكأت على يديها
بصدر يُقَارِبُ الرملَ ، ثم زحفت كالجرادة .

تقابلت شاتار وكاشاجو زاحفين كالجميع زاحفاً إلا شيكتان
فوق ظهر مطيتهما نينيسو الأنثى الهائلة الجسم ، المفرطة الأسنان
ضخامةً انحسر عنها شفتاها الرقيقتان .

«أنا شاتار» ، قالت الأنثى المتقدمة زمرة النساء . أضافت
كلمات أخريات لم يتلقَّفها كاشاجو مُذْ أُرْخِيَ بصره إلى يديها
الكبيرتين ، المضمومتين على شظيتين عظميين مسنونتين . نضض
بلسانه : «اسمكِ اسمُ خنفساء ، لكنكِ تمشين كالفهد المجنَّح» . رفع

بصره عن يديها إلى وجهها ذي الوشم النقاط بيضاً على الجلد كله . «أأنت من المحاربات؟» ، ساءلها ، فردت :
- لا .

«سلاحك سلاح محارب» ، قال كاشاجو . «أم تتهيين
للانتقام من أحد؟» .
«مني» ، ردت شاتار .

«ماذا فعلت بنفسك لتنتقمي منها؟» ، ساءلها كاشاجو ،
فردت مستعرضة أسباب مثولها أمام موكبها بلا تمهيد :
- ليس منصفاً ألا نجبد ، نحن الإناث هؤلاء ، ذكوراً يقبلون
مشاركتنا في الاستنسال .

«أعلي أن أقسر ذكوراً من جن زينايري على ذلك؟» ، ساءلها
كاشاجو باستنكار في نبر صوته الحجري .

«في قصرك مجمّع للإناث تؤجّرهن للذكور الذين لا يجدون
إناثاً يقبلن الاستنسال معهم شراكة . أضف إلى المجمع ذكوراً أيضاً
تؤجّرهم لمن هنّ على حالنا . لدينا عظام ندفعها لك كما يدفع
الذكور المتروكون» ، قالت شاتار .

رفع كاشاجو وجهه في استلقائه ، ببعض الجهد ، إلى زوجته
في عليائها على ظهر المطية نينيسو . خاطبها : «لم يفكر أحد من
نسل ملوك أقاليم الجن في استحداث مجمّع للذكور يُستأجرون
للاستنسال . هذه فكرة تُذعر» ، قال . خبط بإحدى راحتيه على
الأرض فأتار غباراً تنشقّه ، ثم نهض ، واقفاً على ساقيه فهض كلُّ
من جراه قبلاً في انبطاحه . حدّق طويلاً إلى وجه شاتار ، مقصّر
اللسان في الموافقة منطوقاً بين امتلاكه إناثاً في القصر لاهمة لهن
سوى أن يؤجّرن للذكور الطالين استنسلاً ، وبين أن لا يكون لديه .

سَمِعَ ذَكَورٌ يُؤْجِرُهُمَ لِلْأَسْتِنْسَالِ . مَدَاخِيلُ جُلُلٌ مِنَ الْعِظَامِ .
 . . . وَفِيهَا كَاشَا جَوْ مِنْ مَقَايِضَاتِهِ هَذِهِ لِأَحْيَاءِ الْوَلَائِمِ ، وَتَدْبِيرِ
 الْهَبَاتِ ، وَدَفْعِ الْأَجُورِ لِلْمَحَارِبِينَ . عِنْدَ كَاشَا جَوْ مِنْبَعُ أُخْرُ لِرَفْدِ
 مَخَازِنِهِ الْكِبَارِ بِفَائِضٍ مِنَ الْعِظَامِ يَلِيقُ بِسُلْطَانِ زَيْنَافِيرِي ، كَاحْتِكَارِهِ
 طُرُقَ الْمَوَاكِبِ إِلَى الْمَقَايِضَاتِ فِي أَسْوَاقِ كَاتِرَامِيلِ عِبَرِ أَرْضِ
 زَيْنَافِيرِي ، وَكَذَلِكَ احْتِكَارِهِ الْإِنَاثِ يُؤْجِرُهُنَ لِلْأَسْتِنْسَالِ . لَقَدْ هَبَّ
 نَفْسٌ مِنْ فَضُولِ الْخِيَالِ عَلَيْهِ فِي سَوْأَلِ شَاتَارِ . كَيْفَ أَغْفَلَ حَاكِمُو
 شَعْبِ الْإِقْلِيمِ اسْتِحْدَاثَ مَجْمَعٍ لِلذَّكُورِ يُؤْجِرُونَ أَيْضًا؟ لَكِنَّ الْفِكْرَةَ
 مَسَتْ نَقْرًا حَجَرَ الْقَلْقِ فِيهِ فَاسْتَكْرَهَا - اسْتَكْرَهُ وَجُودَ ذَكَورٍ فِي
 قَصْرِهِ يُؤْجِرُهُمَ لِإِنَاثِ تَرْيِكَاتٍ ، أَخْفَقَتْ مَصَادِفَاتِ الرِّغْبَةِ فِي
 إِكْرَامِهِنَّ بِذُكْرَانٍ يَشَارِكُونَهُنَّ الذَّبَابَ ، وَالْكِرَاتِ الْحَجَرَ الْحَوَاضِنَ .
 تَلَمَّسَ مَخْرَجًا . نَضْنَضُ بِلِسَانِهِ : «أَقْلَتَ شَيْئًا ، يَا شَاتَار؟» ، سَاءَ لَهَا
 كَأَنَّمَا فَاتَ لِسَانَهُ أَنْ يَلْتَقِطَ مَا لَمْ تَقْلَهُ شَاتَارُ ، الَّتِي رَدَّتْ :
 - قَلْتُ مَا أُرِيدُ قَوْلَهُ .

«اسْمَعِي» ، قَالَ كَاشَا جَوْ بِصَوْتِهِ الْحَجَرِ . «سَأُضْمَكُنَّ» ، أَنْتِ
 الْإِنَاثِ هَؤُلَاءِ ، إِلَى مُحَارِبِي زَيْنَافِيرِي» .
 «لَا نُرِيدُ أَنْ نَكُونَ مُحَارِبَاتٍ ، يَا كَاشَا جَوْ . نُرِيدُ نَسْلًا» ، عَقَبَتْ
 شَاتَارُ عَلَى مَقْتَرِحِهِ .
 «لَيْسَ فِي مَقْدُورِي أَعْبَدُ مِنْ هَذَا» ، قَالَ كَاشَا جَوْ حَاسِمًا
 جَدَالَهُمَا .

غَمَغَمَتْ شَاتَارُ بِصَوْتِ مُسْتَنْكَرٍ :
 - أَتُرِيدُنَا ، نَحْنُ الْإِنَاثُ التَّرْيِكَاتُ ، أَنْ نَتَشَارَكَ فِي الْأَسْتِنْسَالِ
 أَنْتِ مَعَ أَنْثَى؟ .
 اسْتَفْظَعَتْ شَيْكَتَانِ ، عَلَى هَمِهَمَاتِ صَوْتِ زَوْجِهَا الْمُسْتَفْظَعِ ،

ذاك الخيال الوخز في كلمات شاتار :

- إناثٌ يشاركن إناثاً في الاستنسال؟ أيُّ ذبابٍ ملعون
سيتجرع رغبةً كهذه في الاستنسال من أنثى مع أنثى من غير أن
يجف؟ أية صخرة ملعونة ستتولى احتضان ذبابة الرغبة؟ بأي
صوت من أصوات الجن في زينايري نطقت هجاءك لخلود الجن ،
باشاتار؟ .

قبض كاشاجو بغتةً على ذراع الشاعر القادم مع زمرة الإناث .
خاطبه محتدماً :

- أأنت معهن ، هنا ، ياداميكو ، لتستشيرنا في الذباب الأصلح
لاستنسال تتشاركه الإناثُ بلا ذكور؟ .

فوجئ داميكو ، ذو الأذن اليمنى الوحيدة ، بالسؤال . ردّ :

- فضولي جاء بي معهن ، لاغير .

«أعرفتَ لمَ جئتُ للقائي؟» ، ساءله كاشاجو ، فردّ داميكو :

- عرفتُ .

«ألم يكن لديك ماتقوله لهن؟» ، تساءل كاشاجو ، فردّ

الشاعر :

- لا أدبر مقترحات ، ياكاشاجو ، ولا أعترض على مقترحات .

أتخيرُ الذبابَ لطالبي الاستنسال وفق طباعهم . تلك مهمتي .

فاجأه كاشاجو بتعقيب كالسخرية : «لِمَ لم تعرض على شاتار

أن تشاركها ذبابة الاستنسال؟ كنت أنقذتني من ترف خيالها» ،

قال . نضض بلسانه يتذوق حيرة داميكو مباعاً . «ماذا لو تجاسرت

إناثٌ على التشارك في الاستنسال ، كلُّ اثنتين معاً؟» ، جحظت

عيناه الحجريتان أكثر . حدّق إلى شاتار الطويلة ، المصفورة الشعر

منتصباً عُرْفاً فوق رأسها : «أعنيّتِ ماقلت؟» ، لم ينتظر جوابها .

أرسل نظيرته الملتهبة إلى زمرة الإناث المعترضات موكبه . هتف
 «أخطر لأنثى في زينافيري خاطرٌ كالذي تتهدد به شاتار
 . «أود الجن؟» ، رفع صوته أعلى : «أخطر ذلك لإحداكن أيضاً؟» .
 «ما إقحامُ الخلود ، يا كاشاجو ، في مثل أردت به حضك على
 إعانتنا في الاستنسال ، نحن التريكات بلا حظوظ؟» ، ساءلته
 شاتار .

التفت كاشاجو إلى زوجته شيكتان في عليائها على ظهر
 الدابة . ساءلها :

- ألم تذكرني أن شاتار نطقت هجاءً لخلود الجن ؟ .

«تهديدٌها هجاءٌ لخلود الجن» ، ردّت شيكتان .

«لم أهدد . سألته أتريدنا أن نلجأ إلى استنسالٍ تشارك فيه
 أنثى مع أنثى؟» ، قالت شاتار .

«خاطرٌ كهذا تهديدٌ لخلود الجن» ، عقبت شيكتان وهي تلمس
 قلادةً فيها جمجمة طائر ساكوتيري متدلياً على صدرها .

«كيف؟» ، ساءلته شاتار ، فصوّبت شيكتان كلماتها إلى
 داميكو ، الذي خلا مَجْمَع الذباب إلّا منه ومن رفيق آخر بعد موت
 الثالث :

- «إنْ خَيْرَتَ ، بلا عقاب عُقبى ماتختار ، منح من تشاء ذباباً
 للاستنسال ، أكنت منحت إناثاً يشاركن إناثاً في الرغبة ؟ .

«لم يخطر لي ذلك قبلاً» ، ردّ داميكو ذو الوشم خطوطاً ثلاثةً
 أفقياً ، بيضاً ، فوق الجبهة ، وخطين من نقاطٍ صُفْرِ نصفَي قوسين
 فوق أنفه المطموس .

«قُلْتُ لو خَيْرَتَ» ، قالت شيكتان . أكدت : «سألتك ذلك
 افتراضاً» ، فانبرت شاتار موضحةً موقفها :

- ذكرتُ المقترحَ لكاشاجو افتراضاً ، يا شيكتان . ما الجن؟
ماخلود الجن؟ .

همهماتٌ من حناجر مذهولة الصوت عُلّتْ في فِرَقِ المحاربين .
قفز ماياكي من موضعه في موكب سلطان زينافيرى مستطلعاً مصدرَ
الفجاءة ألْهَبَتِ الأصواتُ في الحناجر إجفالاتها متتابعةً . بضعُ
قفزاتٍ لا غير أَلْقَتْه في الموجة ذاتها من الصَّعَقِ أَصابَ الذين رأوا
راتو الضَّخَمَ ، مطية ماياكي ، قادماً قفزاً يتبعه جنِّيون مطايا ضخماءُ
مثله ، أرسلوا يستطلعون المستورَ من اختفاء محاربي ميهو ، وماشاو .
جمد ماياكي مأخوذاً مما رآه عن بُعد قليل ، ثم بما رآه إذ توقف
راتو قبالتة ، حاملاً بين ذراعيه الكبيرتين كائناً لم يخطر ببال
الجن أجمعين أن يبتكر لهم خيالٌ شديدُ الجموح هيئةً كالتي
أحضرها .

موكب كاشاجو ، الذي انعطفَ بكامل بطانته من الأسياد ،
والمطايا الجن ، إلى حيث تسمَّرَ ماياكي مذهولاً ، دحرجَ ذهوله أيضاً
غمغمات كَنَقْرِ الرمل ثيابَهم الجلودَ من نفخ الريح . تصاكَت سيقانُ
الناظرين المنشارية - سيقانُ الجراد لما أنزلَ راتو الكائنَ على الأرض .
تراجعوا أنصاف قفزاتٍ أولاً ، ثم تقدموا زحفاً بطيئاً بأقدامهم في
الرمل يستقرُّون بأبصارهم مالم تعرضهُ غرائبُ أرض زينافيرى ،
قَبْلاً ، على بصر .

واقفاً أمسك كاشاجو بعضد ماياكي الأيسر ، كأنما يستجير به
شرحاً لما يرى . شيكتان ظلت على ظهر مطيتها نينيسو ، جاذبةً
جدائلها في حال أقربَ إلى حثَّها على الهرب بها . داميكو الشاعر ،
وحده ، اجترأ على السؤال الأول مُنتزِعاً من هدير الدهول :
- من أين جئت بهذا الكائن ، ياراتو؟ .

ردّ راتو بعينين متنقلتين بين وجهي ماياكي وكاشاجو :
وجدته في موضع معسكر ميهو المهجور .
تمالك ماياكي حنجرته المسدودة برمل الذّهش والاستهوال
معاً :

- كيف تجرّأت على حملة ؟ .
ردّ راتو وهو ممسك بعدُ بكتف الكائن الواقف متحيّراً بين الجن
المتحيّرين :
- وجدته وديعا .

اندفعت نينيسو وهي تخط عنقها كأنما تتشمم الكائن الغريب .
أرسلت صوتها واثقاً :
- إنها أنثى .

دار كاشاجو حذراً من حول راتو والكائن الأنثى في تقدير
مطية شيكتان . نضض بلسانه : «أقال أحد شيئاً؟» ، تساءل من
غير أن يحيد ببصره عن الهيئة الغريبة . لمس ماياكي كتفه فاستدار
سلطان زينافيرى إليه :

«نينيسو تزعم أن هذا الكائن أنثى» ، قال ماياكي ، فغمغم
كاشاجو :

- كيف تعرفين يا نينيسو؟ هذه هيئة لا تفهم .
«انظر إلى شفتيها . همّا تهماً بالكلام لكن لا تتكلمان» ،
ردت نينيسو ، محدّقة في فضول أسر إلى صدر الأنثى الكائنة وقد
ارتفع الثوب الأزرق المغبر عن كتلتين ناهدين ، تترجرجان مع كل
حركة منها باهتزاز يد راتو الممسك بكتفها كلما تحرك .
ليس لنساء الجن ثدي كي تخمن نينيسو أن ماتراه نافراً من
اللحم في صدر الأنثى الكائنة ، تحت ثوبها ، هما نهدان . لكن ليس

ثديا الكائنة الأنثى وحدهما أشعلا حرائقَ التخمين ، والمقارنات ،
 والمطابقات ، في خيال الناظرين المذهولين : رأس الكائنة الأنثى لم
 يكن صغيراً كرؤوس الجن . لم يكن وجهها متطاولاً كوجوه الجن .
 لم يكن في وجهها وشم كوشوم الجن . لم يكن شعرها البني ،
 المتماوج ، مضافاً كشعور الجن ، بل مرسلأ طليقاً . لم تكن عيناها
 حجريتين كعيون الجن ، بل بلوريتين لهما أجفانٌ بأهداب على
 أسفارها تُغمض وتُفتح . لم يكن أنفها مطموساً ، مسوحاً ، محوً
 كأنف الجن ، بل نافراً ، طويلاً ، أفطس قليلاً . لم تكن رجلاها
 الظاهرتان من شَقِيَّ ثوبها على الجنين كأرجل الجن - أرجل الجراد ،
 بل فخذان يُرى نصفاهما تحت حاشية الثوب اسطوانيتين تستدقان
 عند الركبتين ، وساقان لحمان على عظم ، منتفختان عند الربلتين ،
 رقيقتان نزولاً حتى القدمين الحافيتين ، اللتين لاتشبهان أقدام الجراد
 الأرساغ . ولم تكن الساقان منشاريتين ، بل بلا أثر لبروز كالشوك
 الجاسئ في الجهات الخلفية من سيقان الجن . وكان في القدمين
 الحافيتين أصابع لم يعهد لها الجن حتى في الحيوان ، سوى مادرج
 الواصفون الرواة على تضمين أخبارهم عن قرود هيمو أن لأقدامها
 أصابع كأصابع أيدي الجن . لم تكن يدا الكائنة الأنثى كبيرتين
 كأيدي الجن ، بل صغيرتين ، متناسبتين مع ذراعيها العاريتين في
 الثوب الأزرق المتهرئ الحواشي على منتصفي فخذيها . لم يكن
 الجلد ، على مايرى من جسد الكائنة الأنثى ، رمادياً ، كتيـم اللون
 بلا لمعة ، خشناً كما جلود الجن ، بل رقيق المراءى ، أبيض على سُمرة
 من لفح الشمس ، ذا مسامٍ يلحظها الجن بعيونهم الراصدة دقائق
 الأشياء مُذْ أنشأت الريح أبصارهم على النفاذ من شباك الـ
 المعصوف رَصداً لما حولهم .

لكن الكائنة الأنثى كانت ترتدي ثوباً كما يلبس الجن ،
ونتيجةً سب واقفة على قدميها كالجن ، ولها شفتان ، وعنق ، وجذع
أعلى ، وشعر ، ويدان كالجن على صِغَرِ ثوبها لم يكن جلداً ،
ملوqته من الخصر بوشاح بني مهترئ . وهي تحمل جعبة تتدلى من
كتف ، ومن الأخرى قرية متجعدة ، متراخية .

«أكلّمتك هذه الأنثى ، ياراتو؟» ، سألت نينيسو ، مطيةً
شيكتان ، مطيةً ماياكي ، فردّ الجنى الضخم :

- لا . هي صامئة منذ أمسكت بها . لم تقاوم . لم تنطق .
«فلنسمّ هذه الأنثى هايكاهيكسين» ، قالت نينيسو ، أيّ
الكائن الناطق بصوت غير مسموع .

«انتبهوا» ، قال كبير النجمين خاميدس بصوت فيه حذرُ
الريبة ، وهو يقرب وجهه الطويل محدقاً إلى الأنثى بعينه اللتين
شرحّ في يسراهما . «إنها تقول شيئاً» .

لم تكن الكائنة الأنثى تهم بقول شيء ، بل استجمعت
قسماتُ وجهها بقايا نشيج أفرغتها حنجرتها في بكاءٍ كاللّمح الجُمّ
من فور ابتدائه . قطرتان من الدمع سالتا بالتفاف من حول خديها
النافرين . تنهّدت .

«أماء في عينيها؟» ، تمتت المنجمة بونيا ، فيما علا سؤال
شيكتان :

- أظنها تكلمت . أم ماذا؟ .

«ربما هذا هو كلامها» ، ردّ خاميدس . لمس بيده الضخمة يدَ
الكائنة الأنثى . ساءلها عنها من تكون ، ومن أين أتت ، وعن
نوعها ، بلغات عصافير كوشنو ، وبعوض بحيرات سيمير ، وثعالب
كاروس ، وحيتان أرخبيل زيلو ، وجراد وديان باكنون . رفع بصره إلى

«كاشاجو متحيراً . تقدمت نينيسو ، مطية شيكتان من الكائنة .
«ررت راحة يدها على شعرها البني المتماوج منسدلاً على كتفها .
«الت عليها تهايمسها ، فأبعدت شيكتان جذعها إلى الوراء فوق ظهر
«مليتها حذراً .

«هايكاهيكسين» ، تمتت نينيسو من شفتيها الرقيقتين .
«ررت الإسم الذي أطلقته على الكائنة الغربية مرتين . مست
بإصبعها السبابة الطويلة جلد ذقنها . تراجعت لما احتوت
هايكاهيكسين قُربتها بيديها . نزعت السداة ، ورفعتها إلى فمها .
شربت ماءً أندلقت قطرات منه سائلة من زاويتي فمها . غمغم
الناظرون ذهولاً . تلملوا متحيرين .

«إنها تشرب الماء!! هي حيوان» ، قال الشاعر داميكو مندهشاً .
استجمع خياله يعتصر المعضلة فضلةً من وضوح ماً . نطق كمن عثر
على مخبوء ضائع :

- هايكاهيكسين خدعة .

كاشاجو ، الذي لم يتسقط بلسانه الحروف في كلمات
داميكو ، خطر له الوصف الضائع ذاته للمعضلة ، كأنما تلامس
خاطراهما : «إنها خدعة» ، قال مخاطباً عميد محاربيه . أمسك
بعضده منقسم اليقين : «أظننها خدعة من ميهو ، ياماياكي؟» .

عمد الشاعر داميكو إلى استدراج ساذج للكائنة حين صرّح
كاشاجو بظنونه . اقترب من هايكاهيكسين . ردّد اسمي السلطانين
من السلاطين في أقاليم الجن : «ميهو . ميهو . ماشاو . ماشاو» .

«ماذا تفعل؟» ، ساءله ماياكي ، فردّ داميكو :

- استثيرها بالإسمين لأعرف مايعنيان لها .

«لاشيء في وجهها يدل أنها سمعت بهما» ، قال ماياكي .

«أين تنظر هايكاهيكسين؟» ، تساءل وهو يرى الكائنة تنقل
«ها» على سيقانهم - سيقان الجراد ، ثم تضم يدها على الجعبة
«اللية» من كتفها . همهم تحذيراً :

«إن كان في أحد كيسيها الجلديين ماء ، فماذا في الآخر؟ .
تراجع داميكو نصفَ قفزة ، مطلقاً لسانه بالحروف ثقيلةً :
- ربما سلاح .

«سلاح؟» ، تساءل ماياكي . أطبق يده الضخمة على الجعبة
تتدلى من كتف هايكاهيكسين اليسرى . همٌّ بانتزاعها فأبعدت
الكائنة يده في رفق عن جعبتها . لم يتمادَ ماياكي وهو يرى في
عينيهما البنيتين ، البلوريتين الصغيرتين ، شكوى من تجربته عليها .
فتحت بنفسها الجعبة . أخرجت ثمرات جافة قدمتها إلى ماياكي ،
الذي تردد في التقاطها . ابتسمت ، فهمهم الناظرون استغراباً - همُّ
الجن لا يبتسمون . قضمت هايكاهيكسين من إحدى الثمرات
قضمَةً فاستثارت صخباً من الحناجر . صاح داميكو :

- إنها تأكل ماأكله الحيوان . هايكاهيكسين حيوان .

كانت نظْمُ المحارِبِ الصفوفُ ، على اختصاص في التشكيل ،
تتقوّض ، وتتبعثر فوضى من اندفاعها فضولاً ، وذهولاً ، إلى رؤية
هايكاهيكسين ، فاستاء ماياكي . نادى :

- أين البوق مايتا؟ .

تعالَت الأصوات من حول ماياكي مرددةً اسمَ البوق ، فأطلَّ
بعد قليل ببوقه العظم .

«أُعلنُ نفيَرِ النظام» ، صرخ به ماياكي وهو يدقُّ بسلاحه على
قصبه البوق ، فأطلق مايتا النفيَرَ مديداً ، حازماً ، توزَّعته الريحُ على
مسالكها الدائرية ، وزوابعها المستقيمة ، والمائلة ، والمنقلبة .

أشارت الجموع بعضها على بعض متداخلة ، ثم متوزعة تشاكيل
هندسة الخطط . الأنفأ في موكب كاشاجو ، وبطائته المحيطة
الرائدة هايكاهايكسين ، باعدوا حلقتهم ؛ كسروها ، في تهيؤ لمعاودة
السير ، لكن بقلوب حيارى في شأن الكائنة ، التي لم يتوقف تردد
الامر داميكو عن تذكيرهم بحله معضلة وجودها : «هايكاهايكسين
الاعية . أترون كيف انحلت صفوف المحارين؟ ربما يتربص ميهو بكم
الآن في هذه الفوضى . هذه هي الخدعة» .
لمس ماياكي كتف كاشاجو يلفت لسانه إلى كلماته . أشار
إليه إلى هايكاهايكسين :

- ماذا نفعل بها؟

عجلت النجمة بونيا إلى رد قبل أن يتلفظ سلطان زينايري .
حلمت بصوتها النقر من لسانها على سقف فمها :
- سنأخذها إلى المعبد .

«أستأخذين الخدعة إلى المعبد؟» ، تساءل داميكو ، فلم ترد
بونيا الطويلة . أمسكت معصم هايكاهايكسين ومشت لا تقفز ، بل
عبر قدميها الأرساغ زحفاً على الرمل ، فمشت الأنثى الأدمية معها
ودبعة ، مبعثرة الشعر كل خصلة سطر من تدوين الريح في الفراغ
المعصوف رملاً .

أبو عبدو البغل

<https://facebook.com/groups/abuab/>

الفصل الثالث (المعبد مزدحمًا في الفجر الأول)

«مَنْ أنشأ هايكا هيكسين لم ينجزها» ، قال المنجّم كاساك
الأقصر في جنّ زينافيري ، وهو مستلق أرضاً باتكاء على قدميه
ويديه ، قبالة محراب المعبد الذي جلّست الأنثى الآدمية فيه
متربّعةً ، واضعةً متاعها الجعبة ، والقربة ، في حجرها ، محدّقة
ببصر لافضول يعروه من عينيها الصغيرتين ، الخجولتين ، إلى
المنجمين الأربعة نصف قوس ، مستلقين ، تكاد صدورهم تلمس
الأرض الرمل ، فيما وقف الشاعر داميكو ، وشريكه الآخر في
مجمع الذباب توكا ، خلفهم منتصبين على أرجلهم - أرجل
الجراد .

صفعت بونيا الرمل في أرض المعبد براحة يدها مبسوطّة .
تنشّقت ما استثارته من غبار خفيف . تكلمت بصوتها النّقر من
لسانها على سقف فمها :

- هايكا هيكسين نامت طوال الليل . إنها رؤيا . قد يلاعبها
طيفُ الذئب الأبيض إن زارنا .

«هذا فأل سيء . الحيوانات تنام . نعرف ذلك . لكن أن تنام
كائنٌ تشبهنا في الكثير من أعضائها فالأمرُ فأل سيء» ، قال
الشاعر داميكو . ارتعشت يده اليمنى الضخمة من عبور فكرة
مدعورة إلى لسانه :

- ماذا لو أصابت هايكاهايكسين الجنَّ بعدوى النوم؟ .
غمغم المنجم توهتو غمغمة طويلة . نظَّم وقائع النشأة في خيال
الجن مختزلةً . مسَّ بأنامله ركبة الأنثى الآدمية يتلمَّس تاريخ
جلدها . كلمها بلسان أرض زينافيرى - لسان الذباب :
- أنت جنية في سبيلها أن تصير مخلوقاً آخر ، أم مخلوق آخر
في طريقه أن يصير جنَّة؟ .

ربتت المنجمة بونيا على أنامل توهتو محدَّرة : «أنت تجفلها» ،
فالت . نظرت جانبياً إلى كبير المنجمين خاميدس :
- أنشأ نوعُ هايكاهايكسين قبل الجن ، أم بعد الجن؟ .
«لم نر سواها» ، ردَّ خاميدس . «هي ليست نشأة بعدُ . هي غير
منجزة» .

لم يكن معتاداً دخول الجن إلى المعبد . لكنَّ ذلك الفجر الذي
أرسل محاورات من ألسنة المنجمين إلى مسامع الرمل ، كان
مختلفاً . أطفال كثر يخاطبون أنفسهم ، ويخاطبون أترابهم ، دخلوا
قفزاً خاطفاً كفضولهم الصاحب ، فيما هاجت الأرض العراء ،
الحيفة بالمعبد من الوفود شتى تجامعت ، مثل اجتماعها في أسواق
كاتراميل ، بأصوات لغط من الذُّكران ، وأصوات غناء خفيض من
حناجر الإناث يتأوَّلنَّ به عبور المُلغز متجسِّماً في هيئة لم يعهدها
الجنُّ قبلاً - هيئة الأنثى الآدمية . هنَّ لم يكن يسمعن ترديد
الشاعر داميكو لكلمته من وراء ظهور المنجمين : «هايكاهايكسين
خدعة» ، لكنهن يتلقَّفن في خيالهن ذرَّات رملاً من ربح الوصف
ذاك .

المنجمون توسَّلوا سلطان زينافيرى إقامة لهايكاهايكسين بينهم
في المعبد : «إنها كائنة استثناء ، ياكاشاجو» ، قال خاميدس وقت

وسولهم من معركة مفقودة لم يأن وقتها ، خالين من أسلاب ، إلى المدينة . «لن تتركها سارحةً بين المنازل . قد تُنتهب عظامُها ، ياكاشاجو . هي ليست كحيوانات واحة كيما بالرغم من أنها تأكل مايشبه طعام الحيوان ، وتشرب ماءً . انظر إليها كيف تمشي بلا قفز ، بل مهلاً ، تقدّم رجلاً ثم تتبعها بأخرى كطيور لا كيلا . هبها للمعبد . سنعرضها على طيف الذئب الأبيض» .

«ماعسى طيفُ الذئب الأبيض أن يعينكم على تأويل لهيئة هايكاهايكسين المُلغزة ، ياخاميدس؟» ، ساءله كاشاجو ، فردّ كبير المنجمين :

- إنْ لا عبها عرفنا أنها رؤيا كالجن . كلُّ جنيٍّ رؤيا .

فنضض كاشاجو بلسانه . تتم : «مَنْ أبأوها؟» ، تساءل ، ثم صمت مغادراً المكان ، فكان صمته ، بعد المحاورة المختزلة ، علامة قبول نصف محسوم ، مؤجّل نصفه الآخر الذي سيُننى عليه اختبار وجود هايكاهايكسين في زينافيرى ، فتولى المنجمون ، وسط ذهول الجن في مسالك المدينة ، نقل الأنثى الآدمية إلى المعبد ، ثم أغلقوا بوابتها العريضة العالية . أسكنوها محرابَ المعبد - الجوف الغائر كقفص كبير نصف كرة في التصميم داخل الجدار الشرقي ، حيث يحفظون رسوماً حَفراً على صفافيح من الصخر لأسلاف منجمين . رَقَبوها تأكل . رَقَبوها تشرب . تواعدوا على إحضار زاد لها وشراب في اليوم القادم . نامت هايكاهايكسين ليلتها . ظلوا همُّ الأربعة متفكرين يرسمون خُطاطات من نظام المعقول متنكراً في لامعقوله ، على فراغ السماء يُرى موزعاً ، من قبة المعبد المفتوحة ، على مراصده من ممالك الجن السيّارة كمواكب النجوم في الأعلى .

قبل الفجر فتح المنجمون بوابة المعبد ، فدلف داميكو قفزاً يتبعه

التي كانت في مجمع الذباب تُوكا الصامت . تولّوا أحاديثهم في
 الأ - خام ، قبل العبور إلى تساؤلاتهم في الطبائع المرشدة إلى معلوم
 «هـ» في شأن هايكا هيكسين . كانت بونيا قد بنت تصورات ،
 «لا» عن مخلوق مولده من «صخرة الخوف» . هي افترضت
 «صخرة الخوف» جزءاً من صخرة الكون الكلي ذي الزوايا الثلاث -
 دون الجن . اعترض توهتو مراراً على تسميتها للصخرة : «مامن
 وف في زوايا كون الجن حتى افتراضاً ، يابونيا» ، قال ذو العينين
 المجرب البنيتين . «صخور زينا فيري وكرات الاستنسال نفسها ليست
 إلا من نظام الأجزاء في الكون الكلي بلا خوف . يخرج المواليدهُ
 المن من الكرات الصخر بلا خوف» .

«لماذا نخاف القتل ، إذا؟ لماذا نخاف قرود هيهمو؟» ، تساءل
 «اساك» ، فردّ توهتو :

- ذلك عَرَضٌ يعرفون من أنفاس الحيوان في واحة كيما . حين
 تنتهي الحيوانات هناك ينتهي الخوف .

«من أين نأتي بعظام إن انتهت الحيوانات؟» ، قالت بونيا . «إن
 انتهت سيبدأ دعرنا اللانهائي» . ضربت الأرض الرمل براحتها
 واستنشقت غباراً أثارته . «منطقتك لا يقود إلى شيء . دعني أكمل
 ياتوهتو : مولود خيالي المفترض من صخرة الخوف ، لا وساطة
 المذاباب في إنصاج جنينه داخل كتلتها الصلبة» ، قالت . «أنا
 افترض . أنا أخلقُ بافتراض . أنا أتدبّر معضلةً مفترضة لما خلقتُ
 افتراضاً . هذه مهمة الرؤيا . أنا منجّمة ، ياتوهتو» .

«لماذا نلزم الرؤيا مهمات أصلاً؟» ، تساءل توهتو .

«كل رؤيا مهمّة في أصلها ، أو تكليف بمهمّة» ، ردّت بونيا .
 «أسمعك يابونيا ، لكنني لا أفهمك أحياناً» ، قال توهتو .

«اسمع أكثر»، تمتت بونيا وهي تنظر إلى الأنثى الأدمية
«الآنسة» برفقها الأيسر على فخذاها، محتويةً نصف وجهها براحتها.
«أنا لا أعرف من وضع بذرة النسل في صخرة الخوف. لأعرف آباء
الوليد من صخرة الخوف. ربّما هو أب نفسه وأُمّها. أنشأ نفسه كما
أنشأ الجن أنفسهم».

«ثم ماذا، يابونيا؟»، قاطعها توهتو.

«سمعك يفقد صبره سريعاً هذه الأيام، ياتوهتو»، قالت بونيا.
«حسناً. سأختزل». مسحت براحتها أثراً من آثار أقدامهم على
رمل أرض المعبد فأعادته مستوياً مروّضاً. نقرت بإصبع في الرمل
نقشاً على فكرتها المتماوجة: «حين يعجز حجر زينا فيري عن
حَصْن ذباباتنا؛ حين لانعود موجودين، سيبزغ وجود الجن ثانيةً في
ذاكرة هذا المخلوق الخائف الوليد من صخرة الخوف».

«مَنْ ينشئ نفسه لايُنْتهِي، يابونيا»، قال توهتو. «الجن
لا ينتهون. كنا في أنفسنا، قبل الوجود، ذاكرةً هي نحنُ ما نحنُ.
من يَكُنْ ذاكرةً قبل وجوده لايُنْتهِي وجوده بعد ظهوره في الكون
الظاهر».

«من يشبه مخلوق الرؤيا، يابونيا؟»، ساءلها كاساك بصوته
الزفير.

«يشبه نفسه»، ردت بونيا.

«هايكاهيكسين تشبه نفسها، لكنّ خاميدس يزعم أنها نشأة
غير منجزة»، قال كاساك.

«إن كانت هايكاهايكسين نشأةً غير منجزة، فهي تشبه نفسها
غير المنجزة»، قالت بونيا. «لكنها، قطعاً، ذاكرة منجزة».
«ما أدراك؟»، ساءلها توهتو. «لا يبدو عليها أنها تعرف شيئاً».

«تعرف هايكاهيكسين ما لا نعرفه بعد . قد تصير يوماً مَعْبَر
إلى وجود يشبه وجودها» ، قالت بونيا .
غمغم خاميدس :

أنت تستعيرين شيئاً من رؤياي في الأحكام الكبار .
«أتعني رؤياك في تسؤل الأم خصائصَ تخصها؟» ، تساءلت
بونيا ، فردَّ خاميدس :

- أنت تجتزئين رؤياي ، وتحرفين . الخلود أن تحتلَّ أمةً ذاكرة أمة
أرى لا تشبهها حين تنقرض هي .

«أكانت رؤياك عن الخلود؟» ، تساءل توهتو . «بونيا تحاول
«إليك ، على كل حال» ، أضاف من غير أن ينظر إلى المنجمة ،
التي نكتت الرملَ أكثر بأناملها ، مدافعةً ربما عن فكرتها :

- ما يميز رؤياي عن رؤيا خاميدس هي هذا الفارق : سنجيا في
«أكرة المخلوق من صخرة الخوف وجوداً خوفاً . سنكون نحن خوفه .
«أمخلوقك الوليدُ من صخرة الخوف وُجدَ قبلنا ، أم بعدنا -
نحن الجن؟» ، ساءلها توهتو ، فردت بونيا :

- هو في الرؤيا . ليس بوجود قبلنا ، ولا بوجود بعدنا .
«هي رؤياك أنت ، يا بونيا . وُجدَ في رؤياك ، وليس قبلها» ، قال
توهتو ، فردت بونيا :

- رؤياي هذي وُجدت قبلي ؛ وُجدت في الكون ذي الزوايا
الثلاث قبل أن يُنشئ الجن أنفسهم .

توزع أطفال كثير في أنحاء المعبد ، لكن في نصف دائرة واسعة
من حول المنجمين ، وشاعريّ مَجْمَع الذباب ، في مواجهة المحراب
الذي اكتنف الأنثى الآدمية ، من غير اقتراب . كل طفل كان يكلم
نفسه أولاً قبل أن يقفز ملتصقاً بتراب من أترابه يبادلُه حديثه في

غرائب التفصيل من هيئة هايكا هيكسين . لغطهم ظلّ خفيضاً
كالغناء الخفيض همهمةً من حناجر الإناث الجنيّات توزّعن أنحاء
المعبد المترامي الجوّف .

خارج المعبد ، في الجهة الشرق من البوابة ، وقف ماياكي أمام
الشجرة العظام ، حيث يعلّق بوق النفير إلى غصن فيها ، يجاوره
الجلاد رادبُور ، الذي في ضخامة الجن المطايا ، ممسكاً برسنيين
جعلهما حول عنقيّ جنّيين مُذلّين منكسري النظر في عيونهما
الحجر الكتيمة . كان عميد المحاربين قد أرسل مطيته راتو ، منذ
وقت ، لإحضار فاكهة ، وماء ، من واحة كيما ، للأُنثى الأدمية .
وفي انتظار عودته ، ذاهباً بالجنّيين المأسورين إلى إعدامهما في
المعبد ، ارتأى صناعةً حلم مقصود بتمام تفصيله - حلم رغبة ،
منتظمة التخيّل كفعل الجنّ الذين لا ينامون .

ألصق ماياكي عينيه الحجريتين بساق الشجرة ذات التصميم
بإضافات عظام إلى عظام . إنتقام القضاء المرتقب من الجنّيين
المأسورين سلّك بخياله ، في المتاهة المعلومة للرغبات ، إلى الحجاب
المنسدل أمام طيف سلطان المتمردين ماشفير الأعمى ، ذي راحتيّ
اليدين المثقوبتين عاقبه بهما كاشاجو في بداية دعوته إلى التمرد
على نُظُم الجن في زينا فيري ، كي لا يتمكن من حفظ ذبابة
الاستئصال في أيّ منهما . ثَقُبُ الأيدي في الذكور ، وفي الإناث ،
قطعٌ للاستئصال عقاباً إنّ أظهرُوا شكّهم في جدوى قيام المدن ، أو
انتظام جموع من الجن في الحواضر بمراتبية سلطة من الأسياد .
الجنّيان أُلْدَلانٌ ، اللذان أمسك بالرسنيين في عنقيهما الجلاد رادبور ،
كانا من متمرّديّ ماشفير ، مبعوثين لاغتيال من يقدران الوصول إليه
من أسياد فرّق المحاربين . وقد تقدم بهما ماياكي إلى المعبد لتنفيذ

الزمان . لكنه ، في وصوله إلى الساحة مزدحمةً بالوافدين فضولاً
بها لرؤية هايكا هيكسين ، ارتأى صناعة حلم ، ريثما يحضر راتو بما
ألهه راكمه . ألصق عينيه بساق الشجرة العظام . كلم نفسه في
إدراكه الحلم لائقاً بوعيده :

«بم تحلم؟» ، سأل ماياكي نفسه ، ثم أجابها :

«أحلم بماشفير الأعمى .

«ماذا ستفعل به إن أدركته ، وأسرته؟» ، سأل نفسه ، ثم ردّ :

«سأجعله مبصراً أولاً ، كي يرى عيني .

«ما قصدك؟» ، سأل ماياكي نفسه ، ثم ردّ :

«سيكون في عيني أنني أسلخه في حفرة ملأى ماءً بلا

وف من الماء ، وأجرّد عظامه من اللحم حياً بعداً ، فيأكل لحمه
أولاد من الجن .

«أنت تخيفني ، ياماياكي . أتطعم الجنّ لحمًا؟» ، سأل ماياكي

نفسه ، ثم ردّ :

«لماذا لا نأكل اللحم؟ فلنأكله .

«الطعام الرطب سمٌ للجنّي» ، قال ماياكي لنفسه بصوته

الطين كطين الزنبور . انتفخ الجلد وانفرغ من حول ثقبٍ منخريه

في نطقه بالكلمات . استرسل : «ربما عليّ تعذيب ماشفير بإرغامه

على أكل قطع من لحمه» ، قال . دقّ بجبينه على ساق الشجرة

يستنطقها : «لا أفهم ماشفير . لا أفهم دعوة التمرد على نظم

زينافيري . كيف يُقنع أتباعه المتمردين بدعوى أن يتفرق الجن

فرادى ، كلٌ في مهجور يخصه أو فلاة ، حيث لا مدن ؛ لا قرى ؛ لا

اختلاط ؛ لا أسواق ؛ لا اجتماع ؛ لا تشاركات في الصيد ؛ لا

أعياد؟ ماشفير محير . هو في مكانه اللامعلوم محاط بجماعته ،

راهم نذلام في فهم تمردهم . لماذا لا يتفرقون فرادى في المهجورات؟
أريد ماشفير تدمير كل جماعة أولاً قبل نشر الجن في متاهات
، «زلاتهم؟» . دق ساق الشجرة بجبينه ثانية : «الذين لا يتفكرون
في المحير هم أتباعه» ، قال ماياكي لنفسه بصوت عالٍ ، فداخل
صوته صوت آخر من واقف فجاءة إلى جواره :

- أدخلني حلمك ، يا ماياكي .

التفت ماياكي إلى محدثه . رد :

- ماذا لو أدخلتك حلمي ، يا سانيارى؟ .

«سأخذ ماشفير منك إلى ما يحجبه عن زمن الجن ، حيث
أحتجب أنا بين قرن وقرن» ، رد سانيارى ذو الخمار الجلد أبيض
مصبوغاً يغطي رأسه .

«متى سترجع إلى غيبتك؟» ، ساءله ماياكي ، فرد سانيارى ذو
الوشم النقاط تسعاً على صفحتي وجهه :

- أنا في غيبتى الآن .

أعاد ماياكي لصق عينيه بساق الشجرة العظام ، كانما ينسل
بنفسه من خراقات الأحاديث على لسان سانيارى . كلمه من غير
أن ينظر إليه :

- سأخذك إلى ماشفير .

«سأصحب معي هايكاهايكسين أيضاً . أنا ذاهب إلى المعبد
لأراها» ، قال سانيارى ، فلم يعقب ماياكي . صمت صمتاً مبعثراً
بمخالب أصوات القادمين قفزاً إلى بوابة المعبد ، الذي لم تتوقف
المجادلات قبالة محرابه ، بين بونيا وتوهتو المنجمين .

«هذه رؤياي ، في الزمن الذي ينحسني» ، كانت بونيا تؤكد
لتوهتو ما لا يؤكد قط .

« ديف ابتداءً زمن الجن؟ » ، تساءل داميكو ، فردّ خاميدس :
كلُّ جنيٍّ زمنٌ نفسه . يبدأ زمنه وينتهي فيه .
« ما زمن الكائنات الأخر؟ » ، تساءل داميكو ، فردّ خاميدس :
زمنها مهشّم . يتقدم ويتراجع متردداً في حسم حدوده .
« لا أفهم ماتقول ، ياخاميدس ، لكنني أحمّن أن زمن
الكائنات الأخر هو خدعة » ، قال داميكو .
انتصب خاميدس واقفاً . قلب عينيه الحجريتين في وقيهما
الجهات المحراب يترصد أطراف الجن المستورين : « أليس الزمن
أصمّمه من هيئة الإله كوياسي؟ » ، تساءل .
انتصبت بونيا واقفة بدورها بعد استلقائها الطويل . قفزت
وصف قفزة فاجتازت عتبة المحراب . أشارت بإصبعها السبابة
الأسرى إلى هايكاهايكسين ، متجاهلة تعقيب خاميدس على
الزمن :
- أزمناها خدعة؟ ربما . أما هي فليست خدعة .
« أينخدع كائنٌ زمنه؟ » ، تساءل داميكو ، فلم يردّ عليه أحد ، بل
مقّب توهتو على كلام بونيا :
- إن كنت واثقة أن هايكاهايكسين ليست خدعة ، فهذا أول
تعريف بخصيصة من خصائصها . استمري يا بونيا .
« هايكاهايكسين لم تتصورنا قبلاً . لم نعبر خيالها » ، قالت
بونيا ، فعقّب كاساك القصير :
- أهنأك كائنات لم تتصورنا نحن الجن؟ يذعرنني أن أفكر
بكائنات لم نخطر بخیالها . نكون لاموجودين ، إذاً .
« حيوانات واحة كيما لم تتصور الجن » ، قال توهتو .
« هي تعرفنا ، لذلك تخافنا » ، قالت بونيا .

«نحن إِمَّا نخاف مِمَّا لا نعرف ، وإِمَّا لا نخافه قط» ، قال كاساك
«ألم تَخَفْ من هايكاهيكسين ، ياكاساك؟» ، ساءله داميكو .
فردَّ كاساك :

- ذهلتُ . لكنني لم أخف .
«من هي إذا؟ أهـي ما لا تعرفه ولا تخافه؟» ، ساءله توهـتو ،
فتدخل داميكو :
- أنا خفتُها .

«لماذا؟» ، ساءلته بونيا ، فردَّ داميكو :
- تبدو كمن يرصد الجنَّ لِيُخْضِعَهُمْ .
«أهذه الأنثى الوديعة تعني؟» ، تساءلت بونيا ، فتقدم داميكو
قفزةً إلى عتبة المحراب . كلَّم المنجِّمينَ محدِّقاً إلى الأنثى الآدمية :
- سأضع ذبابتي في يدها .
غمغم شريكه في مَجْمَعِ الذباب توکا . غمغم المنجمون
متفاجئين .

«أهذه دعاية ، أم فكَّرتَ بذلك حقاً؟» ، ساءله خاميدس ، فردَّ
داميكو :

- خطر لي ذلك الآن .
«تصفُّها بالخدعة كأنما تحرِّضنا عليها ، وتريدها شريكةً في
الإستئسال؟» ، تساءل توهـتو . هزَّ رأسه فاهتزَّ شعرُه المنتصب
كعُرف : «أية ذبابة ستختار؟ ذبابة الخدعة؟!» ، قال ساخرأ . تقدَّم
من عتبة المحراب :

- ما النسيج الذي ترتديه هايكاهيكسين؟ ليس جِلْدًا .
«قد يكون نسيجاً من شَعَر أبيها» ، قال خاميدس . استجلبَ
سؤالاً مؤجَّلاً : «كيف استنسلها أبأوها؟» . لمح دمعـتين منحدرتين

١٠٠. ١. هايكاهيكسين ، فعاوده دَهْشُ البرهة الأولى من حضور
 ١٠١. ١. ، محمولة بين ذراعيه ، إلى زينايري . تتم :
 في عينيها ماء ، أيها الإله كوياسي الأعظم .
 اقترب أطفالٌ أكثرَ من موضع المحراب . اقتربت إناثٌ يغنين
 ١٠٢. ١. فماً بأصوات تستدرج السريَّ إلى الامتثال . استدار المنجمون
 ١٠٣. ١. القادمينَ لم يكتنف المعبدُ عديداً مثلهم قبلاً ، بل لا يزور الجنُّ
 ١٠٤. ١. عادة ، سوى سلطان زينايري ، وبعض الأسياد ، بعروض من
 الأسئلة مختصرة في وقت مختصر . كثرة الداخلين استثارت عَصْفاً
 ١٠٥. ١. الوصف من خيال خاميدس المحيط بالأحكام الكبار ، والأحكام
 ١٠٦. ١. اتق الصغار : «الجهات معتدلة ، والشكوكُ نبوءات» ، قال . قفز
 ١٠٧. ١. داخل المحراب مجاوراً هايكاهيكسين الجالسة مطرقةً . حدَّق إلى
 ١٠٨. ١. إرآن علَّقت إليها صفافيحٌ صَوَّانٌ برسوم غائرة للمنجمين
 ١٠٩. ١. الأسلاف . «أنت» ، تتم مخاطباً رسماً . «ماذا قلت؟ لن أنتظر
 ١١٠. ١. لأعرف ما يقلقك» . وضع راحة يده الضخمة على عظام متلاصقة
 ١١١. ١. تصميم جدران المحراب : «ماذ تستذكرُ أمهاتكم الآن ، في
 ١١٢. ١. الفردوس الملهب كنظام الريح؟ أسمعُهن . أراهن» ، قال . نظر إلى
 ١١٣. ١. سقف المحراب تتدلى منه تَرْقِواتٌ بخيوط جلد : «ستُنجز قبائلُ
 ١١٤. ١. الأعالي سلامها لصعود الغيوم الحجر . الغيومُ قادمة» ، غمغم .
 ١١٥. ١. «حين تتوسط الغيومُ الحجر كونَ الجن ، ستسند قبائل الأعالي
 ١١٦. ١. سلامها إلى أحفاد الغيوم . ستصعد الغيومُ الحجر إلى كون الجن
 ١١٧. ١. الثاني الذي بلا زوايا» ، قال بصوت هدير . استدار إلى الأنثى
 ١١٨. ١. الأدمية الصامتة رفعت وجهها إليه متألمةً . خاطبها : «نحن أنشأنا
 ١١٩. ١. ما أنشأنا ، ياهايكاهيكسين ، فمن أنشأنا؟» . تصنَّع إنصاتاً إلى
 ١٢٠. ١. الأدمية الصامتة . «ستردِّين : أننا أنشأنا أنفسنا . حسناً . كم من

السنين مضت منذ أنشأنا أنفسنا؟». تصنع من جديد، إنصاتهاً . «ماذا قلت؟»، تتم . «سنونٌ على قدرِ اصطدام الرمل بالرمل في صحراء موهي - صحراء الأعالى السيَّارة كالنجوم»، ردُّ بلسانه على سؤال لسانه . انحنى على هايكاهيكسين : «لماذا لم نفكر في إنشاء أنفسنا قبل تلك السنين؟»، تساءل ، ثم لم يلبث أن ردَّ : «ما الفرق؟» . استغرقه التحديقُ إليها من عليائه برهات ، في صمت يتنازعه صخبُ المحتشدين في المعبد بلغظهم ، وقفزهم ، وغناء النساء . ردَّ : «الفرق ، ياهايكاهيكسين ، أننا لم نفكر في إنشاء أنفسنا قبلاً . لكن ، أخبريني ، كم من السنين مضت على لاجودنا قبل أن نخلق أنفسنا في وجود؟» .

استقام خاميدس بعد انحناء . غمغم : «ما الفرق؟» . هزَّ رأسه بالشعر منتصباً عُرفاً . عارضَ نفسه : «بل فرقٌ كبير ، ياهايكاهيكسين . أخبريني ماذا كانت تلك السنون التي لم تكن لنا نشأة فيها؟ ماذا كانت من دوننا؟» .

«أستستمر في مخاطبة هايكاهيكسين هكذا؟»، ساءلته بونيا . أشارت بوجهها إلى المحتشدين يتقدمون ، في حذر ، من المحراب ، فاحتدم خاميدس فجاءةً :

- من أجل هايكاهيكسين امتلأ المعبد الوسيع بالجن ، أيها الإله كوياسي ، يامن صمَّمت هيئات في الخفي الذي فيك كالنحات ألماً يصمِّمك في ظاهر خيالنا .

اشتدَّ هرج المتفرجين يتدافعون بالمناكب . فتح خاميدس ذراعيه المفرطتين طولاً يحتوي الحشد من موضعه في المحراب : «اخرُجوا» ، صرخ . مدَّ يده إلى عضد الأنثى الأدمية فأوقفها على قدميها الحافيتين . دفعها في رفق إلى خارج المحراب . «من رأى

هايكاهيكسين فليخرج». تنشق غباراً أثارته قفزات الأطفال في
الافاعهم مبتعدين. نظر إلى قبة المعبد المفتوحة على سماء غبراء
تتطعة من حدائق الريح. نادى مخاطباً أقاليم الأعالي: «لم أعد
فليم يقطتي اليوم. استيقظت من يقطتي توأ، أيها الإله
«وياسي». خفض بصره متطلعاً إلى الأنثى الآدمية سارحة بعينيها
المصغرتين بين الوجوه المستطيلة النحيلة، فاغرات الأفواه، قبل أن
تخرج من جعبتها حبات من الفاكهة الجافة، ملء راحة يدها
المنى الصغيرة، وتقدمها إلى المتطلعين إليها بذراع ممدودة، لا على
التعيين، فغمغم الناظرون إليها حذراً.

«ابتعدوا»، صرخ خاميدس من جديد. عاد متطلعاً بعينه،
المتين في يسراهما شرخ، إلى الأعالي: «يا إله نفسك، ياكوياسي.
أيها المديد كإقليم مديد. أيها المهجور كالمدن المهجورة. أيها الدفين
الممالك الدفينة في رمال السماء، وفي السماء تحت الرمال. أيها
الذي ريح كل ريح يجرّها إلى حظائره كما نجرّ الذئب الصفر إلى
الحظائر: أهذه الأنثى، هايكاهيكسين، من تصميم نحّاتيك؟ أنت
أم تكلم أحداً قبلاً. لن تكلمني. لم تمنح مصمّمك ألماً علامة
غضب من شكلك المتراخي، الممتد، المنحسر، المنتشر، الفوضى،
أو علامة رضى. يحوجك إله أعظم يقسرك على البوح بشكلك
انحطّاتي زينافيرى»، قال خاميدس. توجّه بصوته إلى المنجمين
الثلاثة الآخرين في نجواه التي لا تخصّهم: «أحتاج كوياسي إلى
شيء، أو أحد؟ ما أبعاد كوياسي؟ ماهيئته؟ أنتم مثلي لا تعرفون.
كوياسي لا يعرف أيضاً، لكنه كوياسي. الإله الأعظم، اليقين
المخير». التفت إلى الأنثى الآدمية مقرباً وجهه من وجهها بانحناء
عليها: «هايكاهيكسين. أترين كوياسي بعينيك الغريبتين هاتين؟

أهو صغير ، مفرط في الصَّغر ، عليّ مضاعفُته لأتخيله؟ لماذا لم ينحت كوياسي نفسه مرة؟» . قفز قفزة طويلة فصدم بعض الجن المذهلين . صرخ : «أُنَحَتْ نَفْسُكَ مرةً ، يا كوياسي . كلُّ قوي سيد ، في زينا فيري ، يُملي على النحات ألما شيئاً من مفقود هيئتكَ . امل على ألما شيئاً من هيئتكَ . خُصَّه بخوفك من تمرُّد هيئتكَ الظاهرة تصميماً عظاماً عليك» .

«ألما مستغرق ، عادةً في صناعة هيئة الإله كوياسي . هو يعرفه ، يا خاميدس» ، قال توهتو . «يبدو ألما راضياً عما يفعل حتى حين تُملى عليه زيادةً ، أو تنقيصٌ ، تحسيرٌ ، أو نشرٌ لتصميمه . كل خاطرة من خواطره في تدبير الشكل ، وكل خاطرة من الأسياد في التعديل ، هي من الإله الأعظم كوياسي . هو ، وحده ، يُلهم ، ويُملئ ما يظنون أنهم أمْلُوهُ» .

أطلق خاميدس صوتاً كالهريز . غمغم ملتفتاً إلى الأنثى الآدمية : «هايكاهيكسين» ، نادى ، فأتاه صوتٌ من بين الحشد بنبرٍ حجر :

- أبدأتَ بتعذيب هايكاهيكسين ، يا خاميدس ؟ .

كان ذلك صوت كاشاجو ، البادي من فوق الرؤوس ممتطياً دابَّته الجنِّي الضخم شاكِّدٌ . «وسَّعوا» ، قال . «صفافيحُ الحجر ستلدُ رسوماً» .

خرجت الرسامات الأربع الطويلات من وراء موكب كاشاجو ، الذي تولَّى أتباعه إبعاد الجنِّ الحشدِ حلقةً من حوله . ثلاث نفخن بأفواههن على الصفافيح السود المستطيلة ، ذوات الأحفة غير المنتظمة تشذيباً . سللن حجارة صغاراً بألوان رمادية ، وصُفر ، وبنية من جِبابٍ جلدٍ تنكَّبُها ، إلّا رابعتهن آرَدُو ، أمسكت اللوح الصَّفَّاح

١٠ لا مثيل لأطوال أصابعها ، وبالأخرى شظيةً عظماً ملبسةً بمعدن
١١ مسنون . حكت بالنصل على اللوح الحجر من فورها تدويناً
١٢ لها أول من هيئة هايكا هيكسين حفرأ ، فانفلت صرير الحك زفيراً
١٣ . سب الشكل على تظاهرة في سديم اللوح .

١٤ «أوقف هايكا هيكسين ثابتةً ، ياخاميدس» ، قال كاشاجو وهو
١٥ من الأنثى الأدمية متملصةً من يد كبير المنجمين ، مادةً ذراعها
١٦ المادهة الجافة إلى أولاد من الجن ترددوا في لمسها ، ثم تراجعوا ،
١٧ «لمت هي أكثر صوبهم قبل أن يمسك خاميدس بعضدها من
١٨ . أيد . حدثت هايكا هيكسين إليه مستثقلةً . خاطبها خاميدس
١٩ «إسأكه بها بعدما استشف في نظرتها ضيقاً :

٢٠ - هؤلاء يرسمنك ، ياهايكا هيكسين . وحي الحجر يلهمهن
٢١ ملق الحجر بالرسوم . اثبتي قليلاً ريشما ينتهين من الدخول بك إلى
٢٢ الناكرة العظمى ، التي يحذرُها النسيانُ الأعظم .

٢٣ أعادت هايكا هيكسين حبات الفاكهة إلى جعبتها . أفلتت
٢٤ فضدها من يد خاميدس . مشت خطوتين في اتجاه الرسامات
٢٥ . حدثات إليها بأبصار لها أناملُ تتقرئ ملامحها ، وتقيس أبعاد
٢٦ الشكل متجانسة النظم في الإملاء على الصفافيح . تأملتَهن .
٢٧ «ارت من جنبهن تلقي نظرة على ما يصنعن ، فتوقفت أيديهن عن
٢٨ نظم المخاطبات رسماً . تنهدت . نقلت خطاها صوب كاشاجو ممتطياً
٢٩ الجني شاكذ . لمست ذراع المطية . أنزلت يدها ، في روية ، إلى يده
٣٠ المفرطة ضخامةً . بسطت راحتها على راحته تقيس الفرق الكبير
٣١ بينهما .

٣٢ «أعدها إلى موضعها أمام الرسامات ، ياخاميدس» ، غمغم
٣٣ كاشاجو .

تقدم خاميدس من هايكا هيكسين . أمسك بمعصم يدها اليسرى في رفق ، وقادها طائعةً إلى المدى القصير قبالة الرسامات أعدن النكت ، ثلاث بالحجارة الألوان ، ورابعة بالنصل المعدن ، على الواهن الصفافيح يفتقن سوادها خطوطاً من هيئة الأنثى الآدمية .

«أنا هو» . فلق صوت الصخب بصخب أعلى . «أنا هو» ، قال الجنى المطوق الرأس على صفائره بعصاة جلد . شق لنفسه ، وللمرأتين اللتين تتبعانه ، ممراً بين الحشد ، ليجاور كاشاجو ، محدقاً إلى هايكا هيكسين يلتهمها بأسنان حيرته : «أنا هو ، فمن هي هذي؟» ، تساءل .

مدّ شاكد ، مطية كاشاجو ، يده إلى كتف الجنى ذاك فأعاده ، بإيعاز لكزة من سلطان زينا فيري ، إلى الوراء قليلاً .

ردّد كاشاجو كلمات الجنى : «أنا هو . أنا هو» . نضنض بلسانه : «من الذي أنت هو ، يامائشاً؟» ، سأل الجنى ذا الوشم الدائرة سوداء على الجبهة ، وأربع نقاط بيض ، كل اثنتين على صدغ من صدغيه .

«كنت أجمع صوتي المبعثر عاماً بعد عام ، حتى اكتمل هذا الفجر ، ياكاشاجو . صوتي مكتمل الآن إذ أرى هايكا هيكسين ، التي سمعت عنها البارحة . أعرف ، بيقين كالريح تنفّش وبرّها من قبة هذا المعبد ، ومن بوابته ، ومن خلل العظام في بنائه ، من أنا هو» ، قال مائشاً . التفت إلى المرأتين ، المطليتي الوجهين سواداً . طوّقهما بعينيهِ الجاحظتين بإفراط : «أمي تعرف مثلي من أنا هو» ، قال . شدّ إحدى المرأتين فقربها منه . «هذه تعرف» ، قال ، ثم شدّ الأخرى فقربها أيضاً .

«مَنْ كُنْتَ ، يَا مَإِيشَا؟ مِنْ صَرْتُ؟» ، ساءله خاميدس بنظرة
الارباب في ما اعتاده من أقوال ناقصة ، ملأ بها مَإِيشَا المتوسط طولاً
والقصر ، يَافيري الرمل منذ أعوام .

«لَمْ أَصِرْ مَنْ صَرْتُ . أَنَا هُوَ مُذْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . وَقَدْ اكْتَمَل
مِنْهُ اسْتَجْمَعْتُهُ مِنْ عَوِيلِ طَيُورِ لَآكِيلَا ، وَسَكُونِ أَسْوَاقِ
بَازَارِاسِيلَ ، وَصُمْتُ الْمَرَاتَيْنِ هَاتَيْنِ تَتْبَعَانِنِي مِنْ مَطْلَعِ زَمَنِ الْجَنِّ» ،
قال مَإِيشَا .

«أُنْقِذْنَا ، يَا مَإِيشَا ، وَقُلْ مَنْ أَنْتَ هُوَ» ، قال خاميدس . «أَنْتَظِرُ
كَ إِلَى مَآزِقٍ أَخِيرًا» .

«أَنَا مَنْ تَنْتَظِرُهُ قِبَائِلُ الْجَنِّ» ، ردَّ مَإِيشَا .
«هَيْهَ» ، غمغم خاميدس . ألقى بصره إلى وجه كاشاجو ،
الذي بدا خالياً من ردِّ ، كأن لم يتعقَّب بلسانه كلمات مَإِيشَا . لكنَّ
مَإِيشَا أصرَّ أنبري معترضاً ، وقد تسمَّع من موضعه قولة مَإِيشَا :
«أَنْتَ تَقْلُدُ دَعْوَايَ ، يَا مَإِيشَا» .

نظر مَإِيشَا إلى موضع محدثه فلم يتمكن من رؤيته : «أهذا
موتك ، يَا سَانِيَارِي؟» ، تساءل ، فتقدَّم سَانِيَارِي موسَّعاً لنفسه
والخارجاً أقرب إلى كاشاجو .

«هَذَا صَوْتِي» ، ردَّ ذو الخمار أبيض مغبراً على رأسه . «إِنْ
كُنْتَ مَنْ تَنْتَظِرُهُ قِبَائِلُ الْجَنِّ ، فَأَنَا أودَعْتُ قِبَائِلَ الْجَنِّ غَيْبَتِي . إِنْ
مَهِرَتْ ظَهَرْتُ قِبَائِلُ الْجَنِّ لَتَتْبَعَنِي ، لَالْتَتْبَعُكَ» .

«أَيُّهَا الظَّاهِرُ الْمَعْيَبُ» ، قال خاميدس بصوت ألقاه واضحاً أمام
بصر لسان كاشاجو . «مَابِكَمَا تَقْتَسِمَانِ كَوْنَ الْجَنِّ؟» .

نزل كاشاجو عن ظهر مطيته . حكَّ فخذه اليمنى بسلاحه
العظم المعقوف . نقلَّ وجهه بين مَإِيشَا وسَانِيَارِي : «عِنْدِي مَقْتَرَحٌ» ،

قال . «سنعيد هايكا هيكسين إلى الموضع الذي عثر فيه راتو عليها .
هي تعرف ، ربما ، من أين أتت . اتبعاها إلى قبائل آبائها ، ولا ترجعا
إلى زينا فيري» .

«أنا في غيبة ، ياكاشاجو» ، قال سانياري متملّصاً . «لا
أستطيع دخول مكان أو الخروج منه» .

«ماذ عنك ، يامايشا؟» ، تساءل كاشاجو .

«سأذهب إلى حيث يدلّني أبي . وهو لم يُشر عليّ بعد للخروج
من أرض زينا فيري» ، ردّ مايشا . وجّه بصره إلى هايكا هيكسين :
- إنها نسلُ أب تائه .

«مارغبتك هذه في أن تتبعك قبائل الجن ، يامايشا؟ تتبعك
إلى أين؟» ، ساءله كاشاجو باستخفافٍ في نبرِ صوته الحجر ، فردّ
مايشا :

- هذه رغبة أبي . القبائل ستتبعني إلى حيث يريد أبي .

«أين عظام أبيك؟» ، ساءله خاميدس متفحّماً المحادثة . «ألم
تأكلها في عيد لا كيلا؟» .

«لا عظام لأبي . هو رغبةٌ نفسه التي هي طريقي إليّ ،
يا خاميدس» ، ردّ مايشا . التفت إلى أمه فصفعها . التفت إلى
الأنثى الأخرى . غمغم : «لماذا تتبعيني؟ أتحرضُك أمي عليّ؟» .

تطلع خاميدس إلى كاشاجو بتدُمُر :

- إنه يهذي . لقد تنشّق غباراً أثارته قروُدُ هيهمو .

غمغم السامعون استهواً من كهوف حناجرهم . قرّب
كاشاجو وجهه الطويل من وجه مايشا ، يتلمّس بعينه تدرّجات
الرمال العميقة - رمال العقل . نضض بلسانه يتذوّق عذيف الريح
الأخرى - ريح العقل . كلّمه :

يَمْ تَعْدُ قِبَاثِلَ الْجَنِّ إِنْ اتَّبَعْتُكَ ، يامايشا؟ .
«أَنْ يَكُونَ كُلُّ جَنِيٍّ سَيِّدًا عَلَى أُمَّةٍ» ، رَدَّ ذُو الثَّوْبِ الطَّوِيلِ ،
الْمُفْضَاضُ ، مَفْصَلًا مِنْ جِلْدِ أُخْتِهِ الْكُبْرَى . زَمَّ شَفْتَيْهِ الْكَبِيرَتَيْنِ
إِلَاقًا عَلَى أَذْيَالِ كَلِمَاتِهِ .

«وَمَاذَا عَنِ الْأُمَّةِ الَّتِي سَتُحَكِّمُ سَيِّدًا عَلَيْهَا؟» ، سَأَلَهُ
الشَّاجُو ، فَرَدَّ مَإِيشَا ذُو الْعَيْنَيْنِ الْحَجَرِ الضَّيْقَتَيْنِ :
- كُلُّ جَنِيٍّ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ ، الَّتِي يَتَحَكَّمُهَا سَيِّدٌ جَنِيٌّ ، سَيِّدٌ
مِثْلِي أُمَّةٌ أُخْرَى .

«وَمَاذَا بَعْدُ؟ مَاذَا عَنِ الْأُمَّةِ ، الَّتِي سَيَحْكُمُهَا جَنِيٌّ جَعَلَتْهُ
سَيِّدًا ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ بَعْدَ عِبْدًا لَجَنِيٍّ سَيِّدٍ عَلَى أُمَّتِهِ؟» ، سَأَلَهُ
الشَّاجُو بَنْبِرَازٍ ذَرَاءَ لِلْفِكْرَةِ لَنْ يَعْثُرَ مَنْطِقٌ عَلَى نَهَايَةٍ فِي سِلْسِلَتِهَا ،
فَرَدَّ مَإِيشَا :

- كُلُّ جَنِيٍّ فِيهَا سَيَكُونُ سَيِّدًا عَلَى أُمَّةٍ ثَالِثَةٍ مِنَ الْجَنِّ .
«كَمْ سَيَمْضِي بِكَ وَعْدُكَ فِي تَلْفِيقِ أَسْيَادٍ عَلَى أُمِّ عَبِيدٍ
أَسْيَادٍ؟ إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ ، يَا مَإِيشَا؟» ، تَسَاءَلَ كَاشَا جُو ، فَرَدَّ
مَإِيشَا :

- إِلَى أَبِي .

«مَاتَ أَبُوكَ» ، صَرَخَ خَامَيْدَسُ وَقَدْ ضَاقَ بِهِ . «قَتَلْتَهُ بِحَرْبَةٍ فِي
الصَّيْدِ بَيْنَ شَجَرٍ وَاحِدَةٍ كَيْمَا . حَفَرْتَ قَلْبَهُ بِحَرِيَّتِكَ الْعَظِيمِ ظَنًّا مِنْكَ
أَنَّكَ تَحْفَرُ جَذُورَ الشَّجَرِ اسْتِخْرَاجًا لِلْجَنِّ الْقُرْمِ ذَوِي الْأَذْيَالِ
وَالرِّيشِ ، يَامَإِيشَا» .

«حَفَرْتُ قَلْبَ أَبِي؟!!» ، تَسَاءَلَ مَإِيشَا بِصَوْتٍ مُتَقَوِّضٍ
اسْتِغْرَابًا . التَفَتَ إِلَى الْمَرَاتَيْنِ الْمُسْتَرْسَلَتَيْنِ فِي نُوحٍ خَافَتْ ، أَوْ
مَإِيشِبَةِ النُّوحِ ، مُذِ الْجَنِّ لَا يَنْوَحُونَ . «أُمِّي» ، صَرَخَ ، ثُمَّ صَفَعَ أُمَّهُ

«لا قلب لأبي منذ سلمني إلى رغبتني
في الذهاب بقبائل الجن إليه». أمسك بصفائر المرأة الأخرى التي
جذبها إليه: «كيف أحفر قلباً من لا قلب له بحربة لا
أملكها؟ أنتِ وحدك تتبعينني إليّ، لا إلى أبي».

«إنه يهذي»، قال خاميدس، فالتفت إليه مايشا غاضباً:

— أصغوا إلى الأطفال حين يكذبون.

«ما معنى هذا؟»، تساءل خاميدس وهو ينظر إلى كاشاجو.

«لماذا لا تنفيه إلى صحراء مُوهي؟». استدار إلى سانباري:

«أنف هذا أيضاً».

أمسك كاشاجو بكتف كبير المنجمين مهدئاً:

— قد أفكر بأمر مايشا، لكن سانباري منفيّ. هو في غيبته.

«نعم»، قال سانباري. «أنا مغيب».

«ظاهرٌ حاضرٌ هو حين يريد. مغيبٌ حين يريد»، عقّب

خاميدس. «أخلطُ عليه ظهوره بغيبته، ياكاشاجو. إنه الرؤيا
المأزق».

اقتحم الشاعر داميكو المحادثة واقفاً قبالة كاشاجو:

— سأشارك هايكاهايكسين ذبابة استنسال.

«ماذا؟»، تساءل كاشاجو. نضنض بلسانه. «أهذا يومٌ هذيانٌ

في زينا فيري؟ ماذا تنشّقتُم؟».

«سألتُها»، قال داميكو متقصّداً، بحركة شفّيته المتأنتيتين، أن

يسمع كاشاجو مقاله.

«من سألت؟»، تساءل كاشاجو.

«سألتُ هايكاهايكسين»، ردّ داميكو ذو الأذن اليسمنى

الصغيرة، واليسرى المحوّة إلا ثقبها.

أبعد كاشاجو الشاعرَ بيده عن طريقه ، باحثاً بعينه عن
الأنثى الآدمية ، المتراجعة إلى قُربٍ من المحراب :
- أهى تتكلم؟ .

«لا . ليس بعد» ، ردَّ داميكو ، فأبدى كاشاجو إحباطاً :
- ليس بعد؟ بأيِّ لسان سألَته فوافقتك؟ .
«قلتُ شعراً» ، ردَّ داميكو .
«رددْ عليَّ ماقلتَه لها» ، طلب كاشاجو من شاعرٍ مَجْمَعِ
الذباب .

نفخ داميكو جلدَ خديه حول المنخرين الثقبين . مطأً عنقه .
وضع ذراعيه متعامدتين خلف ظهره . صدرَ طنينٌ مختنقٌ من فمه
المغلق ، فاستوقفه سلطان زينايري :

- لا يلتقط لساني طعمَ صوتك . مابه صوتك؟ .
«صوتي؟ أسمع صوتي؟» ، تساءل داميكو ، فهز كاشاجو رأسه
مستخفاً بسؤال الشاعر .

«أين كلماتك؟» ، ساءله كاشاجو .
«هي في فمي» ، ردَّ داميكو .
«أطلقها لأتذوقها سماعاً بلساني» ، قال كاشاجو .
«هي شعر ، يا كاشاجو» ، أوضح الشاعر .

«هه» ، غمغم كاشاجو كالمستذكر مانسيه من شأن الأشعار
صناعةً : هُمُ الشعراء يحتبسون الصوتَ مغلقاً على الكلمات في
أفواههم مغلقةً إذ يُنشدون . «فهمتُ» ، قال مستدركاً . «ترجم لي
إلى كلماتٍ معارضتهُ من شعرك على هايكاهيكسين» .
اتَّخذ داميكو الوضع ذاته : خدَّان منتفخا الجلد . فم مغلق .
يدان معقودتان خلف الظهر . أصدرَ طنيناً .

«أين الكلمات؟» ، ساءله كاشاجو منفضضاً بلسانه .

«هي مغلقة في صوتي المغلق ، ياكاشاجو» ، ردّ داميكو .
صرخ : «لا أسمع نفسي من صخب هذا الحشد . فليخرسهم أحدٌ
مّا» .

«أخرسهم ، ياشاكّد» ، طلب كاشاجو من مطيته الجني
الضخم ، الذي هبّ بصوته زئيراً عصفَ بأركان المعبد .
سدّت هايكاهايكسين أذنيها ، ملقيةً قربتها أرضاً . خمدت
الأصواتُ في الحناجر .

«أهذا أفضل ، ياداميكو؟» ، ساءله كاشاجو . أردفَ : «ماذا
قلتَ لهايكاهايكسين؟» .
كاد داميكو أن يتخذ الوضع الخاص بإنشاده ، لكنه توقف .
ردّ :

— فهمتُ هايكاهايكسين ماقلته .

«أنوعها يتناسل بالذباب في الكرات الحجر مثلنا؟» ، ساءله
كاشاجو .

«لأعرف» ، ردّ داميكو .

«قلتَ إنها أجابتك إلى عرضك عليها أن تستنسلا» ، قال
كاشاجو .

«نعم» ، ردّ داميكو .

«ماذا قالت؟ حيرتني» ، دمدّم كاشاجو متبرّماً ، فردّ داميكو :

— لم تقل شيئاً . ظلت صامتة .

«كيف فهمتَ قبولها ، إذا؟» ، ساءله كاشاجو .

«من صمتها» ، ردّ داميكو .

«داميكو يهذي أيضاً ، ربما ذبابُ المَجْمَع يهذي اليوم . لاتوزّعا

ذباباً على الطالبين حتى الغد» ، قال كاشاجو مشيراً إلى الشاعرين .
فتق صوتٌ مهتاجٌ ذلك السكونَ الذي رَتَقَهُ زئيرُ شاكد في
أرجاء المعبد . كانت جنيةٌ مذهولة تصدم الأجسادَ بحثاً عن موضع
سلطان زينافيرى . «كاشاجو» ، ردَّت الاسم صراخاً بزفيرٍ
متلاحق .

أحس كاشاجو طارئاً من رؤيته الوجوه تلاحق بأبصارها موضعاً
لم تحسم جهته على التحديد . غير أن الصوت المتهدِّج ، الذي
لا يسمعه كاشاجو ، وقف منتصباً بالجنية التي أطلقتته من
حنجرتها . فتحت راحة يدها المكسورة الأصابع أمام بصر سلطان
زينافيرى هادراً :

- ذهبت ذبابتي .

قَلْبُ لسانِ كاشاجو الكلماتِ القليلة ، المذهولة ، على وجوه
طُعْمها :

- ما بها ذبابتك ؟ .

«أُفَلَّتْ من يدي» ، ردَّت الجنيةُ الملوَّعة .

«هذا حظٌ بعضنا أحياناً» ، قال كاشاجو تعقيباً غيرَ مكتمل ،

إذ قاطعته الجنية المهتزة الذراعين :

- ثمتَ من أفَلَّتْها من يدي .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو وسط غمغمات المنجمين ، وبعض

أسياد فرق المحاربين ، والقريبين من موكب سلطان زينافيرى .

«حملتُ الذبابة ثمانية وثلاثين يوماً في راحتي ، حتى صباح

اليوم . مرَّ بي مَنْ ضرب على يدي بعظم فتراخت أصابعي ألماً .

تكسرتُ ، وأُفَلَّتْ الذبابةُ» ، قالت تلك الجنية . رفعت يدها المرتجفة

مؤكِّدة لبصر سلطان زينافيرى نكبتَها .

«من كان؟» ، ساءلها كاشاجو مستفظعاً .

«لا أعرف . كان مغطى الرأس» ، ردت الجنية الملتاعة . «حدث الأمر على نحو خاطف . مَنْ فعل ذلك فعلَ عن قصد» .

تبادل المنجّمون نظرات استنكار ، واستغراب ، يتمازجها تأويلٌ لم يهيئوا ترتيبَ مقدّمات له من عقل الريبة .

«أمتأكدة أنت أن الفاعل قصد ذلك بتصميم؟» ، سأل توهتو الجنية المتبلبلّة . «ربما أصيبت يدك عن خطأ» ، استرسلَ يتدبّر مخرجاً لفعله أقلقه أن يكون الصوابُ هو حدوثها عن قصدٍ ، بتخطيطٍ وتصميمٍ معاً .

«جاءت الضربةُ على يدي بتصميم من الضارب» ، قالت الجنية المتلوّعة بلا تردد ، واثقةً من حكمها .

«أكان الفاعل على دراية بما في يدك؟» ، ساءلها توهتو ، فردّت :

- قطعاً .

«هو يعرفك ، إذا» ، أردفَ توهتو .

«ربما» ، ردت الجنية . «بل الأرجح أنه يعرفني ، ويعرف أنني احتضن ذبابة الإستنسال في راحتي» .

«أحدث مثل هذا ، قبلاً ، في زينافيرى؟» ، تساءل الشاعر داميكو .

غمغم بعض الأسياد ، في موكب كاشاجو ، نفياً .

«إنها ساعتي . أنا هو» ، قال مايشا بصوت واثق النبر . نظر إلى سانياري ذي الأذنين الكبيرتين : «أرى ذبابةً مغيّبةً مثلك . اتبعها» ،

قال ساخرًا ، فردّ سانياري هازئاً بدوره :

- بل ستتبعها قبائلُ الجن قبل أن يتبعك أحد سوى هاتين

الما ولتين ، أمك والأخرى . من هي يامايشا ؟ .

«هي المشيئة متعلقة بي» ، ردّ مايشا .

«إن كانت متعلقة بك فهل من ذبابة تشاركها استئصالاً؟» ،

ال سانيارى . التفت إلى الشاعر الآخر الصامت ، شريك داميكو
من المجمع :

- اختر لهما ذبابة من عصر ما قبل نشأة الجن . قد يرثان بها

• انل كلهم أباء أنفسهم ، يأتوكا .

«إن تكلمتوكا وسمعتة ، ياسانياري ، تكن في غيبة حقاً ،

«حتجاً» ، عقب مايشا .

«أفلتما شيئاً؟» ، ساءلهما كاشاجو بغتة ، عقب انصرافه

«هات يستوضح الجنية المتاعاة في شأن نكبتها . «ماذا لو كلّفناكما
استقصاء الفاعل؟» .

«كأنك ستكلفنا عدّ الرمل في زينافيرى ، ياكاشاجو . أولى

بهذه الجنية أن تستقصي ، في خيالها ، خطوات الفاعل . لقد حام

حولها قبلاً . لقد اقترب منها قبلاً . ولربما حادثها قبلاً» ، قال

سانياري . «لكن إن أردت حقاً تكليف أحد ، فعليك بمايشا . قد

يستخبر من أمه ، ومن الأخرى التي معه ، دافع أحد من الجن إلى

إجهاض الذبابة من يد أحد آخر . لإنات زينافيرى خيال

القيافين» .

«دعك من هذين ، ياكاشاجو» ، قالت المنجمة بونيا ، وهي

مسكة بعضد الجنية المنكوبة مواسية . «هذا أمر لا يؤخذ على

سخرية يتكلّفها هذان» . أشارت بعينيها ، وبصوتها النقر من لسانها

على سقف فمها ، إلى مايشا وسانياري .

نفض كاشاجو بلسانه . أدار وجهه إلى وجوه أماء أسرار»

الثلاثة : ليكمورا ، أماروك ، دايجيك المفقود الساق اليمنى ، وكذلك
بعض من سادة فرق المحاربين في موكبه : «من أين نبدأ؟» ،
سألهم بصوته الحجر .

«من الجنية المنكوبة» ، ردّ دايجيك ، أمين تجارة القصر مع
القبائل . «فلتصحبُ جنياً من الجلاوزة المطايا الجبارين ، وليبدأ ، من
موضع الحادثة ، بحثاً عن مشتبّه» .

«أهذه علامة ، أم ماذا؟» ، تساءلت بونيا ، خارج مُقترح
دايجيك ، بصوت شكّ . «لم يحدث الأمرُ قبلاً في زينافيرى . لم
يُجهضُ أحدٌ أحداً ذبابته» .

«فعلة كهذه لاسابقة لها ، ياكاشاجو . فلنستعرض
الاحتمالات» ، قال خاميدس ، فعقب عليه أماروك ، أمين شؤون
الحصون الرمال على تخوم إقليم زينافيرى :

- احتمالان لا أكثر : إمّا انتقامُ أحدٍ من هذه الجنية ، وإمّا
خطة من ماشفير لبلبله جنّ زينافيرى بحادثٍ لم يشهده قبلاً إقليم
زينافيرى .

«ماشفير» ، تتمم كاشاجو الاسم في حقد . نضنض بلسانه .
تساءل :

- إن كان الأمر من تدبير ماشفير ، فما الغاية ؟ .

«هذه ليست خطة من ماشفير ، في الأرجح» ، قال أمين
خزائن العظام في القصر ليكمورا الشديّد النحول ، ذو الخمار الجلد
على رأسه . أردف : «هذا إشعار» .

«إشعار بماذا؟» ، تساءلت بونيا ، فردّ ليكمورا :

- إشعار بأن التقويضَ قادمٌ .

«أظنّها مبالغة منك» ، قال كاشاجو . «ذبابة أفلتت من يد

مما أحببتها ، بضربة مقصودة ، أو غير مقصودة ، هذا كل ما في الأمر .

«الخطط الأكثر إحكاماً تكون معلنةً على الأبصار ، من غير إنارة للريبة» ، عقب ليكمورا .

«أحضروا قيَّافَ البروق وويلابو» ، قال كاشاجو ، مزِماً إنهاءً استطراداتهم . «فليرافقُ هذه الجنية المنكوبة بحثاً عن أي شيء» . شدة العصابة الجلدة المتراخية حول رأسه : «والآن ، ماذا كان حديثنا قبل؟» .

استدرك مايشا النقلة من موضوع إلى آخر ، متسائلاً :

- ماذا في استطاعة قيَّاف البروق أن يصنع ، ياكاشاجو؟ .

«ما الذي يقلقك أنت من هذا الأمر؟» ، ردَّ كاشاجو ببعض الازدراء . «ويلابو سيقتفي أثر الذبابة ، التي أفلتت من يد هذه الجنية» . أدار وجهه صوب هايكاهايكسين . صرخ :

- من أنت؟ .

بدت هايكاهايكسين واجمةً مُدَّ لحظت من كاشاجو صرخةً مقذوفةً إليها بتحديد . تقدمت صوبه . أخرجت من جعبتها فاكهةً جافة . مدت يدها بالفاكهة إليه . وجم كاشاجو ، بدوره ، من الحركة اللامفهومة .

«تسألُك هايكاهايكسين أن تأكل من طعامها ، ياكاشاجو» ، فسَّر خاميدس .

تناول سلطان زينافيرى حبَّتي فاكهة بأطراف أنامله الطويلة ، كأنما يحاذر أن تتسخ . استدار إلى سانياري ، ومايشا . غمغم : «افتحاً يديكما» ، ثم أسقط حبةً في يد كل منهما إذ فعلاً . «كلاً» ، قال أمراً .

«أهذه طريقة إعدام مبتكرة ، ياكاشاجو؟» ، ساءله سانيارى ،
«... فما فى الأمر مزاحاً .

«أنت فى غيبة . لست هنا . لست فى أى مكان ، ياسانيارى .
«أخوفك من أكل طعام الحيوان؟» ، قال كاشاجو .

«لابأس» ، ردَّ سانيارى . «سأكل هذا الطعام إن أكله مايشا
قبلى» . حدَّق إلى مايشا المتردِّد الخيال فى أخذ ما أمرهما به
كاشاجو على محمل الجدِّ أم المزاح . «هه» ، همس سانيارى يسترده
من شروده : «عليك أن تتدرَّب ، يامايشا ، على طعام الحيوان . إن
اتَّبعتك قبائلُ الجن لن تجد عظاماً تكفى أجوراً لحيوشك ، وطعاماً
لأتباعك» .

تباعد بعضُ المحيطين بسلطان زينافيرى مُذْ حضرت زوجته
شيكتان راكبةً ظهرَ مطيتها نينيسو الأنثى الضخمة . ثم لم يلبث أن
تباعد آخرون من حلقات الحشد باندفاع ويلابو ، قيَّاف البروق ،
مُتَّقِنَ الوثب من غير سعة فى القفزات . لم يتردد فى تثبيت صوته
المتماوج على مرمى لسان كاشاجو : «أُبلغتُ أنك تستدعيني» ، قال
الجنى ذو الوشم الخطوط أربعةً بيضاً على جبهته ، والنقطتين
الصفراوين على الذقن . ضمَّ ثوبه المنتفخ حول جسده المفرط طولاً
فصلَّه من جلد ابنتيه وزوجته قُتلن فى عراقك ، فانتقم لهنَّ بقتل
سبعة وسبعين جنياً من ذرية القاتلين ، ذكوراً وإناثاً ، صغاراً وكباراً ،
فى فورة خَبَله من هول الأسى ، ثم أهدى عظامَ المقتولين إلى خزانة
سلطان زينافيرى ، وصعد باللحوم محمولةً فى قُفة على رأسه إلى
طيور لاكيلا ، فوق الهضبة الحمراء . يُقال إنه لعق بلسانه قطعة من
تلك اللحوم فى هذيانه لوعة على ابنتيه . غير أن أحداً لم يجرؤ ، فى
زينافيرى ، على الانتقام منه للعدد الزائد من القتلَى بلا موجب .

«ماذا تَقْفُو هذه الأيام؟» ، سأل كاشاجو الجنيَّ العظيم الوثب
ويلا بو .

«البروق ذاتها ، ياكاشاجو . ما يظهر منها شرقَ زينا فيري
ويختفي ، يظهر ثانيةً في غرب زينا فيري» ، ردَّ ويلا بو ، ذو
الشعر الرمادي محلولاً على الجهة اليمنى من رأسه ، والمضفور
أربعاً جدائلَ على يسار رأسه . أضاف : «للبروق في أرضنا أبٌ
واحد» .

«متى ستُحضر بعضها إلى القصر؟» ، ساءله كاشاجو ، فرد
ويلا بو :

- حين تشاء .

«جيد . لكنْ لأَقُلْ لك الآن لِمَ استدعيتك» ، قال كاشاجو .
نظر إلى الجنية المنكوبة :

- أسعيتَ قطُّ إلى اقتفاء ذباب ، ياويلا بو؟ .

«ذباب» ، تتمم ويلا بو مستغرباً . «أَيَقْتَفِي الذباب؟» ، تساءل
باستنكار .

«أَيَقْتَفِي الذبابُ ، يامايشا؟» ، سأل كاشاجو الجنيَّ المصحوب
بأمه ، وبأخرى لم يُعلنْ نَسَبُها .

«كل شيء يُقْتَفَى» ، ردَّ مايشا . «للمشيئة أقدام كأقدام القروود
تقبض بها على آثار الخفي» .

«فلنسأل ويلا بو ، إذاً ، أن يقتفي ذبابة هذه الجنية ، ويستخبرها
حين يعثر عليها ، عمَّن أطلقها» ، قال كاشاجو .

مطَّ ويلا بو عنقه مستوضحاً بعينه ، في صمت ، ذلك المُلغز
من حديث كاشاجو ، فتنبَّه سلطانُ زينا فيري إلى حيرة قياف
البروق . ربت على كتفه :

لا تقلق . اصحبْ هذه الجنية المنكوبة ، وستتفقان على شيء ما تفعلانه .

غادرت الجنية المنكوبة المعبدة في رفقة قياف البروق ، سارحين سعا ، بخياليهما المتجاورين في نظام الشك ، على أفق موصل : لا احتمال لمعرفة الفاعل . ويلابو لم يكن على يقين في جدوى تكليفه عملاً لا يعرف حتى الظن مدخلاً إلى انطلاقه . هو قياف بروق تكلف مهمة اقتفائها بنفسه منذ مقتل ابنتيه وزوجته ، في عراك ، ذات يوم ، على من الأولى منهن ، هن أم جيران شاركتهن أنثى منهم في صيد نعامة ، بحمل لحم النعامة إلى طيور لا كيلا المقدسة . تهارشت العائلتان . تقاذفتا بالعظام المسنونة .

لم يكن ويلابو حاضراً . عاد إلى مسكنه ففجع . انتقم جامحاً مهتاجاً . ثم بات ، إذ هدا ، واضحاً في قصده اقتفاء البروق يراها جارية في سماء زينافيرى بقرع حجري ، فيختطف نفسه وثباً ، كالبروق ذاتها ، إلى كل ناحية تنشق عن غصونها النار : إنه يريد اقتناص واحد منها هو الأكثر تفرعاً بشعبه الذهب : «ستشاركني أنثى في الاستئصال ببرق أضعه في يدها بدل الذباب . ستشاركني برقاً بثمانية وأربعين لساناً من لغات ممالك الجن في الأعالي . ما نستنسله بالذباب نسل يقتل . ما سأستنسله بالبرق لن يموت» .

أهل زينافيرى مقتنعون ، على نحو ما ، باقتدار ذلك الجنى الجبار ، ذي الوثب المذهل ، على اعتقال برق ذات يوم ؛ على إطباق يده الضخمة على برق . لكنهم لم يحسموا من ذي التي تقبل من إناث الجن بمشاركة ويلابو برقه ، وأي نسل سيجترحان من جوف كرة حجر .

كانت الجنية المنكوبة بلا يقين ، مثل ويلابو ، في جدوى

تكليفه عملاً لا مدخلَ إليه : ماذا إن وقفا في الموضع حيث حدثت الواقعة؟ أترك الفاعلُ ظله وراءه هناك ، وهما سيحملانه إلى ناشاجو فيليبسه أجساد الجن في زينافيرى ، فإن ناسبَ أحدهم مقاساً اعتقله كاشاجو؟ هي مضت بقياف البروق إلى المكان المقصود ، وعلى الأقدار الخضر ، كنمور واحة كيما ، أن تنجز خيبة أقلَّ خشونه من نكبتها .

كثيرون غادروا المعبد من أهل الحشد الفضول ، بعد إلقاء نظرات التأويل المذهول على الأنثى الآدمية ، من تلقاء أنفسهم ، أو بأمر من كاشاجو . اتسع المكان على رحبه بعد ضيق ، فتسرَّى سلطان زينافيرى بالتجوال ، بموكبه ، في الأنحاء الشاسعة متأملاً تصاميم الجدران ، مريحاً هايكاهيكسين قليلاً من حصار الأسئلة التي لن تفهمها ، ومجاري الشروح التي لن تفهمها ، ولن تفهم ، بالطبع ، حيرتهم في أنها أنثى آدمية من نشأةٍ لاتشبه مخلوقات زينافيرى .

«منذ متى لم يدخل المعبد أحدٌ ، ياخاميدس؟» ، سأل كاشاجو كبير المنجمين .

«لا أتذكر» ، رد خاميدس . استدرك : «بل أتذكر . أنت وأماروك كنتما هنا قبل عامين» .

«هكذا إذاً» ، تتم كاشاجو . «سألتك عن الأزمنة الناضجة لاستئصال المنجمين» .

حذق خاميدس إلى القلادة يتدلى منها منقار طائر أحمر ، في عنق سلطان زينافيرى . استشرف من حاضره برهته مغيب اللقاء القديم ، في المعبد ، قبل عامين . صحَّح الخبر عن زيارة كاشاجو : - لا . سألتماني عن خسف هضَّ حصنين رملين في التخوم

الآن . غار الحصنان ، فأردتما أحكاماً في أمر الخسف .
«أذلك كان ما سألناك فيه؟» ، قال كاشاجو . رمى بصره إلى
الأنثى الادمية :

- ماذا نفعل بها؟ .

«إنسَ أمرها» ، ردَّ خاميدس . «هي وديعةٌ ، كما ترى ،
لا تؤذي . وفي المعبد متَّسعٌ» .

«يخطر لي أن آخذها إلى القصر . سأضمها إلى أقفاص
الذئاب الصُّفر في حديقتي» ، قال كاشاجو ، فغمغمت شيكتان
اعتراضاً . نزلت عن ظهر مطيئتها وهي تلقي الكلمات واضحةً أمام
عيني زوجها ولسانه :

- أتنسَع يدُها الصغيرة لذبابة؟ .

«ماذا؟» ، تساءل كاشاجو مستغرباً ، فانبرى داميكو الشاعر
بهبوب من صوته :

- سأضع ذبابتي في يدها .

«قصدتُ أنا أن أشاركها ذبابةً» ، قالت شيكتان متعمدةً إثارةً
زوجها ، فاستثيرَ كاشاجو :

- أتنشَّقت ، أنت أيضاً ، غبارَ الهذيان؟ .

«خاطبتُ هايكاهيكسين شعراً» ، قال داميكو مذعوراً من
مُقترح شيكتان . «أنت أنثى» ، قال لها بخوف من أن تُتنزَّع منه بزرَّةُ
الريح سقاها خيالُه - بزرَّةُ رغبته . أضاف : «هايكاهيكسين في
شِعري الآن . يدُها في شِعري مطبقةٌ على ذبابة» .

«ماذا تفعلان هنا؟ لماذا لستما في مَجْمع الذباب؟» ، سألت
شيكتان الشاعرَين داميكو ، وتوكا ، فأعادها كاشاجو إلى سياق
حديثها الأول ، المستثير :

لا تكرري ماقلته ، يا شيكتان .

«ماذا ستفعل لو احتضنتُ ذبابةً أربعين يوماً في يدي ، ثم اودعتها يدَ هايكاهيكسين؟» ، ساءلته شيكتان متماديةً في انتشاره عقاباً ، ربما ، على مُقترحِه أخذ الأنثى الآدمية إلى حديقة المسر - الحديقة العظام الأقواس الوسيعة ، العالية ، فوق أقفاص الأنانب الصفرة يرعاها خَدَمٌ لاحتفالات السُلخ حيَّةٌ .

«سأقطع يدها» ، ردَّ كاشاجو مهدداً بصوت زفيرٍ .

همَّت شيكتان بالكلام ، فقاطعتها زوجها من فوره :

- سأهدم مَجْمَع الذباب إن تكرَّر على لسانك ما قلت .

«لا تبالغ في غضبك . لم أُرِدْ إثارتك إلى هذا الحد» ، قالت
١١ جته بصوت رَفَقته كالنَّقر خفيضاً .

«ضعي صوتاً آخر في فمك بعد اليوم» ، همهم كاشاجو ،
استرضته شيكتان تلجئ تماديه :

- خذ هايكاهيكسين إلى حديقة القصر .

«لن تذهب هايكاهيكسين إلى أيِّ مكان» ، قالت المنجمة
«ونيا» . «هي تجذب أهل زينايفيري إلى المعبد . فلتبقِ هنا» .

تراقص شعراً الأنثى الآدمية ، المُرسَلُ طليقاً على كتفيها ، من تصادم أجنحة الريح الصغار . شلالٌ من الهبوب أنحدر قوياً من قبة المعبد المفتوحة ، فلاقاه عصفٌ منفلت من البوابة الكبيرة . روافدُ ريح أخرياتُ ، رِفاقٌ ، انسكبت من خلل الشغرات في الجدران العظام . تعانقت مجاري الريح ، وتلاحمت زوبعةً صغيرة دارت حول هايكاهيكسين . تراقص شعرها كحواشي ثوبها . تعابثت الخصلُ بصوت لن يسمعه أحد . قبضت الأنثى الصامتة بيدها على مجتمع الشعر فوق القذال تثبَّت فُوضاه على نظامٍ عليل لم

يا.ث أن تبدّد ، وتقوَّض ، إذ أرخت يدها عن شعرها .

«لماذا لا نعقد شعرَ هايكاهايكسين ضفائرَ مثلنا؟» ، تساءلت
بونيا . غمغمت مضيفةً : «ثوبُها . ليس جلدًا ثوبها» . تقدّمت وثبةً
من الأنثى الآدمية . تحسست بأناملها القُماشَ الأزرق ، المرخى
طويلاً حتى عقبَي قدميها الخافيتين . «خطرت لي ، مراراً ، أن أتحمس
ثوب هايكاهايكسين» ، قالت المنجمة . «لكنني تجنبتُ إجفالتها» .
استدارت إلى شيكتان : «تعالى . المسى هذا الثوب . رقيق ، ناعم .
مَّ صُنِعَ؟» .

تقدّمت شيكتان بدورها ، وثباً قصيراً ، إلى الأنثى الآدمية .
لمست بأناملها قماشَ الثوب فوق كتفها اليمنى . تنهّدت من
منحريها الثقبين :

- نسلٌ منَ هايكاهايكسين ، هذه؟ .

«هي ، قطعاً ، من نسل لا يحضنون الذباب في أيديهم
للاستئصال» ، ردّ توهتو من موضعه قرب كاشاجو .
وكتبت نينيسو ، مطيةً شيكتان ، وثبةً رشيقة لتنضم إلى رابكتها
والمنجمة . باحت بتخمينها :

- هي من كائنات تحتضن في أيديها بيضَ الطيور .

تأملتها شيكتان مستغربة ذلك التقدير :

- لا أرى ريشاً على أي موضع في جسد هايكاهايكسين ،
يانينيسو .

«لا أجنحة ذباب لنا» ، عقّبت بونيا . «أولى أن تكون لنا
أجنحةُ ذباب ، لا أرجُلَ جراد» . حامت حول هايكاهايكسين : «ما
تقدير نوعها للفردوس كيف يكون؟» .

«لا تفكر مخلوقات كهذه بالفردوس» ، قال مايشا .

«أن لا تفكر هايكا هي كسين بفردوس فذلك أفضل من انحدارك إلى التبشير بفردوس أبيك» ، قال سانباري . «ما فردوسنا ، يا حاميدس؟» ، سأل كبير المنجمين من غير التفات إليه ، ثم ردّ نفسه مستبقاً : «نعود إلى الصميم النار في الشمس ؛ إلى الغاطبات الدائرية باللسنة من لهب» . قرّب وجهه من وجه مايشا .
سأله بنبر زفير :

- ما فردوس أبيك ، التي ستبعك قبائل الجن الموتى إليها؟ .
«عصي عليك ، ياسانباري ، فهم اللذة أبعد من عظام تأكلها» ، قال مايشا . أدار وجهه صوب أمه المذهنة الوجه سواداً ، لكنه ظلّ متوجهاً بخطابه إلى سانباري : «ستذوب عظامك متعة لو مسّ خيالك رفيف جناح من فهم مافي خاطري» .
«أرني فهمك كي أتبعك» ، قال سانباري ، فردّ مايشا في سخرية :

- أنت موصدّ . أنت محتجب ، في غيبة ، فكيف لي أن أري غائباً أية أبي؟ .

«أر الحاضرين هنا شيئاً من أية أبيك» ، قال سانباري .
«لم يسألوني» ، ردّ مايشا . فتح ذراعيه أمام بصر كاشاجو والمحيطين به : «الموتى في لذة ، لا من رؤية شيء ، أو لمس شيء ، أو تذوق شيء ، في كهوف أبي . كلّ عضو من أجسادهم متخّم لذّة لا توصف . هم يفقدون ذاكرتهم ، في نهاية يومهم ، ليتمتعوا باللذات ذاتها في اليوم التالي كأنهم استحصلوها أوّل مرة» ، قال . ارتعش من صفائره حتى ساقيه - ساقى الجرادة : «أنا هو» ، دمدم . «مستني الذئب المضىء» . زفر قوياً : «سيأكل المنجمون يوماً معبدّهم عذاً عظماً» .

«ذئبه المضيء لا يشبه ذئبنا الطيف الأبيض . ذئبه وحي»
أ...» ، قال خاميدس . أردف : «لأنخاف وحي أبيه» .

«سيأكل أهل زينافير بيوتهم العظام» ، دمدم مايشا . ارتدَّ
على أمه فصفعها هائجاً :

- لماذا جئت بهذه الأنثى الأخرى معك؟ أمتحنيني؟ أنا رؤيا
أبي .

في وثب متمائل ، جنباً إلى جنب ، دخل ريكما ، والفتاة
المحاربة سوكة ، إلى المعبد . انضما إلى موكب كاشاجو ، الذي
حدَّجه بنظرة ازدراء :

- كم قتلت ، وأسرت ، من محاربي ميهو الهارين؟ .
«اعتقلتُ لصوصاً من أتباع ميسودا الأعمى» ، ردَّ ابنه ريكما .
«أين ملجأ ميسودا؟ هل استنطقتهم؟» ، ساءله أبوه ، فردَّ
ريكما :

- خلَّعنا سيقانهم ، وكسرنا عيونهم الحجر في أوقابها ، لكنهم
لم يعترفوا إلا بشيء واحد : سينضم ملكهم ميسودا الأعمى إلى
ماشفير الأعمى .

«على ماذا يتفق الأعميان؟» ، تساءل الشاعر داميكو .
«على نهب زينافير» ، ردَّ دايجيك ، أمين تجارة القصر مع
القبائل ، ذو الساق اليمنى المفقودة ، ثابتاً على ساقه اليسرى في
توازن محسوب .

«لأرى اتفاقاً على هذا بينهما» ، قال المنجم توهتو . «ماذا
يجمع الأعميين؟ ماشفير يريد تشريد الجنِّ كلِّ فردٍ في فلاةٍ قفرٍ ،
وميسودا يروم المخازن في تجمعات الجن» .

«ربما سيُعين ماشفير ملك اللصوص ميسودا على إفراغ مخازن

الجن ليتشردوا» ، عَقَبَ ليكمورا ، مستشار كاشاجو الأمين على
مزاثن العظام في القصر .

لم يلتقط كاشاجو بلسانه مذاقَ الأصوات في أفواه المتحدثين ،
مُأْذِ شغلت عينا سوک الصغیرتان عینیه . رفع يده مومناً بأصبعه
استدعاءً .

قَرَّبَ خامیدس رأسه من سلطان زینافیري لیمکنه من الإصغاء
بلسانه إلى سؤاله :

– ماذا تريد ، ياكاشاجو؟

«الرسامات» ، تتم كاشاجو .

أدار خامیدس وجهه على أرهاط الموكب ، فلم يستغرقه البحث
سوى برهة . لمح الرسامات الأربع مجتمعات في ركن غير بعيد ،
تستعرض إحداهن على الأخريات ما اجْتَلَّتْ رَسْمًا بالحجر من
شكل هايكاهايکسين . ناداهن : «دُويَان . رَانِيْلا . آردو . زاي» ،
فالتفتن إليه . أشار بيد إليهن أن يتقدمن ، وبالأخرى إلى كاشاجو
تدليلاً على أن سلطان زینافیري يطلبهن ، فوثبن وثنباتٍ قصاراً ،
متواقفةً . وقفن قبالتة لیسْمَعْنَه ، ويسمعهن بلسانه إنْ تكلمن .
«ارسمن سوک على الوجوه الأخر من ألواحكن» ، قال كاشاجو
بصوته الحجر .

طقطقت أسنان الرسامات تبليغاً باعتكافهن ، سُرَاعاً ، على
إرضاء كاشاجو . حدَّقن لحظةً إلى سوک ، ثم مرَّرن أناملهن ، باقتدار
القبض فيها على الأشكال ، فوق الصفافيح السود الألواح ، كأنها
يعتقلن الملامحَ خطوطاً وهماً أولاً ، قبل أن تَصِرَّ حجارتهن الأقلام
صريرَ اللون الناطق : كُنَّ يستعرن المحاربة سوک للإقامة في إقامتهن .
الرسم على ظهور الألواح الحجر لإقليم هايكاهايکسين الرسم .

تَهَلَّلَت شَفَةُ شَيْكَتَانِ الْمَمْتَلِئَةِ ، السُّفْلَى ، اِمْتِعَاضاً . غَمِغَمَتِ
بُورُوتُ نَقَرٍ ، فَعَجَّلَتْ مَطِيئَتَهَا نِينِيسُو وَثْباً إِلَى جَوَارِهَا . اقْتَرَبَ مِنْهَا
سَانِيَارِي أَيْضاً ، مُذْ رَأَاهَا اعْتَكُرَتْ مِنْ اِهْتِمَامِ زَوْجِهَا بِالْمَحَارَبَةِ سَوَكْ
عَلَى نَحْوِ غَيْرِ مَعْهُودٍ . كَلِمَهَا مَوَاسِياً فِي مَا يَشْبَهُ الدَّعَابَةَ :

- حِينَ أَظْهَرَ غَيْرَ مُحْتَجِبٍ ، سَأَخَذَ إِقْلِيمَ زِينَا فِيرِي مَعِيَ إِلَى
غَيْبَتِي الْجَدِيدَةِ بَيْنَ مَمَالِكِ الْأَعَالِي .

«لَا تَتَكَلَّمْ . ظِلٌّ فِي غَيْبَتِكَ» ، قَالَ مَايْشَا الْمُقْتَرِبُ مِنَ
الرَّسَامَاتِ تَتْبَعُهُ الْمَرْأَتَانِ . أُرْدَفَ سَائِلًا :

- أَيْةُ أَمْكَنَةٍ تَخْتَارُهَا لَغَيْبَتِكَ وَاحْتِجَابِكَ ، يَا سَانِيَارِي ؟ .

«أَخْتَارُ الْأَمْكَنَةَ الْمَعْلُوقَةَ» ، رَدَّ سَانِيَارِي .

«مَا الْأَمْكَنَةُ الْمَعْلُوقَةُ؟» ، تَسَاءَلَ مَايْشَا ، فَرَدَّ سَانِيَارِي :

- الْأَمْكَنَةُ الَّتِي بَلَا يَقِينٍ ؛ بَلَا شَكٍّ ؛ بَلَا حُدُودٍ ؛ بَلَا
مَحَارِبِينَ ؛ بَلَا تَجَارَةَ ؛ بَلَا مَنْجَمِينَ ؛ بَلَا مَعَابِدَ ، حَيْثُ لَا تَأْهُبُ
لِمُلَاقَاةِ شَيْءٍ ؛ لَا تَوْقِعَاتٍ ؛ لَا اِنْتِظَارٍ . الْجَنِيُّ ، فِي الْأَمْكَنَةِ الْمَعْلُوقَةِ ،
لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ جَنًّا آخَرِينَ . غَيْرُ مَعْنِيٍّ مُذْ لَا مَعْنَى ،
وَهُوَ فِي ذَهُولٍ ، وَدَهْشٍ لَا مِنْ رَجَاءٍ أَوْ خَوْفٍ . حَالٌ كَالْغَيْبُوبَةِ حَالٌ
الْأَمْكَنَةِ الْمَعْلُوقَةِ ، يَا مَايْشَا ، وَالْجُنُّ الْمَغِيْبُونَ ، الْمُحْتَجِبُونَ ، مِثْلِي ،
يَهْتَدُونَ إِلَى بَوَابِهَا بِعَقْلِ الْجَرَادِ قَبْلَ الدَّخُولِ ، وَيَتَجَوَّلُونَ فِيهَا بِعَقْلِ
النَّسِيَانِ بَعْدَ الدَّخُولِ . لِلْجُنِّ تَجَوُّالٌ ، هُنَاكَ ، فِي نَسِيَانِهِمْ ذِي الطَّرَقِ
الْمَائِيَةِ .

«أَمْكَنَةُ تَلِيْقٍ بِكَ حَقًّا» ، عَقَّبَ مَايْشَا مُسْتَهْزِئًا . «طَرَقَ مَائِيَةِ» ،

قَالَ فِي لَعَثْمَةٍ مَقْصُودَةٍ . تَصْنَعُ حَذَرًا : «لَا تَقْتَرِبْ مِنِّي ،
يَا سَانِيَارِي . أَنْتَ مَبْتَلٌ» .

«خَذَا أَحَادِيثَكُمَا إِلَى الْأَعْمَى مَا شَفِير» ، صَرَخَتْ بِهِمَا

شيكتان ، مصرّفة استيائها من زوجها عليهما ، فتراجع سانياري ،
ومايشا ، مبتعدين .

«أغلقوا هذا المعبد» ، صرخت شيكتان ثانية . تقدّمت من
الرسّامات بتحديق وزّعته عنيفاً على وجوههن ، وصفافيهن
الالواح . كُذّن يوقفن الرسم لولا احتداد كاشاجو ، بدوره ، لكن من
غير هياج :

- ارسمن سوّك وقد سجد لها المنجمون خشوعاً .
تبادلت الرسّامات النظر بعضهن إلى بعض . قسّن الفراغات
بالأصابع في ألواحهن على غمغمات وزفير من منخري شيكتان ،
التي أمسك ابنها ريكما بذراعها ، ثم همّ أن يمشي بها فأفلتت
ذراعها منه :

- إلى أين تمشي بي؟ .
«إلى البوابة» ، ردّ ابنها . «امتطي نينيسو ، وغادري» .
«لماذا علي أن أغادر ، ياريكما؟» ، ساءلته أمه بمتعضّة .
استدارت إلى زوجها :

- أنت مهينّ اليوم .
«أقلت شيئاً؟» ، تساءل كاشاجو منضنضاً بلسانه ، مُدّ فاته ما
قالت ، لكنه أدرك في الأبصار المتجهة إلى زوجته أنها تبادت
هياجاً .

«أنت مهين» ، كرّرت شيكتان ازدراءها ، فبادلها كاشاجو
ازدراءً :

- يدك مهينة ، ياشيكتان . كل ذبابة تختصننها في كفّك
تستحيل ذبابةً مُجهّضة .
«أنت تختصن ذبابة الاستنسال في كفّك أولاً . يداك هي

المُهَيَّنةُ الْمُجْهَضَةُ ، ياكاشاجو . أنفاسُكَ نَفْحاً عَلَى الذَّبَابِ فِي كَفِّكَ
أنفاسُ مجْهَضةٍ » ، قالت زوجته .

زَارَ كَاشَا جُو غَضَباً فَاقْشَعَرَ الرَّمْلَ فِي أَرْضِ الْمَعْبِدِ ، وَعَلَى
مَحِيطِ الْجُدْرَانِ خَارِجِ الْمَعْبِدِ . وَثَبَ وَثْبَةُ السُّلْطَانِ الْكَبِيرَةِ فَحَاذَى
الْمَحَارِبَةَ سُوكَ . فَاجَأَهَا :

- شَارِكِيْنِي ذَبَابَةً اسْتَنْسَالِ .

تَبَلَّبَتْ سُوكَ ، مَتَوَجِّهَةً بِبَصَرِهَا مِنْ كَاشَا جُو إِلَى ابْنِهِ رِيكَمَا .
جَذَبَتْ الْكَلِمَاتُ زَحْفاً مِنْ حَنْجَرَتِهَا إِلَى لِسَانِهَا . رَدَّتْ :

- أَنَا وَرِيكَمَا مُتَّفَقَانِ عَلَى التَّشَارُكِ فِي ذَبَابَةٍ اسْتَنْسَالِ .
« أَهَذَا اتِّفَاقُكَ مَعَهَا ، حَقّاً ، يَارِيكَمَا ؟ » ، سَأَلَ كَاشَا جُو ابْنَهُ .
« نَعَمْ » ، رَدَّ رِيكَمَا .

« لِمَاذَا انْتَظَرْتَمَا حَتَّى الْآنَ ؟ » ، سَأَلَهُ أَبُوهُ .

« انْتَظَرْنَا الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ » ، رَدَّ رِيكَمَا .

دَارَ كَاشَا جُو حَوْلَ نَفْسِهِ يَزِنُ الزَّمْنَ بِمِيزَانِ خَيَالِهِ . نَظَرَ إِلَى
شَيْكَتَانِ خَرَسَاءَ مِنْ ذَهُولٍ . فَتَحَ ذِرَاعِيَهُ كَأَنَّهُ يَحْتَوِي جَنَّ مَوَكِبِهِ
كُلَّهُمْ . « أَسْمَعْتُمْ ؟ » ، تَسَاءَلَ . « يَنْتَظِرُ رِيكَمَا الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ » .
اقْتَرَبَ نَصْفَ وَثْبَةٍ مِنْ سُوكَ : « كَانَ الْوَقْتُ مُنَاسِباً فِيمَا مَضَى ،
فَأَجَلَّتْ مَا هُ . مَاتَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ ، وَهِيَ أَنَا أُعِيدُهُ إِلَى الْحَيَاةِ وَقَتاً
مُنَاسِباً لِي » . تَنَفَّسَ فِي وَجْهِهَا مِنْ مَنَخَرِيهِ الثَّقْبَيْنِ فِي جَزْمٍ حَسْمٍ .
« سَنَخْتَارُ الذَّبَابَةَ الْأَكْثَرَ طَنِيناً ، وَالْأَشَدَّ هَيَاجاً أَيْضاً يَسْتَكِينُ لَهَا
جَوْفُ الْكَرَةِ الْحَجَرِ ، وَيُمَثِّلُ لَهَا الظَّلَامُ الَّذِي سِيَحْتَضِنُ وَلِيدَنَا » .
نَضَضَ بِلِسَانِهِ مَتَوَقِعاً رَدّاً ، فَلَمْ تَنْطِقْ سُوكَ .

لَهَثَ رِيكَمَا صَامِتاً كَأَمِهِ ، مُنْتَفِخَ الْجِلْدِ حَوْلَ مَنَخَرِيهِ . أَدَارَ
كَاشَا جُو بَصَرَهُ إِلَى ابْنِهِ : « أَقَلَّتْ شَيْئاً ؟ سَمِعْتُكَ » ، قَالَ بَنِيرٍ سَاخِرٍ .

«أنا أسمع كل شيء اليوم بعيني قبل لساني». بحث عن غائب
لا رغبة واضحة في العثور عليه: «أين المغني تارتوك؟ أريد أن
أسمع سوك غناءه».

«قطعاً هو في وادي الرمل الأعظم - مجّمع أرواح طيور لا كيلا
الميتة»، ردّت بونيا.

«أين زوجته؟»، تساءل كاشاجو، في ثرثرة هرب من لحظة،
فاجابته بونيا ثانية:

- تكون معه، هي وابنتاه. كل يوم تلحق أرواح موتى جدد من
الميور لا كيلا بمجمّع الأرواح في الوادي الأعظم. تارتوك يغني لها.
«لماذا زوجته وابنتاه عاريات الرؤوس من الشعر؟ سألتها مرة
ونسيت رده»، قال كاشاجو، فردت بونيا:

- يغدو غناؤه أكثر رقّة إذ يصحبه قرعاً بالأيدي على رؤوسهن
العارية. هنّ يتشبهن بطيور لا كيلا اللواتي بلا جلد أو ريش على
رؤوسها.

صدمت شيكتان الرسامات بغتةً باندفاع وثباً نصف دائريّ.
أسقطت الألواح من أيديهن. قفزت مستقرّةً على ظهر مطيّتها
نينيسو، صارخة: «لن يكون لك ماتريد، ياكاشاجو». شدّت
ضفائر المطية كالرسن فانطلقت قفزاً كالريح في اتجاه البوابة.
وثباً منكسراً لحق ريكما بأمه خارجاً من المعبد. كاد أن يصدم
عميد المحاربين ماياكي في دخوله من البوابة يصحبه الجلاد رادبور،
والأسيران من أتباع ماشفير.

«هيه»، نادى ماياكي ابن سلطان زينافير تنبيهاً: «مطية
أمك كادت أن تطيح بنا»، قال، ثم واصل وثبه المتأني، القصير،
متّجهاً إلى الجمع من حول كاشاجو.

«أنعزل لحم هذين المتمردين عن عظامهما ، أم يتدبر رادبور إعداماً على طريقته؟» ، سأل ماياكي سلطان زينايري .

خياران في الإعدام عرضهما عميدُ المحاربين على كاشاجو ، كي يتصرف بتقدير الحكم وفق أحدهما مناسباً مثاقيل مزاجه هادئاً أو مستثاراً . فسلخ المعتقلين ، ونزع اللحم الليف الخشن ، والجاف - لحم الجن ، تصرفٌ من إفراط في غلبة الغضب ، لكنه يوفر اللحم لطبور لاكيلا ، والعظام لخرنة القصر . أمّا توكيل الجلاذ رادبور بالإعدام على طريقته ففيه إتلاف لجسد المعدم لا يتحصلون به لحماً أو عظاماً ، لكنّه تدبيرٌ في الاستنطاق توسعاً في كشف مؤامرة ، أو دسيسة ، وكذلك المحرضين عليها ، والمتصلين بها ، من أعداء كماشفير ، أو طامحين طامعين في سلطة أوسع لهم ، من مقرئين إلى قصر كاشاجو .

مهنة رادبور الجلاذ اختصاصٌ توارثته السلالة ، ذكوراً وإناثاً . هي مهنة استنشاق ذاكرة المحكوم بالإعدام من محجوب الدماغ كتشقق الجن الغبار . رادبور الضخم كالجن المطايا تماماً ، يُقسر المحكوم على الجلوس برأس مرتدٍ إلى الوراء ، فيما يقف هو قبالة منحنياً عليه ، فيلصق جبهته بجبهة المحكوم ، وعينيه الحجريتين بعينيه ، متنفساً في موضع منخري الضحية زفيراً وشهيقاً يومين من أيام الجن بتمامها .

برهة برهة يستجمع رادبور ، في ذاكرته ، ذاكرة المحكوم بخاراً يصّاعد لامرئياً ، يتكاثف صوراً ناقصة ، أو كاملة ، أو غائمة لا يستقيم لبصر ذاكرة الجلاذ استشرافها هيئة تُعتمدُ كشفاً . أتباع ماشفير يتلقون من ماشفير نفسه تدريباً على تقويض ذاكرتهم إن اعتقلوا . كل تابع ومريد يخضع لسلب ذاكرته ، واستعادتها على

نحو متقن . ماشفير يضع عينيه العمياوين على عيني مريده نصف ساعة من ساعات الجن . يقوِّض ذاكرة المريد . يخلطها كرملاً معصوف ، وسط حلقة من الجن يتبادلون زئيراً مدوياً . ثم يعيد إنشاء ذاكرة المريد وسط سكون يتخلله النُّقر من جبين سلطان المتمردين على جبين المريد .

كلُّ من قُبِض عليه مطلوباً لسلطان زينايفيري ، ترضخ ذاكرته لكشف مكنونها على بصر ذاكرة رادبور المستنطقه ، إلا أتباع ماشفير : يزأرون أن افتضحهم فيتلاشى الكثير من مكنون مايعرفون . رادبور يتقصَّى ، باستنطاقه الصامت ذاكرة المحكوم ، بقايا آثار فيها . وقد اقتصر ما استجلبه استنطاقه من أخضعهم ، من أتباع ماشفير ، على صور أنفاق معتمه ، متلوّية المسالك ، لم يتأوّلها المنجمون على وجه يُرضي الأفهام .

«أنفاق» ، كان رادبور يعرض ، بلفظ واحد ، كنزه الفقير ، المنتشل من آبار الرمال في أدمغة المتمردين على زينايفيري .

«أنفاق لأبصر فيها مخرجاً . لقد استبدل ماشفير ذاكرة كل مريد بنفق» ، ذلك كان تأويل عقله .. عقل الجلال . «أنفاق لا آثار فيها . لا اتجاه لها» . لكنه ، على أية حال ، يكون قد أنجز استنشاق كل مدّخر من خزنة الخيال في المحكوم بالإعدام . وهؤلاء يُطلقون ، في هذه الحال ، أحراراً في أزقة زينايفيري بلا ذاكرة ، يتبعهم الأطفال ساخرين ، مهددينهم بعظام طيور في أيديهم . والمحكومون الأحرار ، أولئك ، تتفتت أجسادهم ، رويداً رويداً ، عضواً بعد آخر ، بدءاً بالعيون تسيل رملاً من محاجرها ، فالأيدي ، فالآذان ، فالشعر ، فالإكتاف ، فالأرجل ، فالرؤوس أخيراً . لا يتبقى منهم عظمٌ يحفظ في مخازن كاشاجو ، أو لحم يُرفع تقدمةً إلى طيور لاكيلا الغميان

عاد ماياكي إلى سؤاله في عرض الخيارين على سلطان زينا فيري :

- ما الذي ترتئيه؟ أننزع لحم الأسيرين عن عظامهما حيَّين ، أم يتكفل رادبور استنشاقاً لذاكرتهما؟ .

تفكر كاشاجو قليلاً . لكن صرَّفه عن النطق بالحكم مجيئ راتو ، مطية ماياكي ، بأحمال على ظهره يقفز بها ، وفي يديه . أنزل مامعه أمام عميد المحاربين . تكلم على عجل :

- هذه هي الفاكهة . هذا هو الماء . هذا حوض .

كيسٌ جلد مليئاً فاكهةً عُرض على ماياكي ، وكذلك قربة كبيرة مملوءة ماءً ، وحوضٌ حجر ، صغير ، مما يسقون فيه الذئاب الصفر في الأقفاص .

كان ماياكي كلَّف راتو بالمؤنة للأنثى الآدمية . وقد أجابه راتو إلى ذلك فعجَّل بالمطلوب إلى المعبد . خاميدس حملَ الحوضَ الحجر بنفسه إلى المحراب ، وحملت بونيا كيس الفاكهة ، وتولى توهتو حمل الماء على حَذَر من البلل ، على الرغم من الوِكاء المُحكَّم إغلاقاً على فم القربة الكبيرة .

«أهايكاهيكسين حيوان؟» ، ردَّد كاشاجو الحُكمَ سؤالاً لا يعني به أحداً ، قبل أن يتنبَّه إلى التفات الوجوه صوب المنجمة بونيا ، بعد وضعها كيس الفاكهة أرضاً : كانت تفتح ذراعيها للشجرة الواسعة في قبة المعبد ، هاتفةً :

- عاد طيفُ الذئب الأبيض .

لم يرَ أحدٌ طيفاً . لكن المنجمين تتبَّعوا الصورة الوهم بوجوههم تستدير على أنحاء المعبد كأنها تقتفي الحيوان الطيف راكضاً من ركن إلى ركن ، هابطاً صاعداً ، متمرَّغاً في الرمل . ثم أبدوا ذهولاً

، غمغماتهم حين بلغت أبصارهم هايكاهايكسين جاثيةً تمرّ راحةً
١١. ها اليمنى على الفراغ تمسيداً .

«إنها تداعب طيف الذئب» ، همهمت بونيا .

توجهت الأبصار ، جميعاً ، إلى الأنثى الآدمية ، التي كررت
حركات يدها تلك ، قبل أن تتوجه إلى المحراب فتفكّ فمّ الكيس
من الفاكهة . قلبتها تستجلي أنواعها الخشنة والناعمة . ثم عمدت
إلى القربة فحلّت وكاءها . ملأت الحوض الحجر ماءً ، وغمست
وجهها كله فيه . شربت بلعتين . تقطّر ماءً من بعض ذؤاباتھا التي
نراخت إلى الحوض إذ غمست وجهها . مسحت عينيها
الصغيرتين ، الخجولتين ، بطرف الوشاح البني ، الطويل ، المتهرئ ،
ملتفّاً حول خصرها فوق الثوب الأزرق . مدّت كفّها بغتةً فأطبقتها
على جرادة طويلة الجسم . نزعت أجنحتها بأطراف أناملها . نزعت
رأس الجرادة فسحاً ، فأسالت خيطاً من المخاط تطاول عالقاً بين
الرأس والجذع قبل انقطاعه . التهمت هايكاهايكسين الحشرة بتأنٍ
في المضغ .

همهم الناظرون تعجباً . كرّر كاشاجو حكمه على نوعها :

- هايكاهايكسين حيوان يأكل الفاكهة ، وطائر يأكل الجراد .

غمغمت بونيا مسترسلة بعينيها في تعقب طيف الذئب
الأبيض . أمسك بها كاشاجو من كتفها . وجّه بصرها بإشارة من
يده إلى الأنثى الآدمية . مطّ عنقه من موضعه يتأملها مطوية
الرّجلين قرفصاءً أمام الحوض الحجر : «مَنْ أنشأ هاتين الرّجلين؟
ليستا من أرجل الجن ، ولا من أرجل الحيوان» . التفت إلى
الأسيرين مُطلقاً جوابه المؤجل عن سؤال ماياكي في أمرهما .
هتف :

· اكسُرُ أسنانهما أولاً ، يارادبور . اجعلهما أعميين .
«أبدأ بالأسنان ، أم بالعيون؟» ، تساءل رادبور ، فرد كاشاجو
كالوئخ :

- كَسُرُ الأسنان يجعلهما أعميين ، يارادبور . جنيّ بلا أسنان
جنيّ أعمى .

انهال رادبور ، من فوره ، بالعظم المعقوف على الأسيرين ضربةً
على كل فم . ثم اردفهما ، قبل أن يتمالكا توازنهما المتخلخل ،
بصفعتين تطايرت ، من شدّتهما ، أسنان الأسيرين متدحرجة على
الرمل ، أو غائصةً فيه .

نهضت هايكاهيكسين مُجفلةً قليلاً مذ أبصرت ناباً سقط قرب
قدميها . حملت الناب الطويل بأناملها توازنه قياساً بأسنانها
الصغار ، فهرع كاشاجو وثبتين فاختطف الناب منها . قَرَّب وجهه
من وجه الأنثى الآدمية مستعرضاً شدّته . وضع الناب المخلوع في
فمه وهشمه طحناً بأسنانه الكبار القوية . مضغه لحظةً مستلذاً ، ثم
ازدردّه . التفت إلى ليكمورا ، أمين خزائن العظام في القصر ، أهاب
به :

- أجمع الأسنان تلك لعشائي .

زفرت هايكاهيكسين زفرةً لم يسمعها كاشاجو ، الذي عاد إلى
حلقة مُصاحبيه في وثبتين قصيرتين . نظر إلى الأسيرين مذلولين
بشفاه تشرّمت من ضربتي رادبور . زأَرَ في وجهيهما المنتهكين :

- إن حظيتُ بسلطانكم ماشفير لن أقتله . سأقتطع أعضاء من
جسده لأيميته اقتطاعها . سأجففها ، ثم أجلس قبّالته فأكل عظام
تلك الأعضاء واحداً واحداً .

«لن يراك ماشفير . لن يرى استلذاذك بالتهام عظامه حيّاً

مُهاناً» ، قال واحد من أسياد فرق المحاربين ، فردَّ كاشاجو :
- سيسمع عجيجَ عظامِهِ مطحونةً بين أسناني . سأثأني في ذلك . سأطيل المضغَّ أياماً ، جالساً قبالة . بماذا أبداً ، يابونيا ؟
«بأسنانه» ، ردَّت بونيا .

«بل سأبدأ بعينيهِ العمياوين . سأنتزعهما من محجريهما ،
والتهمهما أولاً» ، قال كاشاجو . صمتَ لحظةً . تساءل :
- أيسمعان ؟ .

«الأسيران يسمعان» ، ردَّ رادبور . «هل الأمر لي الآن؟» ، ساءل
سلطانَ زينافيرى سماحاً ببدءِ استنطاقه .
«الأمر لك الآن» ، ردَّ كاشاجو .

«أأستنشق ذاكرتيهما هنا ، أم آخذهما إلى الساحة قرب هيكل
الإله كوياسي؟» ، ساءله الجلادُ ، فردَّ كاشاجو :
- هنا . أمام بصر هايكاهايكسين .

عمد رادبو ، في عجلة ، إلى دفع أحد الأسيرين بذراعه
اليسرى القوية ، فأجلسه أرضاً . وضع جبينه على جبين الأسير ،
وألصق عينيه بعينيهِ . زفرَ زفرةً كأنصبا بريح من فتحة قبة
المعبد .

امتطى كاشاجو ظهرَ الجنى الضخم شاكداً . أمسك باثنتين من
جدائل شعره كرسن ، متهياً بموكبه للانصراف . هولن ينتظر أن
يكمل رادبور استنطاقه . لن يواكب بخياله ذلك النقل المتواصل من
الحوض الرمل في ذاكرتيَّ الأسيرين ، بمِغرفة اللامرثيِّ ، إلى حوض
ذاكرة رادبور . إنه استنطاقٌ سيستحصل ، في الأرجح ، ما
استحصله الجلادُ من بعض أتباع ماشفير الأعمى قبلاً ، فلم يتأوَّله
المنجمون أبعدَ من خُدعةٍ كمينٍ موهَّهة على صورة نفق في ذاكرة كل

تابع ومريد من المتمردين .

«نفق» ، تتم كاشاجو الكلمة في الوثبة الأولى لمطيته منصرفاً .
«سيعود رادبور بصورة نفق من ذاكرتيهما» . رفع وجهه صوب
الفتحة الوسيعة في قمة المعبد . هتف :
- ما النفق ، أيتها الريح ؟ .

توقف شاكد ، مطية كاشاجو ، بغتة . خمدت حركته .
خمدت حركة موكب سلطان زينافيرى بأجمع أجمعينه . سكونٌ
حجريٌّ غمر بهلله المنجمين ، والرسمات ، والمستشارين ، وأسياد
فرق المحاربين الثمانية ، وشاعريّ مجمع الذباب ، وحاملي بعض
متاع كاشاجو الدائم انتقالاً معه - أسلحته العظام متنوعة ، وأكياس
تحتوي عظاماً يجود بها على النساء في عبوره الأزقة إلى القصر ، أو
من القصر إلى الساحات .

ثبت كلُّ أحد من الجن في موضعه ساكناً لا حراك في عضو
من أعضائه : لقد خمدت الريح ، فجاءةً ، في إقليم زينافيرى .
لجّمت ، وكُبحت ، وغُلّت بطوق في عنقها عن يد ريح أخرى
تتبعها . إنه نظامٌ يستعرض متاهاته : ريحٌ تتقفى رياحاً فتُمسك
بها . تلجمها . تمرّغها في سكون صلب ، أجوف ، مختنق . تقفل
عليها خزنة أعمار الريح ، ثم تعصف هي - الريح الجديدة عصف
الأعماق الأكثر جموحاً - أعماق مراتب نشأة الريح .

في الوقت السكون من تعطيل ريح لريح ، يتعطل زمن الجن .
تتعطل الأجساد . تعطل الحركة . موكب كاشاجو استحال تماثيل
حيّة تنتظر الهبوب اللاحق لتسترجع وثباتها ، وأصواتها . لكن
المعبد لم يسقط بتمام هيكله في شراك السكون : هاكهايكسين
تحولت بين الجن المتجمّدي الهيئات . مرّرت كفها على الفراغ مراراً .

اشقت الفراغ بحففات من الرمل كأنما ترشق كائناً مآ . دارت حول
اللهسها .

لو كان في مستطاع المنجمة بونيا ، تلك البرهة ، أن تستعيد
سوتها ، بهبوب للريح الجديدة ، لارتعشت حبوراً :
- هايكا هيكسين هي شقيقة طيف الذئب الأبيض .

الفصل الرابع (تلخيص المحاورات)

وثبة وثبة صعد كاشاجو الأدراج إلى الطبقة العلوية من قصره ،
ترافقه سوك . أدراج من عظام متجانسة السطوح ، قوية ، زاده متانة
حبال جلد أحكمت رصّها .

من بهو القصر الشاسع ، الشبيه بجوف المعبد ، ترتفع تلك
الأدراج إلى الطبقة العلوية ، المقسمة جناحين ، تقطن أحدهما
الإناث اللواتي يؤجّرْنَ للاستنسال مقابل لخزائن كاشاجو ،
ويقطن الآخر شاعرا مَجْمَع الذباب ، وسط الأوعية والحقق الحجر
الشفيفة حُفرت أجوافها ، ومُلئت ذباباً من كل نوع . أوعية ، وحقق
كُثُر لا تُحصى ، بأغطية من جلد ، في كل مكان من الجناح ؛ على
رفوف ، أو في محاجر جماجم الحيوانات ، أو معلقة من أعناقها إلى
السقف بسيور جلد ، استودعت ذباباً صغير الحجم . لكن ذباباً
آخر ، كبيراً ، رُبط ، عند كل ثنية في الجدران ، بخيوط من شعر
طويلة ، متروكاً حراً يرفرف طوال عمره ، من دون أن يحط على أي
شيء ، حتى اليوم الذي يطلب الطالبون بعضه للاستنسال . أنواع
عديدة من الذباب في المجمع لا يأكل قط ، سواء منه المقيّد بالشعر
من خصره طليقاً ، والمحتجز في الأنية الحجر الشفيفة . ولأنواع
الذباب أثمان يدفعها طالبو الاستنسال ، لاتجاوز عظمة واحدة
مقابل ذبابة : عظام الجن السلاميات ، والأرساغ ، والرضفات ، وفقار

المنهر ، والترقوات ، مقابل ذباب أكثر رفعةً . وعظام حيوانات مقابل ذباب وسط الصنف ، وعظام طيور مقابل ذباب متواضع المحتد . ذباب المجمع لا يأكل . هو ذباب للاستئصال يحفظه الجن الذكور ، والإناث ، كل أربعين يوماً في أكفهم على التناوب ، قبل نقله الى الكرة الحجر الحاضنة .

تكاثف الطين أكثر كلما ارتقى كاشاجو ، وسوك ، الأدراج إلى الطبقة العلوية . طين ينتشر في البهو ، وفي تجاويف عظام الجدران ، دائماً يزاحم عذيف الريح ذاتها ، التي تنسكب من البوابة المفتوحة أبداً ، ومن الفتحات في جنبات القصر ، ثم يغور في الأعماق ، أسفل الرمل تحت البناء . كاشاجو وسوك قصداً إمتاع بصريهما بالمعروضات من خلائق الذباب في المجمع يستنسله الشاعران دُرَيَات من سَفَاد الأنواع المتخالفة ، بدرس متأن لخصائصها استخلصاه بنفسيهما أحياناً ، أو استذكراه مما نقل إليهما سلف منشئون لعلوم المزاوجات بحسب طباع الذباب .

في البهو ، أسفل الدرج ، كانت شيكتان تجول على الأرض الرمل للقصر ممتطية جنيتها نينيسو . ليس من عاداتها ركوب مطيتها داخل القصر ، لكنها منذ سماع أخبار الحفل الفخم لنقل الذبابة من كف كاشاجو إلى كف سوك ، لم تنزل عن ظهر مطيتها نينيسو . قلقٌ موحش صَفَقَ قلبها كثوب جلد في عصف الريح ؛ بل أبعد من قلق كان ذلك الضرامُ الملتهمُ أحفَةً قلبها بأسنان ذوات صرير . خَدَمُ القصر ، وسمَّار السلطان وزوجته ، تجنبوا النظر إليها جائلةً كالذباب العادي جائلاً في كل ركن ، لا يزعجه الجنُّ طرداً إن حطَّ على أي موضع من أجسادهم ، لكنهم لا يتناسلون بهذا الذباب قط . غمغمت شيكتان مراراً بأنصاف حروف مائلة في النطق ،

أدانتها مطيئتها نينيسو الغمغمات . خبطت مراراً بكفها على
سائرها استهواً لوعةً مما جرى ، فجارتها نينسو خبطاً على صدرها .
نان الحفل العُرام ، المترَف ، العميمُ البذخ ، الذي أقامه كاشاجو
بمناسبة نقل الذبابة ، بعد أربعين يوماً حَضْناً في كفه ، إلى كفِّ
سوك ، منتشرراً على كلِّ خلاء من الأرض حول مدينة إقليم
زينافيري ، وقراها ، بلوغاً أحفَّة الهضبة الحمراء .

تبلَّغ الجنُّ ، بعيدُهم من قريبهم ، مراسمَ الابتهاج . تواترَ نَقْلُ
ما جرى بأصوات سكيت أخبارها في جداولِ أصوات عَبَّرت بها
إلى أبعد التخوم . وصفُ عَمَمَتِه المبالغاتُ ، والتقديرَات ، مبنياً على
فخامة الموكب الجامع أسيادَ زينافيري كلهم ، ومصارِعي زينافيري ،
ومباهج الأطعمة عظاماً من عظام الجن ، والحيوان ، والطير .

شيكتان لم تحضُرَ مراسمَ نقل ذبابة كاشاجو إلى كف سوك .
إبنها ريكما لم يحضُرَ المراسم ، التي سارت بها الألسنةُ مع الريح
سائرةً بأقدامها الرمل وثباً كالجن . موكب كاشاجو تخيَّرَ العراء غرب
الأرض الوهدة المنخفضة قليلاً ، حيث اتخذَ صنَّاعُ مانعات الرياح
أركانها لبناء البروج السدود من جذوع أشجار واحة كيما . أحاط
أسياد زينافيري بسلطانهم برهةً نَقْلَ الذبابة من كف إلى كف . نفخ
كاشاجو آخر مرة على راحة يده المضمومة ، في مخاطبة صمت -
نجوى منه إلى الذبابة أن لاتخذل كفَّ سوك . رويداً رويداً فُتح كفُّه
داخل كف الفتاة . رويداً رويداً تلقَّفت منه سوك الحشرة الوساطة
إلى استئصال الجن من الجن في كُرَّة حجر .

أطبقت السماءُ ، فوق زينافيري ، على الأرض هياجاً صَحْباً
من ابتهاج الجن ، ومن الغناء همهمات سكبتُها حناجر النساء
سَكْباً ليئناً ، ومن نفير البوق الأوحِد ، المعلق إلى الشجرة العظام .

فَلَبَّ المِصَارِعُونَ بِأَقْدَامِهِمُ الرَّمْلَ فِي اسْتِعْرَاضِهِمْ بَرَاعَةَ الْقُوَّةِ . فَجَرَّوْا
الرَّمْلَ وَثْبًا ، بِاسْتِبَاكِهِمْ ، عَنْ غِبَارِ تَنْشَقُّهِ كَاشَا جَوْ وَأَرْهَاطُهُ الْأَقْرَبُونَ
فِي حَبُورٍ . أُطْلِقَتِ الذَّنَابُ الصَّفَرُ مِنْ أَقْفَاصِهَا فَسَابِقَهَا ، فِي
هَرُوبِهَا ، الْجُنُّ الصِّيَادُونَ الضَّخَامَ ، وَالْجُنَّ الْمَطَايَا . سَدُّوا الْفِرَارَ عَلَى
الذَّنَابِ حَلْقَةً . حَاصَرُوهَا . أَسْرَوْهَا بِأَيْدِيهِمْ . سَلَخُوهَا جَذْبًا مِنْ
جُلُودِهَا وَهِيَ حَيَّةٌ . مَرَّغُوا أَيْدِيَهُمْ كَثِيرًا فِي الرَّمْلِ ، بَيْنَ سَلَخٍ وَآخَرٍ ،
اتَّقَاءً مِنْ بَلَلِ الدَّمِ الْمَكْرُوهِ .

عَلَى بَعْدِ نِصْفِ قَفْزَةٍ ، وَرَاءَ ظَهْرِ كَاشَا جَوْ الْوَاقِفِ ، صَدَحَتْ
حَنْجَرَةٌ الْمَغْنِي تَارْتُوكَ بِغَنَاءٍ أَزِيذٍ خَيْطٍ مِنَ الصَّوْتِ يَمُوجُ خَافِقًا ، فِي
خَفَوَاتٍ مُوَحِّشٍ ، مِنْ مَلْعَبِ مَرَّاسِمِ الْحَفْلِ ، حَتَّى أَسْمَاعِ طَيُورٍ
لَا كَيْلَا الْعُمِّي مِصْغِيَّةً ، فَوْقَ الْهَضْبَةِ ، إِلَى مَنَشِدِ أَرْوَاحِ مَوَاتِهَا وَقَدْ
تَخَيَّرَ ، هَذِهِ الْمَرَّةَ ، أَنْ يُنَشِدَ لِلذَّبَابَةِ فِي كَفِّ سَوْكٍ .

كَاشَا جَوْ ارْتَأَى وَقُوفَ الْمَغْنِي ، وَزَوْجَتَهُ وَابْنَتَيْهِ الْعَارِيَاتِ الرُّؤُوسِ
مِنْ الشَّعْرِ ، خَلْفَهُ . أَرَادَ تَدْرِيبَ لِسَانِهِ عَلَى تَذَوُّقِ الْأَصْوَاتِ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَرَى الشِّفَاءَ نَاطِقَةً أَمَامَ بَصَرِهِ . مِنْذَ احْتِضَانِهِ ذَّبَابَةَ الْاسْتِنْسَالِ ،
قَبْلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، سَلَّكَ بِطَبَاعِ السَّمْعِ فِيهِ - هُوَ الْأَصَمُّ - إِلَى دُرْبَةٍ
خَذَلَهُ شَيْخٌ عَارِفٌ فِي عُلُومِ الصَّمَمِ عَلَى تَحْصِيلِهَا . كَاشَا جَوْ يَتَلَقَّفُ
الْكَلِمَاتِ بِلِسَانِهِ ، لَكِنْ بِتَوَجُّهِهِ بِصَرِهِ إِلَى مَجْرَى الْكَلِمَاتِ عَلَى
الْأَلْسِنَةِ . وَقَدْ مَنَّ نَفْسُهُ بِطَرِيقٍ آخَرَ لِلَسَّمَاعِ بِلِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى
الْمُتَكَلِّمِ . سَاءَلَ خَيَالَهُ ، أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ احْتِضَانِهِ الذَّبَابَةَ فِي كَفِّهِ ، لِمَ
لَا يَكُونُ لِلْكَلِمَاتِ الْمَذَاقُ نَفْسُهُ عَلَى لِسَانِهِ حَتَّى لَوْ لَمْ يَرِ لِلصَّوْتِ
مَجْرَاهُ الْأَخْرَسَ مِنْ أَفْوَاهِ مُحَدِّثِيهِ؟ مَا عِلَاقَةُ بِصَرِهِ بِتَمَكِّيْنِهِ مِنْ
التَّقَافِ الْكَلِمَاتِ وَاضِحَةَ الْمَذَاقِ عَلَى لِسَانِهِ؟ عَصَبَ عَيْنَيْهِ ، مَرَارًا
وَتَنَصَّتْ بِلِسَانِهِ وَحْدَهُ إِلَى بَزْوِغِ الصَّوْتِ فِي الظَّلَامِ مَذَاقًا . حَجَبُ

بصره حجبَ عن لسانه تحوُّل الأصوات إلى طعمٍ منطوق ، وحجبَ لسانه ، داخل فمه ، حجبَ عن بصره تحوُّل الأصوات إلى ظاهر يُرى . كاشاجو يعرف ، بالميزان العادي للصَّم طويلاً ، قراءة الشفاه إنَّ كانت على مرأى واضح من بصره . غير أنَّ قلبه حثَّ خياله على فصل ذلك التشارك بين لسانه وبصره في إنجاز القبض على كلمات مخاطبيه .

«مَنْ يجد لي مدرِّباً؟» ، سأل كاشاجو مَجْمَع بطانة القصر . كان مطلبُه عسيراً ، لا على الفهم ، بل على تصوُّر الأصم يسمع بلسانه من غير نظر إلى الأفواه . بل كان في مطلب كاشاجو مدرِّباً يفصل بين لسانه وبصره في التقاط الكلمات ، في حال كحال أصمِّ مثله ، إلماخ إلى رغبته أن يسمع الأصوات بلسانه ، لا أن يتذوق به الكلمات حين تُقال من شفاه واضحة في نطقها . أي أن يبرأ من صممه بمعجزة في التدريب .

نينيسو ، مطية زوجته شيكتان ، فاجأته ، بلا تأكيد جزم ، بخبر عن شيخ من الجن أصمَّ يسمع الريح بلسانه ، ويسمع به الرمل زاحفاً ، ويسمع قفز الجراد ، ويعرف من طنين الذباب عدده . ابتهج قلبُ كاشاجو . ابتهج بصرُ لسانه . جيء بالشيخ متوكِّئاً على عظام طويلة شدَّ بعضها إلى بعض بحبل . دخل عليه بهو قصره في رفقة نينيسو وثلاثة من أولاده . احتفى به سلطان زينافيرى . أوقفه حيث يقف عادةً قرب تجويف في الجدار الشمالي علَّقت إلى قرون حيوانات فيه أسلحته الكثر . لكن الشيخ ، ذا اليدين المتصاغرتين من نرف العمر ، انكمش بعد قليل من حضوره : «أتريد أن تسمع كلَّ هذا الذباب؟» ، سأل سلطان زينافيرى . «كالاخرين» ، ردَّ كاشاجو .

«لديك كُثر من الأعوان ، يا كاشاجو . هُم سمعُك . ألا يكفيك ذلك؟» ، ساءله الشيخ .

نقل كاشاجو بصره بين الشيخ وبين نينيسو . حدّثها بتساؤلٍ في النبر :

- ظننتُك جئتُ به ليدرّيني على سماع الأصوات من حيث أنت ، وليس ليمتحنني .

استدار الشيخ يهيمُ بالانصراف . ألقى كلماتٍ لم يرها كاشاجو :

- ما تعلّمته من سماع الأصوات بلساني لن يوافق طباعَ جنّي يحكم زينافيرى .

استغرب كاشاجو استدبارَ الشيخ له منصرفاً : «ماذا قال؟» ، صرخ . ردّ على نفسه : «قال شيئاً» ، وثب وثبةً عالية فاستقرّ قبالة الشيخ : - إلى أين؟ لم تعلّمني شيئاً بعد .

«ذاهب لأسمع آخر سخریات الجن القُزُم ، ذوي الأذيال ، من جن زينافيرى . إنهم ماكرون في السخرية» ، ردّ الشيخ .

حدّق كاشاجو إليه ملياً . غمغم :

- أليس من يسمع بلسانه وحده ، يستطيع سماع الأصوات عن بُعد شاسع؟

«تماماً» ، ردّ الشيخ . «وأنا لن أدرب حاكم زينافيرى على عذاب كذاك» . وثب وثباً ضعيفاً في المغادرة يحيط به أولاده .

«لن تغادر» ، صرخ به كاشاجو .

أرعى الشيخ يده عن عصاه . زفرَ زفرةً تناثرَ منها غبارٌ برتقالي . خرّ ميتاً .

أول ما فعله كاشاجو ، في عودته من الحفل العُرام قبل مغيب

ذلك اليوم ، أن اصطحبَ حاضنةً ذبايته سوكن في تجوال على مَجْمَع
الذباب . نفخت الفتاة نفساً لطيفاً على كفها في صعودها الأدراج .
نظرت إلى سلطان زينا فيري نظرة تفيضُ رضىً .

سوك نقلت متاعها - متاع الجن القليل عادةً إلى القصر :
سلاحها ، وثوبين ، وكيساً صغيراً من عظام جدتها . اتَّخذ لها
كاشاجو مقاماً في طيَّة ثنية من أحد الجدران . لا غرفَ في قصره .
شساعة مفتوحة الجهات بعضها على بعض ، من مدخل القصر إلى
أنحائه كلها . لكنَّ للجدران ثنايا غائرة ، بتصميم كالحراب في
المعبد ، يسكنها قاطنو القصر محجوبين واحدهم قليلاً عن الآخر .
بين الثنية الطيَّة والتي يجاورها مقدارُ قفرتين بُعداً . ومن يَكُنْ في
وسط أرض القصر يستطع رؤية كل الجاثمين في الثنايا المطاوي ،
على استدارة محيطه ، كأنما هم ، وقوفاً ، في نواويس واسعة واقفة ،
غائرة في الجدران .

شيكتان تقيم في ثنية إلى يمين مجثم زوجها ، وريكما إلى
يسار أبيه في ثنية من الجهة الشمال من محيط القصر ، فيما يقيم
الخدَّام ، والجن المطايا ، والسُّمَّار الدائمون ، والمستشارون ، في الجهة
الجنوب ، يرون مقام كاشاجو قبالتهم ، ويراهم كاشاجو قبالتهم ، في
البهو الشاسع ، الذي يصعد منه درجٌ إلى الطبقة العلوية ، حيث
مجمع الذباب ، ومقام النساء المؤجَّرات .

أوجب كاشاجو على مصممي قصره إضافةً ثنيةً ، طيَّةً ، لإقامة
سوك بينه وبين ابنه . خصَّها بمطية أنثى من الجن هي أخت مطيته
شاكد الضخم . علَّق على العظام ، في طية إقامتها ، جلدي ذئبين
أصفرين ، وأهداها حفنة من أسنان الموتى تقايض بها ماتشاء في
أسواق كاتراميل .

أحاديثٌ كثرُ جرت بين كاشاجو وسوك عن أصل ذرية الجن ،
التي أزمعا رُفدها بوريث ، منذ احتضن سلطان زينافيرى ذبابةً
الاستنسال . متكلمون كُثُرٌ ، من سُمّار القصر ، الموقوفو العقول
اختصاصاً على القوانين العريقة للنشأت ، تجادلوا في شأن الهيولى -
أم الكينونة قبل ظهور الجن . هُم خلقوا أنفسهم - يقولون ، لكن
باختلاف قليل في طريقة إيجاد الأم الأولى نفسها . أكثر المخارج
ثبوتاً في ذلك أن الأم الأولى كانت ذكاءً محضاً . ذكاء الجن سابق
لوجود الجن . ذكاء ذرات من الكون ذي الزوايا الثلاث . تخاطرت
الذرات - الذكاء . تكاثفت ، في تخاطرها ، على هيئة كرة متساوية
الأبعاد عن سمّت جرّمها . تدرجت الكرة من اللازم إلى برزخ
بين اللازم والزمن . تلاقحت ذرات السمّت فأنشأت نطفةً هي
قلب الجنية . نبض قلب الجنية أحدث الزمن الخاص بها منذئذ .
ثم استطالت الكرة في خروج على هيئتها الدائرية . انبثق رأس الأم
الأولى في الهيئة الجديدة . أنبثقت ذراعاها . مشت على ذراعيها
إلى المكان الظاهر بأبعاده في الزمن الخاص بها . مرّ بها سربُ جراد
قفزاً فألهمت نفسها ابتكارَ رجلين كالجرادة ، وباتت تمشي وثباً
مثلها . مرّ بها ذبابٌ منشدٌ فالتقطت ذبابةً أطبقت عليها
كفّها . أنسها طنينُ الذبابة أربعين يوماً في كفها اليمنى تنفخ عليها
كلما هدأت ، ثم نقلتها إلى كفها اليسرى أربعين يوماً . أراحت يدها
من حمل ذبابتها الأنيسة فأودعتها ثقباً في صخرة كُرة . سدّت
الثقب ثمانين يوماً ، فإذا الصخرة تنفلق عن جنيّ ذكر ، دار من
حولها وثباً ، ناطقاً بلغات الذباب أولاً ، فالجراد ، ثم بلغات كل
كائن صادفاه بعد ذلك ، في المكان الموقوف على الزمن الوليد من
النبضة الأولى في قلب الجنية الأم الأولى .

تبادلت الأم الأولى ووليدها الأول الذبابَ حصناً في أكفهما
وساحةً لاستئصال من الكرة الحجر . كثرَ الجنُّ على كثرة الذباب .
لكنَّ لم يستقيمَ لهم ، قطُّ ، تأويل أن يرثوا أرجلَ الجراد ، لأرجل
الذباب الوسيط إلى نشوئهم .

دارت سوك ، وكاشاجو ، على مَجْمع الذباب هادراً بطنينه ،
يصحبهما الشاعران داميكو ، وتوكا الصامت . عرضا عليهما أوعيةً
من الحجر الشفيف بوصف في خصائص الذباب فيها . عرضا
عليهما الذبابَ الطليقَ مربوطاً بخيوط شعر من خصر كل ذبابة .
لمس كاشاجو كتف توكا : «لماذا لا تتكلم؟ بي فضول إلى تذوق
كلمات منك بلساني» ، ساءله ، فردَّ داميكو على عجل :

- هو يتحدث بالهمهمات من غير كلام ، ياكاشاجو .

«ذلك ليس كلاماً» ، عقَّب كاشاجو . أمسك بعضد الفتاة :

- ماذا تفهمين من صوت بلا كلمات ، ياسوك؟ .

«نفهم الإشارات فيها» ، ردت سوك .

«همهم ، ياتوكا» ، أمرَ كاشاجو الشاعر الآخر في مجمع

الذباب ، فانطلق توكا بهممة متصلة ، مختنقة ، من فمه المغلق .

«ماذا فهمت منه ، ياسوك؟» ، سأل سلطان زينايري الفتاة .

«مُدَّ لم أفهم شيئاً منه فهمتُ كل شيء» ، ردت سوك بتلاعبٍ

في جوابها .

تعمد داميكو الوقوف ، سُرَاعاً ، قبالة كاشاجو ليمكِّنه من رؤية

فمه متكلماً . فسَّرَ حالَ توكا بما هداه إليه خياله المرتجل :

- توكا لا يردُّ إلَّا إن سُئِل . ومن يسأل توكا سؤالاً على

التخصيص يحصل على هممة على التخصيص . إنَّ فهمَ السائل

كان ذلك جوابَ سؤاله ، وإنَّ لم يفهمه كان ذلك جوابَ سؤاله .

حدّق كاشاجو إلى توكا . هزّ رأسه :

- علومُ الهمهمة عويصةٌ على أمثالي .

«هذا علمُ الطنين» ، عقّب داميكو . أشار بيده إلى ذبابة
الليقة ، محلّقة في رباطها الشّعرة ، بيضاء الأجنحة سوداء الجسم .
- قرب هذه الذبابة أشرقّت عليّ رؤيا ، ياكاشاجو .

ما يتخيل الجنُّ إمكانَ حدوثه ، بصناعة قصْد من خيالهم ،
إرادياً ، يُعتمدُ رؤى في التصنيف . الرؤيا عندهم هي كصناعة حلم
إراديٍّ تماماً ، عن تصوّر وتصميم ، في يقظتهم الدائمة مُدْهمٌ
لا ينامون . يؤلفون خواطرهم المتناثرة ، ويرتّبونها وفق صنوف
الرغبات ، والهواجس ، والتكهنات ، والتنبؤ . وإذا يتم تنسيقها
تنسيقاً قائماً بذاته كفكرة معقولة ، يسمونها رؤيا . داميكو مكّن
خياله ، في يوم مضى من وقوفه قريباً من الذبابة البيضاء
الجنّاحين ، من تأليف خواطره المتناثرة ، ورصّها ، في نظام فكرة لها
مسّ القلق بقلبه . وقد باح لسلطان زينافيرى بحدوثها ، في اللحظة
تلك ، فأثار فضول كاشاجو :

- توسّع . مارؤياك ؟ .

«كنت واقفاً ، مستنداً بظهري إلى ساق شجرة في واحة
كيما» ، قال داميكو ذو الأذن اليسرى الممسوحة . «أحاط حبلٌ
بعنقي فجاءة . اعتصر الحبلُ رقبتني جذباً شديداً إلى ساق الشجرة
حتى انفصل رأسي عن جسدي» . توقف متلمساً استطراداً بدفاع
عن نفسه : «لم يخطر ببالي ، ياكاشاجو ، أن يفعل ذلك بي أحدٌ .
لم أسعُ إلى أحد لينتقم مني» .

«أكمل رؤياك» ، قال كاشاجو ، فعاد الشاعر إلى سردها :

- سقط رأسي متدحرجاً على المنحدر الرمل تحت الشجرة .

الذي ، بني ، في التدرج ، نصف وجه الجنى الذي قطع رقبتى
البل ، ظاهراً من جانب ساق الشجرة ، فيما بقي النصف الآخر
وجه محتجباً . لقد عرفته ، ياكاشاجو . إنه كُوتياك .

«من؟» ، سألته كاشاجو ، فردّ داميكو :

- شريك أُمى في الذبابة التي كانت وساطتهما إلى مولدى
من كرة حجر .

داميكوليس من مواليد الحجر الحاضن في إقليم زيناڤيري . هو
من نسل قبيلة تُونسو ، التي أبادتها قرود براري هيهمو . سنونٌ
عجافٌ أطلقت القروء هائمة تغزو كلَّ أرض تتحصّل فيها طعاماً ،
فلا تفرّق بين نبات ، وجن ، أو حيوان في تلك الأرض . مزقت
الأجساد بأنيابها الذهبية . قوّضت البيوت العظام قفزاً على
سطوحها ، واجتياحاً لدواخلها بحشود هُوج . داميكو يكره الحمرة إذ
تذكره بعيون قرود هيهمو ، ويكره الرماديّ الغالب في الجن مُدّ
القروء رماديات ، ويكره الذهبىّ إذ أنيابها ذهبية ، ويكره الزرقة مُدّ
أقدامها زرقٌ كثوب هايكاهيكسين ، الذي لم يثر فيه اضطراب
الذاكرة من صور الخراب في إقليم قبيلة تونسو ، حيث سُوي
عمرائها بالرمل ، والتُّهْمَت حيواناتها القنائص يحفظونها حية
للأعياد ، كما التُّهم لحمٌ جنّ تونسو - اللحم الأكثر جفافاً بليفه
وعصبه بين لحوم الجن .

نجبا داميكو . زعم أنه ، وأمه ، ومطيّتها الأنثى شاتيئك ، هم
وحدهم الناجون من إقليم تونسو . مطيةٌ أمه أردفتها على ظهرها
وهو طفل بعد ، وشقّت الأرض وثباً هرباً ، ناجية بهما ، لكنّ
بندوب طويلة في ذراعها اليمنى ، من مخالب واحد من قرود
هيهمو تتبّعهم حتى التخوم الأخيرات من أرض الإقليم .

كان داميكو معتصراً بين ظهر المطية وصدر أمه ، بوجه إلى الورا . رأى الحقد - بإقتداره على مقارنات الأحقاد وقد كبر - كأنه من عزم منتقم وقد وافته الفرصة . كان حقدُ القرد حقدَ طالبٍ ثارٍ منتقم . ولما نجت مطية أمه براكبيها منه ، تمرغ القرد لوعةً في الرمل . حثاً الرمل على رأسه غيظاً كغيظ الموتور . صرخ فاتحاً شذقيه حتى نلن داميكو أن فكّي القرد قد انخلعا من اتساع فمه . وهو لم يزل ، بعد سنين التيه الإحدى عشرة في صحراء رأموس ، يحمل من دوي صرخة القرد أزيزاً في باطن أذنه اليسرى المفقودة ، منذ وُلد من جوف الكرة الحجر .

بعد إحدى عشرة سنة من سنين الجن ، وصلت مطية أم داميكو بهما إلى نخوم إقليم زينافيرى ، وقد كبر داميكو . كوكبة من صيادي فهود البوابات الرملية ، يسير بهم عميد المحاربين ماياكي ، عثرت عليهم منهوكين من قلة الزاد العظام ، مذ لم يتمكنوا ، بسبب إرهاقهم ، إلا من صيد بعض اليرابيع العُمي الليلية الظهور . لقد مروا بالبوابات الرملية ، التي هي صخور رمل ، منتصبه أعمدة كأنها مداخل إلى أقاليم الجن المحجوبة ، حيث موائل الفهود البيض المخططة الجسوم دوائر رمادية على كل عضو فيها . لكنهم تجنبوا أن يصيدوا منها خوفاً ، مذ ظلوا ، حتى يوم عثور الكوكبة الصيادين عليهم ، لاسلاح معهم إلا عظمة محدبة في يد أمه ، زعمت أنها من كتف الحيوانة الزرافة ، التي لم يحظ داميكو برؤيتها قط .

توكل ماياكي نقلهم إلى حديقة مسكنه الفاره ، الحاط بسائر من الرمل يصل ارتفاعه إلى خصر جنىً طويل . سائر تقوؤص منعتة الريح فيعاد ، كل صباح ، ترميم معصوفه . راتو ، مطية ماياكي ، يتخذ ركناً من الحديقة ، التي تنتصب فيها تصاميم عظام ، مسكنا

من بناء عظام عالي السقف المغطى بجلود أراوي واحدة كيما وفرونها . في الحديقة خمسة أقفاص وسبعة الدوائر ، يحفظ فيها عميد محاربي زينايري ذئابه الصفر بهيئة ، مرفهة في طعامها من لحوم الحيوانات القنائص ، حتى مواسم الأعياد ، أو مايطراً من أعياد ليست في الحسبان . وقد أضاف البنّاؤون إلى الركن ، قريباً من راتو ، مسكناً آخر قطنه الشاعر ، وأمه ، ومطيتها .

لم يخصّ ماياكي الشاعر بعطفه ، إسكاناً له في حديقته ، لولا ذلك الحنق الذي بدّر من داميكو ، في الطريق إلى أواسط زينايري ، بعد العثور على ثلاثتهم ، وهو يصنّف كل ذبابة عبرت بكوكبة الصيادين .

وصفّ داميكو لعميد الحاربين طبائع الذباب ، وحيل الذباب ، وانجذاب الذباب بعطفه إلى بعض ، ونفور بعضه من بعض ، ودوائر تحليقه ، وسرعته ، ومقدار الطنين في أجنحته ، وعدد مرات تنظيفه لخرطومه بعد الأكل ، وقبل الأكل ، وأثناء الجوع . طوال أربعة أيام من أيام الجن ، في عودة الصيادين بفهدين حيين مغلولين ، لم يتوقف داميكو عن عرض علمه على ماياكي . لقد تحصّل للشاعر مران الملاحظة ، والتوثيق بخياله ، إحدى عشرة سنة من تيههم في صحراء راموس ، بملاعبته الذباب الكثيف ، ومتابعته ، تعويضاً عن عزلته طفلاً ويافعاً ، في صحبة امرأتين قلقتين ، لم تحتسا نفسيهما في تكرار التخمين عن أحوال إقليم تونسو المنكوب ، وأبيه المفقود ، بل تولّاهما هاجس واحد هو النجاة بداميكو إلى أمان من أقاليم الجن الأخريات .

بالّ داميكو لم يكن كباليهما الممزّقين . منحَ حظوة الطعام كاملاً من عظام اليرابيع العُمي على قلّتها ، فنشأ منصرف النفس

إلى مطابقات في أجناس الذباب ، وأنواعه ؛ وإلى توثيق طباع
الريح ، ومزاج الرمال بصوت طنين هو وحي الشعر إلى خياله صوتاً .
نظم الأشعار في صبر أمه وجلدها ، وبأس مطيئها شاتيك
واحتمالها ، وعزيمتها ، وشدة عريكتها . نظم الأشعار ببصر جاب
المخلاءات ، والأعراء ، والقفار المتراميات موحشة بعويل فراغها . قلد
الذباب نظماً . قلد الرمل ، والريح متخاطبين أبداً بنزف من جرح
نشيدهما الواحد .

داميكو ، في الطريق إلى أواسط زينافيرى مع الكوكبة
الصيادين ، نظم شيئاً من امتنانه لهم بالصوت الموحى طينياً على
خياله ، فأنجزت المصادفة تصديق خيال ماياكي على الحكم في أمر
داميكو : «شاعر» ، ومكلم ذباب أنت . ستفوز بمجد في قصر
زينافيرى» .

كان ثلاثة شعراء يديرون مجمع الذباب ، في جناح من قصر
سلطان زينافيرى . فرأى أحدهم مذ تلقف من عقل ماشفير المنتشر
منطق العود بالجن إلى فرط جموعهم على المهجورات فرادى . مات
ثان من تصاغريديه حتى اضمحلّت من نرّفه عمره . بقي واحد هو
توكا الصامت ، الجّهّذ في تقدير المتوافق من طباع طالبي
الاستئصال وطباع ذبابة الوساطة إلى الاستئصال ، فور دخول
الطالبين إلى المجمع . وها وفرت المصادفة الهادية شريكاً لتوكا ، مذ
توسط ماياكي إلى كاشاجو في أمر الشاعر : «له ذاكرة السجل
الحافظ ، ياكاشاجو» ، قال عميد المحاربين لسلطان زينافيرى . «اسأله
عن أيّ ذبابة وسيكون مخبرك عنها كأنه شقيق الذبابة . اسأله
نظماً من الشعر . هو من حذق الوحي الطنين» .

بعد عام واحد من انضمام داميكو إلى مجمع الذباب ، فاضت

روح أمه غباراً يرتقالياً من منخريها وفمها ، وهي تردّد في وهن اسم
زوجة المفقود ، فوهب شاتيك ، مطية أمه ، باتفاق معها ، هدية إلى
زوجة ماياكي الطويلة ، المفرطة طولاً ، تايّتون الزرقاء الصفائر .

نظر كاشاجو طويلاً إلى داميكو يوم سرد عليه الشاعر رؤياه عن
أبيه ، قبل أن يحوّل بصره إلى رفيقته في التجوال على مجمع
الذباب سوك . ساءلها :

- أتصنعين رؤى؟ .

«أحياناً» ، ردت سوك ذات الصفائر الأربع معقودة النهايات كل
اثنتين معاً .

«أتصنعينها مفزعةً ، أم هائثة؟» ، ساءلها كاشاجو ، فردت
سوك :

- أصنعها عن معركة . معركة واحدة كبيرة لاتنتهي . أظّل
استرجعها فأضيف إليها ، أو أنقص منها . لكنها هي ذاتها ، كبيرة
يتلاقى فيها محاربو أقاليم أرض الجن ، وأقاليم الأعالي السيّارة
المحتجة .

«أستعرضين المعركة بتمامها على هذه الشساعة اللانهائية؟» ،
ساءلها كاشاجو بنبر فضول ، ومستلطف .

«أستعرضها هائجةً أحياناً . متراخية أحياناً . صاحبة ،
وصامته . إنها المعركة التي تتهيب النظر إليها كل معارك الجن
السابقات في أقاليم الأرض وأقاليم الأعالي» ، ردت سوك . أضافت
تمتمةً كأنما تؤكد لنفسها مالا ينبغي أن تغفل عنه : «إنها معركة
كبيرة كما لم يحدث مثلها قبلاً ، ولن يحدث مثلها في آتي أعمار
الجن» .

«كيف تتمكنين من حصر رؤياك المعركة هذه بصناعة من عقلٍ

١٠١-١ ، «ياسوك؟» ، ساءلها كاشاجو ، فردت الجنية الفتاة :

أستطيع حصرها بالتحديد لأنها كبيرة .

غمغم كاشاجو يتأول ردها المتقلب في منطقه . أدار وجهه على
: «عربي مجمع الذباب . نضنض بلسانه : «أقلتما شيئاً؟» ،
...الهما .

«لا» ، ردّ داميكو .

«عليكما أن تقولاً شيئاً في أمر معركة رؤيا تجري في مكان
لا نهائي» ، قال كاشاجو .

«لم أشهد معارك» ، قال داميكو . «شهدت غزو قرود هيهمو
لإقليم تونسو ، لكنها لم تكن معركة . كان الجن لا يجابهون ،
ولا يفرون أيضاً ، بل يجمدهم الفزع فيستسلمون للقرود تلتهمهم .
وحدها المطية شاتيك نجت بنا هرباً» .

ارتعشت قلادة كاشاجو على صدره من نبضتين تلاحقنا فراراً
من قلبه على ذكر داميكو قرود هيهمو . عاد ببصره إلى الفتاة
المحاربة ، حاضنة ذبابة الإستنسال في كفها . ساءلها :
- ما المعركة الكبيرة ، ياسوك؟ .

«هي المعركة التي يتضاءل فيها الهلع» ، ردت سوك .

قلب كاشاجو عينيه الحجريتين على أرجاء مجمع الذباب برهة
يزن فيها جواب سوك . ارتجل سؤالاً لم يتوسّله مُتَقَنّاً :

- أنتظرين إلى هيكل الإله كوياسي حين تستنزلين على قلبك
هذه المعركة الرؤيا؟ .

غلب التساؤل على عينين سوك الصغيرتين ، وهي تنقر بأناة
يدها اليمنى الطويلات على سلاحها العظم الترقوة في حزامها .
ردت :

لا أنظر إلى أحد حين أصنع رؤيائي . أيلهم الإله كوياسي
صناعة معركة رؤيا؟ .

«لا أعرف» ، ردّ كاشاجو . استدار إلى داميكو :

- أيسلهم شعراء مَجْمَع الذباب من الإله صناعة حُكْمهم في
سلوك الذباب؟

«لا نستلهم ذلك من أحد» ، ردّ داميكو . «عِلْمُنَا ليس رؤيا
نصنعها . عِلْمُنَا بالذباب صُنْعُ نَفْسِهِ» .

«مَنْ كَانَ إِلَهُكُمْ فِي إِقْلِيم تونسو ، ياداميكو؟» ، ساءله
كاشاجو ، فردّ الشاعر :

- كان لنا إله تائه ، ياكاشاجو . لم يعثر شعبُ تونسو عليه
حتى يوم فنائه مُلْتَهَمًا .

تأملت سوك ذبابة مربوطة بخيط شعر ، محلقة في طنينٍ
خافت ، فتأملها الثلاثة الآخرون . ساءلّتهم مستديرة بوجهها إلى
توكا تحديداً :

- أَلْعَتْنَا ، في زيناڤيري ، هي لغة الذباب حقاً؟

همهم توكا . أشار بسبابة يده اليسرى إلى أذنه .

«ما إشارة توكا هذه ، ياداميكو؟» ، سألت سوك الشاعر ، فردّ

داميكو بسؤال عليها :

- ماذا يخطر ببالك الآن؟

«لا شيء على التحديد . بل ربما وجودنا جميعاً هنا» ، ردت

سوك ، فعقّب داميكو :

- هذا ، تحديداً ، ماتقوله الذبابة هذه .

نضنض كاشاجو بلسانه ، مبقياً بصره على داميكو . ساءله :

- أَتَصْنَعُ رؤى؟

«كالجن جميعاً»، ردّ داميكو .

عاجلت سوّك سلطان زيناڤيري بالسؤال ذاته إذ مالت بوجهها
فأبته ليراها متكلمة :

- أَتَصْنَعُ أَنْتَ رُؤْيًى ، يا كاشاجو ؟

قرب سلطان زيناڤيري رأسه من سوّك حتى كاد يلامس عينيها
بهمسها بصوته الحجر :

- إقْلِيمَ زيناڤيري هو رؤْيَاي .

كصعودهما الأدراج وثباً هيناً إلى مجمع الذباب ، نزل كاشاجو
وسوّك الأدراج إلى بهو القصر الكبير ، بعد جولتهما على كمائن
العنّين المسموع واللامسموع ، فعجّل إلى لقائه مطيئته شاكد .

توقف كاشاجو عند آخر درجة ، فتوقفت سوّك من ورائه .
استدار إليها : «ستكون لك مطيئة» ، قال . «سأهبك أخت شاكد» .
نزل الدرجة الأخيرة . «أين أختك ناكولي؟» ، سأل مطيته ، فردّ
شاكد :

- هي في صيد .

«ستكون ناكولي مطيئة سوّك بعد اليوم» ، قال . وثب نصف
وئبة منضنضاً بلسانه ، وهو ينظر بتحديق صارم إلى زوجته شيكتان
على ظهر مطيتها ، تجوبُ ركناً بعيداً من أبهاء القصر المحيطة بالبهو
الكبير . «منذ متى يركب الجن مطاياهم وهم في القصر؟» . غمغم
في زئير مختنق : «ما بها؟» . أدار عينيه عنها إلى أرهاط من سُمّاره ،
وخدمه ، متناثرين فرادى ، أو مجتمعين أنفاراً قلّة بين نهود الرمال
المغطاة بجلود الذئاب الصفراء في أرض القصر . أثبتتهما على ابنة
ريكما في رهط من أبناء سادة الفرق وبناتهم المحاربات . اتجه وثباً
إلى الطيئة الغائرة ، الواسعة ، التي تخصه في الجدار الشمال .

بأنسلاخ كبار مقوَّسات ، تحتوي قاطنَها وتحجبه عمَّا يجاوره .
أبصرته شيكتان . حثَّت مطيَّتها نينيسو على اعتراضه قبل
دخوله الثَّنية المقوَّسة الغائرة . صارت قبالتة . خاطبته وهي تنظر
بلحظيها إلى سوَّك :

- هل صارحك داميكو برغبته أن تكون هايكاهايكيكين
شريكتَه في ذبابة استنسال؟

«لم يصارحني بعد بشيء من هذا» ، ردَّ كاشاجو . أردف : «ما
الحماقة التي تغويه بذبابتها الحمقاء؟» .

ظلت شيكتان متطلعة إلى سوَّك من لحظها . كلَّمت زوجها
بنبر فيه مذاق الكيد :

- لماذا لا تشارك هايكاهايكيكين ذبابة استنسال ، ياكاشاجو؟ .
لمس كاشاجو بيده اليسرى العصابة الجلد طوَّق رأسه محيطَةً
بالضفائر . ردَّ :

- إن فعلتُ أنا ذلك ، وليس داميكو ، لن يعود الأمرُ حماقَةً
ياشيكتان . سأفكر في مقترحك .

حدَّقت شيكتان مباشرةً ، وليس لحظاً ، إلى سوَّك . ساءلتها :
- ألا توافقيني؟

أدارت سوَّك بصرها نصفَ دورة على أبهاء القصر المتصلة .
ردت على غير ماتوقعته زوجة سلطان زينايري :

- سيكون بهيجاً أن تقيم هايكاهايكيكين في حديقة القصر .

كان التوسُّع لإقامة الأنثى الآدمية في المعبد يجري بتدبير من
المنجمة بونيا ، التي راكمت جلود حيوانات مهملةً بعضها فوق
بعض كفراش داخل الحراب ، مُدُّ ألقتْ نزيلَ معبدهم تنام كل ليلة
متكومةً على الأرض الرمل . وفي علم بونيا ، كسائر الجن ، أن

الطيور ترقد في أعشاش ، وتتخذ البهائم مجاثم لها على العشب في الواحة حين رقادها . وقد تدبرت الأمر للأنثى الآدمية على تشابه بين فراشها ومجاثم الحيوان وأعشاش الطير . رُتبت مشجباً من قرني ثور تعلّق إليهما هايكاهايكسين قربتها ، وكيس مؤنتها من الفاكهة . فصلّت لها ثوباً من جلد أروى بلا كمين ، قصيراً حتى ركبتها ، لأن بونيا لم تجد ، بالطبع ، جلد قريب من أقرباء الأنثى الآدمية تفصله ثوباً لها ، مُد هي وحيدة نوعها الحثير . وضعت حوض الماء الصغير الحجر على قاعدة من جلد مليء رملًا ، وعلقت بالسيور الصور المنجزة وثقتها أيدي ثلاث رسامات بألوان رمادية على الصفايح الأحجار السود ، إلى جوار صور الآباء المنجمين الأوائل . أما اللوح الرابع ، الحاضن شكل هايكاهايكسين منجزاً عن يد رابعة الرسامات حفراً غائراً في حجره ، فقد أثره كاشاجو لنفسه ، فعلقه إلى جوار أسلحته المعلقة في الطية الغائرة من الجدار الشمال للقصر - الطية المجثم يأوي إليها في هدأته اليومية ساعة ، واقفاً فيها قبالة مجاثم ساكني القصر الآخرين في الجدار الجنوب ، حيث البوابة الكبرى بلا حرس ، مفتوحة أبداً على الحديقة المترامية تُسورها قرون حيوانات شتى ، وجماجمها العظام .

هايكاهايكسين جعلت ثوبها الأزرق البالي ، بعد فتق لبعض جوانبه ، ستارةً واطئة على باب المحراب استغربها المنجمون ، أول الأمر ، ثم ألقوها ، كما ألقوا ذلك النازع الغامض فيها إلى أكل الجراد ، بين وقت وآخر منذ اليوم الأول إقامة لها بينهم . بل صارت بونيا ، نفسها ، تتقصّد صيد الجراد الكبير وثباً عالياً إن طار . جرّاد كثير في أرض زينافيرى . جرّاد كثير يدخل المعبد من بوابته ، ويخرج محلّقاً من القبة المفتوحة في علياء سقفه ، أو يدخل من

القبة ليخرج من البوابة ، بعد زحف على الأرض الرمل ، فيتقَرَّى
المنجمون تعاريج أثره بأبصارهم ، ويتنشقون في الأثر ، بمناخيرهم
الثقوب ، ما يخالونه تدويناً نقشاً لتواريخ أقاليم الجن السيّارة وراء
حجاب الأعالي .

بونيا باتت الأقرب إلى الأنثى الآدمية برعايتها ، والخروج بها
من المعبد إلى أزقة مدينة زينافيرى ، والقرى المحيطة بالمدينة كسور .
وقد حاولت ، مراراً ، تلقينها المشي وثباً من دون جدوى .
هايكاهيكسين جارت بونيا في وثب قصير بضع مرات لا غير ،
راجعة ، من ثم ، إلى مشيها العادي بنقل قدم إثر قدم ، أو ركضاً
أحياناً وراء جرادة لا تقدر بونيا تقليدها فيه .

دام الأمرُ للأنثى الآدمية وقتاً في إقامتها مع المنجمين ، حتى
اليوم الذي جاءهم شاكد من غير راكبه ، ترافقه أخته ناكولي وقد
امتطتها سوك .

«سأخذ هايكاهايكسين إلى حديقة القصر . هذا طلبُ
كاشاجو» ، قالت الفتاة المحاربة .

لم يكثرث الثلاثة الذكور من المنجمين كثيراً لبقاء
هايكاهيكسين أو رحيلها عن المعبد إلا بونيا . زارتُ مصدومةً : «لم
يزرُ جنُ زينافيرى معبدنا قبل إقامة هايكاهايكسين معنا» . استلقت
بصدرها على الأرض الرمل . زحفت كالجرادة . تنشّقت غباراً أثارت
براحتي يديها ضرباً على الأرض . ألصقت عينيها بالرمل وتكلمت
نفخاً : «لماذا أنتم ساكتون؟» ، ساءلت المنجمين بنهر توبيخ .

«إنها رغبة كاشاجو» ، ردّ خاميدس تذكيراً لبونيا بسلطة
سلطان زينافيرى .

«مارغباتنا نحن منجمي زينافيرى ، إذا؟» ، تساءلت بونيا بزفيرٍ

من منخريها الملامسين - أو يكادان - صفحة الأرض ، فنفر الرمل
من نفخها .

«رغباتنا متعلقة بالمعبد ، وإدارة الأحكام في وصف كون الجن
في الزوايا الثلاث ، يابونيا . أمّا ما يرغب فيه كاشاجو فهو
الكاشاجو» ، ردّ توهتو .

«لماذا نحن منجمون؟» ، تساءلت بونيا ناهضةً على ساقها -
ساقى الجرادة .

«لا وضوح قط . مامن وضوح في الوجود ، لذا نحن منجمون» ،
ردّ خاميدس .

دارت سوك بمطيتها من حول المنجمين يجادلون في ما لا تعرف ،
ثم توجهت إلى المحراب . نزلت عن مطيتها . رفعت الستارة - الثوب
الأزرق عن سلوك بصرها إلى الفراش الجلود جلست عليه
هايكاهيكسين . حدّقت طويلاً إلى الأنثى الآدمية ، التي بادلتها
تحديقاً من عينيها البلورتين الخجولتين . نهضت سائرة صوب سوك .
لمست ضفائر الفتاة المحاربة الأربع ، المعقودة النهايات كل اثنتين معاً .

يد سوك لم تبارح الستارة ممسكةً بحواشيها بين أناملها .
تحسّست القماش متأوّلةً ، بخيالها ، ذلك النسج الغامض الذي رأت
الأنثى الآدمية ترتديه قبلاً . تمتعت كأنما تكلم نفسها : «من صنع
لك هذا الثوب ، يهايكاهيكسين؟» . تراجع ربع وثبة . فكّت
أطراف الستارة المعلقة بسيور إلى عظام في مدخل المحراب ، ثم لفّت
كتفها بالقماش الأزرق . ضمت أطراف ما كان ثوباً ، سابقاً ، بيد
إلى صدرها ، وأمسكت بالأخرى بيد الأنثى الآدمية ، الوديع .
انقادت هايكاهايكسين مشياً وراء سوك ، التي أبطأت في الثوب ذي
لاتريك مشيها .

هرع شاكدُ إلى سوكن . حمل هايكاهايكنين بين ذراعيه
الطويلتين : «سأعود لأجمع متاعها» ، قال للمنجمين .

زأرت بونيا من جديد . حدق إليها المنجمون لا يفهمون
لوعتها . حدقت هي إليهم ، بعد زئيرها ، لا تفهم تساهلهم في
التخلي عن هايكاهايكنين .

قبل بلوغ سوكن ومن معها بوابة المعبد بنحو وثبتين ، لا أكثر ،
دخل الشاعر داميكو بوثة منشركة المقدار . بهت إذ رأى الأنثى
الآدمية بين ذراعي شاكد . توجس ربة فتلوت على جبهته الخطوط
الثلاثة الوشم ، المستقيمة أفقياً .

«إلى أين تأخذون هايكاهايكنين؟» ، سألهم بصوت مبعثر
الطين .

«إلى حديقة القصر» ، ردت سوكن بصوت بارد ، مبدية امتعاضاً
من اعتراضه خروجهم .

رفع داميكو وعاءً حجرياً صغيراً ، شفيفاً ، أمام أبصار الثلاثة .
نقر بإصبع على جداره : «أترون ذبابتي؟» ، تساءل بنبر متوسل .
«لقد جئتُ إلى هايكاهايكنين بذبابة تخيرتها ، بعناية علمي ،
للاستئصال» .

مطت سوكن شفرتها السفلى استغراباً . سألته :

- هل استشرت كاشاجو؟ .

«جئتُ أعرض الذبابة على هايكاهايكنين أولاً . جئتُ كي
أقنعها» ، ردّ داميكو . جال ببصره المرتاب على وجوه الثلاثة : «كنتُ
مزماً ، بعد إقناع هايكاهايكنين ، على مكاشفة كاشاجو بأمرى» .
«ماذا تعني من أنك ستكاشفه بأمرك؟» ، سألته سوكن ، وقد
لحظت أن سوء فهم يخالط محاورتهما .

«سأشارك هايكاهايكسين ذبابة الاستنسال هذه» ، قال داميكو
و يشير إلى الوعاء الشفيف .

غمغم شاكد بنبرة استخفاف . سأل الشاعر قبل أن تهمّ سوك
ومع الشاعر في خبر صاعق :

- بأية لغة ستُقنع هايكاهايكسين ، ياداميكو؟
«بالأشعار ، يا شاكد . لقد نظمتُ الكثير على تسعة عشر
معنى . قد تفهم هايكاهايكسين أحدها» ، ردّ داميكو .

وضعت سوك يدها ، من فوق ظهر مطيتها ، على قُلّة رأس
الشاعر . خاطبته بصوت لا يخامرهُ إلاّ وضوحه :

- لم تفهم بعد ، ياداميكو ، أن هايكاهايكسين باتت في
نصرف كاشاجو بحديقته .

«لا يهم» ، ردّ داميكو غير مستوعب توضيحها . «ستكون
هايكاهايكسين أقرب إلى مجّمع الذباب» .

مدت سوك ذراعها الطويلة إلى يد داميكو المرفوعة بعدد بالوعاء
الصغير ، الحجر الشفيف ، تتخبط فيه ذبابة بجناحين ذهبيين ،
ورأس متوقّد كشراة من نار : «هات الذبابة» ، قالت . «كاشاجو
سيشارك بها هايكاهايكسين في الاستنسال» .

خارت ساقا داميكو - ساقا الجرادة . ارتعشتا . ارتعشت يده
بالوعاء الشفيف وهي تتراخى كأنما تنوء بثقلٍ كثيبٍ من رمل
زينافيري . زأر بصوت محتبس تساقط من حنجرته على قلبه .
أرسل الكلمات رخوةً :

- أنا أردتُ هايكاهايكسين أولاً .
«ها كاشاجو يأخذها أولاً» ، ردت سوك وهي تختطف وعاء ،
الذبابة من يد داميكو . حثّت مطيتها ناكولي لكزاً ، فأزاحت ناكولي

بكتفها القوية الشاعرَ من طريقها . لكنَّ ثلَّةً من النساء احتشدن داخلات إلى المعبد بشعورٍ منتصبه الصفائر فوق رؤوسهن كأعراف بعض الطيور . تحلّقن ، من فورهن ، حول شاكد ، متفرّجات بأعينهن الكتيمة الحجر على الأنثى الآدمية . لمست إحداهن كتفها وهي تخاطب الجنيّ الضخم :

- أنزلْ هايكاهيكسين ، يا شاكد . معي صديقات لم يرينها بعد .

غمغم شاكد متجهاً ببصره إلى سوك . سألتها :
- هل نترث قليلاً ريشما تتفرج هؤلاء على هايكاهيكسين؟
«لا» ، غمغمت سوك . حدّقت إلى الجنية التي تكلمت أولاً .
سألتها :

- أين كان اللواتي لم يرين هايكاهيكسين كلَّ هذا الوقت؟
«هذه شاتار» ، قالت ناكولي لراكبتها سوك .
«شاتار؟» ، أعرفها؟ ، تساءلت سوك ، فأجابت شاتار بنفسها :
- ستعرفيني حين يضع كاشاجو ذبابة استنسال في كفي .
«تعالني معنا ، إذًا» ، عقبت سوك في سخرية . استدركت :
- ألسنَّ من النساء التريكات؟

صدرت همهمة متصلة من حناجر الثلة المحيطة بشاكد .
اقتربت شاتار من مطية سوك ، متطلعة إلى الوعاء الحجر الشفيف في يد راکبتها : «أرى ذبابة في الحق» ، قالت . نظرت إلى يد سوك الأخرى مطبقة بكفها على ذبابة الاستنسال : «وأسمع طنين واحدة أخرى . معك اثنتان» . التفتت إلى صويحباتها : «نساء القصر لا يكتفين بذبابة واحدة» ، قالت في سخرية . رفعت وجهها إلى وجه الفتاة المحاربة فوق ظهر مطيتها : «أعطيني هذه التي في الحق» .

سأشاركها إحدى صديقاتي» .

زارت سوك زئيراً خافئاً ، ملجوماً ، بما قالتها شاتار ، التي لم تُعرَ زئيرها الشبيه بوعيد بالاً ، بل تطلعت إلى عمق المعبد حيث هرع الشاعر داميكو قادماً وثباً متعثراً ، بوجه عليه رمل . ولما حاذى جمع الجنيات التريكات ، المحيطات بسوك ، وبشاكذ وأخته ، بدت الضراعة هادرة في عينيه المتقلبتيْن في محجريهما قلَقاً ، فتلقفت شاتار انضمامه إليهن بصوت ذي مذاق هزء :

- أجنّت تسترد ذبابةً من قاطنة القصر الجديدة؟ ما اسمها؟

سوك؟

كان داميكو ساهماً ، شارد السمع عن كلمات شاتار ، يستجمع قلبه المبعثر في هبوب الريح من بوابة المعبد على عمق المعبد . تأوّلت شاتار حال داميكو ، وقد أدركت مبلغ اللوعة في نظره إلى الأنثى الآدمية . ارتجلت كلاماً لم تعرف مدى انطباقه على الوقائع السارية أمام بصرها :

- ما الذباب الصالح لمشاركة هايكاهايكسين في الاستئصال؟ على غير توقُّع صدمت ناكولي ، مطية سوك ، كتف شاتار بكتفها العالية ، في تعنيف لها على ظاهر جرائها . «لِمَ تصدميني؟» ، ساءلتها شاتار ، وهي تتحسس بيدها سلاحها العظم الشظية المسنونة .

«ابتعدن» ، غمغمت سوك متوجهة بصوتها إلى ثلة الجنيات التريكات لم تحظ لهن المصادفة بذكور يشاركونهن ذباباً ، الاستئصال .

«لم نكتف ، بعد ، برؤية هايكاهايكسين» ، قالت إنا ، صاحبات شاتار بنبر زئير .

شقّ شاكد الضخم سطورَ الجنيات المحيطات به . ألقى إليهن
ندمات خفيضة اللّسع :

« أسألنَ المنجمينَ أن يتدبروا لَكُنْ ذكوراً .

وثبت شاتار مرتفعةً في موضعها لتصير في علوّ قامة شاكد .
هتفت تماحكه :

- أعطنا هايكاهايكنين ، ياشاكد ، وسنشاركها ، نحن
التّريكات ، ذبابات استنسال .

« لا ذكور . لا ذباب ، يا شاتار » ، غمغم شاكد وهو يجاوز بوابة
المعبد خارجاً تتبعه سوك بمطيتها .

« سوك » ، نادى شاتار نزيلةَ القصر الجديدة ، حاملةَ ذبابة
كاشاجو ، فالتفت إليها الفتاة المحاربة .

« قَرَّبِي كَفْكَ . سأنفخ على الذبابة التي فيها » ، قالت شاتار في
استفزاز .

« لو كانت يداي طليقتين ، لنفختُ أنا على قلبك غباراً ،
ياشاتار » ، ردت سوك وهي ترفع يديها المشغولتين بحمل الذبابتين ،
واحدة في كفها ، والأخرى في الحُقّ الحجر الشفيف . لكزت
بساقها جنبيّ مطيتها فاندفعت ناكولي خارجة من المعبد في وثبة
واحدة .

استدارت النساء التّريكات إلى الشاعر متقوّضاً في وقفته ،
مخدولاً . اقتربت منه شاتار نصفَ قفزة . « تعال » ، هامسته . « لذيّ
مأكلمك فيه » .

خرجت ثلة النساء معهن داميكو إلى الساحة المحيطة بالمعبد .
اتجهن قوسياً من محيط الجدار الدائري للمعبد شمالاً ، مروراً
بهيكل الإله كوياسي الذي تسلقه النحّاتُ ألما ، ليثبّت عظاماً

جديدة إلى الوجه الغريب ، اللامتناسق خليطاً من وجه طير
لا كيلا ، ومن وجه جنّيٍّ ، ووجه ذئب ، بفراغات لن يقود ملؤها إلى
شكل قط . نادته شاتار :

- ألما . أين صفائر الإله كوياسي ؟ .

نظر ألما ، ذو العينين الحجر الرماديتين على بياض ، إلى أسفل :
« هيه . شاتار . أقلت شيئاً ؟ » ، ساءلها ، فردت الأثنى الطويلة ، ذات
الشفيتين الممدودتين كأنما تهمّان بالتصفير :
- قلت أين صفائره ؟ .

« حين تعيريني صفائك ستكون له صفائر ، ياشاتار » ، ردّ ألما
متراخياً في ثوبه المفتوح من جانبي فخذه - فخذَيّ الجراة .
لمست شاتار صفائرها المنتصبه عُرْفاً فوق رأسها . ردت :
- أنا أحتاجها الآن أكثر مما يحتاجها الإله كوياسي .

نزل ألما عن كتف هيكل التمثال العظام بتأً . قفز قفرتين
قصيرتين ليصير قبالة شاتار ، وصاحباتها ، والشاعر . رفع بصره إلى
يد الإله كوياسي الممدودة الذراع في اتجاه قُلة المعبد :
- لم أحسم بعد ما السلاح الذي سيحمله .
لكزت شاتار كتف داميكو التائه القلب بكتفها :
- أنا أعرف .

« ماذا تقترحين ؟ » ، ساءلها ألما .

« ذبابة » ردت شاتار . أضافت وهي تنظر إلى وجه داميكو : « إن
منحني داميكو ذبابة ، وحفظتها أربعين يوماً في كفي ، سأضعها في
كف الإله كوياسي » . استدارت إلى النحات : « سترى النسل الآن .
سيكون يا ألما . نسل لن يُقهر . ذلك هو سلاح الإله كوياسي » .
تطلّع ألما إلى وجه داميكو . كلّمه مزاحاً : « لا خيار لك ، ألما » .

شاتار التريكة ذبابة . قرب عينيه من غيني الشاعر : «أين أنت؟» ،
ساءله .

«أين أنا؟» ، ردّ داميكو وقد اشتبه عليه سؤال النحات ، فأوضح
الما :

- أراك كأن أحداً سرق عظام أمك .
«هو هكذا» ، قال داميكو بتصريح عن حاله المخدولة ، المنكسة .
أضاف : «بل أرى قرود هيهمو» .
غمغم ألما مجفلاً من ذكر قرود هيهمو . جارتُه ثلة النساء
بغمغماتهن .

«تعال» ، قالت شاتار . شدّت الشاعر من كتف ثوبه ، فتلاطم
العظم الطويل ، المتدلي من حزامه ، مُلقِياً بصراً الأنثى التريكة :
- أهذا سلاحك؟ .
«نعم» ، ردّ داميكو .

«من عظم أيّ كائن هو هذا؟» ، سألته شاتار ، فردّ داميكو :
- عظم زرافة . كان سلاح أُمي قبلي .
«زرافة؟ ، أيّ حيوان هي؟» ، سألته شاتار ، فردّ داميكو :
- لم أر الزرافة . لكنني أُخبرتُ أن لها عنقاً يُمْكِنُهَا النظر من
سقف المعبد إلى المنجمين داخله .

«هكذا إذاً» ، غمغمت شاتار محدّقة إلى داميكو في تفحصٍ :
«تبدو قلقاً ، مخدولاً . مابك؟» ، سألته .
زأر داميكو بصوت محتبس . غمغم :

- جئت هايكاهيكسين بذبابة تشاركني فيها ، فأخذ كاشاجو
هايكاهيكسين .

«إلى القصر؟» ، سألته شاتار ، فردّ داميكو :

- إلى حديقة القصر . سيشاركها ذبابة استنسال .
«أَتَسْتَنَسِلُ هايكاهيكسين بالذباب؟» ، تساءلت إحدى
مسيحيات شاتار متوسلةً جواباً . أردفت بنبرٍ شكٍّ : «هي ليست من
نوعنا» .

قرّبت شاتار وجهها من وجه الشاعر . همست :
- لدى داميكو ذباب لكل نوع من الخلائق .
«إلا لي» ، عقّب داميكو بصوت مهزوم .
«جسدك ضيقٌ على قلبك اليوم ، وقلبك ضيقٌ على جسدك ،
ياداميكو» ، قالت شاتار . مسّت جبينه بسبّابتها :

- ماذا عنا نحن التريكات؟
«ماذا عنكن؟» ، تساءل الشاعر .
«تستطيع ، ياداميكو ، أن تجد أنثى . نحن لاحظنا في
ذكور» ، قالت شاتار .

وثب داميكو مكملًا سيره ، فوثبت شاتار ماشية إلى جواره :
- أحقاً أردت هايكاهيكسين شريكةً ، ياداميكو؟
نظر إليها الشاعر مستهجنًا سؤالها ، فأكملت شاتار :
- ما النسل الذي تتوقعه من ذبابة جنّي في يد كائنة ليست
من نوع الجن؟

«لا أعرف . لكنني أردت أن أكون الأول من نوع الجن يشارك
نوعاً من غير الجن في الاستنسال» ، ردّ داميكو .
«هه» ، عقّبت شاتار همهمةً تصنّعت حسرةً في نبرة صوتها :
- سيكون كاشاجو هو الأول .
زأر داميكو في لوعة بصوت خفيض :
- بي رغبة في إفناء الذئاب .

أصدرت شاتار فحيحاً من حنجرتها فيه تنبيهٌ ما :
 - أنت تقترب من الأعمى ماشفیر .
 توقف داميكو عن وثبه . حدّق إلى شاتار متأملاً لافيها ، بل
 في فكرته الرغبة التي ارتجلها .
 توقفت شاتار بدورها . حاصرته بلسانها :
 - أعطنا ذباباً ، ياداميكو .
 «ماذا؟» ، تتمم الشاعر يستعيد نفسه من شرودها . أردف :
 - لا أرى معكن ذكوراً .
 رققت شاتار صوتها بين نبر مزاح ونبر اختبار :
 - انظر إلينا ، ياداميكو . أليس بيننا واحدة تقبلها شريكة في
 ذبابتك؟ .
 صمت داميكو ، معتذراً بصمته عن جوابٍ ، فاسترسلت
 شاتار :
 . ألا ترى؟ لا أحد يشاركنا استنسلاً ، ياداميكو . أعطنا ذباباً .
 «ماذا تصنعن بالذباب إن أعطيتكن ذباباً؟» ، ساءلها داميكو .
 لم تردّ شاتار من فورها . جالت ببصرها على صويحيباتها كأنما
 تستفتيهن .
 «كل واحدة منا ستشارك الأخرى استنسلاً» ، قالت إحدى
 التريكات ، فغمغمت الأخريات بنبر موزّع على مزاح وقبولٍ معاً .
 أمسكت شاتار بكثف داميكو . فاجأته :
 - أعطنا ذباباً . سنعطيك هايكاهايكسين .
 تراخت شفة داميكو السفلى عجباً من المقايضة عرضتها عليه
 شاتار . وثب مكماً مسيره ، هارباً من رغبته ، فواكبته ثلّة النساء
 التريكات .

«أأنتن ذاهبات معي إلى القصر؟» ، ساءلهن داميكو مستغرباً
مرافقتهن له في الاتجاه ذاته .

«سنواكبك حتى القصر» ، ردت شاتار .

«لا تحوجني مواكبةً إلى القصر» ، قال داميكو . ارتجل مزاحاً
لا يعرف منبعه في برهته الممزقة تلك :

- غادرَ إقليم زينا فيري إلى إقليم آخر . قد تجدن ذكوراً .

«ليس قبل التهام آخر جني ذكرٍ في زينا فيري حياً» ، ردت
شاتار .

أصدر داميكو صوتاً كالنباح الخافت :

- أنت أكثر غضباً مني ، يا شاتار .

«قد نبدأ بالتهاكم ، يا داميكو» ، قالت شاتار .

توقف داميكو عن وثبه . فتح ذراعيه مستسلماً :

- ابدأن بي . لن تقوِّضني أسنانكن طحناً أكثر مما أنا عليه
الآن .

أكملت شاتار وعيدها بنبرٍ كأنما تعني ماتقوله ، على الرغم من
ظاهره المتصنع :

- سنأخذ هايكا هايكسين معنا حين نغادر زينا فيري ،
يا داميكو ، في ثوبٍ من جلدك .

عادت الوثبات منتظمةً في المسالك الرمال بين المنازل . ثلة
النساء التريكات كنَّ يسبقن الشاعر حيناً ، ويسبقهن الشاعر الشارد
القلب حيناً . وكنَّ على فظاظه أحياناً ، لا يكثرثن إن صامتا
عابرين في زحام الطرق الهائجة الرمال من الوثب ، أو ركلن أدفاًلاً
جاوورهن واثبين ، متعمدات رشق الرمل قوياً من خلفهن يُصبن به
من يُصبن ، بأقدامهن الأرساغ الحشرية - أرساغ الجراد .

بعد مُجمَّعات كُثُر من المنازل ، كل أربعين منزلاً في طوق
حلقة تتوسطها ساحة صغيرة ، انفتح العراء على مصراعيّ الريح
وسيعاً لآبناء فيه حتى حدود حديقة قصر سلطان زينايري ،
المرتفعة السور القوسيّ من قرون الحيوان مركومةً بعضها فوق بعض ،
باتقان من صنّع البنائين : القرون الكبارُ أسفل السور ، تعلوها
الصغارُ ، فالأكثرُ صغراً ، مدى قامة جنيّ طويل ، أو أعلى .

قرب السور توقف وثبُّ ثلثة النساء ، والشاعر داميكو ، الذي
استكثر مواكبتهن له إلى ذلك الموضع :

- الآن في وسعكن أن ترجعن .

دارت شاتار من حوله بقفز قصير ، متواصل ، كأنما تستعرضه

من جهات جسده كله . هتفت :

- نلقاك مغيّياً في حانة يامُوز .

«سأكون هناك بجسدي الضيقّ عليّ اليوم» ، ردّ داميكو .

«ويقلبك الضيقّ على جسدك» ، أضافت شاتار عبارتها إلى

عبارته المستعارة منها . عوت عواء خفيضاً :

- لا تخذلنا ، ياداميكو .

«ماذا؟» ، تساءل الشاعر . استوضحَ : «ماذا تعنين؟» .

لم تردّ شاتار . هرعت مبتعدةً وثباً تواكبها صويحباتها .

سار داميكو قفزاً في محاذاة سور حديقة القصر القوسيّ ،

متجهاً شرقاً ، لينعطف من ثم صوب البوابة المفتوحة كفم ضخم

يهمُّ بالتهام الحديقة ذاتها ، أو كعين هائلة تحصر كل ركن

بالحيوانات التي فيه ، والتصاميم الهياكل من عظامٍ على أنساق

يُريبُ منظورها .

لدى سادة فرق المحاربين ، ومستشاري كاشاجو في علوم

الخرائن ، والمقايضات ، والحصون ؛ وغطاريف الصيادين ، حداثقُ
حول منازلهم تكوّم فيها الرمال حجوماً أشكالاّ تتذرّى فيُعَاد جمعُها
هكذا كحالتها الأولى ، وتوزّع على أركانها الأقفاصُ الكبار من
العظام المرصوفة بالحبالِ الجلود ، مؤويةً ذئاباً صُفراً ، وطيوراً من
جنس ساكوتيري الزاحفة على بطونها شبّية بالسحالي ، لكل طير
أربعة أجنحة . وفي أقفاص حداثقهم ، أيضاً ، مَنْ ينتظرون الإعدام
انتقاماً منهم على جرائم تستوجب ذلك .

أمّا حديقة كاشاجو فامتيازها على حدائق الأسياذ ،
والغطاريف ، أن فيها تصاميمَ هياكلَ من عظام لا تدلُّ على كائنات
بأعيانها ، وأقفاصاً تحوي فهود البوابات الرملية البِيض ، المخططة
الجسوم دوائر رمادية ، وطيورَ كَارْنَا الطّوال الأعناق الملتوية كالشعابين ،
وعديداً من الجن القُرْم ذوي الأذيال والريش .

فوجئ داميكو ، منذ عبوره بوابة القصر ، بسائرين وثباً متزناً من
قياس قصير خلف موكب كاشاجو غير المزدهم ، المتوجه إلى ركن من
الحديقة قريبٍ من أقفاص فهود البوابات الرمل . كان مسكن جديد
في تصميمه ، على هيئة المحراب في المعبذ ، ينتصب لصق جدار
السور القرون ، فيما انبرت الفتاة المحاربة سوك إلى تعليق ثوب الأنثى
الآدمية الأزرق كستارة ، بيد واحدة ، من فوق ظهر مطيتها ، على
مدخل المسكن ، وقد بدت هايكاهيكسين ظاهرة بشقٍّ من جذعها في
الداخل ، ترقب المهتمين بشأن سُكناها الجديد بلا اكتراث واضح .

كان في موكب كاشاجو ابنه ، ومستشاروه ، وبعض الأتباع
لاغير . سوك ، منذ وصولها القصرَ بالأنثى الآدمية محمولةً بين
ذراعي شاكذ ، أرسلت من يخبر سلطان زينافيرى بحضورها ، ثم
اتجهت إلى الحديقة حيث أُقيم مسكن لهايكاهيكسين في أيام

قليلة ، باقتراح منها على شبه بحراب المعبد ، وأثاثه القليل :
الفراس الجلود ، والحوض الحجر ، والمشاجب القرون لتعليق قربة
الماء ، وأكياس الفاكهة .

لم تكن المماحكة السابقة بين شيكتان ، وسوك ، عن أن يشارك
كاشاجو الأنثى الآدمية ذبابة استنسال هي التي ألحفت على عقل
سوك بمقتراح نقل هايكاهايكسين من المعبد إلى حديقة القصر . هي ،
في الأيام الأول من انتقال ذبابة كاشاجو إلى كفها ، صارحت سلطان
زينافيري برغبتها أن يُضفي على حديقته سحراً لا يُضاهى بقناه من
كائنات ليس في مُكنة سواه اقتناؤها . وقد نزل كاشاجو عند رغبتها ،
على الرغم من اعتراض شيكتان المتسببة ، أصلاً ، في التحريض على
ماجري . لكنها باتت متخوفة حقاً من أن تراود كاشاجو فكرة مشاركة
هايكاهايكسين ذبابة استنسال ، بعدما طُحن قلبها ، وكبرياؤها ، بإنزال
سوك مقاماً في القصر إلى جوار زوجها .

شيكتان لم تحضر مشاهدة الأنثى الآدمية مجلوبة إلى حديقة
القصر . لقد أبصرت مراراً ، من قبل ، بنائين أربعة ينقلون أحمالاً
من العظام على المحفّات يُزخّفونها ، ويقيمون بها الصّرح الصغير ،
ربطاً وضبطاً بالحبال الجلود ، لهايكاهايكسين على قياس محراب
المعبد ، لصق جدار من جدران الحديقة القرون .

أوعزت مرتين إلى ابنها ريكما بإتلاف أساس الصّرح خلّسةً ،
أو خلخلة بنائه ، فتأبى الشاب المحارب من غير أن يكتّم حقداً
صرفه على الزئير ، والعواء ، بين حين وحين ، من غير سبب
واضح ، وبالإكثار من تنشق الغبرة يثيرها على الأرض الرمل صفعاً
بيديه ، وعلى الوثب ركضاً من حول أقفاص حيوانات الحديقة
متطياً زيديكا الجنى الضخم ، الطويل الساقين بإفراط . أمه أهدته

مطيته الجديدة بعد وقت من هرب مطيته روكتا ، المحذوف الذقن بضربة سدّدها إليه ريكما بسلاح سوّك نفسها : ترقوة الذئب . نينيسو ، مطية شيكتان ، تدبرت اختيار زيديكا لخدمة ابن سلطان زينافيرى ، هديةً من أمه ، في ثالث يومٍ من وضع كاشاجو ذبابته في كف سوّك . مطيةٌ صوّتٌ ، يصغى بانتباه إلى كل شارد ووارد من الثّبر في ریح الأعراء ، وزحام المسالك ، وأركان البهو الأكبر في القصر محاطاً بأبهاء صغيرات ، على استدارة تصميمه فوق الأرض الرمل ، فيها منافذ إلى مخازن العظام . ذلك طبعٌ من المطية زيديكا تقصّدت به شيكتان ، بعون مطيتها نينيسو ، أن يكون عينٌ حدّرها على الخطط في رغائب سلطان زينافيرى ، وعينٌ يقينها تسترق على أحاسيس ابنها ريكما مصادراً حقد لا يصرّح بمن يكنّه له .

شيكتان لم تحضر مشهد نزول هايكاهايكسين مقامها المحراب . حضر ابنها ريكما على ظهر مطيته زيديكا ، الذي وقف الشاعر داميكو إلى جواره ، تحديداً ، إثر وصوله الحديقة بقلبٍ مُرّ .

نظر ريكما إلى الشاعر من عليائه فوق ظهر المطية . خاطبه :

- آية رؤيا تستنزلها على عينيّ قلبك ، ياداميكو؟ .

رفع داميكو بصره إلى وجه ريكما ، ذي الرأس العاري من الشعر إلا غرته المجدولة . ردّ وهو يضع يده على صدره :

- لا رؤيا ، ياريكما ، بل شرخٌ شمسيٌّ هنا .

«أعرف رغبتك في مشاركة هايكاهايكسين ذبابةً استنسال . ماالذبابة التي ستختارها؟» ، ساءله ريكما ، فرد داميكو بلسان حسرة :

- الذبابة التي يستطيع كاشاجو طنينها .

«أتظن أن كاشاجو سيشارك هايكاهايكسين في الاستنسال؟» ،

تساءل ريكما ، فردّ داميكو بسؤال :
أسيفعلها؟

أدار ريكما وجهه صوب أبيه القريب من مقام الأنثى الإنسانية ،
قبل أن يحصر سوك ببعصره . تنهّد فانتفخ جلد وجهه من حول
منخريه الثقبين . كلّم الشاعر من غير نظر إليه :

- أما من طريقة لتناسل الجن بلا وساطة الذباب؟ .

« كان على الجنية الأولى ، التي أنشأت نفسها وجوداً ، أن
تبتكر طريقة أخرى للاستئصال » ، ردّ داميكو .
« الأكذوبة الأولى » ، غمغم ريكما حنقاً .
« ما الأكذوبة الأولى؟ » ، ساءله داميكو .

« كل شيء » ، ردّ ريكما .

لمس داميكو براحه يده فخذ ريكما راكباً مطيته . سارّه قدّر
مايستطيع من إيصال صوته إلى سمع الشاب ذي الثّقرة في عينه
اليسرى :

- لماذا لم تشارك سوك ذبابة استئصال؟ كنتما خليّين ،
صاحبين .

حذق ريكما إلى داميكو . زأر بصوتٍ كتّمه في باطن فمه :
- لا ألوم إلا نفسي . تأخرتُ .

« لن أتأخر أنا » ، غمغم داميكو كأنما ألهمه ردّ ابن سلطان
زينافيري إنجازه ما لا يؤجّل . وثب ثلاثاً حطّ بعدها إلى جوار
كاشاجو الرّاجل . استدار ليصير مواجهاً له بوجهه فيمكنه من رؤية
شفتيه . تكلم بلا احتراس :

- سوك خطفت مني الذبابة التي اخترتها للاستئصال شراكةً
مع هايكاهايكسين .

نضنض كاشاجو بلسانه . ردّ :

- أما زلتَ تردّد الحماقة ذاتها ، ياداميكو؟ .

«ما وجه الحماقة في رغبتني ، ياكاشاجو؟» ، ساءله داميكو بصوت لفت بصر سوّك .

«أنت جننيّ ، وهايكاهايكسين صنفٌ لانعرفه ، ياداميكو» ، ردّ كاشاجو .

«ماذا عن رغبتك أنت .» ، ساءله داميكو .

تأمله كاشاجو . فتح راحة يده اليمنى المصبوغة السبابة خضرةً . تساءل :

- رغبتني؟!

«أن تشارك هايكاهايكسين في الاستنسال» ، أوضح داميكو .

عاد كاشاجو إلى تأمل وجه الشاعر برهةً . أوضح بدوره :

- إن أردتُ ذلك ، لن تكون رغبتني حماقَةً ، ياداميكو .

«أبقي الحماقَةَ لي ، ياكاشاجو» ، قال داميكو متضرّعاً . نظر إلى سوّك واضح القصد في نظرتة .

فهمته سوّك . خاطبته :

- أطلقتُ الذبابة حرةً ، ياداميكو .

«ذبابتني؟!!» ، تساءل داميكو بصوت عواءٍ خافت .

«كانت تلك ذبابتك . عليك اختيار واحدة تخصُّ كاشاجو» ،

قالت سوّك .

وثب داميكو عالياً في موضعه . انحنى حتى كاد يلامس الأرض بصدّره . صفع الرمل فتنشّق الغبار . عاد منتصباً على مرمى بصر كاشاجو .

«أحقاً ستستنسلُ هايكاهايكسين؟» ، ساءل الشاعر سلطان

زينافيري يستجلي اليقينَ بلا لبس .
«م تُشير أنتَ عليّ ، ياداميكو؟» ، غمغم كاشاجو بنبرٍ من
صوته الحجرِ الممتحنِ .
«ماذا تتوقع مني ، ياكاشاجو؟» ، تساءل داميكو منهوياً
بشكوكه .

«لا أعرف» ، ردّ كاشاجو بالنبرِ الممتحنِ ذاته في صوته .
«أريد هايكاهيكسين شريكة لي» ، قال داميكو .
زأر كاشاجو زئيراً خفيضاً بصوتٍ متبرّم :
- عُدتَ إلى ترديد حماقتك .
تبلبل داميكو . نبشت الشكوكُ الأرضَ ببرائتها فاحتفرتُها .
رمت الشاعر في الحفرة وردمتها عليه . تنفس يستعيد نفسه من
اختناقها . زأر مجروحاً :

- لماذا تفعل هذا بي؟ أنت لست معي .
التفت كاشاجو إلى مستشاريه مستوضحاً ، من عيونهم ، معنى
احتدام شاعرٍ مجّمع الذباب . أعاد بصره إليه :
- لستُ ضدك ، ياداميكو .
«لست معي» ، كرر داميكو كلماته .

أرخی كاشاجو بصره إلى الأرض . خفض جذعه حتى كاد
يلامسها . صفع الرملَ فأثار غباراً تنشقّه ، ثم استقام على رجليه
المطويتين من ركبتيهما إلى خلف كأرجل الجراد :
- قدماي على الأرض ذاتها التي عليها قدماك ، ياداميكو . أنا
معك .

«هذا لا يجعلك معي» ، قال داميكو على معنىٍ يحتمل
اللبس ، فردّ كاشاجو :

- إن لم أكن معك هنا ، على الأرض التي تلمسها قدماءك
وقدماي معاً ، فهذا يعني أن المكان الذي نقف عليه غير موجود .
«ربما» ، قال داميكو بارتجال .

قربت سوكنفسها من المتحاورين بوثة قصيرة من مطيتها :
- أوضح ماتريد ، ياداميكو . أصغيتُ إليك كأنك تائه في
رؤيا .

أثبت داميكو بصره على كفّ سوكن المطبقة على ذبابة
كاشاجو . أرسل من فمه صوته متمرغاً في شكوكه :
- كاشاجو لا يوضح . أوضح لي أنت : هل سيستسل
هايكاهيكسين من وضع ذبابته في يدك ؟ .

«ما تقديرك؟» ، ساءلته سوكن بنبريستم منه استخفاف .
عوى داميكو غيظاً . قرب وجهه من وجهها كأنما يتهياً لعراك .
تصادمت أنفاسهما قبل أن يتباعدا متفاجئين بأربعة من أتباع
سلطان زينافيرى اقتحموا المكان وثباً قوياً ، بشهيق كثيف ذي
شفرات كالريح .

«كسرت أيدى . أطلق الذباب» ، قال أحدهم بعدما ثبت متمائلاً
أمام سلطان زينافيرى من شدة اندفاعه فوقوفه .

«ماذا؟» ، تساءلت سوكن ، وكاشاجو ، بتواقت في صوتيهما .
«كسرت أيدي ثلاثة ذكور يحملون ذبابات استنسال في
راحاتهم ، وكذلك يدا اثنتين» ، قال حامل الخبر المذعر .
«كيف كسرت؟» ، ساءلت سوكن حامل الخبر ، فردّ :
- كسرت عمداً ، في زحام المسالك ، بأسلحة .

«أهذا يحدث في زينافيرى؟» ، تساءل كاشاجو بصوت لا يربا .
تصديق الخبر الذي تلقفه بلسانه . تذكر : «حدث هذا قبلاً» . أدار

عينيه على وجوه الأتباع الأربعة ، حاملي الخبرِ الرعشة :
مَنْ الجُنَّاةُ ؟ .

«لم يستطع المنكوبون تحديد أيٍّ من الفاعلين» ، ردَّ أحدهم .
«فعلها الجُنَّاةُ برؤوس مغطاة لا تُرى وجوهها» .

«هل الجُنَّاةُ أشباحُ كطيف ذئب المعبد؟» ، دمدم كاشاجو
بحروف يتخالط فيها زئيرٌ وعواءٌ معاً . «أين قيَّاف البروق ويلابو؟» .
دار من حول نفسه مهتاجاً . صرخ : «ويلابو . أستاذينا قابضاً عل
بروق ، وتفشل في القبض على جان؟» . ركل الرمل بقدمه اليمنى
فرشق به الريح من خلفه . «من رأى ويلابو؟ ألم نكلِّفه تقصِّي
فاعل قبلاً؟» .

«لم أرَ ويلابو منذ أمد» ، قال ابنه ريكما .

«سأستنفر أسياذ زينافيرى . على أحد أن يأتيني بالجُنَّاة» ، قال
كاشاجو . ألقى بصره إلى مطيته شاكد واقفاً قريباً من محراب
الأنثى الإنسية :

- أخضِرْ ماياكي .

سها حاضرو مشهد انتقال الأنثى الإنسية إلى مقامها عنها في
تتابع الزئير ، والهرير ، من حنجرة سلطان زينافيرى ، الذي ، حين
أنته أنثى منكوبة قبلاً بفقد ذبابتها ، لم يأخذ الأمر على ضرورة
الاحتراس والفحص . لقد كلف ويلابو ، قيَّاف البروق ، بالتحري
في ما يشبه المزاح على الأرجح . وبيَّح نفسه امتعاضاً بعواء طويل .
وهاهي الأخبارُ ثقيلاً عن منكوبين ، في يوم واحد ، تسفع قلبه برملٍ
حرَّاق . وثب متمطياً ظهر شاكد كأنما يهبُّ إلى معركة داهمة .
أركض مطيته نصفَ دورة من حول الحاضرين على غير تدبير في
القصْد . نزل عن ظهر مطيته . توجه إلى المحراب وثباً سريعاً . خلع

الستارة الزرقاء - ثوبَ الأنتى الأدمية القماش قبل استبداله بثوبٍ جلد . حدَّق إلى عينيها البلورتين بين أجفان تنطبق وتنفرج . تفرَّس في أهدابها الطوال على أشفار أجفانها .

«تكلَّمي ، أيتها الخدعة» ، همس بصوت هريـر . نضنض بلسانه يتوخَّى أن تنطق فيتذوَّق الكلمات على أية لغة أتت . «لماذا لا تتكلمين؟» ، ساءلها بالنَّبر الهامس ذاته . انحنى قليلاً عليها بطوله - هي الواقفة إلى جوار من مدخل المحراب . اكتنف بيديه الضخمتين يدها اليمنى الصغيرة . بسطها مفتوحة أمام بصره : «لا أثر لذباب . لا أثر لجراد . لا أثر لنمل أزرق . لا أثر لنمر أو فهد . لا أثر لجني قزم . لا أثر لطير . يدك ليست للاستنسال ؛ ليست للقتل ؛ ليست للصيد» . أفلتَ يدها . غمغم : «مَنْ يُجهض ذباب الاستنسال في زينافيرى ، ياهايكاهيكسين؟» . استدار إلى سوكة الراكبة ظهرَ مطيتها على بُعد وثبة من خلفه . رمى بالستارة الزرقاء ، البالية ، إليها . فاجأها بسؤال أعمى :

- لماذا نزعْتُ هذه الستارة عن مدخل المحراب ؟ .

تحيَّرت سوكة وهي تستجمع الستارة القماش بيد واحدة بين بطنها وظهرَ مطيتها . نفشت خيالها بحثاً عن جواب يليق بالسؤال المحير .

«لا تعرفين لماذا فعلتُ ذلك» ، ردَّ كاشاجو ينتشلها من تردُّدها .

نضنض بلسانه يترقب تعقيباً فلم تنطق الفتاة المحاربة . بادرها :

- أعيدي هذه الستارة إلى موضعها .

سارعت سوكة إلى تعليق الستارة على باب المحراب ، بالنحو ذاته الذي علَّقتها قبلاً ، وعادت بمطيتها واقفة خلف سلطان زينافيرى ، الذي استرسل بصوته الهياج الهريـر : «إنه بيننا . ماشفير

بيننا» ، قال . أدار وجهه على الواقفين في موكبه . ساءلهم بتعميم :
أذهب مَنْ يأتيني بمايكي ؟ .

«أرسلتَ شاكد» ، ردَّ أمين الحصون الرمال أماروك ، فاقترَب منه
كاشاجو :

- أيسطيع ماشفير اجتياز الحصون الرمال ، يا أماروك ؟ .
«إنها رمال ، يا كاشاجو ، تتقوَّض في الريح فنعيد بناءها» ، ردَّ
أماروك . أضاف : «لكن لا تقلق . لا يستطيع ماشفير اجتياز
حصوننا» .

«مالذي يحدث في زينايفري إذا؟» ، ساءله كاشاجو . نضنض
بلسانه يتذوَّق ردَّ أمين الحصون الرمال .

«ربما الجناة يريدون لماشفير . لا أجزم» ، ردَّ أماروك ، فتولى
دايجيك ، أمينُ تجارة القصر مع القبائل ، إضافةً في الكلام إلى ردَّ
أماروك :

- ماجرى لا يخيف ، يا كاشاجو .
«لم يحدث هذا قبلاً ، وهاهو يحدث الآن . ذلك ما يخيف ،
يادايجيك» ، قال كاشاجو بنبر عواء . «إجهاضُ ذبابة الاستنسال
خاطرٌ كنباح قرود هيهمو . إنني أرتعد» ، قال محدقاً إلى يديه
بسّطهما أمام بصره . «من خطرله هذا هو من نسلٍ شاركت ذبابات
آبائه قرود هيهمو» .

«تمالكُ نفسك . أنت تخيفنا» ، قال ابنه ريكما .
«أحس ماءٌ تُدلق عليّ الآن» ، قال كاشاجو نافضاً جسده في
اشمئزاز يخالطه الخوف . «على لحومنا أن تقشعرَّ هلعاً ، ياريكما . أم
أرى بعيني قلقي ما لا ترون؟» .
«ماذا ترى؟» ، ساءلته سوك .

«أرى ماشفير محدقاً إليّ كأنه يراني» ، ردّ كاشاجو . زأّر :
- أين ماياكي ؟ .

في موضع مّا من أركان بهو القصر ، أمسكت شيكتان بعضد
مطيتها نينيسو الواقعة إلى جوارها . ساءلتها :

- مابه كاشاجو يزأّر كثيراً اليوم؟ أن نسمعه من هنا ، وهو في
الحديقة ، فذلك يعني انهيار إقليم زينايري .

نظرت إليها نينيسو بوجه خال من أيّ تكهّن .
«ربّما عضّته هايكاهايكسين» ، قالت شيكتان ساخرة . «أمّ هو
هائج لأنها أكلت ذبابة الاستنسال؟» .

«أتظنين ، حقاً ، أن كاشاجو سيشارك هايكاهايكسين
استنسلاً ، ياشيكتان؟» ، تساءلت نينيسو ذات الأسنان المفرطة
ضخامةً .

أصدرت شيكتان نبراً يشبه المواء من حنجرتها . حدّقت إلى
مطيتها نينيسو بنظرة فيها دغدغة الكيد :

- ماذا لو وضع ريكما ذبابة استنسال في كف
هايكاهايكسين؟ .

رمقتها نينيسو بنظرة فارغة برهةً ، قبل أن تستحضر ابن
شيكتان إلى مزاح لسانها :

- ماذا لو وضع ريكما ذبابة استنسال في كفي؟ .
لطمت شيكتان كتف مطيتها لظماً خفيفاً براحة يدها . سألتها
عن ابنها :

- أهو مع كاشاجو في الحديقة؟ .
«أظنني لحتّه في موكب كاشاجو الصغير» ، ردت نينيسو .
أصغت ، مثل شيكتان ، إلى زئيرٍ موحش ، عميق ، منذرٍ منوعد .

«مالذي يجري ، يانينيسو؟» ، سألت شيكتان مطيتها . «هذا زئير ليس من حنجرة كاشاجو ، بل من أحشائه» .

«سأستخير» ، قالت نينيسو . لم تنتظر موافقة شيكتان . وثبت وثباً زفر الرمل غباراً من خلفها في بهو القصر .

ماكادت شيكتان أن تُتمّ استعراض بعض متاعها المعلق إلى جدران الطيبة الغائرة في الجدار ، التي تقطنها إلى يسار مقام زوجها ، حتى عادت نينيسو وثباً زفر الرمل منه الغبار ثانية . أدارت وجهها على رهط من النساء توجهن من الأبهاء الصغار صوب مطيتها مستشعرات فضولاً من ذلك الوثب المندفع ، المحتمل خبراً لا يؤجل .

«ثلاثة ذكور ، وأمرأتان ، أجهضت ذبابات الاستنسال في أيديهم ضرباً» ، قالت نينيسو من فورها .

شهقت شيكتان مصدومة . تمالكت نفسها ، مستعيدة من ذاكرتها حادثاً شبيهاً :

- ألم يحدث هذا قبلاً؟ .

«مرة واحدة ، منذ وقت ليس بقريب» ، ردت نينيسو .

«من الجناة؟» ، ساءلتها شيكتان .

«ليس واضحاً من هم» ، ردت نينيسو .

«أهذا من صنّع ماشفير الأعمى؟» ، تساءلت شيكتان .

ظلت نينيسو صامته لا تتأوّل الأمر على أيّ نحو من التخمين .

قربت شيكتان وجهها من وجه مطيتها ، وهي ترفع إحدى يديها علامة لرهط القادمت صوبها ، من جهات الأبهاء الصغار ، أن يتوقفن ، فتوقفن عن بُعد . نزل عقلها درج الخبر المحير إلى خلوة المعاني متنصتاً إلى كيدها . بدا ذلك واضحاً في عينيها لا تخطئه عينا نينيسو .

«أحدثَ الإجهاض بالضرب قريباً من القصر؟» ، سألت شيكتان مطيتها .

«لم أستخبر عن ذلك» ، ردت نينيسو .

«ماذا لو حدث هذا في القصر؟» ، تساءلت شيكتان في خبث .

«أتعنين إجهاضَ ذباب الاستنسال؟» ، غمغمت نينيسو متفهمةً ، على التحديد ، مجرى القصد من عقل شيكتان إلى لسانها . أردفت :

- ليس في القصر إلا ذبابة واحدة قيد الاستنسال ، ياشيكتان .

ظلت شيكتان على تحديق صامت إلى عيني مطيتها ؛ تحديق يتقطر سرداً مختزلاً تسارر به خيال الأنثى الواقفة أمامها . أغضت نينيسو من ثقل التخمين اليقين في المخاطبة الصامتة بين عيونهما .

«أنظري إليّ» ، قالت شيكتان لمطيتها . «أثقُ أنك قادرة على التقاط أثر . عيناك ريحٌ أيضاً في زيناڤيري» .
«أتعنين أثرَ الجناة؟» ، ساءلتها نينيسو ، فردت شيكتان :
- أريد معرفة فاعل واحد ، لا أكثر .

«كاشاجو طلب أسياذ المحاريين . سيملاً بهم أرض زيناڤيري تحرياً عن الجناة . كان كاشاجو هائجاً» ، قالت نينيسو .
«لن نزاحم كاشاجو» ، غمغمت شيكتان . «تحريّ لي عن فاعل واحد» .

«ثم ماذا إن كشفتُ فاعلاً؟» ، ساءلتها نينيسو .
«نبتزه» ، ردت شيكتان بصوتٍ تقطر همساً كيداً ، محدقةً إلى

البُعد ماوراء عيني مطيتها .

«ألن نخبر كاشاجو في هذه الحال؟» ، تساءلت نينيسو .

«لا» ، ردت شيكتان . «سيكون لي ولك سلوك مع جانٍ إن عثرت عليه ، وليكن لكاشاجو سلوك مع الجناة إن عثر عليهم» ، ردت شيكتان .

«في ذاكرتي أن كاشاجو بعث قيافَ البروق ويلابو يتحرَّى الجاني في الحادثة الأولى» ، قالت نينيسو ، فعقبت شيكتان :
- أعاد ويلابو بفاعل ، أو بنخر عن فاعل ؟ .
«ليس بعد» ، ردت نينيسو .

«أنت ستعودين إليّ بشيء . استنفري ذئابَ سمعك ونمورها» ، قالت شيكتان .

«مالذي تريدينه إن كشفتُ جانباً؟» ، سألتها نينيسو .

«ستطلبين منه الذي نريده» ، ردت شيكتان .

«أطلب ماذا؟» ، ساءلتها نينيسو ، فأتاها الجواب الذي توقَّعته
حرفاً بحرف :
- أن يكسر يدَ سوك .

وصل زئير كاشاجو إلى أعماق القصر من جديد ، حين حضر بين يديه عميد المحاربين ماياكي على ظهر مطيته راتو . ترجَّل إلى جوار سلطان زينافيرى ، الذي أمطر سحابُ قلقه رملاً في ريحِ القلق :

- ماشفير هنا . ماشفير بيننا .

«هل أعترف أحدٌ ما من أتباع ماشفير للجلاد رادبور؟ مَنْ أنبأك؟» ، ساءله ماياكي .

«أنبأني دهاءُ الجناة ، ياماياكي . لم يخطر ببال أكثر العصاة ،

في زمن الجن ، إجهاضُ ذباب الاستنسال . لماشفير الأعمى عينا
المكر الأشدَّ حدّةً ، ردّ كاشاجو .

«ولنا عيون الرمل» ، عقّب ماياكي باعتداد . «سأقلب أعالي
رينافيري أسافلً ، وأسألُ ماشفير من وكره كالضّبّ» .

دار الرمل على نفسه زويعاتٍ صغائرَ ، في حديقة القصر ، من
لفّ الريح للرمل على مغزلها .

«الرؤيا ريح» ، قال دايجيك وهو يلتقط بكفه ، من إحدى
الزوايع النحيلات ، حفنةً رملاً . «الرمل نبوءة الريح» ، أضاف متكئاً
باتزان على ساقه اليسرى الوحيدة ، وعظم عصاً .

«لم أظنّك ، يادايجيك ، من مريديّ خاميدس المنجم» ، قال
ماياكي لأمين تجارة القصر مع القبائل .

«من يفكر مثلي في حساب المقايضات ، والمبادلات بالجلود
والعظام ، ياماياكي ، يكنّ منجمّ المنجمين» ، قال دايجيك . «حسابُ
كنقل الريح للكثبان ، ورفع الريح للكثبان ، وخفضها ، وتسويتها
بسطاً . حسابُ هو الرياحُ الرّحالة ، والرمال الرّحالة ، والنقوشُ التعاريج
الرحالة . حسابُ هو المساررات بين الأعالي والأسافل» .

هرّ كاشاجو وقد استقرّ بصره على شفتيّ دايجيك . خاطبه :

- أليس في علوم الحساب عندك أرقامٌ مكرّ ، يادايجيك ؟ .
«أرقامٌ مكرّ؟» ، تساءل دايجيك . «المكرُّ باطنٌ ، وليس للأرقام
باطنٌ ، ياكاشاجو . هي تدلُّ على ماتدلُّ عليه ، لا أكثر» .
«أما من رقم عندك يدلُّ على ماشفير؟» ، ساءله كاشاجو ، فردّ
ذو الساق الواحدة :

- أرقام المكر التي تريدها هي أرقام من حسابٍ آخر يعرفه أهل
خطط الحروب ، ومتتبّعو الدسائس إلى مصادِ نورها .

«أتعني الذباب ، والجراد؟» ، ساءله كاشاجو ببعض السخرية ،
فردّ دايبيك :

- للذباب ذاكرة الريح ، وللجراد ذاكرة الرمل .

زأر كاشاجو زئيره الموحش ، العميق :

- «لنا مدخلٌ ، في كلامك النفقِ هذا ، إلى ماشفير؟ .

قرّبت سوك مطيتها من حلقة المتحادثين . وقفت قبالة كاشاجو
ليتذوّق بلسانه ماتقول :

- سعة إقليم زينافيرى ، وامتداده ، وشساعته ، كلها تجعل مما
حصلَ من إجهاض بضع ذبابات كأنه لاشيء .

«اللاشيء هو شيء لا يشبه شيئاً آخر» ، عقّب ماياكي .

«ربما لا معنى لكل ما حصل ، يا كاشاجو» ، قال أماروك المؤتمن
في إقليم زينافيرى على الحصون الرمال . وإذ رأى بعض امتعاض
من تقديره هذا في عيني كاشاجو ، أضاف تصوّراً من منطقته إلى
ماقال : «إن كان ماجرى هو من مكر ماشفير ، فما الذي سيتبدل
في زينافيرى؟» . أبقى وجهه في مرمى بصر كاشاجو يراه ، فيما
توجه بكلماته إلى الشاعر : «في مجّمع الذباب مايكفي أماً
تستنسل نسلها من الجن . أليس كذلك ، ياداميكو؟» ، فانبرى
داميكو إدلاءً بالتخمين المرتجل :

- قد يكون إجهاض الذباب خدعة لصرف أنظارنا عن خطط
يتدبّرها ماشفير .

«خدعة؟!» ، تساءل كاشاجو . «ألم تكن تردّد ، في يقين وجزم ،
أن هايكاهايكسين خدعة ، وها تصرّح برغبتك في اتخاذها شريكة
للاستنسال؟ تقديرُك للخداع ، ياداميكو ، خداعٌ» . التفت إلى الأنثى
الإنسية صائراً خارج محرابها . قفز نصف قفزة فاستقرّ قبالتها :

- أأنت خدعة؟ أما يجري خدعة ، ياهايكا هيكسين؟ .
«خففُ صراخك» ، قالت سوك مخافة أن يُجفل الأنثى
الإنسية ، أو يُذعرها .
لم يرَ كاشاجو شفتي سوك ليتذوق بلسانه مانطقتهُ . لكنه
استدار إليها تحديداً . ساءلها :
- أقلت شيئاً ، ياسوك؟ .
«عظام هايكا هيكسين رقيقة ، قد تنكسر إن صرختَ بها ،
ياكاشاجو» ، قالت سوك .
«عظامُها؟» ، تتم كاشاجو . «كأنني أنتبه ، للمرة الأولى ، إلى
أن لهايكا هيكسين عظاماً» . فحَّ من حنجرتِه فحيح الاستدراك :
- أعظامها بيضُ كعظام الجن ، والحيوان؟ .
«أسنانها بيضُ» ، ردت سوك .
«أسنانها . نعم . ماذا عن بقية عظامها؟» ، تساءل كاشاجو ،
فردَّ ماياكي متدخللاً :
- بِمَ تفكر الآن ، ياكاشاجو؟ .
«بعظام هايكا هيكسين . أتؤكل عظامُها؟» ، تساءل كاشاجو .
«قد تكون مسمومة كعظام أطفال الجن قبل اليفاعه» ، قال
ليكمورا ، أمين خزائن العظام في القصر .
«كيف لنا أن نعرف؟» ، تساءل كاشاجو .
«فلنأكل عظامها» ، قال ماياكي متبرِّماً من بحثهم في نوع
عظام الأنثى الآدمية .
«هي تأكل ثماراً ، وتشرب الماء . إنها حيوان ، ياماياكي . ونحن
نأكل عظام الحيوان» ، قال كاشاجو .
هَبَّ ماياكي وثباً حتى حاذى الأنثى الإنسية . رفع سلاحه .

«لنأخذ الثور عالياً فوق رأسها :

فلا هشمٌ جمجمتها ، ياكاشاجو ، كي نختبر طعمَ عظامها .
أصدر داميكو عواءً في نبر صوته المذعور . صرخ :
- لا تقتلها .

ارتدت الأنثى الإنسية خطوتين إلى الوراء خائفة ، فيما أبقى
ماياكي بصره على وجه كاشاجو يتحرّى ردهً :
- أأقتلها؟ ربما هي خدعة حقاً . لكنها ليست من مكر
ماشفير .

فحثّ سوك فحيحاً معترضاً على تهديد ماياكي . ساءلته
بلسان محذّر :
- مالذي أثارك إلى هذا الحد؟ .

«لست أكلمك أنت أنا أكلم كاشاجو ، ياسوك» ، قال ماياكي
بازدراء لفحيحها المحذّر . أنزل يده بالسلاح الذي في قبضتها . سأل
سلطان زينافيرى :
- والآن ماذا ، ياكاشاجو؟ .

استدرك كاشاجو نزوح عقولهم إلى عَرْضٍ من الثروات . هيئاً
حنجرته ، من جديد ، لزيئها :
- اقلب زينافيرى أعاليها أسافل . سلّ ماشفير من جحره ،
ياماياكي .

تبدّد موكب كاشاجو ، من فوره ، بعد كلماته تلك . انسحب صوب
القصر ، وتفرّق ، إلّا الشاعر داميكو ، الواقف على بُعد ثلاث وثبات من
الأنثى الإنسية اقتعدت الأرض الرمل على باب مقامها المحراب ، متأملةً
فهود البوابات الرملية البيض مخططة الجسوم دوائر رمادية ، كل فهد
منفرد في قصص يستطلع المكان الموصد على خياله بعينيهِ الزرقاوين .

اقترب داميكو من هاياكاهيكسين بأنصاف وثبات قصار .
 انتهى في هدوء ممسكاً بيدها اليمنى . بسط كفها الجلد الرقيق
 لانه الجلد الجاسي في جسوم الجن . تقصى بعيني خياله طيف
 . اابة مستوهمة ، رابضة في بلورتها الغمام اللامرئية : «هذه ذابتي ،
 هاهايكاهيكسين» ، هامسها وهو يمرر إصبعه السبابة على هيئة
 المشرة الخفية . «إنها ذبابة من الشاعرات الذباب ،
 هاهايكاهيكسين . طنينها سيرة الأقاليم المفقودة ، والأقاليم السيارة
 ، النجوم في الأعالي . سنستنسل ، أنت وأنا ، الذرية الأصل الذي
 ام تتفكر فيه جنية الأصل الأول إذ أنشأت نفسها . سنستنسل
 ذرية الأصل النسيان» ، قال داميكو بصوته الحسرة ، ثم أبدى
 إجفالة إذ تهيأ له أن الذبابة الطيف ، التي استحضرها خياله وهماً
 في كف الأنثى الآدمية ، تخفق بجناحيها طائرة . تأوّه لوعة . تتبع
 طيفها بعينه في الفراغ سلكته متبددة . غمغم : «طيف ذابتي
 نفسها تمرّد على رؤياي ، ياهايكاهيكسين» . أفلت يدها . وثب وثبة
 قوية أوصلته إلى قفص كبير من العظام ضخاماً ، متقوّسة ، تحيط
 بفهد من فهود البوابات الرمال . صفع براحة يده على عظم فشده
 من غير أن ينقصم : «سأقوّض مَجْمَع الذباب ذات يوم» ، قال
 بصوت كسير ، فتراجع الفهد حذراً في قفصه .

شيكتان ، حين عودة زوجها وبعض مستشاريه إلى داخل
 القصر ، من زيارتهم الحديقة ، هبت وثباً ، تتبعها مطيتها نينيسو ،
 إلى لقاء ابنها المتوجه ، منفصلاً عن رهط أبيه ، إلى ثلة صغيرة من
 أولاد الأسىاد ، في أقاصي البهو الكبير ، واقفين على تخوم حلقتة
 التي تفصله عن الأبهاء الصغار محيطة به . أدركت شيكتان ابنها
 ريكما قبل عبوره المدخل في الحلقة الرمل الخفيفة للبهو الكبير .

أمسكت به من ذراعه اليسرى .

ثار غبار خفيف من وثبها صوب ابنها ، فاستدارتها عليه وعلي
مطيته . تنشقت الغبار بمنخريها الثقبين قبل أن تكلمه :

- تعال معي .

خلت شيكتان بابنها على مسافة من مطيتيهما . التفتت
بوجهها إلى حيث تقف سوكن إلى جوار كاشاجو ، بعيدين في
الركن الأقرب إلى مقام السلطان الطيئة المقعرة في جدار القصر
شمالاً . ساءلته :

- ماذا ترى ؟

تطلع ريكما ، العاري الرأس من الشعر إلا غرته الضفيرة ، إلى
حيث وجهت أمه بصرها :

- أرى ماترين .

« ليس تماماً » ، قالت شيكتان .

« إن كنت تعنين سوكن فلا أرى غير أنثى باتت تقطن طيئة من
الجدار إلى جانب كاشاجو » ، قال ابنها . أضاف : « إن كنت تعنين
كاشاجو فلا أرى غير خمول القصر » .

هرت شيكتان هريراً خفيضاً . قربت وجهها من وجه ابنها
حتى كادت تلامسه . ساءلته همهمة :

- ماذا لو كنت ، ياريكما ، سيد القصر ؟

حدق ريكما ملياً إلى عيني أمه الحجر الكتيمتين يتقرى مالم
يره قبلاً فيهما . رد هممة بدوره :

- كنت عيئت عميداً لجباية العظام من أقاليم الجن كلها .

تنهدت شيكتان بصوت مرتاح النبر . انتفخ الجلد من حول
منخريها الثقبين . همست وهي تعيد بصرها إلى سوكن :

- ربما يحقق الوليدُ القادم ما تفكر أنت به .

أدار ريكما بصره إلى حيث تقف سوك . دَقَّقَ النظر إلى كفِّها المغمومة على ذبابة أبيه . هَرَّ هَريراً خفيضاً .

ريكما ، منذ احتضن أبوه ذبابةً ليشارك سوك في الاستئصال ، ام يكلم الفتاة المحاربة إلاَّ عَرَضاً إذا تلاقيا عابرين . اختزل الأحاديث معها إلى غمغات قصار ، وهمهمات لاتعني شيئاً في الأرجح إلاَّ التذكير بأنهما متعارفان . كان في عينيها ، أوَّل اختيار أبيه لها شريكةً في ذبابة ، شيء ما يشبه اعتذاراً لاتبوح به ، كلما تراءيا متقابلين بوجهيهما . ريكما لم يحسَّ بكراهية لسوك ، أو بنفور منها . لقد خضعتْ لمشيئة أبيه التي لا تُردُّ . وهو لن يلومها على ماليس في مُكنتها أن ترفضه . لكنه لم يستطِبْ من سوك ذلك الإنخراط في تفاصيل القصر ، كأنها كانت مُنجزّة الرغبة ، قبلاً ، في مقام يجعل القصرَ محيطاً بها ، ويجعلها محيطةً بالقصر .

سريعاً اقتحمت سوك شؤون أبيه ، وأحاديث أبيه . وشاركت زائري أبيه ، وسمَّاره ، ومستشاريه ، أحكاماً وآراءً لم يكن يُؤبه لها لولا تكلف كاشاجو الإصغاء بلسانه إلى شريكته الجديدة . أمّا تجاهل سوك لأمه شيكتان في لقاءاتهما ، فهو - تحديداً - ما أثار فيه حفيظة المستكثر على سوك تماديها . وهو ، في برهة الحديث الهامس بينه وبين أمه ، لما أرخى بصره تدقيقاً إلى يد سوك الواقفة بعيداً عنهما ، جَذَبَهُ الرنينُ المنذر في كلمات أمه عن الوليد القادم ، كناية عما سيستنسله سلطان زينايري والفتاة المحاربة .

لقد أحسَّ ريكما نَقْزَةً مُجفلةً إن تداعت صورُها لاستنزفة

خياله . قال بصوت هدير :

- ستعصُّ الريحُ يدك ، ياسوك .

تهديدٌ يشبه ذلك ، على التقريب ، عَبَرَ خاطرَ داميكو الخائب
 في خروجه من حديقة القصر إلى العراء الرمل ، المحيط بسورها
 المتراكم علواً من قرون الحيوان : «فلتعضَّ الريحُ كلَّ ذبابة في مَجْمَعِ
 الذباب» ، خاطبَ نفسه . هو لم يتحقق من شيء في مدارات لسان
 كاشاجو : هل سيشارك الأنثى الإنسانية استنسلاً ، أم لا ؟ . مهما
 يكن ، فقد باتَ حظُّ الشاعر عَدَمًا في العودة بهايكاهايكسين إلى
 خياله سعيداً بالرغبة في استنسالتها . تقوَّضَ أملٌ لن يرممه خيالٌ
 رؤيا ، أو رغبةً رؤيا . باتت الأنثى الإنسانية من الكائنات القنئى في
 أقفاص حديقة القصر- مُلك كاشاجو .

زأر داميكو . مرَّغ قلبه في كل رمل استحضره خياله صوراً من
 أرض التيه ، التي عبرها مع أمه إلى زينافيرى في سنين . عضَّ
 الريح طاحناً بعضَ الرمل المحمول فيها بأسنانه . أدار ظهره إلى السور
 فركله بقدمه - قدم الجرادة . أعاد الركلَ مراراً حتى تكسَّر بعضُ
 القرون . انفتحت ثغرة هبت منها أربعة أصوات معاً مستنكرةً :
 - ماذا أنت فاعلهُ ، ياداميكو ؟ .

انحنى داميكو . ملح ، من الشجرة في السور القرون ، وجوه
 متعهديّ الحديقة الأربعة منحنين يتفحصونه . رآبهم القرع بالركل
 فانبروا وثباً إلى موضع الصخب . بلغوه لما استكمل داميكو الشجرة .
 عرفوه ، فهالهم ذلك . وجموا بعد سؤالهم متحيرين - هم الموكلون
 بإطعام الحيوانات في حديقة القصر لحوماً ، وسقايتها ، وكذلك
 بإطعام الأنثى الإنسانية فاكهةً ، ومَلءَ حوضها الحجر ماءً .

تحير داميكو نفسه مما فعل . وجم مثلهم لايحار جواباً . وإذا
 تمالك خياله المبعثر ، عمد إلى جمع بعض الهشيم من العظام
 القرون فأدخلها الثغرة يريد ترميماً بلا تمكِّن .

«دع عنك ، ياداميكو» ، قال أحد المكلفين بحيوانات الحديقة .
أضاف : «سنرم الثغرة» .

«لَمْ فعلت هذا؟» ، سأله واحد آخر من الأربعة .
«لا أعرف» ، ردّ داميكو . «ربما أردتُ العودة إلى الحديقة ، على
مجل ، من فتحة سورها» ، أضاف منحنياً بعدُ يخاطبهم من الثغرة .
هرّ الأربعة معاً غير متفهمين . هرّ داميكو . وثب مبتعداً إلى
الجهة الجنوب ، في العراء الفسيح الممتد من نواحي قصر كاشاجو
إلى مداخل أعماق مدينة زينافيرى . عَبَرَ الأزقة بين المساكن
المجمّعات الدائرية . لم يتوقف في مروره بهيكل الإله كوياسي
اجتمع عنده المنجمون الأربعة إلى النحات ألما . لم يعرّ انتباهاً إلى
زئير بوكلو ، نائب كبير المهندسين ليوفا ، وهو يهيب بعماله زاحقين
على بطونهم يجرّون محفّات حملوها جذوع شجر لبناء مانعات
الرياح ، مُذْ هم لا يستطيعون جرّها واثبين وقوفاً . لم يُثَقِّلْ على
خاطرهِ التفكير بغيابه ، معظم النهار ، عن مَجْمَع الذباب ، ومن
سيحضرون طالبين ذباباً للاستئصال . لم يصْغُ ، كعادته ، إلى طنين
الذباب العادي ، الكثيف حضوراً في مساكن الجفاف على امتداد
الأوقيانوس الرمال . هو يصغي إلى الذباب العادي ؛ إلى تدفّاق
الطنين يجتذب من دفين الشعور فيه أشعاراً طنيناً أدّخر منه الكثير
للأنثى الإنسية في خزنة بوحه .

كان داميكو ، في وثبه الوسيع ، المتواصل ، يُسْقِطُ من حوله ،
في أيدي الرياح المنمّشة ، جراداً من شِعْرِ الغضب ، وغملاً من شعر
الوداع الفاتك : كان يودع هايكاهايكسين بترديد اسمها ممزّقاً ؛ يودع
فكرة لم تخطر ببال أحد قبله ، أيّ اتخاذ الأنثى الإنسية شريكة في
الاستئصال بين نوعين لن يعرف الخيال تخميناً لنوعٍ ما قد يُنجبان .

لقد تفكّر طويلاً ، في أيام اعتقاده أنه سيحظى بالأنثى تلك شريكة ، في شكل وليدهما المأمول . أعاد بناء صورته هيكلاً جسماً كإعادة النحات ألماً بناءً جسد كوياسي الإله . تخيله مزجاً من الذباب ، والجراد ، والجن ، والطير . تخيله جنياً ، أو جنية ، بذيل ريش ، وشعر صفائر كورق العشب في واحة كيما . تخيله بأجنحة ، وبقرن ، وبعنق كعنق الزرافة وصفتها أمه له ، وأورثته عظماً من عظامها سلاحاً . تخيل نسله من الأنثى الإنسية برأس كرأس الضب ، وقدمين حافرتين ، وعينين من حجر أصفر ذهبي . تخيله جسداً كجسده لكن من رمل تحركه الريح في موضعه من أعضائه بلا بعثرة . زار لا يابه لمن تفحصوه من العابرين . وثب كأقوى ماوهبته ساقاه من إمكان في أن يعلو عن الأرض مقدار قامتي جنين متراكبين أحدهما على كتفي الآخر . صار داميكور ريحاً .

قبل المغيب عبر داميكو آخر مساكن القرية الصغيرة ، الملاصقة تخوم مدينة زينافير غرباً ، في الوقت الذي يتخيّر الجن وقوفاً في مواضعهم على أبواب المساكن ، هادئين ، لا يبارحونها حتى الفجر ، إلا لطارئ من خوف ، أو خبر يُذهل . سلك العراء الفسيح خلف القرية ، بين صفتين من حجر رملي وسيع المعبر ، غير عالين ، يمضيان بالتواء حتى تخوم واحة كيما ، حيث يتلاشى الصفان مستويين بالأرض نهباً لنقوش الريح تبددّها ، وتصوغها ، على تصرف من خيال المصادفات الحاكمة ومشياتها .

سبع علامات تدلّ ، في العراء المتماوج الرمل ، على حانة يأموز . بين كل علامة ورديفتها أربعون وثبة على عدد الأيام يحتضن الجن ذباباً في أكفهم للاستئصال . وبين الأخيرة منها وهيكل الحانة ثمانون وثبة ، على عدد أيام احتضان الكرات الحجر

١١١. باب قبل انفلاقها عن وَلَدَانِ الجن .

سبع صخور متراكبة عمودياً ، متَوَجَّعة بإكليل من أضلاع حيوان
مصرح لا يذكره المتأخرون من الجن ، هي العلامة الأولى في الطريق
إلى حانة ياموز .

ست صخور ، كل اثنتين تعلوهما ثالثة ، متَوَجَّعة بإكليل من
أضلاع جنين من الجن المطايا ، هي العلامة الثانية .

خمس صخور ، أربع كقاعدة تعلوها خامسة ، متَوَجَّعة بإكليل
من أضلاع ذئب أصفر ، هي العلامة الثالثة .

أربع صخور ، ثلاث قاعدة تعلوها رابعة ، متَوَجَّعة بإكليل من
أضلاع البقر الوحش ، هي العلامة الرابعة .

ثلاث صخور ، اثنتان قاعدة تعلوها ثالثة ، متَوَجَّعة بإكليل من
أضلاع قرد - هكذا الزعم ، هي العلامة الخامسة .

صخرتان مترادفتان ، على قُلَّتَيْ كلتيهما حفنات من أضلاع
طيور لاكيلا ، هي العلامة السادسة .

صخرة واحدة ، على قُلَّتَيْها أضلاع طفل من الجن ، هي العلامة
السابعة .

صخور سود بعروق من فلز أزرق ، يتعهدها سيد حانة ياموز
تنظيفاً من الرمل هي والعظام التي عليها ، ويرتب العظام إن قَدِرت
الريح على العبث بها إزاحة ، أو بعثرة .

منقذاً بوثبه العالي ، الشديد سرعة ، جاوز داميكو العلامات
السبع ، ثم اجتاز العراء المستوي ممتداً لساناً إلى ساحة لا تحوي بناء ،
غير الحانة ، ذات الهندسة مختلفة عن أنساق المساكن القباب في
إقليم زينا فيري كله .

بناءً مستطيل بناء حانة ياموز ، من صنوف العظام مترادفة .

جدراناً ، بمنافذ صِغار لهبوب الريح إلى أعماقها ، و سطح مستو ، جلود الحيوان ، وحبال اللّيف . في جوفها يتقابل صفان بالغان ، مبلّغهما طولاً من نهود رمل ، مرتفعات ذراعين عن الأرض . يطوّف كلّ نهّد ، من قاعدته ، حبلٌ ضفيرةٌ من شعر الجن .

مئاتُ عددُ النهود الرمل ، مترادفة ، يقف على كلّ منها جنّ أو جنية من رواد الحانة . في آخر الجدار الخلفي المواجه لبوابتها صخرةٌ ضخمة ، مثلثة ، ينتصب على هرمها سيدُ الحانة ليكانوس . ذو العين الثالثة الحجر السوداء ، الصغيرة ، في جبهته فوق عينيه الحجر الرماديتين .

مطلّع المغيب يعلن ليكانوس الانتهاء من استقبال رواد أكثر بضربة من راحة يده على صدره العاري يتدحرج صداها ، من كل منفذ في الحانة ، إلى العراء وَرَثَ نَفْسَه من أمهاتٍ أعراءٍ في المحيط الأبعد ، حتى واحة كيما .

يَخْلُدُ رَوّادُ الحانة ، في وقوف كل واحد على نهّد رمل ، إلى سكونٍ بليغٍ تقليداً للسكون الذي يخضع له الجن إنْ خمدت الريح . لكنهم يتدأولون تخاطراً من تصوراتهم في « النسيان الأعظم » - مصطلحهم لايسمّون الموتَ إلّا به . كل إثنين من المتقابلين مصادفةً ، بلا اتفاق مسبق ، على الصفيين المديدين للنهود الرمال ، يتبادلان تسارّزهما الصامت حتى الفجر موعد الضربة الثانية من سيد الحانة على صدره العاري ، فوق هرم صخرته المثلثة ، ذات النقش النافر لصورة لأكيلا الطائر المقدس ، الأعمى ، متهيئ الجناحين المنشورين للطيران .

حين وصل داميكو إلى حانة ياموز ، عمّد من فوره إلى استقصاء وجود شاتار . لم يَمَكَّنْهُ الزحام ، والوقت الضيق على موعد

صهوة ليكانوس على صدره ، من العثور عليها وعلى صاحباتها
 السماء التريكات . سعد نهداً من الرمل ليقف قبالة مطية لآلاك .
 أمم الأسياد السبعة عشر على فرق المحارين . مطية أنثى ، ضخمة
 :هتف العاملين والعاملات في مهنتها مطايا . جهد أن يتذكر
 اسمها بلا جدوى . انخرط في التخاطر معها بنرد من حظوظ
 التصورات في مغاليق «النسيان الأعظم» ، التي يخرج منها استذكار
 المسور المتخيّلة دائماً بتيه مدخله فردوس المخاطبات الدائرية بألسنة
 من لهب ، ومُخرجه الريح الأكثر ضراوة في أرض ممالك الجن
 الخفية ، وممالك الأعالي السيّارة كالنجوم .

بادل داميكو شريكته في التخاطر الأخرس صوراً من مَجْمَع
 الذباب مهدّماً ؛ من جنّ مذعورين ، شاخصين بأبصارهم إلى
 السماء يتلقّفون رملاً أبيض ؛ من هضبة طيور لاكيلا متصدّعة
 الجنبات ، متهدمة في بعض أجزائها ؛ من الذئاب الصفر ، وفهود
 البوابات الرملية ، رابضة فوق قباب مساكن أهل زينافيرى ؛ من
 الإله كوياسي ملتهدماً جدار المعبد الغربي في جوع ؛ من النجمين
 الأربعة متجمدين صخوراً ؛ من قصر كاشاجو يتدلّى من سقفه
 أطفال ، وأبقار ، وطيور ، معلقة جميعاً بحبال من أقدامها .

بادلت مطية السيد لآلاك الشاعر داميكو صوراً من فرقة
 محاربين يتطاحنون قِراعاً بالأسلحة العظام ؛ من مطايا الجن الضخام
 يغلقون الأزقة على هارين من شيء غير واضح ؛ من الحصون
 الرمال مرتفعة حتى السحب الرمال في سماء زينافيرى ؛ من طيور
 لاكيلا بعيون كعيون الجن الحجرية ؛ من الرياح متفرّعة في الموضع
 الواحد برؤوس كالشيران ، وجسوم كالعقارب ؛ من ذباب لهب
 مشتعل ؛ من جنّيات يحفرن ثقباً في الرمل وينفخن فيها فتنة

الأرض ؛ من قصر خماسي الهيكل ، على سَطحه المستوي شمساً ،
تتوافد الإناث الجنيات لدخول لهما ؛ من أقفاص في حديقة ،
ذلك القصر يُحْتَبَس فيها الأسياد السبعة عشر لفرق المحاربين ،
ونسائهم ، وأولادهم ؛ من البوق الأوحـد ، المعلق إلى الشجره
العظام ، في يدها - هي التي تبادل الشاعر تخاطراً بمثله .

داميكو ، ومطية السيد لالاك ، تبادلا صوراً من المتخيلات
متشابهات أيضاً ، متطابقات البناء في عناصرها ، حتى الفجر .
لكنهما ، كغيرهما من رواد الحانة المنتصبين على النهود الرملية
صامتين ، أصغيا مراراً ، بين سطور تخاطُرهما ، إلى أصوات طيور
الليل ، ومخلوقات الليل البهائم ، تحتلبها الريح متقطعةً من صوب
واحة كيما . أصغيا إلى مالاتسلّمه الريح من نبرٍ عزيزها إلاً للأرض
العراء من حول الحانة في الليل . أصغيا إلى نبض قلب سيد الحانة
مسموعاً في أعماق الحانة ، بنقر حجريّ كسَجْع الكلمات يروي
للصمت المطبق سيرة نشأته صمتاً .

في الفجر أعلن ليكانوس ، بضربة ثانية مدوية على صدره من
يده ، موعداً انصراف رواد الحانة ، فنزلوا عن النهود الرملية ، كلُّ
بزئير خفيض ، أو هرير خفيض ، أو زمجرة خفيفة ، تذكيراً للوجود
بهم ، ثم وضعوا على آثار أقدامهم ، فوق النهود الرمال ، كلُّ ضرساً ،
أو سنّاً من أسنان الجن الموتى ، لقاء ارتياد الحانة . خرجوا من بوابتها
صامتين .

خارج الحانة استعرض داميكو المنصرفين بحثاً عن شاتار . عشر
عليها عابرةً مع زمرة من الإناث التريكات يواكبنها منفصلات عن
الأرهاب الآخرين . زاحم بضع جماعات صغيرة وثباً حتى جاورها .
ناداها باسمها في زفيرٍ .

«جئتُ إذًا ، ياداميكو» ، قالت شاتار متوقفة عن وثبها المتأني .
أنزلت بصرها إلى يديه الفارغتين :

- لم تجتني بشيء .

«لا» ، رد داميكو . هز رأسه يؤكد النفي .

زفرت شاتار زفرةً أتبعَتْها بزمجرة ملجومة :

- وقُفِرَ ذبابَ المَجْمَع لهايكاهيكسين أخرى قد تظهر في

زينافيري .

أبدى داميكو انكساراً بحركة من يديه . لكن شاتار اختزلت

النظر إلى عجزه خائبةً . وثبت مبتعدة ، فلحق بها داميكو يسألها

بصوت متضرع النبر :

- لماذا أنا هنا ، ياشاتار؟ .

نظرت إليه شاتار جانبياً بعينين مستفسرتين معنى سؤاله :

- حقاً ، لماذا أنت هنا؟ الحقُ بعميد المحاربين ماياكي .

لفتت إشارةً من رأس شاتار عيني داميكو إلى جهةٍ رأى فيها

ماياكي على ظهر مطيته راتو . غمغم متسائلاً :

- أيزور ماياكي الحانة؟ .

«رأيتَه مرتين قبلاً» ، ردت شاتار .

«كنتُ هنا مراراً» ، قال داميكو ، «لكنني لم أرَ ماياكي» .

ضاعف وثبهُ ليظل محاذياً الأنثى المتَّركة لم يعثر لها حظٌّ على

ذكرٍ .

«كان شريكِي في التخاطر» ، قالت شاتار .

«ماياكي؟» ، تساءل داميكو ، فردت شاتار :

- نعم . ماياكي . وكان راتو شريك إحدى صاحباتي .

تأمل داميكو وجهها جانبياً لا تنظر إليه . ودَّ لو سألها ماالذي

تبادلاه من صور الممكنات في تخاطرهما ، لكن مامن جنّ ييوحون ،
قط ، بما تخاطروه . سرّ ليلهم في الحانة يبقى في الحانة . كل
الرؤى ، التي يستنزّلونها من رغباتهم الدفينة ، وكل الصور التي
يدّخرونها في خزائن خوفهم ، وقلقهم ، ورجائهم ، ولذائذهم ،
ييوحونها تخاطراً في السياق إلى استشراف «النسيان الأعظم» -
الموت كمعقول وصفاً ، حتى لو لم تناسب صورة واحدة مما تخاطروه
مفهوم خيالهم في أمر الموت . يشتطون أحياناً . يقاربون أحياناً .
ماهم . لن يعاقب أحدٌ أحداً ، من المتشاركين مصادفةً في التخاطر ،
على ضعف في الصور بادلها بما بادلّه ، ولن يكافئه على اقتدار
الصور اقتراناً قويا بتأويل الموت في خيال الجن .

ودّ داميكو ، بإلحاح من فضوله ، لو سأل شاتار عن صور
يدّخرها عميد المحارين . غير أنه نَحَى فضوله ذلك إلى سؤالٍ ملتوٍ لن
يحظى بجواب عليه :

- أبادلك ماياكي صوراً من تصاميم مانعات الرياح أنجزها
المهندس ليوفا؟ .

هرّت شاتار . أدرجت سخرية خفيفة في الجواب :

- بادلني صوراً من الخطابات بينه وبين هايكاهايكسين .
سيتشاركان في الاستنسال .

هرّ داميكو بدوره ملدوغاً . ارتجل سؤالاً هارباً من سياق
السخرية وعضّها :

- إن قَبِلَ ذكورُ مشاركتك ذبابة استنسالٍ ، فمن تختارين؟ .

«أختارُ ماياكي» ، ردت شاتار .

«هناك ، إذًا ، من تفضليته على الآخرين في زينايري» ، عقّب

داميكو .

«متى كنتُ لا أفضل أحداً ، ياداميكو؟ متى كنا نحن ، هؤلاء اللواتي بلا حظوظ ، لا نفضلُ أحداً؟» ، ردت شاتار .

«ظننتك تكرهين كل أحد في زينايفيري» ، قال داميكو .
أضاف «أتفهمُ ذلك» .

«أحبُّ البعضَ إنْ ناسبني أن أحبهم . وأكرههم ، هم أنفسهم ، أنْ ناسبني كُرْههم» ، عقبت شاتار .

مدَّ داميكو يده إلى ذراع شاتار السائرة وثباً . أوقفها ، فتوقفت صاحباتها أيضاً . ساءلها :

- ماذا عنيتِ ، حقاً ، بقولك : أعطنا ذباباً ، وسنعطيك هايكاهايكسين؟ .

«عنيتُ ماعنيتُ . لكنك خذلتني» ، ردت شاتار . زمجرت :
«إقليم زينايفيري إقليمُ الخذلان» . عادت سائرة وثباً فعاد داميكو لاحقاً بها :

- إلى أين آخذ هايكاهايكسين إنْ أعطيتنيها ، ياشاتار؟ .
أدارت شاتار وجهها على وجوه صاحباتها القريبات منها وثباً .
تساءلت بصوت عال :

- إلى أين يأخذ داميكو هايكاهايكسين إنْ أعطيناه هايكاهايكسين؟ .

ردت إحداهن في مايشبه السخرية :
- فليأخذها إلى إقليم آبائها .
تطلعت شاتار إلى داميكو صامته ، تتوقع منه رداً على جواب صاحبته الساخر .

«لا ذاكرة لهايكاهايكسين» ، قال داميكو مغلوباً على أمره .
«لها ذاكرة ، قطعاً ، ياداميكو . ابحثْ عن ذاكرتها» ، عقبت

شاتار . لبثتُ ثانيةً تدير عينيها على صاحباتها الواثبات .
ساءلتهن :

- أين ذاكرة الجن ؟ .

« ذاكرة الجنّي قلبه » ، ردت إحداهن .

« ذاكرة الجنّي يده » ، ردت واحدة أخرى .

« بل ذاكرة الجنّي هي وثْبُه » ، قالت ثالثةٌ منهنَّ .

مالت شاتار قليلاً صوب داميكو . كلمته بالنّبر الساخر ذاته :

- ابحث عن ذاكرة هايكاهايكسين في قلبها . إن لم تجدها

هناك ابحث عنها في يديها . إن لم تجد ذاكرتها في يديها ابحث عنها في وثبها .

« هي لا تثبُ ، ياشاتار . هي تمشي مشياً لا نعرفه » ، قال داميكو .

« ابحثُ ، إذاً ، عن ذاكرتها في مشيها » ، قالت شاتار . « تعلمُ المشيَ مثلها ، واتبعْ ذاكرتها إلى إقليم آبائها » . توقفت مجفلةً حين كاد يصدّمها جنّي ضخم ، قادماً من جانبهم في وثبٍ واسعٍ تتبعه جنيةٌ لا تستطيع مجاراته ، فتتعثر في وثبتها .

هتف داميكو بالجنّي الراكض :

- ويلابو .

دار قيّاف البروق في الهواء بدلَ الأرض ، متفحّصاً مناديه .

عرفه :

- هه . داميكو .

« أعثرت على الجاني على هذه المنكوبة ؟ » ، ساءله داميكو

مشيراً بيده إلى الجنية ، التي كانت أولى ضحايا الضرب على الأيدي المحتضنة ذباب الاستنسال .

«أشْمُ قلبه . أشْمُ قلبه الخائف» ، ردَّ ويلا بو . «سأعثر عليه» .
«هناك منكوبون جدد ، ياويلا بو» ، قال داميكو . «أسمعتَ بهم؟» ، ساءلَ قيَّافَ البروق .
«هاسمعتُ بهم منك . سأعثر على الجناة ، ياداميكو . سأعثر على قلوبهم» ، ردَّ ويلا بو .

تقدمت شاتار من ويلا بو . ساءلته :
- هل التقطتَ برقًا بعدُ؟ .
حدَّق ويلا بو إلى شاتار :
- أستمركينني برقًا للاستئصال بدلَ ذباب هذا الشاعر؟ .
«سأشاركك ماتشاء» ، ردت إحدى صاحبات شاتار بنبرٍ فيه ملاطفةً .

«اتبعيني إذا» ، قال ويلا بو . «حين أنتهي من العثور على الجناة ، سأضع برقًا في كفك» . وثب مبتعداً في مهمته غير المحسومة تخطيطاً .

«سأبعثُ حين تلتقط برقًا» ، قالت صاحبة شاتار للجنى المفرط في طوله ، ذي صفائر الشعر أربعاً على الجهة اليسرى من راسه .

«إلى أين يتجه ويلا بو؟» ، تساءلت شاتار ، فرد داميكو :
- ربما إلى واحة كيما .
«إنه يقترب من الجناة» ، عقبت شاتار ساخرةً . أدارت وجهها إلى داميكو :

- هناك منكوبون جدد أضاعوا ذبابهم .
«لم يضيّعوها . أقسروا على إفلاتها بالضرب على أيديهم .
أعرفتِ بالأمر؟» ، ساءلها داميكو ، فردت شاتار مواربةً :

لم يعد الذبابُ مقتنعاً بمهمته كوسيط .
انطلقت شاتار وصاحباتها في وثبهن بعد توقفهن القصير ،
فوثب داميكو يجاور شاتار . اقترب حتى مسَّ كتفها بكتفه . كَلَّمها
بصوت فضول :

- تَلْمَحِينِ إلى إعطائي هايكاهايكسين كأنك تملكينها .
هَرَّتْ شاتار . حدقت إليه في صمت .
«ماذا؟» ، ساءلها داميكو . «لم تردِّي» ، أضاف .
«أتريد جواباً حقاً؟» ، ساءلته شاتار .
«ما جوابك؟ أنت لا تملكين هايكاهايكسين» ، ردَّ داميكو .
«تعرف جوابي ، إذًا» ، عَقَبَتْ شاتار .
«أهذا ما كنتِ ستردين به عليَّ؟» ، تساءل داميكو .
فَحَّتْ شاتار من حنجرتها بفم مفتوح على آخره : «لا» ، قالت
بنبرة يمازجه زئيرُ خافت .
«ما جوابك؟ كيف ستهينيني هايكاهايكسين؟» ، ساءلها
داميكو .

«أعطنا ذباباً» ، قالت شاتار .
«إن أعطيتُك ذباباً وعرف أحدٌ بالأمر فأنا ميت ، يا شاتار . ثم
ماذا إن أعطيتُك ذباباً؟ كيف تعطينيني ، أنت ، هايكاهايكسين؟» ،
ساءلها داميكو .

لم تلتفت شاتار إليه . تكلمت مسرَّحةً عينيها على الفراغ
البعيد متدلياً من السماء فوق الهيئة الشبحية لواحة كيما ،
متماوجةً في سراب :

- إن أعطيتُك هايكاهايكسين ، إلى أين ستأخذها؟
«لا أعرف» ، ردَّ داميكو . «ربما خرجتُ بها من زينافيرى هارباً» .

«نعم . اهربُ بها حتى إقليم آبائها» ، قالت شاتار .
«أعدتِ إلى السخرية؟» ، ساءلها داميكو . استطرَدَ : «لماذا
أطلبُ هايكاهيكسين منك؟ أستطيع أن أختلسها من حديقة القصر
هارباً بها» .

«هكذا إذاً!» ، غمغمت شاتار غمغمةً لم يفهم داميكو
مقصدها . نقلت لسانها إلى مسار آخر للأحاديث :

- لماذا لا يأكل الجن لحومَ الجن كعظامهم يأكلونها؟ .
«سمعت من آخرين سؤالاً كهذا» ، قال داميكو . أردفَ :
«لحمنا جافٌ . لَيْفٌ» . حدَّقَ إليها جانبياً في وثبه المتواصل .
ساءلها :

- ما الذي أثارَ خاطركَ في أمر لحم الجن؟ .

«العاصفة الزرقاء» ، ردت شاتار .

مامن رابط ، قطُّ ، بين مارأت شاتار من مطالع الزرقة البعيدة
وبين أكل لحم الجن . ارتجلت ، ربما ، كلامها من نزيف الإلهام
العارض في ظهور النمل الأزرق قادماً إلى زينافيرى سَحْباً زُرْقاً
تداخلت حواشيها أولاً ، ثم تشكلت زوابع ، ثم تلاحمت نسيجاً
مرصوصاً .

«لقد أبكرَ عيدُ العاصفة الزرقاء» ، قالت شاتار .

«ما المُبكر؟» ، ساءلها داميكو . «سنونٌ مضت من سنين الجن
على آخر عيد» .

«سنونُ الجن؟» ، غمغمت شاتارُ تُسائل نفسها في الأرجح .
«ماسنونُ الجن ، ياداميكو؟ سنواتٌ تنشدُ حيناً ، وتتراخى حيناً
كعضل الجن . سنوات تطول كظلال الجن ، وتقصرُ كظلال الجن ،
وتضمحلُ أيضاً كظلالهم» ، قالت . «سنةُ الجنِّي مقدارُ تعب الجنِّي» .

«وماذا إن لم يتعب الجني؟» ، تساءل داميكو .

«لا يكون له وقتٌ» ، ردَّت شاتار .

«ماوقتُ أنثى مثلك ، يا شاتار؟» ، ساءلها داميكو ، فردت

الأنثى التريكة ، المنبوذة من حظها في ذكر :

- وقتي هو ماستنجزه هايكاهايكيكين في تعلُّم الغناء .

كلُّ أمٍّ في زينافيرى عندها طفلة تغطي طفلتها بالنمل الأزرق الأجنحة ، من قدميها حتى قُلَّة رأسها ، يوماً ونصف اليوم ، وقوفاً أمام أبواب مساكنهن . دعر الصغيرات من النمل يُنضج اصواتهنَّ همهمات تعلو ، أو تنخفض ، بحسب ارتداد الهلع من قلوبهن إلى ألسنتهن . وهن لن يتوقفن عن همهماتهن الغناء تلك حتى آخر زفرات برتقالية من الرمل يزفرنَّها في انخطاف أرواحهن ببزوغ «النسيان الأعظم» - الموت عليهن .

شاتار ، وصاحباتها التريكات ، لم يوفرنَّهنَّ حظَّ النسل المقطوع إناثاً صغيرات يغطيْنهن بالنمل الأزرق الأجنحة ، كي يصِرْنَ منشِداً زينافيرى . ربما كان ذلك الإحساس بالافتقاد هو سبب تلميحتها الملتبس في الإشارة إلى تعليم هايكاهايكيكين الغناء . «يلزمها صوتٌ أولاً» ، قال داميكو تعقيباً على سخريتها . «لا صوت لهايكاهايكيكين» .

«ماذا تريد من هايكاهايكيكين حقاً؟» ، ساءلته شاتار بصوت أججَ نبره الشكُّ . «لا صوت لها . لا تقفز كقفرك . لا تأكل طعامك . لا تستنشق الغبار مثلك إن عطشت ، بل تشرب الماء ، ياداميكو . لقد وصلت مع أمك إلى زينافيرى تائهاً ، وقد تخرج من زينافيرى تائهاً» . زارت محتدمة : «سأعلِّم هايكاهايكيكين الغناء . سأعلِّم نسلي الإناث الغناء ، والذكور أيضاً» . رفعت يديها مفتوحتين إلى

السماء كأنما ستلتقط بكفيها شيئاً من السحاب الأزرق ينحدر أقرب
إلى الأرض : «سنستعين بالنمل الأزرق الأجنحة ، لا بدبابك ،
ياداميكو» .

رفعت صاحباتها أذرعهنَّ عالياً مثلها . زأرنَ بصوتٍ واحدٍ زئيرَ
الوعيد لا يخفى جرحُ الإهانة فيه .

الفصل الخامس

(قبلة في إقليم زينا فيري)

عَلَّت ذراعُ بَغْتَةٍ في الزحام ، ثم هوت بعظم طويل على يد جنِيٍّ واقف على باب مسكنه . تفجرت حنجرتُه أنيناً ، لامن ألم الكسر سُمعَ واضحاً ، بل من ارتخاء كَفِّه عن ذبابة فيها ، بيضاء الرأس ، برتقالية الجسم ، سوداء الجناحين . همَّ ، من لوعته ، أن يعيد التقاطها بيده الأخرى قبل فرارها طليقةً ، لكنَّ الذبابة كانت أسرع ، تماماً كالشخص المغطى الرأس بخمارٍ جلد بعد ضربه الضحية فرَّ وثباً طيراناً .

تعالَت أصوات مذهولة مما رأت . لكنَّ الزحام ، في الزقاق من حول أحد مجامع المساكن الدائريِّ ، الأقرب إلى شرق المعبد ، أخفى أثرَ الجاني ، وذوَّب الأصوات المذهولة في أقذاح الرمال الملأى لغطاً ، وصخباً ، من مخاطبات الجنِّ العالية في عبور بعضهم ببعض . والحالُ ذاتها كانت في زقاق مواز من مجمع المساكن إلى غرب المعبد : شخص مغطى الرأس بكيسٍ جلد ، فيه ثقبان على موضع العينين ، انهال بضربة من حجرٍ مستطيل على يد أنثى هَشَمَت أصابعها . طارت الذبابة التي فيها محوِّمةٌ تسع دورات في زويدة صغيرة من الريح منفصلةً عن أمِّها .

من مساءلات الجن في تقدير أصول النشآت ، عادةً ، أنهم يقيسون كل شيء ، في وجوده ، بردً أصله إلى ما قبل ظهور الجن أو

ما بعد ظهور الجن . يلحّون على ذلك في المناظرات ، والمخاطبات ، وتقويم الأحكام . همّ يسلّمون بالأنثى الأصل ، الأم ، أنشأت نفسها من ذاكرة سبقتها وجوداً في المطلق ، الذي لم يكن زمناً ، بل رصداً من العطالة اللانهائية على لامعقوله المطلق . ولما أنشأت الأم الأصل نفسها ، أنشأت زمنها معها مزيجاً من يقظة كيائها المحدث كنفس في جسم ، ومن المطلق التعطيل الذي هو بعض سؤال ذاكرتها . ثم تخيرت ذبابةً فاتخذتها وسيطاً إلى نشأة النسل .

على نحو كالتسليم بلا حدود ، أو قيد ، لم يسأل الجن لم اختارت الأم الأصل الذباب وسيطاً . وتجاهلوا ، خارج كل تساؤلاتهم في منشأ الأصول ، هل سبق الذباب وجود الأم ، أم سبق وجودها وجود الذباب ، أم نشأ الذباب فضلةً من إنشائها نفسها هيئةً جسماء؟ همّ يكرهون التداول في أعمار الجن ، ويستكرهون حتى الذعر ذكر قرود هيهمو ، لكنها أمور لا يندر زجها في أحاديثهم ، إلا السؤال في من سبق ظهوره ظهور الآخر : الذباب أم الجنية الأولى؟ ولماذا الذباب تحديداً؟ كان في مستطاعها اختيار الرمل وسيطاً حاضناً ، كأن تحفر ثقباً فيه ، وتنفخ في الثقب ثم تردمه حيناً من الوقت يخرج الوليد بعده على هيئة أمه ، التي استعارت من صورة الجرادة رجلين شغفاً بالجرادة قفزت معها ، من الوجود القديم بلا شكل ، إلى الوجود المحدث فوق الأرض الرمل .

كان حرياً بالأم الأصل إكرام الرمل مُدحلت ، في إنشائها كيائها ، على أرض رمل . لربما عرفت - منذ بزوغ رغبتها عليها بتكوين كيائها - أن الرمل نفسه كان ذاكرةً سبقت وجود الصخرة ، كالذاكرة التي سبقت نشوءها هي الأم الأولى . لربما تماسّت الذاكرتان في المطلق الذي أنشأ نفسه مطلقاً من ذاكرة الأصل

الشك في الحدوث : ذرة من الرمل تدحرجت إلى برهة بدء الأم بإنشاء نفسها ، فاستنبتت في شمول عقلها نزوعاً من الحنين إلى الرمل ، فاستقرت بكيانها على الأرض الرمل .

في انتشار الرمل على الأرض ، مرافقاً نزول الأم الأولى بكيانها المحدث ، نزع بعضه إلى بعض شوقاً فتألف صخوراً . لكن نزوع الرمل إلى بسط نفسه كذاكرة أنجز عقده مع الريح تتولى تفتيت الصخرة ، دهرأ بعد دهر ، ليكون في مكنة تلك الذاكرة الإحاطة بالخلاتق وبيجهاتها ، ما دامت الصخرة عاجزة بنفسها عن نقل كيانها الثقيل من موضعها .

ظهور الأم الأولى ، منقذة إلى الخلاء المكان في المطلق الأجوف ، خلخل الفراغ المتراص فاستحدثت الريح . حين تخمد الريح يرجع الفراغ مرصوصاً جسماً في أبعاد لامرئيه المرصوص . لذا يخمد الجن ، أيضاً ، إن خمدت الريح .

كل المتحدثين من الجن في أمور الأحكام ، والقياس ، والأصول ، يحذرون بأسئلتهم من تقدير أصول السوابق وأصول اللواحق : الأم الجنية هي الأصل . سبقت بنشوتها كل نشأة ، وانبتقت من نشوتها أعراض موازية هي الرمل ، والريح ، والجراد ، والذباب . تتراجع الأسئلة مذ يكتفي الجن بحصر خيال الاستنسال فيهم على الذباب وسيطاً في الصخرة الحاضنة . لكن : ماهي الذبابة ؟

حين لم يستطع منجمو زينا فيري ، خلفاً عن سلف ، إحكام الوصف في جوهر الذبابة ، وما هي طباعها ، والخصائص التي تسيطر بها هي الوساطة إلى استنسال الجن في الصخرة الحاضنة ، تخلوا عن المجاهدة في تحصيل علم كامل بها للشعراء ، منذ المجادلات

الأول بينهم في السحيق الغابر من زمن الجن .

لم يذهب الشعراء إلى محاولات الوصف ، والقياس ، ودرس الخصائص كما فعل المنجمون الشُّراح ، والمنجمون المتأولون ، والمنجمون المجتهدون على تصانيف الرؤى حول الحشرة ، بل أنطقوا خيالهم أشعاراً في شأن الذباب ، وطباع الذباب ، وحيل الذباب ، وصنائع الذباب ، وأنساب الذباب ، وطبقات الذباب ، وشرف الذباب في طرائق تناسله المدهشة ، ومنازل الذباب ، في الفصول المتغيرة ، قبل انقلاب الجفاف على الفصول جميعاً بإخضاعها لنظام واحد : ريح ، ورمل ، وبقايا واحات هي التَرْفُ الأخير من ذاكرة أرض كانت لها تلاوينها قبلاً .

عمد الشعراء ، أولاً ، إلى الإحاطة المطلقة بكنه الذباب في تقليد طنين الحشرة ذاتها ، مستحوذينَ بذلك على لطافة الجوهر الأول فيها صوتاً ، ثم قَسَمُوا الصوتَ طبقاتٍ في النَّبرِ على ترتيب متصل بطيرانها ، وحطَّها ، ودورانها على نفسها في المركز من التصاق قلبها بالأرض تحتها ، ولم ينسوا تلك الحركة - أم هندسة الحركات وهي تمسّد بيديها على صفحتي وجهها ، فوق العينين النافرتين ، كأنما تشحذُ بصرها المعدنَ بمبرد مسنٍّ ، وتسنُّ خرطومها .

لم يكن مفهوماً طنينُ الأشعار مُنشدةً في أفواه الشعراء ، على تقليد لطنين الذباب ، كحال المعاني مفهومٌ في الكلام الصوت واضحاً يتخاطب الجنُّ به . وقد عُدَّ اللامفهوم من أغراض الأشعار ، المصوّنة بلا كلمات ، إحاطةً كليةً بما لا يُفهم ، مُذ الذبابة نفسها كُنْةٌ دحضُ لأي جواب في شأنها جوهرًا ، أو عَرَضًا من أعراض نشو ، الحشرات .

عهد المنجمون مجَمَع الذباب ، في معبدهم ، إلى الشعراء ،

مير أحقاب من زمن زينايري . لكن ليكو الثاني ، جد كاشاجو ، منحهم جناحاً في القصر ينصرفون فيه ، بلا تدخل من المنجمين ، إلى استنباط أجناس من الذباب ، وتهذيب أجناس ، وترويض أجناس ، واستثارة أجناس حتى تكاد تجن من السعار ، وهي مايفضله المحاربون . كما حضهم ليكو الثاني على وضع تقدير بأثمانها من العظام للطلاب استنسلاً ، فيما كان الذباب يُمنح للطلاب قبلاً لقاء عمل يوم واحد في إعادة جمع الرمل على أسوار الحصون ، كلما ذرأها الريح ، أو أنقص ارتفاعاتها .

أربعة شعراء ، لا أكثر ، كانوا عماد مجمع الذباب ، منذ نشوء المجمع في إقليم زينايري . لا يعرف أحد لماذا استقرَّ الرقم المطلوب لإدارة المجمع على أربعة . وفي الزمن الذي انضم فيه داميكو إلى الشعراء كانوا ثلاثة ، فغدوا أربعة . ولم يلبث أن مات أحدهم الأكبر سنّاً ، بعدما تصاغت يده حتى كادت تختفيان ، وهرب ثان مفتوناً بتعاليم ماشفير المتمرّد الأعمى ، فبقي داميكو ورفيقه الآخرس ، أو المتخارس ، توكا . ولقد بات على الاثنين الباقيين أن يتفكراً ، بلا تلكؤ ، في طلب الاستنسال ، كي يورثا نسلهما سجل ذاكرتيهما الحافظتين أشعارهما الطنين استلهماه ثرياً بمذاهب الصوت من ذباب المجمع - الذباب الذي لا يأكل .

أصابع تكسّرت كما لاعهد لإقليم زينايري بحدوث مثله . أصابع تكسّرت في أوقات متقاربة . أكف حاضنة صُعقت ضرباً فأفلت الذباب متخلياً عن وساطته إلى إنضاج الأجنة في الصخور الحواضن . تكرر النزف الطاحن في شرق المدينة مرة ، وفي غربها مرة ، وفي القرى المحيطة بها . جن بأغطية على الرؤوس تولوا الغدر مُحكمًا ، مدروسًا ، بمن يحضنون ذباباً في أيديهم ، متخيّرين

الأمكنة الزحام دائماً ، ليدوبوا اختفاءً بعد تسديد ضرباتهم . ولن ينتبه العابرون الحشود ، في مسالك زينافيرى ، إلى نساء تولّين إرباك من حاولوا اللحاق بالجناة إعاقةً بأجسادهن ، أو إحداثاً لشجار يُغطّين به على الفاعلين لينجوا من رصد أعين المطاردين ، ويشتّتن انتباه المنتبهين بصخبٍ منهن يعلو على تفجّع الضحايا المنكوبين إناثاً وذكراً .

جرى هديرٌ سيلاً من الذهول اجتاح قصر سلطان زينافيرى . تحيّر كاشاجو من هول التسارع . تحيّر عميد محاربيه ماياكى ، القائم بمهمة اقتفاء الجناة بالعديد العديد من الجند ، من غير جدوى . ربما لم تكن نجاة الفاعلين من اقتدار الفاعلين على التخطيط الصارم ، ومن قوة تدبيرهم ، بل من الفوضى كانت تعم الأمكنة بعد كل حادثة ، فتختلط الرمال بالغبار ، والهباطُ بالعياط .

« فلنعلن جائزة لكل من يُدلي بشيء يقود إلى الجناة » ، اقترح أمين الحصون الرمال أماروك الأعور ، الفارعُ محجر العين اليمنى . « جوائز؟ » ، همست سوّك أمام لسان كاشاجو المتسمّع مستنكرةً . « لماذا يدفع كاشاجو أجوراً للمحاربين إذا؟ » . وجهت بصرها إلى ماياكى كأنما تقصده بسؤالها اللاذع .

تلمّس عميد المحاربين مخرجاً من حرّجه . خاطب سوّك :
- هل أكلف محارباً بحراسة كل جنية ، أو جنى ، من الحاضنين الذباب في أكفهم ؟ .

« كلف من يستطيع أن يرى » ، قالت سوّك ، فاستفّر ماياكى .
نبهر غضب في صوته :
- إن كان محاربو زينافيرى عمياناً ، ياسوّك ، فأنت من يراه عمياء أيضاً .

هزت سوك مستاءة ، لكنها لم تتماذ في مناكفة عميد
الحاربين ، وقد لحت في عينيه وعيداً .

«أنتم معتقدون ، بعد ، أن الفاعلين هم مريدو ماشفير؟»
تساءل ريكما من جوار الحافة الرمل الفاصلة بين البهو الأكبر
والأبهاء الصغار المحيطة به .

«إنهم مريدو ماشفير قطعاً» ، ردّ أماروك ذو الذراع اليسرى
الأطول من اليمنى . حرك يديه كأنما يتكلم بهما لابلسانه .

«عدنا إلى النفق» ، غمغم كاشاجو بعد نفضة بلسانه . «افعل
شيئاً ، ياماياكي» ، قال مضيفاً . دار حول نفسه متصنعاً تأملاً استغرقه
بغته . صوّب بصره إلى زوجته شيكتان في ركن بعيد من أرجاء القصر
الواسعة ، تكلم زمرة من نساء الأسياد : «منذ متى لم نخرج إلى
صيد؟» ، تساءل بصوته الحجر ، من غير أن يلتفت إلى ماقد يردّ به
الواقفون معه . وهم إن ردّوا فلن يسمع بالطبع مادام لا يراهم متكلمين
فيتذوق الكلمات بلسانه . لكن سوك ردت ، وهي تنقل بصرها بين
أمناء أسرار كاشاجو الثلاثة ، وبعض الأسياد ، وعميد الحاربين :

- لم أخرج إلى صيد منذ احتضن كاشاجو ذبابة الاستنسال
في كفه .

«ها أنت تحضنين الذبابة الآن» ، ردّ ميلدان ، أحد أسياد فرق
الحاربين السبع عشرة . أضاف : «غير مستحب أن يخرج للصيد من
يحتضن في كفه ذبابة» .

«يدي الأخرى حرة» ، قالت سوك .

«يد واحدة لا تكفي في الصيد» ، قال ميلدان .

دارت سوك نصف دورة ، بقفزتين رشيقتين ، هادئتين ، لتصير
قبالة كاشاجو فيراها متكلمة :

- لم أخرج إلى صيد معك بعدُ . خذني إلى الصيد .
التفت كاشاجو إلى أمين تجارة القصر مع القبائل دايجيك ، ذي
الساق اليمنى المفقودة . أنبأه بعزمه :
- سنخرج للصيد قبل المغيب . أذع الخبر ، وليلحق بموكبي من
يريد . سنجتمع أمام بوابة القصر .
تتبع سو ك سلطان زينا فيري منصرفاً وحده ، بعد إعلان
رغبته ، متجهاً إلى ركنه الثنية في الجدار الشمالي للقصر . جاورته .
لمست كتفه تنبيهاً أنها ستخاطبه ، فأدار كاشاجو وجهه إليها .
نضنض بلسانه يتذوق الكلمات .
«أي سلاح آخذ معي للصيد؟» ، ساءلته سو ك ، فرد كاشاجو :
- خذي الحيلة .
غمغمت سو ك متأولةً توريتَه . ساءلته :
- وماذا غير الحيلة ؟ .
أنزل كاشاجو بصره إلى يدها المضمومة على ذبايتها :
- انتبهي إلى يدك ، ياسو ك . لا تلحقي بالطرائد .
توقفت سو ك عن وثبها القصير ، فتوقف كاشاجو . لمع في
عينها رغبةً تريد الإفضاء بها : «ماذا؟» ، ساءلها كاشاجو . نضنض
بلسانه متنصتاً .
«أريد الذهاب معك إلى الصيد مرتديةً قناعاً» ، قالت سو ك .
«قناع؟!!» ، تساءل كاشاجو مستغرباً . أضاف مستوضحاً :
- أتعنين دهاناً تغطين به وجهك ؟ .
«لا» ، ردت سو ك . «أريد غطاءً على وجهي من جلد» .
«لا أفهمك ، ياسو ك . أتريدن التشبه بالجناة الذين يهشون
الأيدي؟» ، ساءلها بنبرٍ فيه تنبيه إلى أنه لم يلحق بالمعشوقين .

رغبتها الغامضة تلك . استطرد مستبقاً ردها :

الجنُّ مكشوفو الوجوه أبداً ، ياسوك . لا يغطي الجن وجوههم . لا يتنكرون . أتباع ماشفير ابتدعوا هذا ، مهينين عُرْفاً عريقاً . مَنْ يتنكرُ في غطاء على وجهه يكنْ مذعوراً . هَرَّتْ سوك مستثقلةً ذهاب كاشاجو في تحفُّظه إلى ذلك الحد . حاولت توضيحاً :

- أردتُ قناعاً عليه رسمٌ من وجه هايكاهايكسين أتنكرُ به للصيد ، ياكاشاجو .

«أخطر لك هذا ، أم استلهمته من حكايات ، ياسوك؟» ، ساءلها سلطان زينافيرى . «يروى آباء الجن حكاياتٍ عن جرادلهم رؤوس النمرور . لكنها رؤوس وليست أقنعة» . «ماذا لو كان لي رأس هايكاهايكسين ، وليس رأسي هذا؟» ، تساءلت سوك .

حدَّق كاشاجو إليها ملياً . تحسَّس بيديَّ قلبه الريشَ الخشن في خيال سوك . ردَّ غمغمةً :
- لما كنت ، إذذاك ، جنيةً .
«ماذا لو كنت جنية لها رأس هايكاهايكسين؟» ، تساءلت سوك .

أدار كاشاجو وجهه صوب مقامه الذي يقصده في الجدار الشرقي . وثب منصرفاً عنها وهو يلقي الكلمات خلفه :
- هذا ليس خيالَ صياد ، ياسوك . تهَيَّأي للصيد بخيالٍ آخر .
وثبت سوك عالياً حتى اعترضته :
- فلتصنع لي إحدى الرسامات وجه هايكاهايكسين على جلدٍ أتخذه قناعاً على وجهي . سيكون الأمر طريفاً .

تفكر كاشاجو برهةً يستعرض على خياله رغبةً سوّك الغريبة .
هز رأسه لا يؤكد ولا ينفي قبوله ما تريد الفتاة المحاربة ، قاطنةً القصر
الجديدة . استحضّر مزاحاً : « قد تطلبين من الرسامة أردو حَفَرُ
صورتى ، ذات يوم ، على حجر إحدى عينيك » ، قال . وثبّ منفكاً
عنها . دخل مقرّة الثّنية المقعرة في الجدار . انتصب على مدخل
الثّنية بوجهه إلى الجدار الجنوب . رفع يده ، فتفهّم شاكد إشارة
سيده وهو على مبعده . لبّاه وثباً طويلاً ، فيما انصرفت سوّك إلى
مقرها ، في الثّنية المجاورة ، لتتخيّر أسلحةً للصيد - حراباً عظاماً ،
وترقوات وقروناً لقذف الطرائد بها .

وقف شاكد قبالة سلطان زيناڤيري . مال كاشاجو عليه
متكلماً بصوتٍ خافت ، شارحاً بيديه شرحاً وافياً تخلّلته
استفسارات متلاحقة من مطيته الواضح الحيرة من طلب سيده .
استدار بعد تفهّم منصرفاً وثباً ، وهو يؤكد لنفسه ، بحركات من
يديه الضخمتين ، مّقاسات مّا لا ينبغي الخطأ فيها .

شيكتان ، التي انفصلت عن زمرة من نساء الأسياد وبناتهن ،
جاورتها مطيتها نينيسو صامته ، تَثْبَانِ وثباً هيئاً صوب بوابة القصر
الواسعة . وقفتا على العتبة لا تُجاوِزانهما .

سرّحت شيكتان بصرها من مدخل القصر على المعبّر إلى
حديقته : « ماذا كانت سوّك تطلب من كاشاجو؟ » ، تساءلت .
نقلت بصرها ، جانبياً ، إلى وجه مطيتها : « كنتُ أستطيع ، من ذلك
البعد عنهما ، أن ألمح في حركات يديها وهي تكلم كاشاجو غَرْناً
لرغبة ، يانينيسو . وقفته ، وإصغاؤه إليها بلسانه المتسارع فضضّة ،
دلّتا على تردّد في فهمها . وثبّه القصير مبتعداً عنها كان وثبّ
المتفكر في أمر لم يحسم قبوله ، أو رفضه » . هزّت هرباً خافتاً :

«كانت سلوك تعرض على كاشاجو رغبةً غامضة . لقد فاجأته» .
«أفهمت كل هذا من بعض حركاتهما ، ياشيكتان؟» ،
تساءلت نينيسو .

«أعرف حركات كاشاجو الأصم» ، ردت شيكتان . «أرايت كيف استدعى مطيته شاكد؟» .
«لم انتبه» ، ردت نينيسو .

«ما الذي يثير انتباهك ، إذاً ، يانينيسو؟» ، ساءلتها شيكتان
في نبر كالتوبيخ على غفلتها .

«أنتبه إلى مايثير انتباهي عادةً ، ياشيكتان . أنتبه إلى رغباتك
قبل أن تصارحيني بها أحياناً . أمّا ما يدور بين كاشاجو وسوك فلن
أترصده إلا إن إردت مني رصده» ردت نينيسو بنبرٍ من الصوت فيه
اعتراض على تهمة الغفلة .

هرّت شيكتان هرباً اعتذار خافت ، قبل أن ترمي بثقل قلبها
على لسانها :
... ماذا نفعل بسوك؟ .

«أنا قريبة من شيء» ، ردت نينيسو . فسّرت : «إن لم أعثر
على واحد من الجناة مُكسّري الأيدي ، فسأستأجر واحداً» .
هرّت شيكتان بصوت أعلى ، مستسيغة ردّ مطيتها . لكنها
استدركت :

- ماذا لو كُشف أمر من ستستأجرينه؟ .
«سأبقى قريبة منه ، فإن استكمل جنايته قتلته» ، ردت
نينيسو .

«في أي مكان سينفذ الجاني فعلته؟» ، تساءلت شيكتان
بعينين دارتا في محجريهما .

«هنا . في القصر» ، ردت نينيسو .

«هنا؟!» ، تساءلت شيكتان مرتبكة الصوت .

«المكان الأنسب لكسر يد سوكر هو هنا . سأكون حاضرة في ركن ، وأسارع إلى نجدةها ، فأقتل الجاني متصنعةً غضباً» ، ردت نينيسو .

«من الذي سيدخل القصر لتنفيذ جريمة كهذه؟» ، تساءلت شيكتان .

«سيأتي من يدعي طلباً من مجمع الذباب للاستئصال . دخول طالبي الذباب سهل» ، ردت نينيسو .

«يأتي اثنان عادةً ، لا واحد» ، عقت شيكتان .

«سيأتي ذكر وأنثى . بعد الحصول على ذبابة ستمضي الأنثى خارجة ، ويتجه الذكر إلى سوكر» ، قالت نينيسو .

«بات الأمر معقداً ، يانينيسو» ، قالت شيكتان بنبر متردد .
أضافت : «كيف سيصل الجاني إلى سوكر؟ هي محاربة ، ومطيتها ناكولي ، أخت شاكر ، قوية متنبهة» .

«سنفكر بالتفاصيل لاحقاً» ، ردت نينيسو مستشعرةً ثغرات في التخطيط .

هرت شيكتان هرباً خافتاً ، متواصلاً . باحت بقلقها من الحطة ، وترددها في تبنيها :
- لا أعرف ، يانينيسو .

«وأنا أيضاً» ، قالت نينيسو بوحاً بترددها أيضاً ، وبالارتباك في خطتها المثلومة .

وثبت شيكتان وثباً متأنياً على المعبر إلى حديقة القصر . تناوحت صفائرها كصفائر مطيتها من موجة ريح تمرغ دائرة على الأرض

الرميل . هرّ فهد من فهود البوابات الرمال الزرق العيون . وقفت شيكتان إلى جوار قفصه . تأملت بياضه مخطّطاً دوائر رمادية .

«أعطيني سلاحك» ، قالت شيكتان لمطيّتها ، فاستلّت نينيسو من حزام جلد على خصرها عظماً طويلاً له رأسٌ كُعبرة .

مرّرت شيكتان مؤخّر السلاح العظم من خلل ثغرة في أقواس القفص ، فمسّت به خاصرة الفهد مسّاً رقيقاً . تأملها الفهد صامتاً ، ساكناً ، ثم ربضَ جاثماً على الأرض . لكزّته شيكتان ثانيةً بمؤخّر السلاح ، فمد الفهد يده يداعب السلاح قبل أن يعض عليه ، ويجذبه جذباً قوياً كاد ينتزعه من يد شيكتان .

هرّت شيكتان موبّخةً . هرّ الفهد مستعرضاً إرادته . نقرت نينيسو بأناملها الطويلة ، القوية ، على عظام هيكل القفص تبثّ الفهدَ وعيداً غير صارم . التفتتا كما الفهد إلى قادم نادى شيكتان باسمها : «كاشاجو يتهياً للخروج إلى الصيد . أترغبين في مواكبته؟» ، ساءلها رسول زوجها .

«الآن؟» ، غمغمت شيكتان متسائلة .

«قبل المغيب» ، رد رسول زوجها .

«قبل المغيب؟» ، تساءلت شيكتان ثانيةً مستغربةً ذلك الموعد .

«سنلبث الليلة في واحة كيما . في الفجر نبدأ القنص حين

تردّ الحيوانات الماء» ، شرح رسول كاشاجو لشيكتان .

«من سيواكب كاشاجو؟» ، ساءلته شيكتان ، فردّ الرسول

الأعجف ، الطويل الوجه ، القصير العنق :

- لا أعرف بعد .

وثبت شيكتان إلى ظهر مطيّتها ، فوثبت مطيّتها عائدة بها إلى

جوف القصر .

كان كاشاجو لا يزال واقفاً على مدخل مقامه الثنية في الجدار ،
مختلياً بنفسه صامتاً ، ساكناً . مرت به شيكتان ، بعد عبورها سوكن
ومطيتها ، من غير نظر إليهما ، على ظهر مطيتها . بلغت مقامها
على يسار مقام زوجها . نزلت عن مطيتها مُذ لم يكن واضحاً لماذا
امتطتها في دخولها القصر .

«ماذا أختار للصيد من سلاح ، يانينيسو؟» ، سألت شيكتان
مطيتها .

«دعي الأمر لي» ، ردت نينيسو وهي تتوجه ببصرها إلى سوكن
خارجة من مسكنها الطيبة المقعرة في الجدار ، بجعبة تلوح فيها
عظام ظاهرة طويلاً .

وضعت سوكن الجعبة بين يدي مطيتها ناكولي . التفتت إلى
نينيسو . سألته من مبعدة بضع قفزات :
- أذهبة شيكتان إلى الصيد؟ .

«أذهبة أنت؟» ، ردت نينيسو بسؤال على سؤالها . أضافت :
«أراك تحملين اسلحةً كثيراً» .

«قد نصادف غزاة» ، قالت سوكن في سخرية . هامست مطيتها
لحظة قصيرة ، قبل أن تسترسل في مخاطبة نينيسو من جديد :
- هل ستتصيد شيكتان بنفسها ، أم ستتصيدن لها؟ .

هرّت نينيسو . نقرت الأرض الرمل بقدمها - قدم الجرادة .
سألته :

- بأية يد ستتصيدن ، أنت ، ياسوكن؟ أم ستتصيد ناكولي
عنك؟ .

«سنرى» ، ردت سوكن .

هرّت نينيسو من جديد هرباً أعلى ، في تحديق متعطل ، من

مبعدها تلك ، إلى سوكن ومطيتها . رفعت صوتها منادية :

- ناكولي . شديّ جلدًا على قبضة سوكن . قد تتراخى إن فاجأها ثور ، أو غمر ، أو جنيّ قزم .

قطع حديثهما المتناكف مجيء شاكدي وثب متّزن ، تتبعه الرسامات الأربع ، اللواتي دأبن ، أبدأ ، على مرافقة كاشاجو في كل رحلة صيد بالواحين الصفايح ، يتوزعن على الموكب ، عادة ، اثنتين قريباً من سلطان زينايفيري ترسمانه في مسيره ، وفي مطاردته الطرائد ؛ واثنيتن على قرب من الأسياد ترسمانهن في مسيرهم ، أو في قنصهم الطرائد .

عمد شاكدي ، فور وصوله ، إلى الوقوف ساكناً قبالة كاشاجو ، ريثما ينهي سلطان زينايفيري خلوته القصيرة بنفسه . بعد برهة مدّ ذراعه صوب شاكدي ، فأودع شاكدي يده سيده لفافةً جلدًا صغيرة ، تتدلى من هوامشها سيور .

«ماذا سلّم شاكدي إلى كاشاجو؟» ، تساءلت شيكتان . نظرت إلى مطيتها تستنطقها ما لا تعرف ، فالتزمت نينيسو الصمت تفضيلاً على التخمينات ، والتكهنات .

شيكتان تتفهم صمت مطيتها إن سألتها أحياناً ولم تُجب . قد لا يعجبها ذلك ، لكنها لا تبدي ضيقاً . كل صمت هو إمّا تواطؤ ، أو رضى ، أو خوف ، أو اعتراض ، أو كتمان ، أو لأدريّة ، أو تردّد ، أو اعتراف ، أو إنكار ، أو بلاهة أيضاً . قد يكون صمت نينيسو واحداً من تصانيف الصمت هذه ، إلّا البلاهة . وشيكتان ، حين تلتزم مطيتها الصمت ، تدرك أنها ترزّن الممكنات ، وتُقيّسها بعضها ببعض ، أو تعتبر سؤال شيكتان لها زائداً عن لزومه ، وربما مجرد استعلام لا تتوقع ردّاً عليه .

قطعاً لاتعرف نينيسو ماذا وضع شاكد في يد كاشاجو . هرت بصوت خافت كهرير شيكتان نفسها . التفتت إليها : « سأختار لك أسلحة للصيد » ، قالت ، ثم دخلت الثنية المقعرة الواسعة ، في الجدار ، مقام شيكتان ، ومضت إلى منتهى الثنية حيث علقت على أربعة أعمدة قصار من جذوع الشجر أسلحة عظام شتى : ترقوات ، وفكوك بقر ضخام ، وكعابر ، وشظايا مسنونة . تخيرت ماراته مناسباً لها ، فأودعتها جعبة علقتها إلى كتفها ، ثم خرجت من الثنية العميقة ، الواسعة . مشت خلف شيكتان إلى خارج القصر .

وقتاً بعد وقت احتشد جمع الموكب في الساحة المتصلة بالمعبر إلى حديقة القصر : سبعة من أسياذ فرق المحاربين السبع عشرة حضروا بنسائهم ، وأولادهم . حضر ماياكي وزوجته تايون الزرقاء الضفائر . حضر أولاد أمناء أسرار كاشاجو . حضرت الرسامات الأربع ، والجلاد رادبور ، وتارتوك المغني ، وزوجته وابنتاه الحليقات الرؤوس . حضر سبعون محارباً للمواكبة ، فيما غاب المنجمون ، والشاعران ، وأمناء أسرار كاشاجو ، الذين يواكبونه ، في أغلب الأحيان ، إلى صيده .

لم يلبث أن انضم كاشاجو ، وسوك ، راكبين مطيتيهما إلى الموكب ، وكذلك بعض حاملي أمتعته الأسلحة ، وأكياس عظام الولاثم . لكنهم فوجئوا بحضور العلماء الرحالة الخمسة ، على غير المعهود ؛ جوآبي أرض القبائل في إقليم زينافيرى ، وإقليم ساينون ، وإقليم يتراك ، وإقليم دزداه . هم لا ينتمون إلى أرض تحديد ، أو يدخلون في طاعة سلطان . كما لم يقسّرهم أحد على الدخول في طاعة سلطان ، أو سيد مكين . يعرضون ، حيث حلّوا ، منافع علومهم لقاء زاد من العظام ، وجلود . زاجرانو كبيرهم ، عالم في

اجتماع مواضع السيول ينذر القبائل . مَاسْتُو عَالِمٌ فِي الرَّمْلِ ،
وَأَصُولُ الْكَثْبَانِ . بُؤْهِدَارُ عَالِمٌ فِي شُؤُونِ الرِّيَّاحِ . جَيْرَاجِيكَ عَالِمٌ
فِي مَوَاضِعِ الْأَرْضِ الْمَرْغُوبَةِ لِإِقَامَةِ الْمَسَاكِينِ وَفَقْ عُبُورِ الْأَرْوَاحِ .
شَايِمَاتُ عَالِمٌ فِي أَصُولِ الْأَصْوَاتِ . وَقَدْ صَادَفَ وَجُودَهُمْ فِي
زِينَايِيرِي فَاَنْضَمُوا ، مُذْ سَمِعُوا خَبَرَ الرِّحْلَةِ ، إِلَى مُوَكَّبِ الصَّيْدِ
تَرْوِيحاً عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ رِحَالَاتٍ دَارَتْ بِهِمْ الْأَقَاصِي ، وَالْأَدَانِي .
وَقَدْ وَدَّ كَاشَا جُو أَنْ يَسْتَخْبِرَهُمْ شُؤُونَ الْأَرْضِ وَرَاءَ الْحَصُونِ الرَّمَالِ
عَلَى تَخُومِ زِينَايِيرِي ، لَا مَا يَتَّصِلُ مِنْهَا بِالْأَقَالِيمِ الْأُخْرَى وَالْقَبَائِلِ ،
بَلْ بِمَا يُرِيبُ مِنْ جَمَاعَاتٍ وَتَحْرِكَاتِهَا . لَكِنَّهُ اسْتَنْكَفَ عَنْ ذَلِكَ
لِأَمْرَيْنِ : الْأَوَّلُ أَنْ لَا يَظْهَرُ كَالْعَاجِزِ - وَهُوَ الْقَوِيُّ بِمَحَارِبِهِ ، وَعَسَسَهُ ،
وَمُخْبِرِهِ - عَنْ اسْتِقْصَاءِ مَوَاضِعِ مَاشْفِيرٍ وَمَرِيدِيهِ ، وَالثَّانِي أَنْ مَامَنْ
سُلْطَانُ اسْتَخْبَرَ الْعُلَمَاءَ الْخَمْسَةَ فِي شُؤُونِ الْأَقَالِيمِ الْأُخْرَى ، وَمَجْرَى
تَنْقُلِ الْجَمَاعَاتِ الصَّغَارِ فِي الْأَرْجَاءِ الْمَهْجُورَةِ .

رَحَّبَ كَاشَا جُو بِحَضُورِهِمْ بِلَا أَسْلِحَةٍ : «سَتَكُونُ لَكُمْ حَصَّةٌ
فِي صَيْدِنَا» ، قَالَ ، قَبْلَ أَنْ يُلْفَتَهُ تَوَجُّهُ الْمَجْتَمِعِينَ مَعَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى
نَاحِيَةِ مِنَ الْمُوَكَّبِ ، فَأَدَارَ وَجْهَهُ إِلَيْهَا . نَضْنَضُ بِلِسَانِهِ مَتَنَصِّتاً : كَانَ
رِيكَمَا يَنْتَهَرُ ، بِصَوْتِ عَالٍ ، مَايْشَا الْمُنْضَمُ إِلَى الْمُوَكَّبِ تَرَاغِقَهُ أُمُّهُ ،
وَالْأَنْثَى الْأُخْرَى الَّتِي لَمْ يُعْلَنْ نَسَبُهَا قَطْ ، مَطْلِيَّتِي الْوَجْهَيْنِ سَوَاداً .
«دَعَكَ مِنْ مَايْشَا ، يَارِيكَمَا» ، هَتَفَ كَاشَا جُو بِأَبْنِهِ .

«أَيُّ صَيْدٍ سَيَكُونُ بِحَضُورِ جَنَّ كَهْؤَلَاءِ؟» ، تَسَاءَلَ رِيكَمَا
مُسْتَهْجِئاً . «لَمْ يَصَادَفْ أَبَداً أَنْ مَايْشَا رَافَقَنَا فِي صَيْدٍ» .

«لَتَكُنْ هَذِهِ الْمَرَّةُ الْأُولَى ، يَارِيكَمَا» ، قَالَ كَاشَا جُو . وَجَّهَ بَصَرَهُ
إِلَى مَايْشَا ذِي الْعَصَابَةِ الْجُلْدِ عَلَى مُحِيطِ رَأْسِهِ . خَاطَبَهُ مُتَقَصِّداً
إِخَافَتَهُ :

- ستتولى المرأتان اللتان معك سلخ القنائص ، يامايشا .
«إن أراد أبي ذلك أجبته» ، رد مايشا ، ثم أدار المحاوره في اتجاه
آخر :

- أنا ذاهب لأعيد ترتيب الكون ذي الزوايا الثلاث .
«ما هذيالك هذا؟» تساءل كورتا ، أحد أسياد فرق المحاربين .
«هذا كلامُ أبي أنطَقَنيهِ» ، رد مايشا . التفت إلى أمه فصفعها .
«نعم . اصفعها» ، قال كورتا شامتاً . «اصفعها على خطئها أنها
لم تأكلك حيث خرجت من الصخرة وليداً» . التفت إلى كاشاجو :
- أستدعه يأتي معنا؟ .

حكَّ كاشاجو خاطره بأظفر خياله . خاطب مايشا :

- لماذا لم تُحضر أباك الميت أيضاً؟ .

«أنا أبي» ، ردَّ مايشا .

«أنت أنت ، وأنت أبوك ، يامايشا . متى تصير أمك أيضاً؟» ،
ساءله ريكما بنبرة فيها خدشٌ .

«حين أنتهي من أُمي سأصيرُ أمَّ نفسي أيضاً» ، ردَّ مايشا .
أمسك بصفائر الأنثى الأخرى التي معه : «حين أنتهي من هذه
سأصير المشيئةَ أيضاً» .

«لا تدعه يأتي معنا ، ياكاشاجو» ، قال كورتا بنبرٍ فيه توسُّل .
«حضوره شؤمٌ على الصيد» .

وثب مايشا نصف وثبة ليصير قبالة كاشاجو ، بعينين اثبتتهما
على كورتا . غمغم :

- كل صيد هو إرادتي . كل صيد يعود إليَّ .

«إليك؟» ، تساءل ريكما في هدير .

«إلى أبي» ، ردَّ مايشا .

«إتبع نهاية الموكب ، يامايشا . ابتعدُ» ، قال كاشاجو مختصراً
المجادلة السقيمة . أردفَ : «أنجزُ ، في صمت ، ترتيب الكون ذي
الزوايا الثلاث» . انعطف بمطيته صوب سوک الواقفة على قُرب منه .
خاطبَ مطيتها ناكولي :
- أديري ظهرک إليّ .

أدارت ناكولي ظهرها إلى كاشاجو ، فاستدار ظهر راکبتها إليه
ايضاً . لوت سوک عنقها ، فاستوقفها سلطان زينافيري :
- لا تنظري إلي .

اقترب شاكد ، مطية كاشاجو ، من وراء ظهر سوک حتى
لامسها . أخرج سلطان زينافيري لفافةً جلدًا من ثنية في ثوبه - جلد
جدته . بسطها بين يديه ينظر إلى شيء فيها . مد ذراعيه من خلف
رأس سوک ، على جهتيه . وضع الرقعة على وجهها ، وشدَّ السيورَ
الخيوط على محيط جمجمتها ربطاً فأحكم تثبيت الرقعة .
همهم الواقفون قبالة وجه سوک همهمات دَهْشاً .

«استديري إلى الآخرين ، ياناكولي» ، قال كاشاجو ، راغباً في
تمكين كلِّ مَنْ في الموكب من رؤية القناع على وجه سوک .
تقاطعت الهمهمات من كل صوب . سكبت الأصواتُ في
أنية الأصوات نبراً متزاحمَ الطنين والرنين .

صدحت حنجرة المغني تارتوك إنشاداً أزيزاً ، مُحْكماً في تدوير
النَّبر ، وتربيع النبر ، وخفضه ورفع ، على قَرَعٍ بالأيدي إيقاعاً على
رؤوسهن العارية من ابنتيه وزوجته ، اللواتي حلقن شعورهن تشبُّهاً
بطيور لاكيلا .

بُهتت سوک من ذلك التحديق المندesh إليها ، ومن الحناجر
هَبَّت متلاحقة بالغمغمات العميقة من مطاوي الصدور . شيكتان

بُهِتَتْ أيضاً على نحو لا يشبه حالَ سوَّك . اغْتَمَّت واضطربت على
ظهر مطيتها قهراً . هَرَّتْ منحنية تنثر صوتها على أذني نينيسو :
- أهذا ما وضعه شاكد في يد كاشاجو؟ .

«قنَّاعٌ مُتَقَنَّ الرِّسْم» ، عَقَّبَتْ نينيسو . «كأنَّ وجه سوَّك هو وجه
هايكاهيكسين» .

فَحَّتْ شيكتان فحيحاً اجتذبتُه لامن حنجرتها ، بل من
عظامها ، وهي تلقي بصرها على الرسامات وقفن على مبعدة من
الموكب ، كأنما يتهيان للقبض على الأشكال قبل تدوينها رسوماً
على صفا فيحهن السود الحجر : «فلتدفنكن الريحُ أحياء في
الرمال» ، قالت بصوت منسحق .

قفزت سوَّك عن ظهر مطيتها أرضاً . وثبت دائرة على نفسها
لا تعرف أين تتجه . توقفت . لمست القنَّاع بيدها الحرة . رفعت يدها
الأخرى فنفتحت من ثقب صغير في موضع الفم على الذبابة
المتحجبة في كفها . هرعَت على ارتباك صوب الرسامات . اجتذبت
لوحاً من يَدَيَّ إحداهن تتأمل وجهها في سواده . لم تظفر بصورة
القنَّاع منعكساً عليه . أعادت اللوح إلى صاحبتة . زارت :
- أريد أن أرى وجهي .

ليس لدى الجن مرايا في مساكنهم ، بل حجارة صفائح على
ألوان نقية قليلاً ، من مكسورات مصادفة ، أو شظايا مصقولة بلا
إتقان ، تحوي تقعُّرات ، وتحذِّبات ، قد يرون صورهم فيها ، إن نظروا ،
متخالطة الخطوط ، ممعوسة الهيئات ، غائمة . وهم يكتفون بها
بذلك مُدَّ لا يلجأون إلى تزويق بالألوان على وجوههم إلا نادراً .

بعض زائري حديقة قصر كاشاجو يلمحون صورهم ، أحياناً ،
في عيون الحيوانات الحبيسة إن تقربوا عن كُثب إليها ، وشاء

بعض مَنْ يزورون حدائق الأسياذ والغطاريف . غير أنهم لا يحدّقون إليها متأملين صورهم . لا يحبذون النظر إلى صورهم منعكسة على عيون الحيوان ، كما لا يستحبون النظر إلى ظلالهم . يودون ، جميعاً ، لو أنهم رأوا وجوههم مرة في عيني طير من طيور لا كيلا . لكنها طيورٌ عميانٌ ، فارغاتُ المحاجر إلّا من الهواء في رؤوسهن الجماجم ، العارية من الجلد واللحم .

«أريد أن أرى» ، قالت سوك في هدير . وثبت وثباً طويلاً على المعبر الرمل إلى حديقة القصر . عبرت المسالك الواسعة بين أقفاص فهود البوابات الرمال ، والذئاب الصفر ، وطيور كازنا الطويلات الأعناق كالشعابين خرجت رؤوسها من فتحات بين العظام ، وكذلك أقفاص الجن القزم ، المتقاربة العظام في صناعة هياكلها كي لا تهرب تلك المخلوقات المفرطة في الصغر ، الشبيهة في كل شيء بالجن ، غير أن لها أذبالاً ، وریشاً كالزغب أو أكبر على جسومها الضئيلة الجُروم .

«أريد أن أرى» ، كررت سوك عبارتها بصوت محموم . كانت حركتها في الوثب حركة العارف اهتدى ، أخيراً ، إلى ما يريد ، بعد بلبلة . اتجهت إلى محراب الأنثى الإنسية .

كانت الأنثى الإنسية تبني من الرمل ، لصق جدار مسكنها ، هيئةً نصفية لكائن شبيه بها ، لكن الرمل الجاف ينزلق بعضه عن بعض ، وتنتشر سطوح تلك الهيئة من نفخ الريح .

توقفت سوك متأملةً ماتفعله الأنثى الآدمية بإصرار في إعادة الرمل المنزلق إلى مواضعه في تلك الهيئة النصفية ، وتعويض مايتناثر منه برمل آخر .

بوغت الأنثى الإنسية . كانت تنظر إلى كل الجن ، قَبلاً ، بلا

ففسول في عينيها البلوريتين الصغيرتين . وها هي ، كما لم تعهدها سوك ، تحدق إليها مفتوحة الفم دَهْشاً ، فيما تشير إلى القناع بيدها اليسرى كأنها عثرت على مفقود .

«أخبريني : من أشبه ، ياهايكاهيكسين؟» ، ساءلتها سوك ، متلمسةً براحة يدها القناعَ على وجهها . هرعت وثباً ، بعد توقفها القصير ، إلى مدخل محراب الأنثى الإنسانية . بحثت بعينيها من ثقب القناع عن شيء تقصّده بعينه . رأت حوضَ الماء الحجرَ الصغير إلى جانب من مدخل المحراب المتراكب عظاماً . استلقت ، من فورها ، باتكاء على يديها ، فوق الحوض تستطلع وجهها .

هرّت سوك هريراً طويلاً ، مصحوباً بزفير موجّ سطح الماء الراكد في الحوض فتماوجت صورةُ قناعها . قربت وجهها من الماء وأبعدته مراراً . لوت عنقها صوب الأنثى الإنسانية واقفة على مدخل المحراب بالإشارة ذاتها ، من يدها ، إلى القناع على وجه سوك .

«من أنا ، ياهايكاهيكسين؟» ، ساءلتها الفتاة المحاربة ، المموّهة

الوجه .

أرخت الأنثى الإنسانية يدها . استدارت إلى الهيئة النصفية للكائن الذي صنعته من الرمل بلا تمكّن من تثبيت الرمل . اقتربت من سوك وهي مستلقية ، بعدُ ، باتكاء على راحة إحدى يديها ، وقبضة الأخرى المضمومة على ذبابتها من غير عصر . سحبت الحوضَ الحجر . مضت به إلى الهيئة النصفية للكائن الرمل . دلقت ماءَ الحوض عليه . تفلّعت الهيئة مائعةً . ركعت قرب الكتلة المتحولة طيناً رملًا . جمعت الرملَ البليلَ فتجمّع متراصاً . عجّلت في إنشاء الهيئة النصفية كأنما هي في سباق . أنجزت ماتريد : رأساً كرأسها ، على عنق كعنقها ، بين كتفين ككتفيها ، وصدرًا ذا

نذيين . نهضت أمام بصر سوك المحدقة إلى ما تفعل الأنثى الإنسية صامتة . أشارت بيدها إلى تلك الهيئة الرمل في سكونٍ رفرف بشعرها البني ، المتماوج طليقاً فوضى في الريح .

«ماذا تريدان أن تقولي ، ياهايكاهيكسين؟» ، تساءلت سوك .
عوى ذئب من الذئاب الصفر في قفصه ، فجاءته الذئاب في الأقفاص الأخر .

تقدمت الأنثى الإنسية من سوك . لمست القناع على وجهها مبتسمة . مدت ذراعيها إلى الجنية . جذبتها جذباً رقيقاً ، وديعاً . سلّمت سوك نفسها ليدي الأنثى الإنسية ، مقتربة منها زحفاً بقدميها - قدمي الجرادة على الرمل .

ضمت الأنثى الإنسية الجنية سوك إلى صدرها . قبلتها قبلة على موضع فمها في القناع .

تراجعت سوك مجفلة . غمغمت بصوت مرتبك :
- ماهذا؟ ماذا تفعلين؟

عوت الذئاب جميعاً ، دفعة واحدة . سدت الأنثى الإنسية أذنيها بيديها ، مبقية ابتسامتها التي رافقتها منذ مجيء سوك إلى مسكنها في الحديقة ، على شفّتها ، بالمقدار ذاته قياساً بميزان قلبها الذي عثر ، بغتة ، على شيءٍ مألوفٍ لبوح به لسانها .

أدارت سوك وجهها القناع على أقفاص الذئاب مسترسلة في عواءٍ رقيق لم يلجمه مجيء الأربعة المكلفين إطعام حيوانات الحديقة ، ورعايتها . وبّخوا الذئاب بأصواتٍ نقرٍ من الألسنة على بواطن أفواههم ، فلم ترتدع . اقتربت الأنثى الآدمية من قفص . مدت ذراعها اليسرى من خلال العظام الأقواس فلامست يدها رأس ذئب بلا خوف . سكن الذئب إلى لمستها .

هرّت سوك ذهولاً . وثبت إلى جوار الأنثى الإنسية . أعادت طرح سؤالها الذي لن تتلقى جواباً عليه :
- ماذا فعلت ، ياهيكاهيكسين ؟ .

لم يكن سؤالها متعلقاً بلمسة الأنثى الآدمية لرأس الذئب ، بل بتلك القُبلة من فمها على فم سوك . لا تاريخ للقبل في زينافيري . لا أثر في خيال الجن للقبل من مشارق أقاليمهم كلها إلى مغارب أقاليمهم . ما من شيء كالقُبلة ، أو ما يشبهها ، نُسِبَ في الحكايات إلى أقاليم الجن السيارة في الأعالي كالنجوم ، أو إلى الأقاليم المحتجبة في مسالك الرمال السفلية . سوك أحسّت شفتي الأنثى الإنسية على شفتيها في فتحة القناع فوق الفم . زارت مستوضحةً بصوت أثاره فضولٌ طاحن :
- ماذا كان ذلك ، ياهيكاهيكسين ؟ .

تراجعت الأنثى الإنسية عن القفص إذ هدا الذئب . عادت محدقة إلى قناع سوك الرسم على رقعة جلد مشابهاً وجهها . شدتها من ذراعها ماشيةً صوب مسكنها ، فاضطرت سوك إلى وثب مختزل جداً كي تجاري مشي هايكاهيكسين ، التي أدخلتها مسكنها المحراب . فتحت كيساً عن فاكهة قدمتها إلى سوك . تأبّت سوك في هدوء ، متراجعةً . أدارت بصرها على كومة من قشور الفاكهة وبزورها ، فعجلت الأنثى الإنسية إلى جمع القشور ، والبزور ، بيديها . رمت بها خارجاً يتبعها ذباب كثير ، ثم حثت الرمل على تلك القمامة فطمرتها .

«أين أنت ، ياسوك؟» - كان ذلك صوت ريكما قادماً على ظهر مطيته زيديكا . أردف في استياء : «سيتحرك الموكب» .
وثبت سوك تتبع ريكما مغادرةً . تبعته الأنثى الإنسية حتى

مشارف المعبر الرمل من الحديقة إلى بوابة القصر . وقفت هناك لا
تجاوز المعبر ، مرسلّة بصرها بستين جناحاً كأجنحة الجراد ورا ،
سوك ، التي ما برحت تلتفت إليها بين وثبة وأخرى ، حتى انضمت
إلى موكب كاشاجو . اعتّلت ظهر مطيتها ناكولي .

تحرك الموكب وثباً أضاف رملاً مقدوفاً إلى الرمل في الريح ،
التي خالط عزيّفها عزيّف من حنجرة تارتوك - مغني أرواح طيور
لاكايلا الميّتات . ابنتاه ، وزوجته ، تقدّمن الموكب ، سابقات مطية
كاشاجو نفسه ، بقرع متلاحق من قبضاتهن على رؤوسهن
العواري ، في الوقت ملاسماً بريشة من جناحه أول المغيب .

اتجه الموكب غرباً ، يثب السائرون فيه وثباً متمهلاً ، قصيراً ،
كانهم يرقصون في مواضعهم ، تعلو جسامهم وتُسفل إيقاعاً مع النور
انسَلّ بشعاعاته إلى الزاوية السفلى من زوايا الكون الثلاث .

«متى سينتهي النحات ألما من إنجاز هيكل الإله كوياسي؟»
تساءل سافْتَار ، أحدُ أسياد فرق المحاربين .

«منذ متى على نحّاتي زينافيرى إنجاز هيكل الإله كوياسي؟»
ردّ فيذرُوكا ، السيد الآخر من أسياد الفرق .

السبعة الأسياد المحاربون ، الذين واكبوا كاشاجو ، كانوا في
مقدم الموكب ، عن جنبه ، فوق ظهور مطاياهم ، تتبعه سوك
وشيكتان ، وابنه ريكما ، وعميد المحاربين ماياكي وزوجته . خمسُ
من بنات الأسياد ، واثنتان من بنات أمناء أسرار سلطان زينافيرى ،
همَزْنَ مطاياهن ، سابقات الموكب ، في لعب سباق ، فغطين
بالصخب الأنيس على نشيد المغني تارتوك المتصل ، المنسكب أزيزاً
رقيقاً .

ألوى كاشاجو عنقه إلى نانسُ ، السيد الذي عن يساره .

نفض بلسانه متذوّقاً ، بلا اقتدار ، مَسْكَبَ الصخب يراه بعينه
خلف الفتيات المتسابقات . ساءله :

- هل من أناث بين مريدي ماشفير الأعمى ، يانانس ؟ .
« نعم . نعرف ذكوراً صحبوا إناثهم في اللحاق بماشفير » ، ردّ
نانس .

فحّ كاشاجو متأثلاً بعقل لسانه مذاق الردّ :
- قلّ لي ، يانانس ، كيف يهتدي المنضمون الجدد إلى الأعمى
ماشفير ، ولا نهتدي إليه ؟ .

« هم لا يهتدون إليه ، بل يخرجون هائمين في القفار ،
فيجتذبهم مريدو ماشفير » ، ردّ نانس .

« لماذا لا نكلف بعضاً من الخُصاء لنا بالتظاهر أنهم خرجوا من
زينافيري إيماناً بماشفير؟ سيعودون إلينا بأخبار عن موضع الأعمى » ،
قال كاشاجو .

« ما من أحد عاد إلى زينافيري ، بعد خروجه مؤمناً بأحكام
ماشفير ، باقياً على الحال قبل خروجه » ، ردّ نانس . استطرد
شارحاً : « يعيد ماشفير ترتيب ذاكرة الملتحقين به » .

« كيف تعرف هذا؟ » ، تساءل كاشاجو ، فردّ نانس :

- معنا الجلاد رادبور . اسأل رادبور .

« سألتُه مراراً ، يانانس . أين هو؟ » ، تساءل كاشاجو ، فارتفع
صوت نانس هاتفاً :

- أين رادبور؟ .

تواترت الأصوات مرددة اسم جلاد زينافيري . لبّى الجلاد
النداء من طرف بعيد في الموكب . وثب سليل ثلاثمائة عام من
أعوام الجن اختصاصاً في استنشاق ذاكرة المحكومين بالإعدام . أثار

رملاً خلفه في مثوله بين يدي سلطان زينايري . تعمّد مجاوزته قليلاً ليتمكن من رؤية شفّيته إن نطق .

«رادبور» ، قال كاشاجو . «واضح أننا لن نتمكن من استنطاق ذاكرة مريد واحد من مريدي ماشفير . ما الذي يفعله الأعمى بهم تحديدًا؟ تشرح لي مراراً شرحاً يُنسى» .
«يعيد خلط ذاكرة المريد» ، ردّ رادبور .

نضنض كاشاجو بلسانه . غمغم :

- اسمعتَ لساني كثيراً من هذا . ألدّيك تقديرٌ آخر؟ .

«ذاكرة المريد هو التمويه الذي يُحدّثه ماشفير فيها» ، رد رادبور .
«أهو التمويه من ماشفير ، أم إخلاصُ المريد له؟» ، تساءل كاشاجو .

«ربما هُما معاً . ذاكرة مموّهة ، وإخلاص قادر بزئيرٍ صاحب أن يبددها ، حين يحس المريد بالخطر» ، ردّ رادبور .
«ماذا لو منعتَ الأسرى من الزئير؟» ، تساءل كاشاجو ، فرد رادبور :

- كيف لي ذلك؟ هم يزأرون زئير الإنذار حيث يظفر المحاربون بهم .

«أتعرف كل هذا يارادبور ، أم هو تقديرٌ وتخمين ، وتكهن؟» ، ساءله كاشاجو ، فردّ رادبور :

- أنا أبني أحكامي على قياسات قد تحتمل الخطأ ، لكنها ليست خطأً في جملتها .

«ماذا لو خلطت ، يارادبور ، ذاكرة جنّي مخلص لنا ، وأطلقتَه في القفار؟ إن ضمّه مريدو ماشفير إليه ، وخلط الأعمى على المخلص لنا ذاكرته ، عادت ذاكرته إلى صوابها الأول . لربما تسلل من

ملجأً ماشفير عائداً إلينا ، فدلّنا على الطريق إليه » ، قال كاشاجو بصوت حجر متصلّ الجَلْجَلَة الجافة فيه .

لمس نانس السيد كتف كاشاجو يلفته إليه . نضض السلطان بلسانه - لسان الأفعى يتربّ كلام محدّته .

« ماذا في إمكان ماشفير أن يفعل بنا ، وبإقليم زينا فيري ، يا كاشاجو ؟ » ، ساءله نانس .

« لا نعرف مقدار قوّته بعد » ، ردّ كاشاجو .

« ربما تؤزّع أتباعه فرادى على القفار الفيافي ، يا كاشاجو . ربما تاه الأعمى كفكرته » ، عقّب نانس .

« من هؤلاء الذين نعتقلهم ، إذاً ، وقتاً بعد وقت ، ويتنشّق رادبور ذاكرتهم ؟ » ، ساءله كاشاجو .

حدّق نانس إلى رادبور الجلاد بنظرة رؤيا استنزّلتها البرهة على خياله :

- ألا تعتقد ، يارادبور ، أن هؤلاء الذين نطّهم من أتباع ماشفير ، وتستنطقهم أنت ، هم جنّ فقدوا ذاكرتهم أصلاً ؟

تلقّف رادبور تساؤل نانس كنفضٍ قوي على رمل خياله . غمغم :

- ما الأنفاق إذاً ؟ .

« أتعني ما تستنشّق من صور في بقايا ذاكرتهم ؟ » ، تساءل نانس . ردّ بنفسه : « ذاكرتهم المفقودة أنفاقٌ مُذْ لاشيء واضحاً فيها » . هرّ : « ربما لا ترى أنفاقاً ، يارادبور ، بل تتوّهم ذلك . الأنفاقُ رؤى تنزّل عليك » .

وثب ماياكي ، عميد المحاربين ، من الصفّ الذي يليهم ، فجاوزهم كي يراه كاشاجو متكلماً . ساءلهم :

... ما الذي يببطكم؟ .

«ماشفير» ، ردَّ نانس .

«ماشفير؟!» ، تساءل ماياكي مستخفاً . «أأنتم في حديث على ماشفير ، وعلى الأنفاق في ذاكرات أتباعه؟» . زثر زئيرا خشناً : «ربما تقاسم أتباعه عظامه هائمين في قفارهم» .

«ماذا عن هؤلاء الذين يكسرون الأيدي الحاضنة ذباباً؟» ، تساءل ماكألوني ، سيد إحدى الفرق .

«ربما من أتباع ملك اللصوص ميسودا الأعمى» ، ردَّ نانس ببعض السخرية .

«ماالسبب؟» ، تساءل ماكألوني ، فردَّ نانس :

- يكسرون الأيدي . يختطفون الذباب فيبيعونه .

«أنت ظريف ، يانانس» عقب ماكألوني في تهكم خفيف .

فاستطرد نانس :

- ربما الفاعلون جماعةً يكرهون كثرة النسل في إقليم زينافير فيحاولون إنقاظه . أو هم ممن لا يحبون الزحام في الأزقة .

«سأخذ في الاعتبار ظرافتك ، يانانس» ، قال ماكألوني . «لكنَّ فعلاً خطيراً كهذا لا يقتضيه كاره لكثرة النسل في زينافير ، أو محبٌ للأزقة بلا زحام . إنه من عمل ماشفير» . مطَّ عنقه باستدارة من رأسه إلى كاشاجو : «ماشفير لا يريد إنقاظ نسل ، أو تخفيف زحام في الأزقة ، بل تشريد كلِّ نسل في القفار المهجورات» .

«أجزم أن حيوانات واحة كيماً بدأت تتململ حذراً ، ليس منكم ، بل من ماشفير على ألسنتكم» ، قال ماياكي ببعض السخرية . «وقد أجزم أنكم لن تجدوا قناص في وصولنا إلى هناك . أشباح مريدي ماشفير ستسبقكم» . رفع صوته عالياً :

- أطلق إنشادك زئيراً ، ياتارتوك . غَطَّ به على الأسماع .
ضربت ابنتا تارتوك ، وأمهما ، صدورهن براحت الأيدي ضرباً
أثرنَ صدىً كالطبل من بين أضلاعهن . عوى تارتوك غناءً .
طَوَّقَ الظلامُ الموكبَ الطويل بقرونه المتشعبة ، فانحسر النظر في
عيون الجن بعضهم إلى بعض ، لكنَّ صفوفهم لم تتخالط فوضى ،
بل تناسقَ وثبُّهم بالتدبير القوي لأسماعهم .
كانوا ، بعدُ ، كلُّ في حديثٍ إلى من يجاوره ، إلاَّ كاشاجو :
لقد حجبَ الظلامُ الشفاهَ عنه . غمغم مرتين على نحوٍ كالمحدث
نفسه :

- أكلمني أحد؟ .

مامن أحد توجه بكلامه ، في الظلام ، إلى كاشاجو . غير أن
سلطان زينافيري أرسل ، مراراً ، في مسير الموكب ، أحاديثَ يخص
بها هذا ، أو ذاك ، من مواكبيه القريبين منه ، فبدأ محدثاً نفسه ،
لاسواه . حتى أن من خاطبهم ، تحديداً ، لزموا الصمت لا يردُّون ،
مذ يعرفون أنه لن يتلقَّف نبراً من الكلمات ، أو يتذوَّق بلسانه
صوتاً .

«أمالكُ الجن السيَّارة كالنجوم ، في الأعالي ، على ترتيب
كأقاليم الجن على الأرض ، يافيدروكا؟» ، سأل كاشاجو أحد أسياد
الفرق .

« » .

«ما أحجام قصور سلاطينهم؟» ، تساءل كاشاجو .

« » .

«ربما ليس عندهم منجمون . ما حاجة الممالك ، في الأعالي
إلى منجمين؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«هم يعرفون كائنات مثل هايكاهايكسين . هم كانوا قبلنا في وجودهم . أم سبقتهم الأنثى الأصل لسلالاتنا إلى خلق نفسها قبلهم ، يادَارْدِيك؟» ، سأل كاشاجو أحدَ أسياد الفرق .

« »

«ما الذي تصغين إليه ، ياشيكتان؟ أنتِ لا تصغين إليَّ» ، قال كاشاجو .

« »

«أعجبك القناع على وجه سوك ، ياشيكتان؟ لا تقولي شيئاً . لن تقولي ما تفكرين به» ، قال كاشاجو . استطردها تفاقاً : «سوك . أتسمعيني ، ياسوك؟ أأنتِ أنتِ بعدُ ، أم أنتِ هايكاهايكسين؟» .

« »

«أنصتي إلى الذبابة في كفك ، ياسوك» ، قال كاشاجو . «إنها تعرف لماذا اخترتُك شريكةً للاستئصال» .

« »

«يَكَمْ ذئبٍ أصفر سنعود إلى القصر ، ياماياكي؟» ، سأل كاشاجو عميدَ محاربيه .

« »

«أقلتِ : تسعة؟ أنا أذوق بلسان خيالي الصور في خيالك» ، قال كاشاجو . عقَّبَ تعليقاً على لسانه : «صرتُ أزاحم رادبور على مهنته» .

« »

«تسعة؟ لماذا تسعة ذئاب ، لا غير؟ ماذا عن الذئب الذي ستصيده سوك ، ياماياكي؟» ، تساءل كاشاجو .

« » .

« لا تغصبي ، يا شيكتان . ربما أنت من ستصيد الذئب الحادي عشر » ، قال كاشاجو . أضاف : « تأكّدي أنه ذئب أصفر ، وليس أبيض كالذئب الطيف - ذئب المعبد » .

« » .

« لماذا طيفُ ذئب المعبد أبيض؟ لِمَ اختار المنجمون وحيهم أبيض ، ياتارتوك؟ . أنت منشغل بنشيدك . أم توقفت؟ ألمحْ أطيافَ إناثك يلطمن رؤوسهن بعُدْ . أنت تغني ، يا مُنشِدَ أرواح طيور لا كيلا » ، قال كاشاجو .

« » .

« لِمَ طيورنا المقدسة عُمي؟ » ، تساءل كاشاجو . ردَّ على سؤاله : « هي ترى أكثر هكذا . العميان يرون أكثر . ماشفير يرى أكثر . ملك اللصوص ميسودا يرى أكثر . الظلامُ يرى أكثر من النور . أم لا توافقني ، يانانس؟ » ، سأل كاشاجو ذلك السيد من أسياد الفرق .

« » .

استدار كاشاجو إلى الخلف ، على ظهر مطيته شاكد . حدّث ابنه من غير أن يتبيّنه تحديداً :
- لم تكلمني منذ مدة ، ياريكما .

« » .

« تُكلم شيكتان أكثر مني » ، قال كاشاجو . « ستكون سووك لك حين تنتهي من حَضْنِ ذبابتنا . شاركها استنسلاً ، أنت أيضاً » .

« » .

« لا تغضبْ ، ياريكما . لم أقل ما يهين . لا تغصبي . لا يا شيكتان » ، قال كاشاجو . غمغم : « لا تغصبي ، ياسوك . لا

تغضبوا ، يا أسياد المحاربين . لا تغضب ، يا إقليم زينافيرى» .
« . . . »

هرّ كاشاجو هريراً خافتاً : «أنتم لا تسمعونني . ذلك أفضل .
لكنني أسمع نفسي» ، قال . «كيف أسمع نفسي ولا أسمعكم؟ أنا
رؤيا الذئب الأبيض . أنا محنة الصوت» .
« . . . »

«ماذا لو نقلنا قصرنا إلى واحة كيما؟» ، تساءل كاشاجو .
« . . . »

هزّ رأسه ، استخفافاً بالفكرة :
- أن يتشمم الجنيّ رائحة الماء ، كل يوم ، أمرٌ يسبب الرعشة في
الأرجل ، أليس كذلك ، يا أتلو؟ أم يسبب الرعشة في الأيدي؟ .
« . . . »

«لماذا لا نتذكر الصور الأكثر قسوةً إلّا ونحن في محنة ،
ياماياكي؟» ، تساءل كاشاجو .
« . . . »

«الحنّة هي البرهة المقدسة لابتكار إله في حجومها . كلُّ محنة
تبتكر إلهاً ، ياسافّتار . أم هذا الكلام نزعّة منّي إلى محاكاة
المنجمين؟» ، سأل كاشاجو أحدَ أسياد الفرق .
« . . . »

«في الحنّة يبتكر الجنُّ مخلصاً رؤياً» ، قال كاشاجو .
« . . . »

«أين العلماء الخمسة؟» ، ساءل نفسه .
« . . . »

«بِمَ أجبت؟ لا أسمعني» ، قال ساخرّاً . أضاف : «هم في

موضعاً من الموكب . علماء رحالة . لا ينتسبون إلى أرض ،
ولا يخضعون لسلطان . كيف استجمعت المصادفة لهم هذا ،
يا كاشاجو؟» ، ساءل سلطان زينايري نفسه .

« »

هرّ بصوت خافت :

– ماذا لو أخضعتهم لي ، وأبقيتهم في زينايري؟ .

« »

«إن أخضعتهم غضبوا؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«وماذا إن غضبوا؟ ماذا في وسعهم أن يصنعوا؟ يحجبون
علومهم؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«سيتولى رادبور استنشاق ذاكرتهم . سيختزن علومهم في
ذاكرته» ، قال كاشاجو .

« »

«من كان آخر من قتلت ، ياماياكي؟» ، ساءل كاشاجو عميد
المحاربين .

« »

«أتذكر أبي لأنساه . مَنْ كانت تشبه أمي؟» ، ساءل نفسه .

« »

«من كان يشبه أبي ، ياسوك؟ لم تكن الصخرة أنجبتك .
حين اختفى أبي . هل اختفى؟ مات من صاعقة على الهضبة .
الحمراء . أم ذاكرتي تتمرغ في نفسها مختلطة؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«أيُّ أفق سيسدُّ ليوفاً بمناعات الرياح ، يافيدروكا؟ كم من شجرة في واحات إقليم الجن يكفي لإنجاز مانعات الرياح؟ بأيِّ إقليم نبدأ حصارنا على الريح؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«أين أمير المهندسين ليوفا؟» ، تساءل كاشاجو . صرخ :
«ليووووفا» .

« »

«ليوفا ليس في الموكب . يدها تتصاغران . عمره في انهيار . مهندس يتدرب على دَيْن أبعدَ من دِين الريح» . قال كاشاجو .
غمغم : «ليوفا . ماذا تفعل الآن؟» .

« »

«ما الرياح؟ كيف أنشأت نفسها رياحاً؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«لماذا يسمع الجن في إقليم زينافيري ، ولا أسمع أنا؟ ما الصوت ، أيها الإله كوياسي؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«أسمع أنت ، ياكوياسي؟ لم يهتدِ النحات ألماً إلى صناعة أذنين تليقان بك . كلُّنا نُملِي على ألما صورة أذنين تليقان بك ، ثم نتردد في حسم الصورة . ربما لا تحتاج إلى أذنين . سأقول ذلك لألما . أتوافقني ، يادَارْدِيك؟» ، سأل كاشاجو سيّداً من أسياذ المحاربين .

« »

«ربما لا تحتاج ، ياكوياسي ، إلى أعضائك . ربما لا تحتاج إلى نفسك . الفراغُ المحيط بهيكلك ، في الساحة قرب المعبد ، هو هيكلُك النهائي ، وأبعادُ أبعادك . لا يحيط بشكلك علماً إلاَّ الفراغُ

ذاته . أم ماذا ، ياتارتوك؟» ، سأل كاشاجو المغني السائر وثباً بنشيدته
ففي مقدّم الموكب .

« »

«ما الفراغ؟» ، تساءل كاشاجو .

« »

«كلُّ أحدٍ يملأ فراغاً بعملٍ مّا ؛ بصناعةٍ مّا . المهندس ليوفا يملأ
الفراغ بأنواع الرياح . المنجمون يملأون الفراغ بطيف الذئب
الأبيض . الحروب تملأ الفراغ بانتصارات وبهزائم . الفراغ يحفظ
بعض أركانه شاغراً ليملاه بما يشاء . للفراغ حكمة فراغه . للفراغ
ثقلته بكل شيء : بالذباب ، بالرمل ، بالريح ، بالأفئاق التي لم
يحسم جلاذنا رادبور فهي ذاكرة أتباع ماشفير ، أم ذاكرته هو .
أجبنني ، يارادبور» ، قال كاشاجو .

« »

نادى كاشاجو ابنه : «ريكما» .

« »

«من سيشبه سليلي من شريكتي سوك؟ هل سيشبهك إن كان
ذكراً؟ من تشبه أنت ، ياريكما؟» ، سأل كاشاجو ابنه .

« »

«أنت تشبه سوك . فإن تشاركتما في ذبابة استنسال
استولدتما كائناً شبيهاً بهايكاهايكسين . أسمعني؟» ، سأل
كاشاجو ابنه .

« »

هرّ كاشاجو هريراً خافتاً . زفر بقوة من منخريه الثقبين :
- رسامات إقليم زينافير لا يرسمن في الليل . ماذا لو

رسمني الآن؟ ماذا سيرين مني؟ .

« . . . » .

«لأحد منكم ، في موكبي ، يعرف ماذا ستري الرسامات مني في الليل إن رسمني» ، قال كاشاجو . أردف : «سيرين صوتي» . زارَ ملء الكهف المحتجب في صدره . أتبع الزئير بصوت صرخة :
- لماذا لا أسمع؟ .

مع المسيل الخافت لأصوات طيور الليل وصل الموكب إلى نواحي واحة كيما . قلبت الريح الجهات وأدارتها مختلطة من حفيف الغصون في الشجر ، ومن حفيف سيقان القصب الطويلات .

نزل من يمتطون ظهور مطاياهم عنها . وقفوا ساكنين ينتظرون انشقاق الفجر عن ثمرته ، فانشق الفجر ، وانفلقت ثمرته التي اعتصرتها أيدي الأشكال فسالت العُصارة صوراً أولى ، دخانية . تماوج الوجود قبل أن يستقرّ موزعاً أقساطاً عادلة على زوايا الكون الثلاث - كون الجن ، الذين لا يشعلون ناراً قط .

غير تاتورك نبر صوته الأزيز . حاكى طيور الفجر اللواتي غيرن نبر أصواتهن على سلم النزول بخيالهن من اللسل المنسحب إلى الفجر المقتحم . بدلت إناث تارتوك - ابتاه وزوجّه - القرع على رؤوسهن بتصفيق من راحات الأيدي على أفخاذهن ، توقيعاً خافتاً يقلدن اختراق الشعاعات الأولى لحصون الكشبان في الشرق .

تفرق الموكب زمراً ، كل زمرة على ناحية من الأرض قبالة مطالع الشجر البواسق ، الخشن الغصون والأوراق . استخرجوا العظام من الجوالق الجلد ، والأكياس ، والجعب ، طعاماً للفجر .

غطت أصوات القضم ، والهرس ، والكسر ، والمضغ للعظام

الرميم بين الأضراس ، على بوح الواحة العالي على ألسنة مخلوقات
النهار محتجبة وراء موج القصب ، وفي الظلال المسكة ، بعد ،
بأرسان ظنونها المعتمة .

عواء شاحب أعلن انحدار الذئاب الصُفر من مجاثمها بين
الصخور ، في الغرب ، إلى الغدير المنتشر الماء بركة شاسعة
الأرجاء ، يحدها القصب من جهات ثلاث ، ورملٌ ممرٌ واسع من
جهة رابعة . شجرٌ لفيفٌ ، كثيف ، مترامياً ببساتينه الفوضى ، يطوق
الجهات الأربع من وراء القصب الطوق والرمل المنفذ ، فيما الرياحُ
الرُخنة تحتوي الجهات وراء الجهات كبيض في أعشاشها .

من المنفذ الرمل تتسلل الذئاب إلى الغدير - ذاكرة النهر الدفين
في الأسافل . تشرب وتمضي . تأتي بعدها أبقار الوحش آمنة .
تختلط الأراوي بطيور كارنا الطويلات الأعناق كالأفاعي ، حتى أنها
تبلغ ثمار الشجر برؤوسها على الغصون العوالي .

الذئاب تكمن لقنائصها خارج الواحة ، متوزعة السرب ، بدراية
الخطط في المحاصرة ، على المخارج الجنوبية من الدغل . لاتتصيد
القنائص بين القصب ، أو بين الجذوع المتواشجة ، المتقاربة . هي
ترغبُ العراء سباقاً إلى طرائدها . قلوبها أكثر إيماناً بنجاح خطط
التطويق في العراء . ويزيدها ثقةً ، واطمئناناً ، أن يرى بعضها بعضاً
في المطاردات ، مكشوفة مشوفةً واحدها أمام بصر الآخر في
استعراض التفاتاته على الضحية المختارة من بقر الوحش ، والنعام
السريع الركض والأرانب المحدثبة الظهور ، وطيور كارنا الحرقاء . أليانا
في الركض بلا توازن ، بسبب أعناقها الطوال .

«سنبداً من مخارج الدغل» ، قال ماياكي .

نضنض كاشاجو بلسانه . تذوق الرياح : «إنها تهب من

الشرق» ، غمغم . «سنلتف على الدغل من الجنوب . لن تحمل
الريح روائحنا إلى الطرائد» . التفت إلى مطيته شاكد : «أعطني
حبلاً» ، قال ، فأعطاه شاكد حبلين قصيرين قليلاً ، كل واحد
منهما معقود الطرفين على حجرين .

الجن المطايا لا يستخدمون رماحاً عظماً ، أو ترقيات تُقذف ،
للصيد ، بعامة ، بل يعتمدون الوثب العاصف مطاردةً للذئاب ،
فيقنصونها بعد إنهابها . يكمّمون أفواهها بالسيور ، ويقيدون أرجلها
بالحبال ، ثم ينقلونها حملاً على أكتافهم القوية ، فيما يعمد الجن
الآخرون ، الأقل سرعة ، إلى القذف بالأسلحة ، أو القذف بالحبال
المعقودة الأطراف على حجارة .

القنص بالحبل ، ذي الحجر في طرفيه ، براعةٌ من تقدير البصر
لركض الطريدة سرعتها ، ومناوراتها الملتوية للنجاة من المطارد ؛ براعةٌ
من تقدير الريح التي تعصف بالحبل المقذوف فتميل به عن هدفه ،
إن لم يكن حساب الميل مضبوطاً في القذف . هم يقذفون بالحبل ،
في ركضهم الوثب ، بعد إمساك به من أحد الحجرين ، والتدوير به
كالمروحة من فوق الرأس طويلاً ، ليضمن الصياد اندفاع الحبل بثقل
الحجرين المنقذين قوياً . وإذ يحرر الحجر من يده ينقذف الحبل دائراً
حول نفسه في الهواء ، فإن أصاب سيقان الطريدة التفّ دائرياً عليها
بفعل التفاف الحجرين . يقيد الحبل الطريدة فيسقطها مغلولاً
تتخبط . يحتوي الصياد عنق الذئب فيكمّمه ، أو يكسره فيأخذه
ميتاً . أما القنائص الأخريات ، اللواتي لاتعض ، فتُغَلُّ بالحبال من
أعناقها ، وتُجرُّ إلى مدينة زينا فيري .

توزّع موكب كاشاجو أرهاطاً ، وثلاً ، وشراذم ، وأنفارا ، موغلين
بين الشجر ، وبين القصب على ضفاف البركة المترامية مياهاً نقية ،

معتمة قليلاً بالظلال الذائبة فيها . عمد البعض إلى التفاف من وراء المعبر الرمل ، الواسع ، الذي تتخذة الحيوانات ، بعامة ، طريقاً إلى الماء . أثار كُثْر في المعبر الرمل من أقدام الأسراب بأظلاف للبقر والأراوي ، أو أخفاف للنعام وطيور كارنا ، أو مخالب للذئاب والفنك ، أو خطوط متعرجات أيضاً للزواحف تأتي ، لالشرب الماء بل لقنص فراخ الطيور وبيضها .

يعرف القناص الجنُّ قديم الأثر من جديده . يعرف الأثر الوارد إلى الماء أولاً ، والأثر الوارد لاحقاً . اللواحم تأتي أولاً . تشرب وتمضي على عجل إلى صيدها . يخلو المكان بعدها للحيوانات العاشبة الحذرة والطيور ، التي تكمن الذئاب لجميعها على مخارج الدغل .

كان الجن في يومهم ذاك ، على مخارج الدغل أيضاً ، بحبالهم ، ومقاديفهم . لم يكونوا مهتمين بالطرائد الأخيرة إلا الذئاب لصيدهم . هكذا عزم سلطان زيناويري في رحلته إلى واحة كيما ، وعزم على عزمه أسياذ الفرق ، والمواكبون . عميد المحاربين ماياكي وزع الصيادين على جبهات القنص المحتملة ، قبل أن يلتفت إلى المغني وإناته :

- أوقف غناءك الآن ، ياتارتوك .

استلقى تارتوك على الأرض الرمل بصدرة ، مرتفع الركبتين إلى الوراء في رجليه - رجلي الجرادة ، المنشيتين إلى الخلف أبداً من مفصلي الركبتين . جارتته زوجته وابنتاه منبطحات أرضاً ، ثم زحفن بطاء كالضباب .

«ما الغناء ، ياماكالوني؟» ، تساءل ماياكي بصوت خفيض ، وهو يقبض على حربة مسنونة بيد ، وهراوة عظم لها كُعبرة كبيرة

بيد أخرى . نظر إلى سيد من أسياد الفرق يجاوره ، فردّ ماكالوني بصوت حذر ، بلا تقدير لصواب ردّه :

- ثَمّت لحظات لا نعرف ماذا نفعل فيها ، فنغني .

«أَتَغْنِي أحياناً؟» ، ساءله ماياكي بنبر خافت ، متهيئاً للوثبة الإيذان بالمطاردات .

«نعم . أحياناً أغني ، حين أعجز عن تصديق ما أقوله لنفسي بطريقة ليست غناء» ، ردّ ماكالوني .

هرّ ماياكي ، ليس تقليباً لردّ ماكالوني على عقل التدقيق والفحص ، بل استتباعاً لبصره سرّحه على العراء يقدرّ الجهة الأنسب لتوجيه الذئاب إليها ليُبطّئها . زأر منطلقاً وثباً عاصفاً فوثب الجن الصيادون من مخارج الدغل كلها ، في اتجاهات شتى .

بوغّت الذئاب الصُفر بكمائن الجن وهي في كمائنها قريباً من شعاب المعبر الرمل ، المتصل بجوف الدغل ، حيث البركة الشاسعة . فرّت جماعات صغيرة ، ثم تفرقت كلّ ذئب يروم النجاة بنفسه . لوحقت بالمقاذيف العظام ، وبالحبال مصفّرةً بالحجارة في أطرافها .

إناث الجن ، ومطاياهن ، وبعض حاملي أمتعة الأسياد الصيادين ، ظلوا على تخوم القصب محيطاً بالماء ، بينهم ريكما نفسه وقد أثر أن يكمن قرب جذوع الشجر للجن القُزم ذوي الأذيال والريش ، متتبعاً إشارات مطيّته زيديكا إلى الجحور الضيقة ، المموّهة .

«هذه جحور الجن القُزم» ، قال زيديكا لراكبه . نكّتَ بقدمه في الأوراق على مدخل أحد الجحور . غمغم : «هذا جحرٌ مهجور» . أدار وجهه على الجهات اللفيفة جذوع الشجر فيها : «فلنوغلُ أعْمَقَ

في الدغل زحفاً ، ولنصعد شجرةً نكمن عليها» .
 نزل ريكما عن ظهر مطيته . همّا بالانخفاض ليكون عبورهما
 زحفاً بين القصب ، فنادته سوك على ظهر مطيتها ناكولي :
 - لماذا تختبئ ، ياريكما ؟ .
 استقام ريكما بعد انحناء . ردّ :
 - ذاهبُ أتصيد الجنَّ القُزَمَ .
 «سأرافقك . بي رغبةٌ في صيدٍ أيّاً يكن» ، قالت سوك .
 «تصيّدني جرّاد القصب ، أو ضفادع البركة» ، ردّ ريكما بنبرٍ
 ساخر .

«بل سأتصيد مثلك» قالت سوك في حزم .
 «لا» ، غمغم ريكما في حزم أيضاً . «سيمزق كاشاجو جلدَ
 مطيتك ناكولي إن طاوعتك» .
 نزلت سوك عن ظهر مطيتها . لمست بيدها القناعَ على وجهها
 راضيةً في حجابهِ عن صورتها - صورة هايكاهايكسين :
 - لن أمنح كاشاجو عذراً ليمزق جلدَ ناكولي . أنا ذاهبة أتصيّد
 وحدي .

«سيمزق كاشاجو جلدَ ناكولي إن لم تمنعك من الصيد» ، قال
 ريكما . أردفَ : «في كفك ذبابة سلطان زينافيرى ، ياسوك . هذه
 الذبابة هي صيدٌ وجودك كله» .
 من بُعد كانت شيكتان ، ومطيتها نينيسو ، تلقيان بصريهما ،
 برهة بعد أخرى ، إلى سوك وريكما ، ومطيتيهما ، محتجبين حتّى
 الخواصر بين القصب ، قبل أن ينخفض ريكما ومطيته مختفين ،
 فيهتَز القصبُ من حولهما في الزحف مبتعدين .
 وثبت سوك ، بعد برهة ، إلى ظهر مطيتها . قادتها بهدوءٍ في

الغمر الأخضر ، المرتعش تحت لسان الريح .

«أين ذهب ريكما؟» ، تساءلت نينيسو .

غمغمت شيكتان بنبر فيه إيماءً من الخطط :

- إلى أين تتجه سوك؟ .

رويداً رويداً انفصلت شيكتان ومطيتها عن زُمر نساء الأسياد وأولادهم المتفرقين . وثبتا إحداهما إلى جوار الأخرى ، وثباً هيناً ، رقيقاً ، لا يثير القصب أكثر مما تثيره الريحُ في القصب . تتبَّعتا سوك . «هل ستحاول سوك أن تتصيّد بيد واحدة؟» ، سألت نينيسو سيدتها شيكتان في همس .

«ستنحرُ ذبابتها إن فعلت» ، قالت شيكتان . أضافت متمنية : «فليلهمها وحيُّ الرؤيا أن تطارد فريسة» .

«لا فرائس بين القصب» ، عقت نينيسو .

«فليلهمها وحيُّ الجن أن تخرج من القصب إلى شجر الدغل . قد تجد حيواناً يغويها» ، غمغمت شيكتان .

تمطت نينيسو متعاليةً تترصد سوك على ظهر مطيتها . همست همساً خفيضاً :

- إنها تتجه إلى عمق القصب . الصيدُ ليس باعثها ، ياشيكتان .

«أُتري سوك الجراد ، والضفادع ، قناعها؟» ، تساءلت شيكتان ساخرة . «لماذا هذا القناع؟ مامرادُها ، يانينيسو؟» .

توقفت شيكتان بغتة من خاطرٍ راودها . تساءلت بنبرٍ فيه حيرة :

- أهذا القناعُ رؤيا؟ .

«رؤيا؟!» ، همست نينيسو مستغربةً تقدير سيدتها . تناولت

أكثر . وثبت في خفة إلى أعلى ليحيط بصرفها بسوك ومطيتها .
تمت :

- سوك نزلت عن ظهر ناكولي .
«أرى ذلك» ، قالت شيكتان . مطّت عنقها : «لقد انخفضتا .
إنهما تختفیان» .

«أرأت سوك فريسةً من غير توقُّع؟» ، تساءلت نينيسو .
لم تردّ شيكتان . سرّعت وثبّها المتأنّي ، الحذر ، فسرّعت
نينيسو وثبّها . أوغلّتا في موج القصب حتى صارتا على قرب من
المكان الذي توارت فيه سوك ومطيتها . توقفتا متفحّصتين أثرهما
فوق سيقان القصب المكسورة .
«هما مضتا زاحفتين من هنا» ، قالت نينيسو . «فلنزحفُ
أيضاً» .

زحفت شيكتان ، ونينيسو ، بين القصب في حذر مفرط
تتفاديان كسر سيقانه . سلكتا الأثر الملحوظ لعبور سوك ومطيتها .
أبعدتا جرّاداً كبار الجسم عن أيديهما ، وضفائرهما . تفادتا ضفادعَ
خضراً أقلقها اقتحامُ جنيتين أخريين مجاثمها الآمنة . انكشف لهما
مخرجُ زحفِ سوك ومطيتها من بين القصب . انكشفت البركةُ
الشاسعة .

كانت سوك منبطحة على صدرها ، تنظر في الماء إلى صورة
القناع ، وقد انحنت مطيتها ناكولي إلى جوارها انحناءً جِداً تحدّق ،
بدورها ، إلى مرآة سيدتها المائية .

ارتعشت شيكتان مما راودها في تلك البرهة . ساررت مدبّرة
في همس متكسر من خَفَقِ قلبها .
تطاوَلت نينيسو ترصد الجهات من حولها تدقيقاً فحسباً .

خففت نفسها من جديد . زحفت شيكتان زحفاً تكادان
لاتلمسان القصبَ حذراً من أن تُسمعا . بلغتا ضفةَ البركة حيث
انبطحت سوكٌ مسترسلة في استعراض نفسها صورةً من كائن آخر
لم يخمن أحدٌ حلقة نوعه بين الأنواع . هرت مراراً بصوت
كالمناجاة .

نهضت نينيسو نهوضاً خاطفاً . ضربت بالهراوة العظم الضخمة
في يدها على ساق ناكولي اليمنى ، المنحنية على الماء ، غائصة
الخيال سباحةً في البعد المائي لقناع سيدتها . تهاوت ناكولي على
جنبها متفلة الساق ، بشظية عظم نافرة الرأس من الجلد في موضع
الكسر . عاجلتها مطية شيكتان بضربة ثانية على رأسها . هشمته .
سقطت ناكولي متمدة على الضفة بقدمين لامستا الماء .

في لحظة الضربة الأولى تحديداً ، من هراوة نينيسو على ساق
ناكولي ، كانت شيكتان قد بادرت إلى الإمساك بقدمي سوك ، من
الخلف ، إمساكاً محكماً ، تتفادى ركلها - ركل الجراد .
رفعت شيكتان قدمي سوك عالياً فعلاً نصفُ جذعها السفلي .
غاص رأسها وعنقها في الماء .

تخبطت الجنية المحاربة ، نزيلة قصر كاشاجو الجديدة ، هلعاً هو
هلعُ الجن من لمس الماء أصلاً . وازداد لبطؤها من إشرافها على الغرق
مسدودة الرئتين ؛ مسدودة الخيال بما داهمها في برهات قنصها
المنعش لصورتها في صورة هايكا هيكسين . تراخت قبضتها عن
ذبابتها مذ تشبثت بيديها معاً بطين الضفة وعشبها ، عاجزة عن
سحب رأسها من الماء .

قويماً كان إطباقُ يدي شيكتان على قدمي سوك . وقد ازداد
الإطباقُ إحكاماً حين أنجزت نينيسو قتل ناكولي ، وهبت إلى

سيدتها فأعانتها أكثر على رفع رجلي سوك من الخلف متدلية
النصف الأعلى من جذعها في المرأة المائية ، القابضة على رأس
سوك بأسنان فحها .

في الجهة المقابلة من ضفاف البركة الشاسعة هرّ زديكا ،
مطية ريكما ، هرير المبهوت ، فبوغت ابن سلطان زينا فيري . كانا قد
صعدا شجرة فكّما بين غصونها الملتفة ، بعد أن تحقّقا من وجود
جحور للجن القزم ممتدة السرايب إلى أسافل الجذور .

« مابك؟ » ، ساءل ريكما مطيته في همس .

« انظر هناك » ، قال زديكا مشيراً ، بيده الممسكة شبكة صغيرة
من شعر الجن ، إلى الضفة الأخرى ، على بُعد منهما .

كانت شيكتان ونينيسو مسترسلتين ، بُعد ، في إغراق سوك ،
إلى جوار ناكولي القتيلة . ارتعدت يد ريكما مذهولاً .

« ماذا نفعل؟ » ، تساءل زديكا بصوت مبهوت .

أمسك ريكما بمعصم مطيته الجاثم على غصن يجاوره .

غمغم :

- فات الوقت .

« أنا نازل لأفعل شيئاً » ، تتمم زديكا وهو يردّ الشبكة إلى
جراب معلق إلى كتفه .

« ماذا ستفعل؟ » ، ساءله ريكما ، فردّ زديكا :

- لا أعرف .

« ليس في إمكانك فعل شيء » ، يازديكا ، قال ريكما . كرر
تأكيده : « فات الوقت » ، ثم نزل عن الشجرة فنزل زديكا .

قطعاً لم يكن في مستطاع ريكما ، وزديكا ، فعل شيء . فات
الوقت حقاً . تراخت يدا سوك عن اللبّط ، والخبط ، والتشبّث

بسيقان الهواء وثياب الهواء . عَنفُ تَحْبُطُهَا ، أَملاً فِي النجاة ، حُلِ
سَيُورُ القِنَاعَ عَنْ طُوقِ رَأْسِهَا فَطُفَا القِنَاعُ . تَحَلَّلَتِ الْأَصْبَاغُ عَلَيْهِ . مَا
اللونُ وَتَدَاخَلَ مَتَهَدِّمُ النِّظَامِ الَّذِي أَوْجَدَ اللونَ شِكْلاً مِنْ صُورِ
الْأُنثَى الْإِنْسِيَةِ بِأَقْلَامِ رَسَامَاتِ زِينَا فِيرِي الْحَجَرِيَّةِ . حَامَتِ ذُبَابَةٌ
فَضِيَّةُ الْهَيْئَةِ كُلُّهَا حَوْلَ القِنَاعِ الطَّافِي مَذْهُولاً مِنْ انْقِلَابِ الخُطُوطِ
فِيهِ عَلَى حَقِيقَتِهَا . حَطَّتْ عَلَى القِنَاعِ .

دَحْرَجَتْ شِيكَتَانِ ، وَنِينِيسُو ، الْجَثَّتَيْنِ إِلَى الْمَاءِ . تَرَاوَجَتَا إِلَى
حَقْلِ الْقَصَبِ . اُنْدَسَّتَا فِي الْبَعْدِ الْأَخْضَرِ مَنْخَفِضَتَيْنِ لَتَرَجَعَا زَحْفًا
كَمَا جَاءَتَا . لَكِنْ نِينِيسُو اسْتَدْرَكَتْ فَتَوَقَّفَتْ . لَقَدْ خَالَ لَهَا أَنَّهَا
لَحَتْ هَيْئَةً مَّا عَلَى الضَّفَّةِ الْمَقَابِلَةِ ، نَازِلَةً مِنْ إِحْدَى الْأَشْجَارِ .
أَوْقَفَتْ سَيِّدَتَهَا أَيْضًا . غَمَغَمَتْ بِصَوْتٍ مَتَفَتَتْ :
- أَظُنِّي لَحْتُ أَحَدًا عَلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى .

تَبَلَّبَتْ شِيكَتَانِ :

- أَأَنْتِ مَتَأَكَّدَةٌ؟

رَفَعَتْ نِينِيسُو نَفْسَهَا فِي حِذْرِ بَيْنِ الْقَصَبِ . أَرْسَلَتْ بَصَرَهَا مِنْ
بَيْنِ الْأَوْرَاقِ السِّيُوفِ إِلَى حَيْثُ لَحَتْ الْهَيْئَتَيْنِ . تَأَمَّلَتْهُمَا مَلِيًّا . هَرَّتْ
بِصَوْتٍ خَائِرٍ :

- إِنَّهُمَا رِيكَمَا ، وَزَيْدِيكَا .

«أَرَأَيْتَا؟» ، تَسَاءَلَتْ شِيكَتَانِ مَنِبْطَحَةً بَعْدُ بِصَوْتٍ مَتَقَشَّرِ النَّبْرِ
ارْتِبَاكًا .

«هُمَا يَنْظُرَانِ إِلَى هُنَا تَحْدِيدًا» ، رَدَّتْ نِينِيسُو .

عَلَى مَهَلٍ ثَقِيلٍ وَقَفَتْ شِيكَتَانِ عَلَى قَدَمِيهَا بَيْنِ الْقَصَبِ .
صَوَّبَتْ بَصَرَهَا إِلَى حَيْثُ تَنْظُرُ نِينِيسُو . هَرَّتْ هَرِيرًا مَكْتُومًا نَزَلَ مِنْ
حَنْجَرَتِهَا إِلَى جَمِيعِ عِظَامِهَا . اسْتَقَامَتْ مُذْ لَمْ تَعُدْ حَذَرَةً مِنْ أَنْ

نُرس . وثبت وثباً قصيراً ، متمهلاً ، عائدة إلى الضفة تسجّت في
مائها جثتان . تبعتهما نينيسو . وقفنا محدّقتين ، من بعدهما ذاك ،
إلى ريكما ومطيته الساكنين جامدين .

«ماذا الآن؟» ، تساءلت نينسو .

«لا شيء» ، ردت شيكتان بصوت بارد .

«ماذا سيجري؟» ، عادت نينيسو متساءلةً ، فردت شيكتان :

- سيصمت ريكما . سيصمت زديكا .

على الضفة الأخرى كانت المحاورة ذاتها بين ريكما ومطيته .

«ماذا علينا أن نفعل؟» ، ساءل زديكا سيده .

«لن نفعل شيئاً» ، رد ريكما .

«أتعني لن نفعل شيئاً؟» ، تساءل زديكا ثانيةً على حيرةٍ ، فردّ

ريكما :

- لا شيء . لم نر شيئاً .

طويلاً تبادل الأربعة النظّر ساكنين ، واجمين ، كلٌّ اثنين على
ضفة . ضفدع أخضر ، صغير ، وثب من الماء صاعداً قناعٍ سوّك
الطافي مختلط الألوان على شكل ليس هو وجه هايكاهايكسين ،
الذي كان قبل سقوطه في الماء قناعاً غريق الصورة كصاحبه . رشق
الضفدع الذبابة الفضية بلسانه الدّبّق فألصقها به . ابتلعها .

جرادٌ متفاوت الهيئات حجوماً تفحص ، من فوق أسنة
القصب العالي ، الأربعة يتبادلون سكوتهم الصلب ، الثقيل . لم
يتزحزح من مجائمه فوق الأوراق إذ أمالت القصب موجتان من
الريح تجهد إحداهما أن تقتنص الأخرى بشباك من عذيف الصوت ،
ثم انحدرتا عن القصب فطوتا صفحةً من ماء البركة الشاسعة
ونشرتا صفحةً . تحركت الجثتان . حمد نقيق الضفادع .

«تعالى» قالت شيكتان لمطيتها غمغمة .

«تعال» ، قال ريكما لمطيته غمغمة . غادرَ الموضعَ في اتجاه
الدرب الرمل ، الممتد من ضفة البركة إلى أعماق الدغل ، فالعرا .
مابعد الدغل .

سلكت شيكتان المعبر الضيق ، الذي استحدثه زحفُ سوا ،
ومطيتها ، وزحفها هي ونينيسو ، بين القصب ، عائدة إلى حيث نزل
نساء الأسىاد وأولادهم اللاهينَ يسحل أحدهم الآخرَ جرّاً من
ضفائره ، أو يستعرضون قواهم في النزال ركلاً مستدبرينَ ظهوراً إلى
ظهور ، كما يفعل الجراد في الركل بأرجلهم المطوية من الركاب إلى
الوراء ، عكسَ رجلي الأنثى الإنسية تنطويان من الركبتين إلى
أمام .

خرجت نينيسو وسيدتها من حقل القصب إلى الشجر اللفيف
تتخلله فسحاتٌ شغلها المنتظرون عودة الصيادين بقنائصهم . تارتوك
المغني كان مسترسلاً ، بصوته الأزيز ، في مناجاة أرواح الطير ، على
وَقَع اللطم بقبضات الأيدي من إنائه على رؤوسهن وَقَعاً موزوناً ،
وقدَ تحلّق حوله العلماء الخمسة ، ومايشا ، وأمه ، وصاحبته التي بلا
نَسَب .

«أريد موضعاً رملًا منعزلاً أتمرّغ فيه» ، قالت شيكتان لمطيتها .

«ليس هنا» ، ردت نينيسو .

«أين إذا؟» ، تساءلت شيكتان .

«في رُكنك ، داخل القصر . افعلي ذلك ليلاً» ، ردت نينيسو .

الصيادون ، إن ظفروا بفرائسَ ، يتمرغون في الرمل . كل من
يعود بطريدة يفعل ذلك ابتهاجاً . شيكتان بثّت رغبتها ، بلسان
التلميح ، إلى مطيتها نينيسو ، التي فهمت توريتها : لقد اقتنصت

سيدتها روح سوك المتخبطة في شبكة الانتقام منها ومن كاشاجو معاً .

انضمت الجنيتان إلى الثلل أخرج بعض أنفارها عظاماً من أجربتهم يلتهمونها قضمًا طحناً . فتيات الجن الصغيرات تبارين في غمغماتهن الغناء خافتاً يحاكين تارتوك . إناث الجن لا يتوقفن ، عادةً ، عن غنائهن ، قد يخفضنه حتى يغدو نبضاً كنبض قلوبهن في الصدور العجاف لأثديّ فيها ، ولا حلمات .

شيكتان ، ونينيسو ، كانتا تغنيان أيضاً بنبر زفير لا يُسمع ، فإن علا غدا محاورات ضيقة الأبعاد على الجمل ، أو واسعة على قلقهما المتراجع حين انضمّ ريكما ومطيته إلى العلماء الخمسة من حول تارتوك ، متجاهلين النظر إليهما ، كأنهما في جهل مما جرى . تقدمت شيكتان من زيديكا مطية ابنها . ساءلته :

- لم لم تأخذ ريكما إلى الصيد؟ .

«كنا في صيد» ، ردّ زيديكا ببصر على إحدى فتيات الأسياذ . أردف : «قصدنا أوكار الجن القزم» .

«لا أراكما تصيّدتما جنّاً قزماً» ، عقبت شيكتان محدقةً تحديقاً ينفذ من عيني زيديكا الحجريتين إلى خياله .

«لم نكن محظوظين اليوم» ، ردّ زيديكا .

جرّ ريكما قدميه على رمل الفسحة ، بين الشجر ، جرّاً لا يريد أن يشب . جاور مطيته :

- فيم تتحدثان؟ .

«عنك» ردت نينيسو مقتحمةً مجرى سؤاله . «متى ستأخذ شريكة للاستئسال ، ياريكما؟» .

«متى ستخذين شريكاً ، يانينيسو؟» ، رد ريكما . أدار وجهه

إلى مطيته : «زيدىكا من النوع المطايا . قوي ، كتوم» .
غمغمت نينسو متألمة وجه زيدىكا الرمادي الداكن الجلد .
تعالى زئيرٌ من وراء الشجر اللفيـف - زئير عودة الصيادين بالفرائس .
هرعت الثلل ، والأرهاب ، والأنفار ، إلى مخارج الدغل .
أربعة ذئاب ، لاغير ، كانت قِسْمَةُ الظفر على الجمع الفائض
بعده من الصيادين عن القبول بأربعة ذئاب قسمةً . كان واضحاً أن
بهجة الفوز ضيقة ، وغدر الخيبة واسعٌ : ثلاثة أسياد عادوا بثلاثة
ذئاب صُفر مقيدة ، مغلولة ، مكمة الأفواه ، على أكتاف مطاياهم .
ماياكي عاد بواحد محمول على كتف راتو . أمّا الأسياد الأربعة
الآخرون ، ورهط الأعوان والغطاريف ، فلم يزد حظهم في الخيبة عن
حظ كاشاجو الكاظم احتقانه ، يهرُّ هريـر النقمة على مطيته شاكد
المتجهم ، العائد بعرج خفيف في قدمه اليسرى .
التحم الجمع المتناثر ثانيةً في موكب من حول كاشاجو ، بلا
تحديق إليه في خيبته التي أفلتت لسانه من غير نفضضة :
- هل من جنىٍ يجهل مواضع الرمل الرخو؟ .
غمغم شاكد غمغمة المتقبّل توبيخ سيده على خطأ لا يليق
بمطية مثله ، عارف بإمكانة الرمل المتخلخل من الرمل الثابت .
«كان شاكد ممسكاً بساق ذئب قبل سقوطه في حفرة الرمل
الرخو» ، قال كاشاجو ، وأتبع كلماته بزئير خفيض . «أفلت شاكد
الذئب» . دمدم : «أهان حظي اليوم» .
«خذ صيدي ، ياكاشاجو» ، قال ماياكي ، عارضاً على سلطان
زينافيري م اقد يهدئ توبيخه لشاكد الأمين ، الطيع ، الوفي .
نفضض كاشاجو بلسانه : «أفلت شيئاً ، ياماياكي؟» ، قرّب
وجهه من وجه عميد محاربيه : «لم ألتقط ما قلت . لكنك تعرض

علي رشوة» . هزَّ رأسه : «لا أريد ذئبك الذي هو حظُّ يومك ،
ياماياكي . عندي ذئاب كثير في حديقة القصر» ، قال بنبرٍ
انخفضت فيه حدةُ الخيبة .

أشار ماماياكي بيده إلى مايشا والمرأتين معه ، في افتعالٍ منه
لبعض المرح يبذد به البرهة المنقبضة في الموكب الواقف :
- خُذْ مايشا معك إلى الصيد في المرة القادمة . لأبيه المقدرة
على مخاطبة الذئاب .

«أبي لا يخاطب الذئاب . هي التي تخاطبه» ، ردَّ مايشا .
«ماذا تقول الذئاب لأبيك؟» ، ساءله ماماياكي .
«ما أريد قوله لهذه الأنثى التي معي ولا أقوله» ، ردَّ مايشا مشيراً
بعينه إلى المرأة الأخرى إلى جوار أمه ، بوجهها المطلي سواداً .
«لم أرك قط تحدث هذه الأنثى ، التي تسميها المشيئة» ،
يامايشا . «من هي حقاً؟» ، ساءله ماماياكي .
«مَنْ قادرٌ أن يكلم المشيئة» ، ياماياكي؟ هي معي ، وذلك
يكفي» ، ردَّ مايشا ذو العينين الحجر الضيقتين .
اكتفى ماماياكي بغمغة تعقيباً على مايشا . صرف نظره عنه
إلى العلماء الخمسة . كلمهم متعمداً أن يراه كاشاجو . فضنض
سلطان زينايفيري بلسانه .

«هل تصيدتم قط ، يا علماء الأقاليم كلها؟» ، ساءلهم ماماياكي .
«لا نحسن الصيد» ، ردَّ ماستو ، عالم الرمل وأصول الكثبان .
«لماذا انضمامتم إلى الموكب؟» ، ساءلهم ماماياكي .
«نحن في استجمام . سنعفي أنفسنا بعض الوقت من أسنات
جن الأقاليم» ، رد ماستو .
«ألديكم أجوبة على كل شيء؟» ، ساءله ماماياكي .

«كل منا يجيب بما في اختصاصه» ، ردّ شايمات ، العالم في أصول الأصوات .

«أحدكم عالم في اختيار الحيز المناسب لبناء المساكن» ، قال ، ماياكي ، فردّ جيراجيك :

- أنا العالم في الأبعاد المطلوبة لبناء المساكن وفق عبور الأرواح .

«أتعني عبورها بين المساكن؟» ، تساءل ماياكي . أضاف :

«لايحوج الأرواح عبوراً بين المساكن . هي تجري في الأنفاق» .
«أنفاق؟!» ، تتم جيراجيك كمن يستعيد على خياله خاطراً يخصّ الأنفاق .

«أسمعتَ بأنفاق في تجوابكم أقاليم الجن؟» ، ساءله ماياكي .
تلقت العلماء الخمسة واحدهم إلى الآخر . لكن كاشاجو اقتحم أسماعهم بزئير مفاجئ فيه نبر القلق . رفع صوته الحجر :

- أين سوك؟
أدار الكثيرون في الموكب الواقف وجوههم على الأنحاء بحثاً عن سوك .

هرّ كاشاجو . حذق إلى مطيته شاكد :

- لا تقل لي إن ناكولي طاوحت سوك فأخذتها إلى الصيد .
أحسن شاكد بزفير التوبيخ يستعيده كاشاجو من رثتيه بعد لجم لم يطل ، لكن ليس عليه مباشرة ، بل على أخته . ردّ :

- ناكولي لا تقترب خطأ كهذا . لن تركض وراء الفرائس بأنثى على ظهرها تحضن ذبابتك ، يا كاشاجو .

نضض سلطان زينافيرى بلسانه :

- أين هما؟ .

نقلت شيكتان بصرها ، من بُعدٍ قليل ، بين وجهي ريكما
ومطيته ، فإذا هما يتظاهران ، كالآخرين ، باستقصاء الجهات
بعيونهما بحثاً عن سوك . استدارت إلى نينيسو . ساءلتها بنبرٍ
مسموع :

- أرايت سوك؟ .

تعمدت نينيسو أن يُسمع ردّها أيضاً :

- ألم تمضِ بمطيتها إلى حيث ذهب الصيادون؟ .

وثب ماياكي نصف وثبة ليصير قبالة نينيسو . ساءلها :

- أتعنين جهةَ العراء؟ .

«أظن ذلك . لست متأكدة» ، ردت نينيسو .

«بل أظن مطية سوك اتجهت بها إلى نواحي القصب» ، قالت

إحدى بنات الأسياذ .

«قد تعود سوك بذئب» ، قال دارديك السيد على فرقة من

المحاربين . «هي أنثى محاربة» .

هرّ كاشاجو ممتعضاً :

- في يدها ذبابتي .

«ربما تولت مطيتها ناكولي مطاردة فريسة ، وظلت سوك في

مكان تنتظرها» ، تكهنت امرأة أحد الأسياذ .

«مابكم وهذه التخمينات؟ أين سوك؟» ، تساءل ماياكي .

تبعشر جمعُ المواكب تلقاءً ، كلُّ بضعة أفراد إلى ناحية ،

بنداءات مكرورة على اسم سوك . تارتوك المغني لم يغفل عن دوره

في ذلك . رفع صوته الأزيز بالغناء عالياً على غير عادته ، وجارته

امراته وابنتاه خبطاً بالراحات على صدورهن الطبول .

زأر كاشاجو .

هرّت شيكتان .

رهط ماياكي من الصيادين انكبوا بأبصارهم تصنيفاً للآثار في الرمل على مخارج الدغل ، متجهين إلى عمق العراء حيث تتبّعوا ، قبلاً ، فرائسهم من الذئاب . كان عليهم تمييز عمقها . آثار الجن العاديين عميقة في الرمل مذ تغوص أرساغهم - أرساغُ الجراد الدقيقة فيه ، وأعمقُ منها آثار أقدام المطايا الضخام . سوّك كانت على ظهر مطيتها ، لذا تخيّروا اقتفاء الآثار الأكثر عمقاً وحدها ، بالرغم من أن الريح بدأت تقشير نقوش الأرض بشفرتها سلعاً للنافر منها ، وتسوية ردماً للغائر .

على عجل تولى ماياكي فحص الآثار ومحصّنها قبل أن تتلاشى . لكنه انتهى برهطه ، حيث اتجه ، إلى نهايات هي مواضع القبض على الذئاب واضحة الأرض بعدُ برمل فوضى من الخطوط المتعرجة ، العريضة ، هي آثار حصار الصيادين للفرائس ، وتمرّغ الفرائس على الرمل فكاكاً لنفسها من الأيدي تُطبق عليها بالقيود الحبال .

لاشيء مُلفتاً كان هناك ، في العراء الذي يلي مخارج الدغل عميقاً . عاد ماياكي ورهطه خائبين . دخلوا الدغل انضماماً إلى كاشاجو وأتباعه موعليّن في مسالك الشجر الضيقة ، وفسحات الرمل القليلة بينها . بلغوا حقل القصب الواسع ، المحيط عريض العمق بالبركة الواسعة . أوغلوا فلولاً ، وأنفاراً متجاورين ، ومتباعدين ، في الموج الأخضر لسيقان النبات السامقة بأوراقها . شقوا فيه ممرات فوق الكثير من القصب الصريع . طار جراد بأجنحة ألوان كالذعر المنشور ألواناً هسيساً من هرب الضفادع المذعورة . سُمع قفز بعضها إلى الماء واضح الصوت مُدّ نثرته الريح واضحاً بمذاري

عَمَّالها الخَفِيِّينَ لا يَهْدُونَ .

كادت مواضع من حقل القصب ، ذي الخيالِ النباتِ أخضرَ جريحاً ، أن تُسَوَّى بالأرض من تداخل عبور الباحثين عن سوك ، ومن تقاطعات ذهابهم وإيابهم وثباً جامحاً . لهُوَ من أولاد الأسياد ، وأولاد الغطاريف ، مازجَ البحثِ المحموم . سحقوا عديداً من الجراد بأسلحتهم العظام القِصار . معسوا ضفادعَ خُضرأً صغاراً ، ورمادية منتفخة البطون . تقاذفوا بسيقان القصب كالرماح ، وتصافعوا بورقه العريض المسنون .

صرخةٌ من ضفاف الماء أخمدت الزئيرَ والهدير في الخناجر مُنْكَبَّةً على نَحْتِ الصوت نَحْتاً قَلِقَ النبر حائراً . هرع ماياكي ، والعلماء الخمسة ، وبعض الأعوان المحارين ، في اتجاه الصوت . أشرفوا ، بعد حقل القصب ، على البركة الشاسعة نقية الماء ، معتممةً من ذؤب الظلال ، متماوجةً من لعق الريح ونَطَّ الضفادع نجاةً بأنفسها .

كان ريكما الهاتف بصوته المكتشف ماسينكشف ثقيلأً ، صامداً ، وقد انحنى هو ومطيته زيدىكا على الضفة ، يستعرضان الجتتين .

توافد المترقبون من صوت ريكما أمراً لا يُسعد تباعاً . تراحموا بالمناكب ، وبالرؤوس فُرْجةً على المشهد القاسي للجنيتين سوك ومطيتها ناكولي ، طافيتين على الماء . وصل شاكد يفتح ممراً بين المحتشدين لسيدة كاشاجو .

لم يزأر سلطان زينافيرى قبلاً كمثّل زئيره في تلك البرهة المطرقة سحق قلبه . شيكتان سدّتْ أذنيها لحظة بيديها ، قبل أن تهامس مطيتها نينيسو وهما على بُعد وثبة من المحتشدين :

- لماذا تعمّد ريكما أن يكون أول العاشرين على سوك؟ .
حدقت نينيسو إلى شيكتان مترددة في الردّ ، ثم باحت :
- اقتليه .

«مَن؟» ، تساءلت شيكتان مبغوتةً .
«اقتلي ريكما ، ومطيته أيضاً» ، قالت نينيسو بنبر حجرٍ ، بارد .
«أخفّني . أتعنين ماقلتِ؟» ، تساءلت شيكتان .
أبعدت نينيسو بصرها عن وجه سيدتها . تأملت كاشاجو ظاهر
الرأس بين المنحنين قليلاً على ماء البركة :
- سيكون ريكما ، ومطيته زديكا ، رؤيا القلق ثقيلاً على
خيالك حتى الموت . لا أعرف إن كان أحدهما سيخبر كاشاجو بما
جرى ، لكنك سترتبكين كلما التقت عيناك بعيونهما . افعلي
شيئاً .

ارتبك خيال شيكتان من مقترح مطيتها بين رفضٍ وبين
تفخّصٍ متردد . غمغمت :
- لا . لن يتكلما ، وذلك يكفيني .
«كيف تجزمين؟» ، تساءلت نينيسو .

«لم يقلوا شيئاً لكاشاجو قبلاً حين رجعا إلى الموكب . لستُ
قلقة الآن» ، ردت شيكتان . سدّت أذنيها ثانيةً من زئير سلطان
زينافيري الموحش ، الذي وثب مراراً في موضعه كأنه يضرب
السماء برأسه المتراقص الصفائر تحت الطوق العصاة على محيطها .
«أخرجوا سوك من الماء» ، هتف كاشاجو . دار نصف دورة على
نفسه ظاهر العجز عن فعل .

لم يجرو أحد ، في الموكب ، على النزول إلى البركة . الجن لا
يلمسون الماء . يرتعدون إن تخيلوا أنفسهم مبتليين .

«يلزمنّا طُوف ، وقفازات طِوال» ، قال ماياكي ، من غير أن يبصره كاشاجو متكلماً . أردف : «من معه قفازات؟» .

ساد صمتٌ إلا هريز كاشاجو المتلاحق مبهوراً .
«ماذا لو غطينا جسد واحد منا بالجلود مُحَكَّمة الإحاطة بأعضائه؟» ، تساءلت تايِتون ، زوجة ماياكي الزرقاء الضفائر .
أردفت : «قد يتمكن ، إن غطيناه جيداً ، من جذب سوك ، وناكولي» .

ضُمَّتْ أكياسُ العظامُ الجلدُ ، وجِعِب السلاح ، وقطعٌ من الثياب تبرّع البعض بها ، حتى غدت غطاءً يُلَفُّ به جسدُ جنِيٍّ ثلاث مرات . استُدعي تابع من أتباع السلطان فألْبِس ، مرتعشاً ، من عنقه حتى قدميه لفاً أثبتته الحبالُ الجلدُ فوق الرِّقاعِ الجلود .
أُهيِب به النزول إلى البركة ، فنزل بصوت غريقٍ في حنجرتِه .

كان هبوب الريح قد دفع الجشتين ذراعين ربما ، لا أكثر ، عن الضفة بُعداً . غمرَ الماءُ جنِيَّ النجدة حتى الخاصرة إذ توغل فيه زحفاً بقدميه الملفوفتين جلداً على وحل الأعماق . طاولت ذراعه قدم سوك اليسرى فجذبها عائداً بها إلى الضفة ، حيث تولى البعض ربط ذراعيها بحبال ، من غير لمس ، وجروها إلى برزخ القصب . سُحبت ناكولي أيضاً . جرَّها أخوها شاكد ، في هريزٍ ، كَسَنَ صُفَّاح حجر بصفّاح حجر لوعةً .
«أين القنّاع؟» ، زفر كاشاجو .

أدار الواقفون معه أبصارهم على صفحات الماء تقلّبها الريحُ متتابعةً أثلاماً كأثار الضَّبِّ على الرمل .

«تلك هي الرقعة الجلد» ، قالت إحدى الرسامات ، اللواتي انكببن أربعتهن ، بالأقلام اللون ، على صفافيحهن السود تخطيطاً

لجسديّ الغريقتين سوّك ، وناكولي ، والحقل القصب أيضاً .
عاد جنّي النجدة ، المغطى كلّ جارحة فيه برقعة جلد ، إلى
الماء . خاض زحفاً بقدميه في حلّ القاع على نبض قلبه المتعثر
وثباً بين أضلاعه . رجع بالرقعة الجلد ممعوسة . رمى بها إلى برزخ
القصب ، وخرج من الماء كالهارب .

«أبسط القناع قُرب سوّك» ، قال كاشاجو لجنّي النجدة .
بسط الجنّي ، في حذر ، رقعة الجلد القناع رماديةً ، ببقايا أثر
من زفير اللون المحتقن في رسمٍ لم يعد رسماً ، بل ضباب شكل
وسرّابه .

فتح كاشاجو فمه عن زئير لم يطاوعه . ظلّ مفتوح الفم ،
أخرس . انبطح أرضاً في برزخ القصب ، متكئاً على يديه ، يكاد
يلمس بوجهه وجه سوّك . انبطح منّ حوله كمثله تأسيّاً له ، فيما
ظلّ البعض واقفاً بين القصب على أقدامهم .

صمتٌ مديد عمّ الضفة . صمتٌ سُكب في تجاويف النقوش
القوية ، اللامرئية ، من نحت الريح بعزيفها في الجهات . أفرغ
كاشاجو قلبه ، أو كاد ، من البوح أخرس بلا نبر ، أو رنة . تارتوك
المغني نفسه ، وإنائه الثلاث ، طووا أصواتهم ؛ تجرّعوها حتى
فرغت ، ريثما تمتلئ حناجرهم ، من جديد ، بدفقٍ آخر من الصوت
طافياً من الأعماق .

نهض كاشاجو أذّ تأكد من تخفيف الريح لجسديّ الغريقتين .
لمس وجه سوّك بيده . لمس القناع مبسوطاً قربها ، ثم جمعه لفافةً
مضغوطة دسّها في شقّ ثوبه ، الذي من جلد جدته ، فوق الصدر .
رفع جثة سوّك بين ذراعيه القويتين . حذق ، تحديداً ، إلى نينيسو
الواقفة إلى جوار شيكتان . أوماً لها برأسه . وثبتّ ملبيةً مُدّ أدركت

ما يريد . أحتت ظهرها قبالتها ، فوضع سلطان زينافيرى جسد الأنثى الغريقة على كتف مطية زوجته . وثب في مسالك القصب قاصداً الخروج من الواحة .

خارج واحة كيما ، في العراء المكشوف طليقاً بحرية الرمل فيه ، اجتمع موكب كاشاجو للعودة إلى مدينة زينافيرى . تجاوزت الأرهاط ، والأنفار ، والثلل ، والفلول ، بلا احتساب للمراتب . أسياد تقدموا الموكب راجلين كالسلطان راجلاً ، وتخلف أسياد ، وغطايف ، في مؤخره . شيكتان وابنها ، وماياكي وزوجته ، ومطيته راتو ، والعلماء الخمسة ، ومايشا وأمه وصاحبته ، ظلوا في صف متأخر عن المقدمة . نينيسو حاذت كاشاجو بالجثة على كتفها ، وحاذاهما شاكد بجثة أخته ناكولي على كتفه .

وثب سلطان زينافيرى إيداناً بانطلاق الموكب ، فتحرك الموكب برمته وثباً متأنياً ، رزينا .

بعد وقت قصير من مسيرهم ، طفا البوحُ ثانيةً ، مالتاً قلب كاشاجو الذي أفرغ قبلاً أو كاد . هرَّ هريرَ المشروخ رُكلاً من الأسى بحوافره ، ثم عاوده الزئيرُ صاعقةً حريقاً .

انفصل سلطان زينافيرى عن الموكب بوثبٍ جامح . دار مراراً من حول الجمع كله ، بلا توقف ، عاصفاً ، تخفق ثيابه الخشنة على جسده ، وتترنح قلاذته هاذيةً على صدره خبطاً .

كان بادي العزم على فعل ما لم يخمنه هو لنفسه في دورانه حول الموكب ، ولم يخمنه مواكبوه . المحاربون السبعون ، خفراء السلطان وبطانته ، تحسَّسوا أسلحتهم العظام كأنهم ينتظرون علامة الإغارة على دُخلاء ، أو المدافعة عن مُلك زينافيرى . هرُّوا معاً هرير الجاهزية .

«هذه رؤيا» ، قال ماياكي لشيكتان التي جاورته .
«ربما رأى روح سوك» ، عَقَبَتْ تايون ، زوجة ماياكي .
غمغم ريكما . ألقى نظرة جانبية إلى أمه من وراء رأس أحد
العلماء الخمسة . تساءل بصوت مسموع منها ومن ماياكي الراجل
مُدَّ كان راتو ، المطية ، يحمل الذئب القنيصَ على كتفيه :
- هل حسم المنجمون ، بَعْدُ ، أن الأرواح تمكث بيننا ، أو
تنخرط ، فورَ الموت ، في المحادثات الدائرية باللسنة لهب ، في
الصميم النار؟ .
«الأرواح ليست على عجل» ، ردَّ زاجرانو ، عالم السيول
والطوفان . «نحن نستعجلها لتحسم أين تمضي» .
«أتصغي إلينا الأرواح إن استعجلناها ، أو استمهلناها؟» ،
سأله ريكما ، فردَّ زاجرانو :
- إن حَسَمْنَا أين تمضي الأرواح ، يَكُنْ ذلك هو حَسْمُهَا أيضاً .
«كيف تعرف؟» ، سأله ريكما ، فردَّ عالم السيول والطوفان :
- إن قررتُ أن أعرف ، فأنا أعرف .
«أهكذا هي علومكم؟» ، سأله مايشا الذي يلي ماياكي ،
تجاوره أمه وصاحبه .
«ماذا تعني؟» ، سأله زاجرانو .
«أعني تقررون أنتم أن تعرفوا فتعرفون . وتحسمون أنتم أين
تمضي الأرواح فتمضي الأرواح إلى حيث حسمتم مَضِيَّهَا» ، قال
مايشا .
«كل أمر في كون الجن ذي الزوايا الثلاث هو على هذا
النحو» ، ردَّ زاجرانو .
«هذا ليس ردًّا» ، عَقَبَ مايشا .

أدار زاجرانو وجهه صوب أم مايشا النائحة بصوت خفيض :
- هذه التي معك تقول كل شيء .

ارتدَّ مايشا على أمه . هتف بها :

- قللي لأبي إن هؤلاء العلماء هم أوائل من سيتبعونني .

«تتبعك إلى أين؟» ، ساءله عالم الريح بوهيدار .

«إلى أبي» ، ردَّ مايشا .

«أين أبوك؟» ، ساءله بوهيدار ، فردَّ مايشا :

- هو في سؤالك .

اكتفى بوهيدار من المحاورة بذلك القدر المختزل ، مُدَّ جزم أنه يخاطب فراغاً له صوتُ جنِي . هرَّ هريراً رزيناً وهو ينظر إلى كاشاجو في وثبه الجامح من حول الموكب . «هذا علمٌ» ، تتمم ، فتلقَّف التمتمة صحبه العلماء الثلاثة الآخرون . هزوا رؤوسهم تأكيداً .

قلَّب كاشاجو زعمَ بوهيدار ، في حاله من الوثب من حول الموكب ، إلى علم من علوم التنكيل في وحي الرؤيا الخيبة نزلت عليه . توقف بغتة مهتراً من هبوب الحنق على حقل الصور في خياله . صرخ :

- فليات حاملو الذئاب .

لبَّاه المطايا الجنيون الضخامُ الأربعة ، حاملو قنائص الأسياذ الثلاثة ، وقنيصة عميد المحاربين ماياكي . مثَّلوا بين يدي سلطان زينافيرى بقلوب مترقبة مغزى طلبه حضورهم .

«أنزلوا الذئاب أرضاً» ، هتف بهم كاشاجو .

أنزل الجنُّ المطايا قنائصهم أرضاً عن أكتافهم ، مقيدة الأرجل بالحبال ، مكَمَّمة الأفواه كي لاتعض . ذئاب صُفر ، ذهبية الدم ، يكاد فراؤها أن يكون ريشاً من تشعب زغب في الشعرة الواحدة ، أو

أقرب إلى ريش من الذي على جسوم الجن القُزم .
«فَكُؤُوا عنها كِمَامَاتِهَا» ، قال كاشاجو ، فحلَّ الجنُّ المطايا الحبالَ
الجلد الرفيعة ، القوية ، عن فكوكها وأخطامها .
زفرت الذئاب الأربعة معاً مُذ تحرَّرت أشداقها . هَرَّتْ هريِرَ
الوعيد وهي مقيدة ، مستلقية على جنوبها ، ترفع رؤوسها مُقَضِّقِضَةً
بالأسنان غضباً .

طوى كاشاجو جذعه منحنيّاً على واحد منها . أمسك به من
جلد قذاله بيد واحدة ، ورفعهُ قائماً . غمغم :
- حرِّروا قوائمه .

فكَّ أحد الجن المطايا الحبال عن قوائم الذئب المعلق في الهواء
إلى يد كاشاجو القوية مرفوعة الذراع . لبط الذئب بمخالبه في
الاتجاهات كلها لبطاً عنيفاً يروم تحريرَ قذاله من يد سلطان زينافيرى
الطويل الجسد . عضَّ بأنيا به الفراغ متصادمةً ببعضها ببعض حجريّة
الطَّرْق ، ولوى عنقه متوسطاً حظَّ الحيوان الغاضب ، المُنتَهَك فيه أن
يلتهم ذراعي كاشاجو ، أو يديه القيدين .

دار كاشاجو بالذئب المرفوع عالياً على وجوه الجمع في موكبه ،
مستعرضاً حريقَ الحسرة في برهة قلبه المشدوخة . هوى به على
الأرض الرمل خبطاً مرتين من غير إفلات .

لانت قوائم الذئب من الرُّضِّ والهضِّ أصاباها ؛ لأنَّ شدقاءه ،
وتراخيا من خَدَرَ الخبطتين رُوَضَّتَا قُوى العضل فيه ، وأوهنتا نداءَ
النجاة .

أفلت كاشاجو قذالَ الذئب ، محدقاً إليه من علياء قامته .
زحف الذئب على بطنه زحفاً ضعيفاً . نهض مترنحاً ، مرتعشاً في
دوخته ، ثم خار جاثياً على الأرض الرمل .

طلب كاشاجو من الجن المطايا الآخرين تحرير الذئب ، واحداً واحداً ، على النحو ذاته من سياق الفعلة بالذئب الأول . كَوْم الأربعة ، دائخة خائرة ، بين رجليه - رجليّ الجرادة منفرجتين قدّر مايسطيع . انحنى ورفع واحداً منها ممسكاً بجلده من جهتيّ الرقبة . مطّ الجلد مطلقاً زئير الحزم في التنفيذ ، فشقّ الجلد سلخاً حتى بان اللحم أحمر معافى .

قطرات من الدم الرذاذ ، في تمزّق الجلد ، أصابت يدي كاشاجو . هبّ فمرغهما في الرمل استكراهاً ، ثم عاد إلى ذئب ثان ، فثالث ، فابع ، يُذيقها شرارة الوجع في عظامه من فقد سوك . مزّق الجلود من حول رقابها . طرحها واحداً فوق جسم الآخر حية بعد ، تتقاسم من حناجرها ، في وهن ، أنين الخائر .

« اتركوها هنا » ، قال سلطان زينافيري للجن المطايا . « لا نريد جلودها . لا نريد عظامها . لا نريد لحومها طعاماً لطيور لا كيلا » . وثب راجعاً إلى مقدّم الركب بين نينيسو ، الحاملة جثة سوك على كتفها ، وشاكد الحامل جثة أخته ناكولي . أشار بيده صوب الأفق حيث يتجهون . فتحرك الموكب وثباً موزوناً ، رزيناً .

توقف ريكما على ظهر مطيته زيديكا قرب جسوم الذئاب الخائرة ، الفاترة العضل حركة ، ممزقة الجلود حول الأعناق . هرّ هريراً خافتاً يجاوبها أنينها الخافت .

شيكتان المنطلقة وثباً إلى جوار ماياكي ، وزوجته ، التفتت إلى الوراء حيث وقف ابنها . دارت على عقبيها - عقبيّ الجرادة راكبة إليه . وقفت بدورها قرب كومة الذئاب . هرّت محدقة إلى الوراء ، وأخرى إلى زيديكا بلا نطق ، فبادلاها هريراً بلا نطق . استدارت لاحقةً بالموكب ، فتبعها ابنها على مطيته .

«هذه رؤيا»، قال ماياكي لأحد العلماء الخمسة حين صارت شيكتان إلى جوار زوجته ، الزرقاء الصفائر .
«أتعني الأفق؟» ، ساءله شايما ، العالم في أصول الأصوات .
«عنيت الذئب الصفر ، ومصائرهما» ، ردّ ماياكي .
«هي رؤيا ماذا؟» ، ساءله شايما ذو الأذنين الطويلتين .
«لأعرف . لكنني أحسن أن طيف الذئب الأبيض تجلّى لكاشاجو» ، رد ماياكي .
«أهو الطيف الذي يلاعب منجمي زينافيرى؟» ، ساءله شايما .

«هو ذاته» ، رد ماياكي .
«أتؤمن ، حقاً ، بطيف الذئب الأبيض؟» ، ساءله شايما .
«لا أعرف» ، رد ماياكي .
«الذئب ليست رؤيا» ، قال شايما .
«ما الرؤيا؟ أهي الطوفان ومواضع اجتماع السيول؟ أم أصول الأصوات؟ أم أصول الكتبان؟ أم علوم الرياح؟ أم المواضع الأنسب لبناء المساكن وفق عبور الأرواح؟» ، ساءله ماياكي معدداً اختصاصات العلماء الخمسة ، غير المفهومة في منطق عميد المحاربين .

«لا الذئب ، لا الأشياء التي عدّتها ، هي رؤيا ، ياماياكي» ، قال شايما بنبر متألّ . «حين لا خوف لا رؤيا» .
«هل الخوف هو الرؤيا؟» ، تساءل ماياكي .
«الخوف ، كعلومنا ، أصل كل رؤيا» ، رد شايما .
«إذن لا رؤيا تتجلّى على محارب من زينافيرى . هم لا يخافون» ، قال ماياكي بصوت واثق .

«كلُّ قلبٍ يخاف . للمحاربين قلوب . هم يخافون إذاً» ، قال شايما . أردف : «لكنهم يحجبون الخوف بعقولهم» . غمغم ماياكي متردّد النبر في صوته لايعرف أيخالف شايما ، أم يوافقه .

وثب بوهيدار ، عالم الريح وثبة زائدة ليصير إلى قرب أكثر من ماياكي . أقحم محاورّة من سياق آخر ، متّصل ومنفصل في منطقته ، في ماحدث به شايما عميداً المحاربين . قال بوهيدار :
- ستنتهي أقاليم الجن .

«لم أفهم» ، عقّب ماياكي المشروخ الشفة السفلى من ضربة . حدّق إلى محدّثه مستفهماً .

«نحن نجوب أقاليم الجن كلها . نراها متهدّلة . كونُ الجن ذو الزوايا الثلاث يضيق» ، قال بوهيدار .
هرّ ماياكي بنبرٍ مستخفّ قليلاً :
- أهذه رؤيا؟ .

«كائنات أخر سترث أقاليم الجن ، وكونُ الجن . كائنات أنشأت نفوسها من ألم . كائناتٌ حُذاقٌ في النشوء من الألم بأعضاء ألم ، وعقول ألم ، وقلوب ألم ، وعلوم ألم ، واستنسال ألم ، ومجد ألم ، وأعياد ألم ، ومباهج ألم . مالاً ألم فيه هو سمّ لهم كطحين عظام أطفال الجن سمّ للجن» ، قال بوهيدار .
هرّ ماياكي ثانية بنبرٍ فضول ، واستغراب :
- من هم هؤلاء؟ .

«ليسوا من الجن» ، ردّ بوهيدار .

«كيف تعرف هذا؟ منجمّونا لم يتأوّلوا في طيران الجراد أنسا . كائناتك هذه» ، قال ماياكي . أردف : «أهمّ محتجب . ولنا أشم رؤيا

جنّ ذاتَ وقتٍ من زمن الجن؟» .

«رَصْدِي منابعَ الريح ، وأصولُها الآثارَ الدفينة في الزمن المتعاكس حول زوايا كون الجن ، أجازَ زُعماً كهذا» ، قال بوهيدار .
«أنا في الدَّرَجَة الأولى من تمحيص آثار الريح في كون الكائنات ، التي سترت أقاليم الجن . الصور ناقصة بُعدٌ . خيالي يلحق بطيئاً بالآثار ، لكنني أراها» .

«من يشبه كائنُ النشوء من الألم؟ أيشبه الجن؟» ، تساءل ماياكي ، فردَّ بوهيدار :

- هيئةٌ خليطٌ من أشكال شتى ، ومن طباع شتى . أنا لم أستحصل له صورةً بعد . لا يهمني ذلك كثيراً . هو أثرٌ كعزيف الريح ؛ بل رؤيا كنقوش الريح في الرمل .

«أين كائناتُك هؤلاء ، الآن؟» ، ساءله ماياكي . أردف سريعاً :
«أهم في أنفاق؟» .

«سألنا قبلاً عن الأنفاق ، ياماياكي . أبات النفق رؤيا من رؤى الجن في زينافيرى؟» ، ساءله ماستو ، عالم الرمل وأصول الكثبان .
«ليس بعد» ، ردَّ ماياكي بصوت ملتبس المعنى . «النفقُ رؤيا أتباع ماشفير الأعمى» .

«ماشفير؟» ، ردَّد زاجرانو الاسم بنبرة متسائل .

«أسمعتهم بماشفير الأعمى؟» ، ساءلهم ماياكي .

«سمعنا القليل عنه» ، ردَّ بوهيدار .

«أأخبرتكم أنه يشبه كائناتكم التي أنشأت نفوسها من ألم؟» ، ساءلهم ماياكي .

«ماشفير من الجن . كائناتُ النشأةِ الألم لا تشبه الجن» ، ردَّ بوهيدار .

فحّ ماياكي فحيحاً خافتاً من حنجرتّه . ساء لهم :
- أرايتم هايكاهايكيسين ؟ .

«سمعنا بها في مجيئنا إلى زينافيرى . أهى مَرْتَبَةُ بين الجن والحيوان ؟ أم هى حيوان محض ؟» ، تساءل شايما .
«ربما» ، رد ماياكي . «أنثى غريبة النوع ، تأكل الفاكهة ، والجراد ، وتشرب الماء» .

«ماهيئتها؟» ، ساءله جيراجيك ، فرد ماياكي :

- تستطيعون رؤيتها في حديقة قصر كاشاجو .

كرر جيراجيك سؤاله :

- كيف هيئتها؟ .

«عينان ليستا حجريتين ، ملتفعتان ، ينسكب منهما ماءً أحياناً» ، قال ماياكي . «رجلان تنطويان إلى أمام من الركبتين لا إلى الخلف . فى صدرها كتلتان نافرتان» . غمغم قليلاً ، فى صمت ، يستعرض على نفسه جماعَ هيئة الأنثى الإنسانية ، ثم استرسل فى وصف كل جارحة فيها للعلماء الخمسة ، من جلدها حتى قدميها المنتهيتين بأصابع .

«كيف لم يخطر لنا أن نراها أولاً؟» ، تساءل بوهيدار .

«أمامكم وقت . سترونها فى العودة إلى مدينة زينافيرى» ، ردّ

ماياكي .

رنّ فى أرجاء الأعالي برقٌ حجريٌّ ، غاصبُ السَّوْطِ فى جلده السماءَ الرمادية - سماءَ الرمل معصوفاً . جاوبتهُ بروقٌ تسعةُ أندر ، ناهضة بشباك النار إلى قنص العقل الكليّ فى الفراغ الكليّ . توقف العلماء الخمسة عن وثبهم . تأملوا الأعالي بعيون تتحرى «والأق الجفاف الهائل مسكوكةً بروقاً لامطر قبلها ، أو بعدها ، قط . عادوا

إلى وشبههم ، بعد توقف ، أسرع من قبل . بلغوا مقدمة الموكب .
اقتربوا من كاشاجو ملتفتين إليه بوجوههم ليقرأ الشفاه إن تكلموا .
نضض كاشاجو بلسانه ، عارفاً أنهم يعرضون محادثةً عليه في
اقترابهم منه . تكلم بوهيدار :

- سننصرف ، ياكاشاجو . اعدزنا . سنتجه جنوباً ، إلى ماوراء
واحة كيما . للجهات نداءً حين تستدعينا .

«أنتم معذرون» ، قال سلطان زينايري .
غمغم الأربعة الآخرون اعتذاراً عن عدم مواكبته في العودة
إلى القصر . استداروا منطلقين جنوباً .

هرع ماياكي وثباً قوياً بدوره ، حين انصرف العلماء الخمسة ،
فجاور كاشاجو . لمس كتفه يلفت بصره إليه :
- ماذا سألك هؤلاء ؟ .

«سألوني المعذرة على انصرافهم» ، رد كاشاجو . أطلق لسانه
مسترسلاً بنبرٍ محتدم قليلاً : «على أحد أن يُخضعهم لسلطانه» ،
قال . «كيف جرى التواطؤ بين ملوك الأقاليم وسلاطينها على ترك
هؤلاء الخمسة أحراراً لا ينتسبون إلى أمة ، ولا يخضعون لمشيئة
حاكم؟ أهذه لعبة ، ياماياكي؟» .

«تشبه شيئاً ما من لعبة لا أعرف قواعدها» ، ردّ ماياكي .
هرّ كاشاجو ملتفتاً بوجهه إلى الجنوب ، حيث كادت أطراف
العلماء الخمسة المسرعين أن تذوب في عباءاتها النَّسْجِ من ريحٍ
ورملٍ معصوف :

- ماذا لو أرسلتُ الخفراءَ لجليهم مقيدين كالذئاب القنائص ؟ .
«لا أعرف ماذا تربح من ذلك ، ياكاشاجو» ، ردّ ماياكي .
«أربحُ خضوعهم» ، قال كاشاجو .

«ماذا لو رفضوا خدمة إقليم زينا فيري بعلومهم بعد ذلك؟» ،
ساءله ماياكي ، فرد كاشاجو :

- أسلخهم أحياء .

«كتلك الذئاب؟» ، تساءل ماياكي .

«كتلك الذئاب» ، رد كاشاجو .

«لن يُبديك ذلك قوياً . حریتهم ، وحدها ، قوتك . أن تعفيهم
من الخضوع لك تلك قوتك» ، قال ماياكي .

«قوتتي؟» ، تتم كاشاجو بنبر حسرة . هراً مستشعراً لوعته وقد
واصلت قَرْصَهَا على خياله : «كيف لم أحتجز سوک حتى الانتهاء
من حضانة الذبابة؟» . زأر ندماً .

بروق الجفاف الأعظم ، المحتدمة بين أنلام السماء الحجرية ،
نشرت بزورها ، من جديد ، فأنبئت بساتين لهباً تظهر لمحا ثم
تحتجب . رياحٌ لاحقت رياحاً في القبض على أشباح لها جسمٌ
رملٌ ، دافعةً أسراباً من الجراد محلقةً شرقاً . بعضُ الجراد أثر
استراحةً من نزوحه الطويل ، فحطَّ على ثياب أهل الموكب ،
وضفائره ، فلم يزجره ، أو ينتهره ، إلا شاكداً ، مطية كاشاجو ،
أزاح الحشرات المتشاركة مع الجن في أشكال أرجلها ، عن صفائر
أخته ناكولي ، المنطوية ميتةً على كتفه اليسرى .

ألقي كاشاجو نظرة على شاكداً جانبياً . استرعتَه تلك الحركة
الهادئة من يد مطيته في إزاحة الجراد عن صفائر أخته ، بالرغم من
وثبه . حوّل بصره إلى جانبه الآخر ، حيث تحمل نينيسو على كتفها
جثة سوک . اقترب منها . أزاح جراداً عن رأس الجثة وبعض ثيابها .
زمجر لوعةً .

انفصل ماياكي ، بغتةً ، عن مقدّم الموكب . أرابته حركته ليف

بعيد ، في الجهة الغرب ، قادماً صوبهم .
«أرى ذئباً ، أم ماذا؟» ، تساءل بصوت عال تنبيهاً كي
يتفحصوا الطيف المهرول على قوائم أربع . استلّ من جعبته عظماً
طويلاً هراوةً لها كعبرة . وثب متأنياً يستطلع الحيوان القادم .
كلما اقترب ماياكي من الحيوان لم يحذره الحيوان ذاك ،
الضئيل الجسم ، الأبيض مرقشاً بنقاط سود ، بذيل يتراقص من
خلفه . توقف عميد المحارين . ألقى نظرة خلفه إلى الموكب الواقف
فضولاً ، فألقى الجلاد رادبور قادماً وثباً طويلاً يختصر الأرض
الرمل . جاوره ممسكاً بحبل . تكلم هامساً :
- هذا ليس ذئباً .

«لا . ليس ذئباً . ليس ثعلباً . ليس من الحيوان الفنك . ليس
فهذا من فهود البوابات الرمال» ، قال ماياكي تعقياً على تقديرهما
لنوع الحيوان . عرّتهما حيرة في أمره متقدماً صوبهما لايهرّ ، ولا
يزأر ، ولا يزمجر ، ولا يفح ، ولا يعوي ، مفتوح الشدين عن لسانه
المتدلي لاهثاً .

«سألتقطه» ، قال رادبور الضخم كالجن المطايا ، متهيئاً بانحناءٍ
ليشب وثبة القنص .

«انتظر» ، تمتم ماياكي يستمهله . «مامن حيوان لا يحذرنا .
مامن حيوان يتقدم من الجنى بلا خوف» .

تتبّع ماياكي ، ورادبور ، ببصريهما اقتراب الحيوان متمهلاً في
مشيه . صار على بعد قفزتين من قفزات الجن لأكثر . هرّ جلاد
زينافيري بصوت خافت . تمتم متهيئاً :

- هذا حيوان أبله .

«دعهُ يقترب» ، قال ماياكي . «يبدو وديعاً» .

«قد يباغتنا» ، همس رادبور .

«ليس في حركته ما يدل أنه قد يباغت» ، قال ماياكي ببعض الثقة في التقدير .

وقف الحيوان قبالتهما ، على بُعد ذراع . أطلق أنينا رقيقاً ، متقطعاً ، خافتاً ، في استهلاله لقاءهما ، ثم أكمل مشيه ، فأقعى قرب قدمي رادبور المنحني عليه من عليائه متفحّصاً باندھاش . تتم :

- ماذا أفعل الآن ، ياماياكي ؟ أألتقطه فأقيده ؟ .

«لا» ، ردّ ماياكي مندهشاً بدوره . قرّب رأس هراوته العظم من خطم الحيوان ، فالقى الحيوان نظرة ودیعة ، منكسرة ، على الهراوة . رفع وجهه إليهما . أنّ مستكيناً .

تراجع الجنيان قليلاً . أعادا فحّص الهيئة الحيوانية ببصريهما ، وفحّص الطباع المحتجبة في سلوك الحيوان الوديع ، المستكين . دارا على أعقابهما ، بوجهين ملتفتين إلى الوراء ، ثم وثبا وثباً هيناً مبتعدين في اتجاه الموكب ، فهرول الحيوان لاحقاً بهما . توقفا ، فلم يتوقف إلاّ قرب قدمي ماياكي ، ثم أقعى .

«هذا حيوانٌ حيلة» ، قال رادبور .

«لا أرى حيلة فيه» ، عقّب ماياكي . «هو غريب السلوك» .

«أبله» ، كرر رادبور تقديره لسلوك الحيوان وطبعه الظاهر .

تراصف الموكب كله بوجوه شطّر ماياكي والجلاد راجعين يتبعهما حيوان ذو ذيل متراقص ، وشدقين مفتوحين عن لسانه المتدلي خارجهما .

لا كلاب في إقليم زينافيرى . لا كلاب في أقاليم الجن . ام يسمعو بها في أساطيرهم عن ممالك جن الأعالي السيارة كالنوم ، أو الممالك المحتجبة في الدفين تحت الرمال . كلباً دلماسياً كان ذاك

الذي يتبع الجنين ، صغيراً ، أبيضَ بنقاط سود . نبج مرة واحدة نباح المستأنس بجمع الجن إذا صار على قُرب من الموكب ، فهِرَّ جمعُ الجن من النباح لاعهدَ لهم به هَرِيرَ الحذر بلا غلواء . قلبوا فضولهم وتخمينهم في نوعه على وجوه كُثر : إلى مَنْ ينتمي ذلك المقعي لاهتاً ، واضح الخضوع في عينيه المنكسرتي التحديق ، مستكيناً ، ودوداً ، ومستأنساً أيضاً ؟

انبرت الرسامات الأربع مستخرجات ألواحاً رقائقاً من أجربتهن المثقلات بالصفافيح السود - سجلّ الأشكال مقيدةً بالخيوط اللون . وقف ماياكي ورادبور الجلاد ، كلٌّ إلى ناحية من الكلب المقعي : لقد أرادا تأريخاً آخر لوجودهما موثقاً بجلال الغريب ، الغامض ، من شكل النوع الكلب ؛ أرادا التصديق ، بشكل الحيوان الجديد ، على توثيق شكليهما في سجلّ الرسامات الحجر . هما تصيّدَا برهةَ الخطوةِ الكشفِ ، وهي برهة سثُروى في إقليم زينافيرى ، وأبعد من إقليم زينافيرى على الأرجح .

اقترب تارتوك من الكلب بهمهمة غناء ، تتبعه ابنتاه وزوجته قرعاً خافتاً بالأيدي على رؤوسهن العارية . انحنى المغني على الحيوان . لمس رأسه ، فمدّ الكلب لسانه لاعتقاً . أبعد تارتوك يده مُجَفِّلاً ، من غير أن يوقف الغناء . لمست ابنتاه الكلب على ظهره فأن استكانةً ، ورضى أيضاً .

« هذا الحيوان روح من أرواح لاكيلا » ، قال سافتار ، أحد أسياد المحاربين .

« بل أظنه حيلةً » ، عقّب ماكالوني ، السيد الآخر من أسياد المحاربين ، متقصداً ، باستدارة منه على كاشاجو ، أن يرى سلطان زينافيرى شفّتيه ، فيفهم تقديره .

لم يبدُ على كاشاجو الكثير من الفضول الغالب على الموكب .
لمس ثوبه ، قرب خاصرته ، حيث دسَّ قناع سوك مطويًا . هَرَّ . نظر
إلى الأفق المنحسر قليلاً عن تخوم مدينة زينا فيري . وثب متابعاً
سير الموكب .

كثيرون تقصدوا ، في سيرهم ، أن يقتربوا من الحيوان لاحقاً
بهم ركضاً . تأملوه . خاطبوه باللسنة عقولهم الصامتة في معنى
نوعه ؛ في حقيقته أهو حيوان أم رؤيا؟ فيما كان واضحاً أن الكلب
غير معني بتقدير ذلك النوع ذوي الأرجل المحاكية في أشكالها
أرجل الجراد . لقد وجدَ مَنْ يصحبهم فصاحبهم . وهو على ثقة ،
بالوحي الصامت من حضوره حيواناً ، أنهم يقصدون مكاناً ليس إلاً
مكاناً ذا أبعاد ، وعمق ، ومخاطبات ، وفصائل ورذائل ككل معمور
من الأرض بالأحياء ، أو مهجورٍ عُمَّارُهُ الأرواحُ ، والطيوف ، أو
الآلهة المعتزلة .

قَرَّبَ ماياكي نفسه من مايشا تجاوره أمه ، والأنثى الأخرى ،
مغمغمتين مايشبه نواحاً من فميهما المغلقين .

«مايشا» ، ناداه ماياكي ، فاستدار إليه مايشا .

«هل ستتبعك الحيوانات أيضاً إلى أبيك؟» ، ساءله عميد

المحاربين .

«لم أتلَقَ إلهامه في هذا الشأن بعد» ، رد مايشا .

«متى يخاطبك طيف أبيك عادة؟» ، ساءله ماياكي ، فردَّ

مايشا مستهجنًا :

- يخاطبني حين أريد .

«اسأله ، إذاً ، أن يكون هذا الحيوان الغريب أول اللاحقين بك

من المخلوقات الأخر غير الجن» ، قال ماياكي .

« لا حداثق لأبي يُسْكِنُهَا حيوانات في الأقفاص » ، عَقَّبَ مايشا .

تمادى ماياكي مستلطفاً محاوراته المباحكات مع مايشا ، وطرائف ردوده . ساءله :

- أي طريق ستسلك في الذهاب بقبائل الجن إلى أبيك؟ .

« طريق الليل » ، ردَّ مايشا ، فاستوضحه ماياكي :

- كل طريق هو ، في الليل ، طريق الليل .

« عنيتُ الليلَ ذاته » ، أوضح مايشا .

« الليل ليس طريقاً » ، عَقَّبَ ماياكي .

« هو الطريق إلى أبي ، ياماياكي » ، أكَّدَ مايشا .

انضم إليهما كاشاجو من غير توقُّع ، قادماً من مطلع الموكب .
نضنض بلسانه . سأل عميدَ المحارين حالَ أن جاوره :

- ما تقديرك لما جرى؟ .

تأمله ماياكي لحظةً لم يخمِّن مقصدَ سلطان زينافيرى ، الذي استدرك فأوضح :

- ماذا جرى لسوك؟ .

« غرقت » ، ردَّ ماياكي باختزال .

« كيف غرقت؟ » ، تساءل كاشاجو .

« ربما انزلقت بها قدما مطيتها ناكولي » ، ردَّ ماياكي .

« منذ متى تنزلق أقدام الجن على ضفاف البركة فيسقطون في

مائها؟ » ، تساءل كاشاجو .

« حدث قبلاً مرتين ، ياكاشاجو » ، ردَّ ماياكي .

« أتذكر شيئاً من هذا . حصل في مطاردة صيَّادينٍ لجنٍ قُزم

ألْقَوْا بأنفسهم إلى الماء فانزلق الصيادان وراءهم » ، هكذا سرد

كاشاجو الواقعة التي لم تمهّد لخياله تشابهاً في حصولها مع الذي جرى لسوك . أستطرد : «إن كان سقوط سوك في الماء من مطاردة جنّ قُزم ، فلا أُحمّل إلا ناكولي هذه النكبة» .

«أنا متحيّر ، ياكاشاجو» ، قال ماياكي . «لا أُحمّل ناكولي التّبعة . قد تكون سوك أوعزت إليها مطاردة فريسة فلَبَّتِ المطيّة . لكنني لا أُحمّل سوك أيضاً تَبَعَةً . جرى ما جرى» .
زمجر كاشاجو :

- أنت توازن الأمر بلا لوعة ، ياماياكي . خُذْ جانبي - جانب اللوعة .

«أفهم لوعتك . لكنّ ما الجانب الذي تقف عليه لوعتك ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ماياكي .

«جانب التّبعة التي على ناكولي أن تتحمّلها» ، ردّ كاشاجو .
غمغم ماياكي متفهّماً ، بتحفّظ ، حنقَ سلطان زينايري . أشار بيده إلى مقدمة الموكب يمشي فيها شاكد حاملاً أخته على كتفه اليسرى :

- حمّل ناكولي ماتشاء ، ياكاشاجو . هي ميتة .
«سأحمّلها ذلك وهي ميتة» ، قال كاشاجو في حقد نفثه مع الزمجرة الوعيد . وثب متجهاً إلى مطيته شاكد ، فالحق به ماياكي متوجّساً من سلطان زينايري ما يُريب .
استوقف كاشاجو مطيته شاكد الحامل جثة أخته . خاطبه بصوته الحجر عالياً :

- ارم هذه الفاشلة عن كتفك .
هرّ شاكد . استثقل من كاشاجو ذلك التوبيخ المهين لأخته .
سكن بلا حركة .

«قلتُ أَرْمِهَا أَرْضاً» ، كرَّرَ كاشاجو طلبَه المحتدم من مطيته .
في هدوء أنزلَ شاكد جثةَ أخته عن كتفه . مدَّدها أرضاً .
التفت إلى سلطان زينافيرى :

- لم تخذل ناكولي أحداً في حياتها ، ياكاشاجو . علَّمتُها
الوفاء لك قبل دخولها القصر مطيةً لسوك بزمَن طويل .
«خذلتُني» ، عقَّبَ كاشاجو . «خذلتُ سوك . خذلتُ نفسَهَا» ،
فحَّ فحيحَ التأكيد : «أنت جثتنا بها . لقد خذلتك أيضاً» .
«لم تخذلني ناكولي» ، ردَّ شاكد . «لم تخذلك . لم تخذل
نفسَهَا» . استدار إلى نينيسو الحاملة جثةَ سوك على كتفها . أردفَ
بنبر مُماحِكٍ : «ربما خذلتك سوك . قل لنينيسو أن ترمي بها
أرضاً» .

«لا تتمادَ يا شاكد» ، قال كاشاجو بنبرٍ إنذار . «ودَّعَ ناكولي ،
واتبعني لتحملني» . ابتعد بضع وثباتٍ تاركاً لَشَاكْد خلوةً مع
أخته ، فتبعه الموكب وثباً .

بقي شاكد إلى جوار جثة ناكولي منكسراً . دار من حولها
متردداً أيحملها من جديد ، أم يتركها في الفلاة الموحشة؟ الجن
يجففون عظام موتاهم قُوْتاً ، وجلودهم ثياباً ، ويطعمون لحومهم طيورَ
لا كيلا تكريماً لأرواح الموتى . استعداد ، في لمح ، سيرة أخته على
بصر قلبه . جَمَعَ الزَمَنَ وبَسَطَ الزَمَنَ كرقاع جلدٍ . تتبَّعَ طيفها لاهيةً
وثباً في أزقة زينافيرى . تنصَّت إلى غمغماتِها الغناء من دعر حين
غطتها أمها بالنمل الأزرق وهي طفلة . استعداد وثبها القويَّ صيادةً
للذئاب الصفر بيديها وحبالها . زأر مُدُّ أحس أنه يهينها إن تركها
مرمية في الفلاة . انحنى فحملها ، من جديد ، على كتفه اليسرى ،
وأُسرع وثباً ينضم إلى الموكب .

هرّ كاشاجو مستنكراً مجيء شاكد بالجلّة على كتفه . أتبع
الهرير بزئير :

- ما الذي تفعله؟ إلى أين تأخذ ناكولي؟ .

«إلى ما يليق بروح الجن ، ياكاشاجو» ، ردّ شاكد .

«مالذي يليق بروح مطية خذلت راكبها؟» ، ساءله كاشاجو ،

فردّ شاكد بنبر متمرّد :

- إن تركت سوّك في الفلاة هنا ، تركت ناكولي .

«أنا لا أسمعك ، يا شاكد ، بل أذوق كلماتك بلساني» ، قال

كاشاجو . «أمّا أنت فتسمعي . اترك جثة ناكولي هنا أو اتهمتك

بالعصيان» .

ظلّ شاكد ساكناً ، منقسم القلب والعقل بين الطاعة

والعصيان ، لأول مرة منذ انضم إلى قصر سلطان زينايري . راز بيد

البرهة المفرطة ثقلاً تاريخ علاقته بكاشاجو قبل حسم قراره . قرب

وجهه من وجه سيده . باغته بسؤال مرتجل لاذع في ارتجاله :

- لماذا احتقرت سوّك وجهها فاستبدلته بقناع له صورة وجه

هايكاهيكسين؟ .

زمجر كاشاجو غير واثق من العثور على ردّ يريح خياله . أطلّ

الزمجرة محدّقاً إلى شاكد ، الذي نازله بسؤال آخر :

- أغرقت سوّك نفسها ، أم أغرقها القناع؟ .

«ناكولي أغرقت سوّك» ، ردّ كاشاجو بصراخ في وجه شاكد .

«سوّك أغرقت نفسها بالقناع ، وأغرقت ناكولي» ، عقب شاكد .

بصوت فيه نبر الزئير .

دار سلطان زينايري من حول نفسه مهتاجاً . انزعج من

الأرض الرمل فأثار غباراً تنشقّه . نشر غضبه تهمة هي الأ

- هذا عصيان .

وثبَ عميد المحاربين ماياكي ، والأسياد السبعة ، وبعض
الغطاريف مجتمعين حول كاشاجو ومطيته . التهمةُ بالعصيان لا تردُّ
على لسان كاشاجو إلاَّ إنْ تذكرَ ماشفير الأعمى ومريديه . كان
ثقيلاً ، مُربكاً ، صادمًا أن يتهم سلطان زينافير مطيته شاكد
الوفاي . وقد حاول المجتمعون من أقوياء الإقليم تدبيرَ تخفيف بين
كاشاجو وشاكد فما وجدوا لِنِنا في نظراتهما المتهارشة .

«هذا عصيان . ستؤكل حياً ، يا شاكد» ، صرخ كاشاجو ،
مستديراً بوجهه إلى الخفراء المحاربين متهيئين بالأيدي على
أسلحتهم العظام .

وضع شاكد جثة أخته أرضاً . فتح ذراعيه الطويلتين أمام أبصار
المحيطين بهما . «لا سلاح في يدي . لا عصيان في ثيابي» ، قال
بنبر هادئ . التفت بوجهه إلى مرمى بصر كاشاجو ليتذوق بلسانه
طعمَ الكلمات : «كنتُ أميناً لك يا كاشاجو ، أنا العارف أكثر مما
يعرفه غيري عنك . قوي أنت ، حكيم ، فطنٌ ، وكرمٌ» .

ضبطَ كاشاجو استنشاقه الهواءَ متمالكاً نغمته . نضنض
بلسانه مُذْ تكلم شاكد من جديد :

- قلبُك إنْ قسَّمته يكن قلوبَ أربعين فهذا من فهود البوابات
الرمال .

تراخى الوتر المشدود في قوس غضب كاشاجو . استرسل
شاكد :

- لا يدَ كيدِكَ في الضربة . لا يخذل سلاحُ نفسه إن كان في
يدك .

أدار كاشاجو وجهه على الموكب بنظرة فخر .

هرّ شاكد مستحضراً من خيال المدح فيه قَبَسَاتُ أُخَرِ :
- ظَلُّكَ فَوْقَ كُلِّ ظَلٍّ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَالْغِبَارُ الَّذِي تُثِيرُهُ إِنَّ
ارْتُشِفَ لَا يُرْتَشَفُ غِبَارٌ بَعْدَهُ .

أهتز كاشاجو في وقفته يحثه قلبه أن يعتذر إلى شاكد عن
توبيخه أخته الغريقة .

تحرك شاكد وثباً قصيراً ، موزوناً ، أمام جمع الموكب يرومهم
سماع كل نبر من صوته المادح ، ويفاجئهم باقتدار مطية مثله في
صناعة الكلام الذلق . أطلق لسانه :

- فهود البوابات الرمل لا تتجاسر على إطالة التحديق إليك ،
وتكتم الذئاب الصفر عواءها إن تنسّمت زئيرك عن بُعدٍ كالذي بين
إقليم زينافيرى وإقليم يتراك .

هرّ كاشاجو استحساناً لا يرفع بصره عن فم شاكد المستطرد :
- الفلاة التي تمشي فيها تمشي معك أمنةً .

وثب كاشاجو وثباً رزيناً أمام بصر الموكب نصف قوس ،
يستعرض نفسه في كلمات شاكد على العيون ، وعلى القلوب
الولاء لسيد زينافيرى . همّ ، بحقّ ، أن يستظهر عفوه كاملاً ، ويمحو
بلسان القادر تهمة العصيان عن مطيته ، لكنه أثر إعلان ذلك مواربةً
في الصّفح : «أنت تؤخرنا ، يا شاكد» ، قال يحثه على الالتحاق
بالموكب استعداداً لإكمال المسير ، كأنه أسقط ماجرى بينهما من
حسابه .

«عَمَّ أَوْخَرُكَ؟» ، ساءله شاكد .

«عمّا أريد» ، ردّ كاشاجو بصوت فيه نبر الصّفح .

«ماذا تريد؟» ، ساءله شاكد ، فردّ سلطان زينافيرى :

- أن تحملني .

زفر شاكد . استدار إلى جثة أخته مطروحةً على الأرض
الرمل . لذعته الحرقه . أعاد بصره إلى وجه كاشاجو كأنما ينتظر منه
إيعازاً بحمل ناكولي إلى زينايري .

ظلّ كاشاجو صامتاً قدّر صمت شاكد ، ثم هزّ :
- أنت تؤخرنا ، يا شاكد .

«يطيب للساني ، اليوم ، أن أستكمل فيك إطرأً قد لا يحققه
لساني في يوم آخر» ، قال شاكد تمهيداً لاستطراد جديد في مدح
سلطان زينايري .

غمغم بعض جنّ الموكب مستلطفين نبر الصوت في فم
شاكد ، الذي تكلم وهو يطوف في حلقة أمامهم وثباً رقيقاً ، من غير
أن يحيد فمه عن بصر كاشاجو :

- حديقتك نصفها هنا ، يا كاشاجو ، ونصفها في الأعالي
سيدهً على حدائق الممالك السيارة كالنجوم . قصرُك هذا ، في
زينايري ، ليس قصرُك كلّهُ : بعضُهُ الأعظم هناك ، في الأعالي ،
بسمّار من ملوك الممالك السيارة كالنجوم جوّالين فيه ببطاناتهم .
إقليم زينايري الآخر هو لك أيضاً - زينايري الدفين تحت منابع
الرمال .

زمجر كاشاجو فخراً . مدّ ذراعيه صوب مطيته شاكد يحثه
على الاقتراب منه ترحيباً .

وقف شاكد عن وثبه . حدّق ملياً إلى كاشاجو . هرّ هريراً
طويلاً قبل النطق من جديد ، بصوت عالٍ ورّعه على الأسماع
كلها :

- كاشاجو . إن كنتَ القويَّ لا تُجارى ، فهلاً نازلتنني بأيّ
شيء أردتَ ، بالسلاح ، أو بالكل ، أو بهما معاً ؟ .

ظنَّ السامعون ، وظنَّ كاشاجو نفسه ، أن شاكد يتصنَّع ظرافةً
بعد مديحه ، بالرغم من الثقل بعدُ جاثماً على صدر سلطان
زينافيري ، وصدر مطيته ، بوجود جثتين على مرمى الأبصار ،
تخصان عزيزين عليهما .

اقترب شاكد من كاشاجو بزفيرٍ انتفخ منه الجلد حول ثقبه
منخريه . كرَّر تحديه :

- نازلني . إن غلبتني أفعَل بي ماشئتَ .
تأمله كاشاجو بعينين أدركتا مبلغَ صدق شاكد في رغبته
المجنونة . همس :

- أتعني ماتقول؟ .
«أعني ذلك» ، رد شاكد .
واجه كاشاجو جمعَ الموكب . كلمهم هادئاً :
- أسمعتم ماسمعتُ بلساني؟ .
بقي الجمع صامتاً ، تأكيداً من كلهم أنهم سمعوا من شاكد
ماسمعه كاشاجو منه بلسانه ، وأنه عنى ماعناه .
زأر كاشاجو مستديراً إلى شاكد . صرخ :
- أإنَّ غلبتُك فعلتُ بك ماشئتُ ، ياشاكد؟ .
«نعم» ، رد شاكد .

انحنى كاشاجو على الأرض الرمل . صفعها واستنشق الغبارَ
أثارته الصفعةُ . زمجر :

- أنت مطيتي ، ياشاكد . أنا الغالب مُذ أنت مطيتي ، وأفعل
بك ماأشاء بلا نزال .
«أعدت يداك لئتين ، رخوتين كبطن الجرادة ، مُذ لمست يدي»
سوك ، ياكاشاجو؟ ، ساءله شاكد بنبرٍ صادم .

انشقت حنجرة سلطان زيناڤيري هياجاً ، فتدافع الخفراء ،
المحاربون محيطين بهما ، بأيديهم على رماحهم العظام ، وأيديهم على شباك
الصيد .

عضٌّ كاشاجو على سبابة يده اليمنى ، المدَّهنة خُضرةً ، من
حَنَقٍ رعد . أطلق لسانه هديرًا :

« سأطعم ذئاب حديقتي لحملك ، ولحم ناكولي .

« يلزمك أن تقتلني أولاً » ، قال شاكد بصوت هادئ لا حذر

فيه ، ولا توجُّس من وعيد سلطان زيناڤيري .

« أعطوني حربة » ، صرخ كاشاجو بخفراء الموكب المحاربين .

سلَّ شاكد من جرابه عظماً من عظام فخذ ثور .

دبَّت نَقْرةٌ في الخفراء محيطين بالإثنين . بادروا ، فور رؤيتهم

السلح في يد شاكد ، استباقاً لهجومه المحتمل ، إلى الهجوم عليه .

رموا شباكاً على جذعه فمزق الجنيُّ المطيئة الضخم حبالها . كسر

ساقَي أحد الأقربين إليه منخفضاً بجسده في الضربة ، ثم علاهم

وثباً فهشم جمجمتين قبل رسو قدميه ، بعد الوثبة ، على الأرض .

زأر زئير المتوَعَّد القادر . غطت شبكة رُميت في الهواء رأسه . جرَّ

الممسك بحبل الشبكة رأس شاكد ، فعاجله آخرون بالرماح ،

والشظايا العظم المسنونة ، طعنًا ، ووخزًا . سقط شاكد أرضاً ، ثم

انتفض واقفاً . شدَّ صاحب الشبكة صوبه . دقَّ رأس المحارب برأسه

فشدَّخَ جبينه . ركل أحد المقربين . أطاح به مقدوفاً . صدمت عنقه

ترقوة كبيرة رُميت رمياً لا يخطئ . ترنح ، فتحاملوا عليه طعنًا وخنزًا

بالشظايا المسنونة حتى انهار .

سبعون محارباً تناوبوا الطعن على مطية كاشاجو ، في لمح ، بلا

استئذان سلطانهم .

فوجئ كاشاجو ، منذ البرهة الأولى للمنازلة الخاطفة ، بانهمار
الرماح المسنونة على جسد شاكد . مدَّ ذراعيه صوبهم يصدُّهم عنه
بعد فوات الأوان . احتدامُ الشدِّ من المحاربين على شاكد ، وفرَّهم
منه اتقاء ضرباته الفاتكة ، أبقيا كاشاجو عاجزاً عن إيقاف صَوْلَةِ
النَّزال . غطى هياجهم ، وزمجراتهم ، وزفيرهم ، وهريرهم ،
وفحيحهم ، وغبارُ أقدامهم الراقصة رقصة القتل ، على صوته منادياً
بفكِّ التحامهم من دون جدوى .

انكشف المحاربون عن مطية سلطان زينافيرى وقد تفلَّع اللحمُ
الليفُ عن كل موضع في ظهره وصدره ، وانسلخ الجلد عن رقبته
وفكَّيه السفليين ، وانشدخت عيناه الحجريتان .

زمجر كاشاجو زمجرة الندم على تسرُّع خفراء الموكب في
انقضاضهم على شاكد . دار من حول جثته دورتين . انحنى عليه
فهزَّه من كتفه هذا خفيفاً يرتجى حركة الحياة فيه . لكنه رأى الزفرةَ
أطلقها غباراً برتقالياً من منخرية الثقبين : لقد سلم شاكد خيالَ
جسده إلى «النسيان الأعظم» ، وأجرأه دُوباً من النار في الصميم
النار ، حيث المخاطبات الدائرية بالسنة لهب .

تأمل كاشاجو أربع جثث من جثث الخفراء المحاربين أُرِداهم
شاكد . وزع بصره ، من ثم ، على ثلاثة مرتضين ، دائخين ، وعلى
اثنين مكسوريَّ اليدين ، وواحد مكسور الساقين يزحف على بطنه
عسى أن يحمله أحداً ما . وقف صامتاً في الريح تُجرِّعُ الأنحاءَ
عزيفها من كؤوس الرمل . بدا متمرِّغ الخيال في خذلان ما ، أو
خزبة . سَها حتى عن ماياكي يجرُّ قدميه زحفاً بهما على الأرض
الرمل بلا وثب ، فيجاوره ، ملقياً نظرة انكسار على شاكد .
«توجَّستُ حدوثَ هذا» ، قال ماياكي من غير أن يلحظ

كاشاجو نطقه بالكلمات . لكن سلطان زيناڤيري استدار بوجهه إلى عميد المحاربين . نضنض بلسانه .

«أقلت شيئاً ، ياماياكي؟» ، ساءل كاشاجو .

لم يُجبه ماياكي . هرّ هريراً خافتاً .

بادره كاشاجو بسؤال آخر :

- ما الفطنة الأقوى لمعرفة بِمَ يفكرّ جنّي ، ياماياكي؟ .

«أن لا تفكر بماذا يفكر جنّي» ، رد ماياكي .

«بمَ فكرت وأنت ترى شاكد يطلبنّي للمنازلة؟» ، ساءل

كاشاجو عميد محاربيه .

«أظنني توجّست النهاية هذه منذ العثور على سوك غريقة .

سمعتك تتهم مطيتها» ، ردّ ماياكي .

«أكنت في رؤيا منذئذ؟» ، ساءله كاشاجو ، فردّ ماياكي :

- كنت في رؤيا .

«هي الرؤيا ، إذاً ، قتلت شاكد ، وقد خصّتك بمعرفة نهايته» ،

قال كاشاجو .

حدّق ماياكي صامتاً إلى كاشاجو . زفر . أعاد بصره إلى

الخفراء المتراخي الأذرع بعد المناجزة القاتلة : «أحفروا حفرة

مستطيلة في الرمل قفزتين طولاً ، وقفزة عرضاً ، وذراعين عمقاً» ،

قال بنبر أمر .

عمد بعض المحاربين إلى نكت الرمل بأقدامهم يقذفونه إلى

الوراء كفعل الفنك في حفر وجاره .

«ماذا يفعلون؟» ، سأل كاشاجو عميد المحاربين .

«يحفرون» ، ردّ ماياكي باقتضاب .

«أرى ذلك» ، قال كاشاجو بنبر المستاء من الرد المقتضب .

أردف : «لَمْ يَحْفَرُونَ؟» .

«سَأَدْفِنُ شَاكِدٌ وَنَاكُولِي» ، رَدَّ مَيَاكِي .

«أَتَدْفِنُهُمَا فِي الرَّمْلِ؟» ، تَسَاءَلَ كَاشَا جُو مُسْتَغْرِباً ، مُذْ لَمْ

يَعْهَدُ الْجَنُّ فِي إِرْثِهِمْ دَفْناً لِّلْمَوْتَى قَطْ .

«أُرِدْتُ نَاكُولِي مَرْمِيَةً فِي الْفَلَاةِ ، يَا كَاشَا جُو ، وَقَتَلْتُ شَاكِدٌ

قَتْلَةً لَا تُحْتَسَبُ شَرْفًا . أَعْطَيْهِمَا حِطْوَةً مَا يُذَكِّرَانِ بِهِ» ، قَالَ مَيَاكِي .

«مَا الْحِطْوَةُ الَّتِي سَيُذَكِّرَانِ بِهَا؟» ، تَسَاءَلَ كَاشَا جُو .

«الدَّفْنُ فِي الرَّمْلِ . لَمْ يَعْهَدِ الْجَنُّ مَوْتَى دُفِنُوا . فَلْيُذَكَّرْ شَاكِدٌ

وَنَاكُولِي كَأُولَيِّ جَنِّيْنِ دُفِنَا» ، رَدَّ مَيَاكِي .

«أَيَقْبَلُ» «النَّسْيَانُ الْأَعْظَمُ» جُنَا مَوْتَى لَمْ يَرْتَدِ أَحَدٌ جُلُودَهُمْ ،

وَلَمْ يَأْكُلْ أَحَدٌ عِظَامَهُمْ ، وَلَمْ تَوْهَبْ لِحُومِهِمْ إِلَى طَيُورٍ لَا كِيَلَا

الْمَقْدَسَةِ؟» ، تَسَاءَلَ كَاشَا جُو بِنَبْرٍ حَيْرَةٍ . نَضْنَضُ بِلِسَانِهِ سَرِيعاً

يَتَذَوَّقُ الْكَلِمَاتِ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِهَا عَمِيْدٌ مُحَارِبِيهِ .

«النَّسْيَانُ الْأَعْظَمُ صَفْحٌ» ، رَدَّ مَيَاكِي مُرْتَجِلاً تَوْصِيْفَ الْمَوْتِ .

صَمَتَ كَاشَا جُو بِرَهَةٍ طَوِيلَةٍ ، مُحَدِّثاً إِلَى عَيْنِي مَيَاكِي . زَفَرَ :

- لَقَدْ تَسَرَّعُوا فِي قَتْلِ شَاكِدِ .

زَفَرَ مَيَاكِي أَيْضاً زَفْرَةَ اللَّامِقَتْنِ بِعِذْرِ سُلْطَانِ زَيْنَا فِيرِي ، الَّذِي

أَهَابَ بِالْمُحَارِبِينَ أَنْ يُتِمُّوا النِّصْفَ الْآخَرَ مِنَ التَّدْبِيرِ بَعْدَ انْجَازِ الْحَفْرَةِ

الْوَاسِعَةِ ، الْمُسْتَطِيلَةِ :

- مَدَّدُوا شَاكِدٌ وَنَاكُولِي فِي الْحَفْرَةِ مُتَجَاوِرِينَ .

بَادَرَ بَعْضُ الْمُحَارِبِينَ إِلَى نَقْلِ الْجِثْمَانَيْنِ إِلَى الْحَفْرَةِ . مَدَّدُوهُمَا

مُتَجَاوِرِينَ .

«عَظُوهُمَا بِالرَّمْلِ» ، قَالَ كَاشَا جُو .

غَمَغَمَ جَمْعُ الْمُوَكَّبِ ، وَهَرُّوا إِذْ رَأَوْا الْمُحَارِبِينَ يَجْرِفُونَ الرَّمْلَ

بأقدامهم إهالةً على الجثمانين . تبادلوا نظراتٍ حائرةً في مغزى أن
يُدفن جنياً ميت .

غطى الرمل الجثتين متقلّباً أحياناً من عصف الريح ، أو متذرّياً
حين يُهال قبل أن يرقد متملماً ذرات فوق ذرات . هَرَّ المحاربون لما
أنجزوا رغبة سلطانهم وعميد محاربيه . وثبوا مبتعدين ، تاركين آثار
أقدامهم متخالطةً فوضىً نقوشاً لن تدوم . توزّعوا على أجنحة
الموكب مُذْ تقدم كاشاجو الجمع من جديد ، منطلقاً بهم وثباً رزيناً
إلى معقله في زينافيرى .

نبح الكلب نَبْحَةً مقتضبةً يحثُّ قوائمه على مواكبة المغادرين .
ظلّ راكضاً يسابق وثبهم الرزين أحياناً ، ويتخلف عنهم أحياناً ،
لا هثّاً في حبورٍ من نَشْر خياله المستأنس ، المطيع ، ومن قبول الموكب
به سائراً معهم .

دخل الموكب حدودَ مدينة زينافيرى من تُحْمها الجنوب .
عبروها يحفُّ بهم الجنُّ في المسالك مندهشين من عودة موكب
الصيد بقنيص واحد ، غريب الهيئة الحيوانية ، طليق بلا قيد أو
وثاق ، يسير ركضاً ، وهرولةً ، إلى جوارهم ، مَرِح الذيل يهزه كأنما
يهشُّ على ذباب . مروا بالمعبد لم يَبْنُ من منجميه إلاّ بونيا محدقةً
إليهم ، من البوابة ، بعينيها الحجر البنيتين . فَحَّتْ إذْ أبصرت
الكلب الصغير الجسم ، الأبيض بالنقاط السود عليه : «هذا ليس
ذئباً» ، كلمت نفسها . زفرت : «هذا طيفٌ» .

كاشاجو سبق الموكب لما اقتربوا من القصر ، في وثب عجلول لم
يوقفه إلاّ بدخوله المقام الثنية الغائرة في الجدار الشمال ، ملتحجاً إلى
عمقه كمن يختبئ . لحقت به نينيسو ، الحاملة جثة سوك ، حتى
منتصف البهو الأعظم . انزلتها عن كتفها . مدّتها أرضاً في هدوء ،

ووقفت منتصبة إلى جوارها . أمّا في الفناء الواسع ، الفاصل بين بوابة القصر والحديقة ، فقد تبادل بعضُ جن الموكب ، قبل تفرّقهم ، صوراً من مقترحات في أمر الكلب .

«ماذا نفعل بهذا الحيوان؟» ، تساءل ريكما .

«ضُمَّه إلى أقفاص الحيوانات في حديقة القصر» ، ردَّ أحد

أسياد المحاربين .

«بل أرى أن يُترك طليقاً يجوب الأزقة فيبتهج به جنُّ

زينافيري» ، اقترح ويلابوقيّاف البروق .

«سيقتله الأولاد في الأزقة» ، عقّب ماياكي . «إن لم يمت

جوعاً» .

«ماذا يأكل هذا الحيوان؟» ، تساءل محارب من خفراء الموكب .

«العشب» ، ردَّ محارب آخر .

«هو ، قطعاً ، من النوع الذي يأكل اللحم» ، حمّن جنيٌّ من

أهل الموكب . أردفَ : «ها هو يتجه إلى حديقة القصر . لقد اشتمَّ

رائحة اللحم هناك» .

لم يتابع الكلبُ سياقَ المخاطبات بين أهل الموكب في اقتراح

أقذار له . هرول متجهاً إلى المعبر إلى الحديقة ، فتبعته شيكتان :

«لقد اختار هذا الكائن مقامه» ، قالت . واكبته من بُعدٍ قليل وثباً

متمهلاً ، متقصيةً سلوكه .

تلملت فهوْدُ في أقفاصها من رؤية الكلب سائراً حراً . هرّت

ذئابٌ في الأقفاص . مدّت طيورُ كارنا الطويلات الأعناق رؤوسها

من خلل أقفاصها العظام فضولاً . تلاصق جنُّ قُزم في أقفاصهم

الصغار المتراكبة طبقات . أمّا الكلب فبدأ واثقاً من اختياره الركن

الذاهب إليه . مضى ، بتعرجات بين التصاميم الهياكل اللامفهومة

في الحديقة ، إلى محراب الأنثى الأدمية .
شهقت شيكتان إذ رأت هايكاهايكسين منقذةً حبوراً ، من
جوار مقامها ، إلى لقاء الحيوان . احتضنته . أسلمت وجهها ويديها
للسان المتهافت لعقاً . نبج بهجةً ، فجأوبته الحيواناتُ في الأقفاص
بمخاطباتٍ من لغة الزجر .

الفصل السادس (الأقنعة)

خفقت الرِّقَاعُ الجلود معلقةً إلى حبلٍ جلد أمام بوابة قصر
كاشاجو . تصاكَّتِ العظامُ معلقةً إلى الحبل ذاته ، وتقارعت من نفخ
الريح عليها .

صوتُ خَفَقِ الرِّقَاعِ الجلود ، وتقارُعِ العظام ، تسرَّب في الجداول
الخفية للريح متفرِّعةً في أنحاء البهو الأعظم ، حتى بلوغه مُقامَ
سلطان زيناڤيري في الثَّنيةِ الغائرة عميقاً في الجدار الشمالي .

زأر كاشاجو من عمق مقرِّه الغائر كأنه تذوَّق بسمع لسانه ذلك
الصوت . اهتزَّ في وقفته الساكنة الصارمة معترِلاً منذ العودة من
رحلة الصيد المفجعة ، المشؤومة .

قَطَعَ منزوعة من جلد سوك ، وعظامُ هي عظامها ، كانت تلك
المعلقة أمام بوابة القصر لتجفَّ ، فيستحصل كاشاجو لنفسه من
العظام زاداً خاصاً . أما جلدها فلم يكن حرياً به - هو الذي لا قرابةَ
أباء بينه وبينها - أن يرتديه ثوباً ، لذا أزمع أن يخصَّ مقامه به ،
فيعلِّقه إلى جوار بعض جلود الذئاب الصفر ، بين أجربة أسلحته
المسجَّاة ، والظاهرة متدلِّية .

لم يكلم كاشاجو أحداً منذ العودة إلى القصر بعد غرق سوك .
لبث في مُعْتَرِلِهِ واقفاً ، في عمق الثَّنية ، ساكناً ، صامتاً ، إلا من
هريرٍ ، أو زئير ، أو زفير ، في آناء متقطعة ، حسرةً ، كأنما ينكشف

عليه طيفُ سوك ، نافخةً من فمها نفساً على كفها الحاضنة ذبايتها ؛ أو كأنه يرى ، ببصر الخسارة في كيانه ، كرةً حجراً تنفلق عن وليدهما محيطاً رأسه بعصابة كعصابة أبيه ، وعنقه بقلادة كقلادة أبيه ، حاملاً في يده سلاحاً هو ترقوة الذئب - سلاح أمه سوك . ولربما أنَّ سلطان زينافيرى ، أحياناً ، أنين الندم ، متخيلاً ، في ثنية غائرة من الثنايا في الجدار الجنوب ، المواجه له ، شبح مطيته شاكد معتزلاً بدوره ، صامتاً ، ساكناً ، محدقاً إلى أعماق البهو الأعظم بعينيه المشدوختي الحجر ، المشروختين .

كان كاشاجو يرقب تحوال قاطني قصره ورواده ، في المدى المتاح رؤيته من البهو الأعظم عبر باب مقامه الثنية ، والمتاح رؤيته من بوابة القصر يدخل الداخلون منها ويخرجون . ما من أحد ، في عبوره أمام المقام الغائر في الجدار ، ألقى بصره إلى عمقه - عمق العزلة المختارة احتراماً لخيار سلطان زينافيرى في الانتقال بجسده إلى حَجَبٍ مفترض حتى لو رؤيَ . لقد أصفى الجائبون في القصر حجاباً عليه ، حقاً ، بصرف أنظارهم عنه كلما عبروا مدخل المقام .

شيكتان تولت تصاريف القصر يؤمّه القائمون بمصالح إقليم زينافيرى ، ومستشارو القصر المعهودون ، وبنائو المساكن بتصاميم تُعرض على المختصين لتقدير مايتوجب على من سيشغلها من الضرائب العظام ، والصيادون لدفع الإتاوة عظماً على ما يتصيدونه من واحة كيما ، ورسل الحصون الرمال ، والمراصد ، للقاء عميد المحاربين ، وسادتهم ، بحضور شيكتان ، في مقامها الثنية الغائرة إلى يسار مقام كاشاجو .

ريكما ظلَّ حائماً من حول أمه ، في لقاءاتها بالأعيان ، والزائرين ، من غير انضمام إليها ، لكنْ بأسئلة كُثُر من عينيه إلى

تحركات نينيسو المتكاثرة منذ اعتزال أبيه ، وانكباب أمه على تسيير الشؤون .

«أين تمضي نينيسو على عجل ، وترجع على عجل مراراً في اليوم الواحد ، يازيديكا؟» ، سأل ريكما مطيته الهدية من أمه له ، والجسّاس بسمعه وبصره على ابنها ، الذي طالما حذرت ذلك الحقد الدائم في نبر صوته بلا تصرّيح لمن يكنُّ له حقدَه ، ويبطن عليه حنقه . وقد زادت رقابتها على حركاته ، وسكناته ، منذ شهوده مقتل سوّك ، بالرغم من إحساسها أنه سيظل كاتماً الأمر عن أبيه ، طالما لم يخبره شيئاً من قبل . لكنه كان اطمئناناً متفاوت الماثيل بين ميزان قلبها وميزان عقلها .

«سأحرّى لك» ، ردّ زيديكا على ريكما . وقد جاء سيده ، بعد تتابعات من خروجه في أثر نينيسو ، بما لا يثير أو يُريب من مطية أمه : «إنها تتفقّد بعض الأمكنة التي اعتاد كاشاجو أن يتفقّدها ، بإيعاز من شيكتان» .

«لم يعتزل أعيان زينافيرى ، وسادتها ، وغطايريفها بعد . هم يتولون مهامهم ، فما مهمة نينيسو هذه بتكليف من شيكتان؟» ، تساءل ريكما ، غير مقتنع بالخبر الباهت عاد به مطيته إليه .

مرت بضعة أيام هادئة على اعتزال كاشاجو في ركنه ، لكنّ الأسئلة الدفينة في صدور الأعيان ، والأعوان ، صعدت إلى محاجر عيونهم في جدوى ذلك الاعتزال ، ومعناه ، لوعة أو ندماً ، أو متخالطين معاً لوعة وندماً .

بات البعض يسارر البعض في أنحاء البهو الأعظم ، والأبهاء الصغار المحيطة به . ماياكي ، في اجتماعاته المتلاحقة بأسياذ فرق المحاربين ، والأشراف ، وعمداء خزائن مؤن المحاربين ، لفتته تلاماً ،

المساررات ، والإشارات بالأعين ، وبالأيدي ، إلى ركن كاشاجو .
ولَفَتَهُ أكثرُ أنَّ شيكتان كانت في دأب من تصريف الشؤون بنفسها
كأنما سيطول احتجاج السلطان . لذا عمد ، مراراً ، إلى التوقف
منفرداً أمام مدخل ركن كاشاجو ، من غير نظر إلى عمقه الذي تزفر
فيه الريح ، من عبورها الثغرات بين العظام في الجدار ، زفير النداء .
كما عمد ، مراراً ، أن يهرّ في وقفاته ، مستديراً بوجهه إلى أعماق
الركن المُقام ، ليستدرج كاشاجو إلى ملاقاته بهيرٍ منه ، أو سؤال
عن أحوال القصر ، وماوراء القصر في أيام اعتزاله .

بدرت من كاشاجو ، أخيراً ، علامة العودة بسلوك عقله إلى
المحيط الذي يلي ركنه الثانية في الجدار الشمال . نادى : «ماياكي» ،
فانبرى عميد محاربيه داخلاً جوفَ الركن ، مهتزّ الضفائر كلَّ سبعٍ
على جهة من رأسه ، بينها واحدةٌ بصيغ أصفر .

«هذه رؤيا» ، قال ماياكي فورَ مثوِّله قبالة سلطان زينافيرى
بشفتين تأنّتا في النطق . «هذه عزلة رؤيا» .

«لم أحكم ضبط الرؤيا بعد ، ياماياكي» ، قال كاشاجو .

«كم من الأيام أنت هنا ، ياكاشاجو؟ هذه أطول رؤيا لم يُحَكَمْ
ضبطُها» ، تساءل ماياكي ، محدّقاً إلى النضضة الكسولة قليلاً
للسان سيد زينافيرى . أردف : «أأنت تنقل هضبة طيور لا كيلا من
موضعها؟» .

«لقد نقلتُ الهضبة» ، ردَّ كاشاجو على تلميح عميد محاربيه
إلى إطالته العزلة . أضاف : «نقلت واحدة كيما إلى قُلَّة الهضبة ،
ودربتُ طيور لا كيلا العُمي على الإبصار بالسنتها ، ياماياكي . هي
رؤيا شاقة ، مضنية ، مكلفة» ، قال . لم ينتظر تعقيباً من كاشاجو
على مبالغاته . استرسل متكلماً : «ربما نقلتُ ، بعد وقت ، إقليم

زيناڤيري برمته إلى موضع في الأعلى ذي ساحات سبع ، على كل مدخل إليه نُصبٌ للإله كوياسي أكبر حجماً من المعبد ، وملأتُ الحدائق السود بين النجوم بفهود البوابات الرمال .

أصغى ماياكي إلى الثقل البارد في نبر صوت كاشاجو ، وفي فضضة كاشاجو بلسانه بعد إلقائه الكلمات . ساءله :

- هل حُسمَ شكلُ الإله كوياسي ؟ .

«الأعلى حُسمت أبعادُ هيئته وشكلها ، ياماياكي . هو نَسَقٌ لن يدركه خيالُ النحات ألما ، ومن يُملون عليه إضافات» ، ردَّ كاشاجو . «كوياسي ذرأتُ تتبادل مواضعها» .

«كم يلزمُها رؤياك لتُحكِمها ضبطاً ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ماياكي . «أبقِها في هذا الحد» ، أضاف ، «قبل أن تعزم على نقل الأعلى أيضاً من مواضعها» . هرَّ بنبرٍ مستظرفٍ مَرَحَ سؤاله : «إلى أين ستنقل الأعلى إن نقلتها؟» .

هرَّ كاشاجو بدوره ، ناكثاً في عقله بعودِ الخيال كي يثير غباراً يروِّيه تنشُّقه . استدرك مختزلاً بحثه :

- رؤياي ستطول قليلاً .

«اختصرِها ، ياكاشاجو . وسَّعْ إقليمَ زيناڤيري في رؤياك ، واختصرِ الرؤيا» ، قال ماياكي .

«سأفعل» ، رد كاشاجو . «سأبدأ الضبطَ منذ الآن» .

استدار ماياكي متأهباً للإنصراف على رضى من ردَّ كاشاجو ، فناداه سلطان زيناڤيري :

- إلى أين ؟ .

التفت ماياكي إلى كاشاجو . ردَّ بلسان المُفترِض انتهاء المائدة عند ذلك الحد :

- إلى البهو الأعظم . سأنتظرك هناك .

«ليس بعد ، ياماياكي . أبلغتُك اقترابي من ضبط الرؤيا في حدود ممكنة ، لكن ليس الآن» ، قال كاشاجو . أردف بنبر متأن : «يلزمني قناع» .

«ماذا؟» ، تساءل ماياكي متحيراً في رغبة سلطان زينايفيري . «قناع» ، كرر كاشاجو ذكر مطلبه . لوى عنقه صوب جدار في ركنه المُقام علّق عليه رقعةً جلدًا بهتت الألوانُ عليها وحالت : «كقناع سوك» .

«أهذه الرغبة تفصيلٌ من رؤيا اعتزالك ، ياكاشاجو؟» ، ساءله ماياكي .

«هي كلُّ الرؤيا» ، ردّ كاشاجو بنبر منكسر . غمغم ماياكي في استسلام لرغبة سلطان زينايفيري الخاملة المعنى :

- سأتيك بقناع .

«لم أوضح هيئة القناع الذي أريد» ، عقّب كاشاجو على امتثال ماياكي لرغبته .

«كقناع سوك . أليسَ هذا ماتريد؟» ، تساءل ماياكي .

«نعم . كقناعها» ، ردّ كاشاجو .

«سأطلب من الرسامات صورة وجه هايكاهايكسين على جلد» ، قال ماياكي .

«بل صورة كوجه سوك» ، أوضح كاشاجو . «عند الرسامات صور لوجه سوك على ألواحهن ، ياماياكي» .

«حسنًا» ، ردّ ماياكي . «وجه سوك إذا» ، قال كمن يذكّر نفسه . حذق إلى سلطان زينايفيري . ساءله :

- ما الذي ستفعله بالقناع؟ .

نضنض كاشاجو بلسانه . أجل الردّ ، مضيفاً رغبةً أخرى إلى

مطلوبه :

- آتني ، ياماياكي ، بستارة من الجلد تكفي لسدّ باب رُكني

هذا .

«ستارة!!؟» ، غمغم ماياكي غير مستسيعٍ من سلطان زينافيرى

رغباته اللامفهومة ، الباهتة ، فردّ كاشاجو :

- ليكنْ عليها صِبْغٌ أزرق ، كالستارة على باب رُكن

هايكاهيكسين في الخديقة .

هارباً من اسئلة نفسه ، لامن خيال كاشاجو المترنّج بألغازه ،

خرج ماياكي من الرُكن الثنية في الجدار وثباً وسيعاً ، مندفعاً ،

يتبعه راتو . هبت ، من سرعة عبوره ، على صفائر شيكتان ،

ومطيتها نينيسو ، موجةً هواءً أكثر عصفاً من جداول الريح في أنحاء

البهو الأعظم ، حيث تتلاقى المساربُ القادمة من البوابة بالأخريات

القادِمات من الثغرات المحسوبة بقياس البناء في جدران القصر :

الريحُ حرة ، أبداً ، في كل بناء ، حتى لاتخمد الحركة في أجساد

الجنين ، فإنّ الريح إذا ماسدّت خمدوا .

غمغمت نينيسو تعقياً على سرعة عبور عميد المحاربين :

- كان خارجاً من رُكن كاشاجو .

«من رُكن كاشاجو؟» ، تساءلت شيكتان . «أنهى عزلته؟» .

«ليس واضحاً» ، ردت نينيسو .

«أرسله كاشاجو في أمر طارئ ، إذاً ، يانينيسو» ، خمّنت

شيكتان . أهابت بمطيتها همساً : «اتبعه» .

أسرعت نينيسو وثباً في أعقاب ماياكي . لمحها ريكما من أحد

الأبهاء الصغار ، بين أقران له من أبناء الأعيان . شدَّ ذراع مطيته
زيديكا الواقف إلى جواره . هَامَسَهُ :

- هاهي نينيسو مستعجلة . تحرَّ أمرها ، وعُدَّ إليَّ بما لم تُعَدَّ به
قبلاً ، أو لا تُعَدَّ .

هَبَّ زيديكا لاحقاً بنينيسو .

تنبَّهت شيكتان ، من موضعها البعيد ، إلى لحاق مطية ابنها
بمطيتها . لم تَقْلُق .

لكن القلق عارماً هَبَّ ، لامن الأنباء أطلقت زوابعها الصغار
عن جنٍّ يفتكُون بأيِّد حاضنة ذباباً ضرباً عليها ، وهم في أقنعة
تشبه وجه هايكاهيكسين ، بل ثَمًّا تلاحق ، قبل يوم ، على الألسنة
في أزقة زينافيرى بهرير ذهول ، وزئير استهوال : أطفال كُثُر ، في
أنحاء المدينة ، وضواحيها القرى القريبة ، خرجوا عن أطوار ألعابهم
المعهودة إلى مهاجمة جنِّ ذكور وإناث ، يحضنون في أكفهم ذباباً .

طباع خشنة كالريح الخشنة والرمل هي طباع أطفال الجن
الصغار في لعبهم : سَحَلٌ في كل مكان ، حيث يقدر قويٌّ منهم
على سحل غيره . رَكَلٌ في كل مكان لما يقترب أحدهم من
أحدهم . خَمَشٌ بالأظافر على الجلود اللِّيف الجاسئة ، وتراشقُ
بالرمل على العيون الحجر ، اللواتي بلا أجفان .

أطفال يكبرون هكذا . يتخلَّون ، بعد اليقاعة ، عن المضي في
ألعابهم كعهدهم خشنين فيها ، بل يتراجعون بعنفها إلى دواخلهم
مُحْتَبَساً حتى انفلاته في مجابهات المصارعة ، وفي ضراوة القنص ،
وفي الانتقام ، وفي زجر أولادهم صفعاً إذا استنسلوا .

رُسلُ جاءوا شيكتان بالأنباء . أنفار من المنكوبين بثوا بعضَ
الأعيان ، ونساء الأسياد ، شكوى فواجعهم من فَقْدِ ذبابٍ احتضنوه

طويلاً ، بسبب ضرب مفاجئ على أيديهم بحجارة في أيدي أطفال ، لافي أيدي الجناة المقنَّعين . تحيَّر حاملو الشكاوى ، ومن تلقَّوا شكاواهم ، في تدبير حُكم يُجازُ إحقاقه على أطفال رأوا ، أو سمعوا بالجنة المقنَّعين ، فاتخذوا تقليدهم لهواً . ثم اتَّسعت موجة اللهو الطاحن فتسلَّمتها أزقةٌ من أزقة ، وساحات من ساحات ، وقرى من قرى ، في انتقال كالريح بالرمل المعصوف .

قبض البعضُ على أطفال متلبَّسين بأفعالهم الهُوَج ، لكن لم يعرفوا أيجيزون لأنفسهم انتقاماً من الأطفال من فورهم ، بكسر أيديهم مثلاً ، أو تعويرهم بشدخ العيون ، أو تجريعهم رملاً يسدُّ الحلق ؛ أم ينتظرون القضاء من قصر زينافيرى لإحقاق نوع من العقاب ؟

يوم أرسلت شيكتان مطيتها نينيسو في أثر عميد المحاربين ، اجتمع جنُّ كثيرون أمام بوابة القصر . عمُّ الهرير ، والزفير ، والزئير ، والزمجرة ، والفحيح ، والعواء ، الخلاء الوسيع الواصل بين القصر وحديقته : كان اسم كاشاجو ، وحده ، يتردَّد على ألسنة المشتكين .

شيكتان ركنت ، حين توسَّعت الأنباء عن ظهور جُناة مقنَّعين ، إلى ماياكي ، والأسياذ ، في إيلاء الأمر ما يقتضيه حرصُ الإقليم على حَضْن أمن للذباب في أكفِّ الجن المستنسلين . بعد وقت على اعتزال كاشاجو توسَّع الإضطراب من شغب المتقنَّعين بجلود عليها صور وجه هايكاهايكسين بلا اتقان في الرسم ، مُدَّام يُقبض على جان واحد ، كأنهم يذوبون في الريح رملاً ، وتذوب أفئنتهم . لكن اجتماع منكوبين ، ومتضامنين معهم ، بالشكاية من تقليد أطفال في زينافيرى للجنة المقنَّعين ، هاتفين باسم سلطان

زيناڤيري استنجداً ، ضيق على شيكتان إلقاء تبعة التقصير على أحد بعينه من المتحررين الأسياد ، والأعيان . زوجها ، على التجديد ، كان المقصود بالهتاف لوضع حد لما يجري . وكان على كاشاجو أن يمزق حجاب عزلته بلا تأجيل .

حين عادت نينيسو ، مطية شيكتان ، إلى سيدتها بعد نقص لأثر ماياكي في مهمته ، لم تبادر إلى إبلاغها بما رأته من أمر عميد المحاربين ، بل عاجلتها بسؤال :

- الجموع تكثر أمام القصر . ما الذي ستفعلين ، يا شيكتان ؟ .
« على ماياكي أن يفعل شيئاً حين يعود » ، ردت شيكتان .
تفرست في نينيسو مستنطقاً :
- أين مضى ماياكي ؟ .

« إلى دار الرسامات » ، ردّت نينيسو .
« دار الرسامات ؟ » ، غمغمت شيكتان متسائلة . « ما الذي يريده من الرسامات ؟ أن يرسم كاشاجو في عزلته ؟ » .
« لقد أطل مكوثه عندهن فعدت » ، ردت نينيسو .

في ركن آخر من أحد الأبهاء الصغار ، انضم زيدىكا إلى ريكما بخبر لم يجد ابن سلطان زيناڤيري حُكماً في تقدير التفاهة فيه ، أو تقدير ما يُحذر منه . أبلغه زيدىكا أن نينيسو كانت تتبع ماياكي ، الذي دخل دار الرسامات ، وأنها وقفت ترقب الدار وقتاً ، ثم رجعت .

« أهذا كل شيء ، يا زيدىكا ؟ » ، تساءل ريكما مرتاباً .
« هذا كل شيء » ، ردّ زيدىكا مؤكداً .
« أتخفي شيئاً عني ؟ » ، ساءله ريكما بنبر فيه شك ، فأبدى زيدىكا دهشاً :

- ماذا أخفي عنك؟ .

«سأمتحنك . انتبه» ، قال ريكما . أدار وجهه إلى حيث تقف أمه ومطيتها يقلّب التخمين في ما يتداوله لساناهما ، قبل أن يجذب زيديكا انتباهه بسؤال :

- ما الشكوى هذه من أطفال زينا فيري؟ . المشتكون يتكاثرون .
«لم يستطع ماياكي ، والأسياذ المحاربون ، العثور على الجناة المقنّعين ، فاحتقر الأطفالُ السلطةَ في إقليم زينا فيري» ، ردّ ريكما .
أمسك بذراع مطيته مبتعداً عن حلقة أولاد الأعيان : «هؤلاء الأولاد يتحدّثون في الأمر ، منذ ساعات ، كأنّ آباءهم غير معنيين» .

«ينبغي أن يخرج كاشاجو من عزلته» ، قال زيديكا .

هرّ ريكما . تتمم :

- أرى ماياكي راجعاً .

ترجل ماياكي عن ظهر مطيته راتو في البهو الأعظم ، حيث لا يدخله على ظهر مطيته عادةً . وثب متجهاً ، من فوره ، إلى ركن كاشاجو .

عجلت شيكتان بوثب وسيع إلى اعتراضه . أدركته على بُعدٍ من ركن زوجها . بادرته :

- ما حكاية الأطفال هذه التي تتفاقم؟ .

«سُئِلْتُ من الجموع خارج بوابة القصر عما ينبغي فعله» ، ردّ ماياكي . «أطفال ظنوا إجهاض الذباب في الأيدي لهواً ، فقاموا الفاعلين» .

«لأننا عجزنا عن القبض على جُناة ، تفشّى الأمر» ، ردّ لعباً ، ياماياكي؟ ، «سألته شيكتان بنبر اتّهام . أردفت : «يا سيّدنا» .

يتجولون في أقنعة لها صورة وجه سوك» .
«صورة وجه هايكاهايكسين» ، عَقَّبَ ماياكي على تلميحه
شامت في كلمات شيكتان .
«سوك ألهمت هؤلاء المشاغبين . جراءتهم باتت مهينة» ، قالت
شيكتان . زفرت : «هذا القصرُ مُهان» .
هرَّ ماياكي هريراً المعترف الصامت بتقصير ، فعادت شيكتان
إلى سؤالها الأول :
- لهو أطفال يتفاقم جنوناً . ماذا ستفعلون بهم - أنتم أسياد
زينافيري ؟ .

«سأعود بردً من كاشاجو ، الآن» ، قال ماياكي .
«سأدخل عليه معك» ، غمغمت شيكتان .
تسربت نَفْزَةٌ إلى قلب ماياكي . هزَّ رأسه متحفّظاً عن فكرتها :
- لا أظن أن كاشاجو يريد دخول أحد عليه في عزلته .
«لماذا أنت ؟» ، ساءلته شيكتان .
«هو الذي نادى عليّ» ، ردَّ ماياكي .
أنزلت شيكتان بصرها عن عيني عميد المحاربين إلى لفافة
الجلد الكبيرة تحت إبطه . هرَّتْ :
- ماذا تحمل إلى كاشاجو ؟ .
«ستارة» ، ردَّ ماياكي .

«ستارة؟!» ، تساءلت شيكتان بنبر ريبة . «ماذا سيفعل بها؟» .
هبَّ هياج من خارج بوابة القصر ، منسباً مع الريح إلى الأبهاء
كلها . اجتاز أنفارٌ ، من الجمع المتفجّع ممَّا أصابهم من أطفال
زينافيري ، عتبة البوابة إلى داخل القصر ، مرددين اسم السلطان في
استغاثة به .

زأر ماياكي . أوماً إلى مطيته راتو ، الواقف على مبعده منه ،
إيماءة الأمر بضبط أولئك الأنفار ، وإلزامهم بالوقوف حيث هم .
زأر راتو بدوره ، فلبّاه أربعة من الجن المطايا أيضاً ، مندفعين .
ثبتوا قبالة أولئك الأنفار المتفجّعين سداً صغيراً .
تفهّم الأنفار المفجوعون أن يلتزموا موضعهم ، فتوقفوا
لا يتقدمون .

وثب ماياكي مكماً طريقه إلى ركن كاشاجو ، غير آبه
لنظرات شيكتان المثقلة بحمل من الأسئلة في شأن الستارة . دخل
الركنَ الثنيةَ في الجدار الشمال . كلّم سلطان زينافيري واللفافة تحت
إبطه بعدُ :

- المحنةُ تتسع .

«أتعني إجهاض الذباب؟» ، تساءل كاشاجو .

«نعم» ، رد ماياكي . أضاف مائلاً على أفعال المشاغبين :

- كان الجناة يغطون رؤوسهم بالجلود . لكنهم باتوا يرتدون
أقنعة .

هرّ كاشاجو هريراً النَّقْزَةَ من النبأ . تساءل بنبرٍ مصدوم :

- أقنعة؟! .

«نعم . أقنعة لها صورة وجه هايكاهايكسين» ، ردّ ماياكي .

زمجر كاشاجو فتقطعت الزمجرة في حنجرتَه من الدهول :

«صورة هايكاهايكسين؟» ، تتم بصوتٍ منخدل . «أهم يصنعون رؤيا ،
ياماياكي؟» .

«ليس واضحاً أنهم يصنعون رؤيا . إجهاض الذباب في الألف

شغب» ، وليس رؤيا ، ياكاشاجو» . ردّ ماياكي .

دار كاشاجو حول نفسه غيظاً من العجز . صرخ :

... كيف لم يحدث أن قبضتم على جان واحد؟ .

«هم بارعون ، ياكاشاجو ، في التدبير . مَهْرَة في تغطية بعضهم لبعض بإحداث شغب ، أو عراك ، أو بلبله ، حيثما ارتكبتُ جناية ، فينجون» ، رد ماياكي .

«إن كنتم تعرفون حيلتهم ، فماذا يُعْجِزُكم عن إفشالها؟» ، تساءل كاشاجو .

«أزقة زينافيرى مزدحمة ، ياكاشاجو . المساكن تتزاحم ، وتتلاصق . العابرون يتصادمون أحياناً» ، ردَّ ماياكي في تبرير للعجز . «لأنستطيع نشر المتحرِّين المحاربين واحداً على كل مفرق ، أو منعطف» .

«التقطوا كلَّ الجن في موضع الشغب بعد حدوث جناية . سيكون بينهم ، قطعاً ، من سينزع الجلاذ رادبور من ذاكرته أسماء المدبِّرين» ، قال كاشاجو . استدرك : «أجئتني بالقناع؟» ، سأل عميدَ المحاربين . مدَّ ذراعه إلى اللقافة الكبيرة تحت إبطه : «هذه هي الستارة» .

أعطى ماياكي الستارة لسلطان زينافيرى .

بسط كاشاجو الستارة المصبوغة زرقاً داكنة من وجه : «إنها تكفي لسدِّ باب مُقامي» ، قال ، غمغم بنبرٍ لاتبين حروفه : «أعطني القناع» .

أخرج ماياكي الرقعة الجلد الصغيرة ، تتدلى من أطرافها خيوط للتثبيت ، من باطن ثوبه عند الخاصرة . مدَّ ذراعه بها إلى سلطان زينافيرى .

أعاد كاشاجو الستارة بيدٍ إلى ماياكي : «علّقها» ، قال ، ومدَّ يدهُ الأخرى فتناول منه الرقعة الجلد الملونة . غطى بها وجهه ،

وربطها خلف رأسه وقَدَّاله بالخيط الموصولة بها . قَرَّب وجهه من
ماياكي . نضنض بلسانه من ثقب فوق الشفتين :
- كيف أبدو؟ .

زفر ماياكي . لم يُجب .

كرر كاشاجو سؤاله :

- كيف أبدو؟ .

«تبدو مثل سوك حين ارتدت القناع» ، ردَّ ماياكي .

لم يفهم سلطان زيناڤيري الوصف . تساءل :

- أأبدو مثل سوك؟ .

«تبدو كقناع على وجه سوك» ، رد ماياكي .

هرَّ كاشاجو بنبر يُغالبه طلبُ التوضيح ، مذ لم يفهم ، بحقَّ ،

تورية عميد محاربيه ، الذي هرَّ ملتفتاً إلى البهو الأعظم من داخل

الركن ، ثم أعاد بصره إلى كاشاجو :

- إنهم يهتفون باسمك في صخب .

ثبَّت كاشاجو عينيه ، من ثقب القناع ، على عيني ماياكي :

- من الذين يهتفون باسمي؟ .

«المفجوعون الضحايا» ، ردَّ ماياكي .

«أهم هنا ، في القصر؟» ، تساءل كاشاجو ، فردَّ ماياكي :

- بعضهم هنا ، في القصر . وهناك حشد خارج البوابة .

«أهم من أجهض الجُنَّة المشاغبون ذبابهم؟» ، تساءل كاشاجو .

«نعم» ، ردَّ ماياكي .

هرَّ كاشاجو هريراً حجرياً :

- ماذا يجري؟ يستطيع محاربو زيناڤيري إبدال السماء بسماء

أخرى ، ولا يقدرون على التقاط جانٍ واحد؟ .

«ثُمَّتْ أمر آخر ، يا كاشاجو» ، قال ماياكي . «هؤلاء المفجوعون ، المجتمعون أمام القصر ، يريدون أحكاماً في الاقتصاص من أطفال زينايري» .

«ما بهم أطفال زينايري؟» ، تساءل كاشاجو بنبر حيرة .
«بات الكثيرون منهم يقلدون الجناة المقتنعين» ، ردّ ماياكي .
«يقلّدونهم؟!» ، تساءل كاشاجو بصوت زادت حيرة نَبْرهُ . «بِمَ يقلّدونهم؟» .

«بالضرب على أيدي الحاضنين ذباب استنسال» ، ردّ ماياكي .
«أوضح ، يا ماياكي . لم أفهم» ، غمغم سلطان زينايري .
«واضح ما قلت ، يا كاشاجو» ، ردّ ماياكي .
صمت كاشاجو متأملاً المذاق الغريب لكلمات عميد محاربيه عن أطفال يقلدون المشاغبين الكبار . انحنى . صفع الأرض الرمل فآثار غبرة استنشقتها . همهم : «أطفال زينايري يقلدون الجناة؟ كيف؟» ، تساءل متبلّلاً . «بِمَ يضربون على الأيدي؟» .
«بالحجارة» ، ردّ ماياكي .

زأر كاشاجو مبعوثاً :

- لا تقلّ لي إن أحداً لم يستطع القبض على طفل ارتكب جناية كهذه؟ .

«الأطفال الجناة معروفون . لكن المجنّين عليهم لا يعرفون ماذا يفعلون بهم» ، ردّ ماياكي . «هل يهشمون أيدي الأطفال الجناة ، أم رؤوسهم؟ سيكثر الانتقام بين الجن» .
«هذه جنایات لا يستوجب العقاب عليها انتقاماً من أحد» ، قال كاشاجو .

«إن كان القصر هو مدبّر الحُكم ، فذلك لا يوجب انتقام أحد

من أحد» ، قال ماياكي . أوضح أكثر : «الجن المنكوبون ينتظرون مني العودة إليهم بحُكم منك في هذه الجنايات ، ياكاشاجو» . حدّق إلى وجه سلطان زينافيرى في القناع برهةً خرساءً . استرسل : «لن يساعد هذا القناع في اختيارك للأحكام . اخرج من ركنك . اجمع الأسياذ ، ولنرَ ماذا نحن صانعون» .

«علّق الستارة» ، قال كاشاجو ، ثم صمت منتظراً .

هرّ ماياكي . عقّد طرفاً من الستارة الزرقاء بحبل رفيع في طرفه إلى جهة من سقف المدخل إلى الركن الواسع . ثبّته ، ثم ثبّت الطرف الآخر بالجهة الأخرى من سقف المدخل بحبل مثل الأول . ترك لفافة الجلد الكبيرة حرّةً فانسدلت حاجبةً عمق الركن عن كل عين .

ظل ماياكي في الجانب المفتوح على البهو ، فيما ظل سلطان زينافيرى في الجانب المحتجب . تواجها ، على جانبي الستارة محجوبين أحدهما عن الآخر . احتجبت المحاورُ بينهما .

«ماذا الآن ، ياكاشاجو؟» ، تساءل ماياكي ، عارفاً أن سلطان زينافيرى لا يقدر على تذوق الكلمات بلسانه مادام لا يراه . «هل نطلق فهود الرمال البوابات على أزقة زينافيرى؟» .

علا صوت كاشاجو من الجهة الأخرى للستارة :

- أأنت تكلمني ، ياماياكي؟ .

رفع ماياكي جانباً من الستارة ، كاشفاً عن نفسه :

- هل أنجزت الحُكم؟ .

هرّ كاشاجو . لمس بيديه القناع على وجهه يتحسّسه :

- اجمع أطفال الأزقة كلهم .

«كلهم؟» ، تتمم ماياكي متسائلاً .

«كلهم» ، كرر كاشاجو حُكمه . «اجمعهم من كل إقليم زينايري» .

«ماذا نفعل بهم إن جمعتهم؟» ، تساءل ماياكي .
«سُقهم منفيين عن زينايري» ، رد كاشاجو بنبرِ جَزَم .
«نسوقهم منفيين إلى أين؟» ، تساءل ماياكي .
«إلى الأرض المنخفضة - مَصْنَع مانعات الرياح» ، رد كاشاجو .
«ماذا نفعل بهم هناك؟» ، تساءل ماياكي .
«فليُسَخَّرهم صُنَّاع مانعات الرياح عبيداً يفعلون بهم مايشاءون» ، رد كاشاجو .

«ماذا عن آبائهم ، يا كاشاجو؟ قد يثورون» ، قال ماياكي .
«فليذهبوا بأطفالهم إلى ماشفير الأعمى إن ثاروا . فليأخذوهم من إقليم زينايري» ، عقب كاشاجو .
«أهذا حُكم نهائي؟ اخرجْ به إلى الجن . أخبرهم بنفسك» ، قال ماياكي .

«دَعْنِي فِي مُعْتَزَلِي الآن ، ياماياكي . أفوضك أن تخبرهم . اجمع الأطفال وسُقهم مقيدينَ إلى الأرض المنخفضة» ، قال كاشاجو .

هرَّ ماياكي هريراً طويلاً بنبرِ المتفكّر :
- سنستثني أطفال الأسىاد ، والأعيان ، والغطاريف ، والمحاربين ، وسمَّار القصر ، والمستشارين .
«هكذا سيكون . هكذا سيكون» ، كرر كاشاجو قبوله استثناءات عميد محاربيه .

«والأفضل أن يقتصر النفي على أطفال الأزقة التي شهدت شغبهم» ، اقترح ماياكي ، فردَّ كاشاجو على عجل :

- ليكن .

خرج ماياكي من ركن سلطان زينايري . زار ملفتاً بصراً مطيته راتو ، فهرع إليه . امتطاه في البهو . أوعز إليه بالوثب ، فهبت شيكتان قادمة وثباً ، كأنما كانت تنتظر خروجه . جابهته بسؤال من فورها :

- ماذا اقترح كاشاجو؟ .

«النفى» ، رد ماياكي باقتضاب .

أمسكت شيكتان بذراع مطيته راتو تستمعله :

- ماذا تعني ، ياماياكي؟ .

«النفى» . عنيتُ النفى . سنسوق أطفال الأزقة ، التي شهدت

شغبهم ، إلى المنفى» ، رد ماياكي .

في وثبٍ وسيع انضم ريكما إلى أمه وعميد المحاربين يتبعه زيديكا . بادر بسؤال :

- ماذا ستفعلون لهؤلاء المفجوعين ، ياماياكي؟ .

«معى حُكمٌ من كاشاجو سيهدئهم» ، ردّ ماياكي .

أوضحت شيكتان أمرَ الحُكم لا بنها بنبرٍ مستغرب :

- سيرسل كاشاجو الأطفال إلى المنفى .

«قصاصٌ عادل» ، عقّب ريكما .

«بل قرارٌ عجول» ، قالت شيكتان .

«الجن ، في الخارج ، عجولون إلى حُكم» ، عقّب ريكما ثانيةً .

«لن تنتهي الفواجع بنفي الأطفال . المقنَّعون الجناة مازالوا في

أزقة زينايري» ، قالت شيكتان متوجهة ببصرها إلى ماياكي على

ظهر مطيته ، فرد ماياكي :

- غدا الأمرُ أكثر تعقيداً بتقليد الأطفال للجناة .

«ماذا عن آبائهم؟» ، تساءلت شيكتان .
«عليهم قبول الحكم ، أو سينتقم الضحايا من الأطفال بأنفسهم» ، رد ماياكي .
«قصاص كاشاجو قصاصٌ عادل» ، عقَّب ريكما على كلام عميد المحاربين .

تأملت شيكتان وجه ابنها بعينيَّ الخديعة ، وهي ترخي قبضتها عن ذراع مطية ماياكي :

- لماذا لا تتولى المسير بالأطفال إلى المنفى؟ أنت ابن القصر .

رفع ريكما عينيه بتوسل فيهما إلى عيني ماياكي :

- أعطني حظوة سَوِّق الأطفال إلى المنفى .

«إلى أين ستنفونهم؟» ، تساءلت شيكتان ، فرد ماياكي :

- إلى الأرض المنخفضة .

«أتعني موضع صناعة مانعات الرياح؟» ، تساءلت شيكتان ،

فرد ماياكي :

- نعم .

أمسك ريكما بيد ماياكي على ظهر مطيته راتو . ناشده :

- فوّضني . سأقود الأطفال مقيّدي الأيدي معصوبي العيون .

«سأستشير الأسياد» ، رد ماياكي .

«لن يرُدَّ أحد رغبتك إن فوّضتني» ، قال ريكما . نظر إلى أمه :

«لن يرُدَّ الأسياد رغبة شيكتان» .

«تعال معي» ، قال ماياكي ، فهرع ريكما إلى زيديكا . وثب

ممتطياً ظهره ، وتتبع ماياكي إلى خارج القصر .

وقف ماياكي على عتبة البوابة ، قبالة جمهور الجن المفجوعين .

خاطبهم بصوتٍ رعد :

- كل زقاق شهد فاجعةً من فعل طفل سيحلُّ على أطفاله
قصاصُ النفي إلى الأرض المنخفضة . سيسخرهم صانعو مانعات
الرياح على أي وجه أرادوا .

هرَّت جمهرةُ المفجوعين ومناصريهم في الشكوى هريزَ الرضا .
تخلخل صفُّهم قليلاً من عبور المنجمين الأربعة قادمين إلى القصر .
سمعوا كلمات ماياكي ، فانبرت بونيا إلى مخاطبته :

- هل النفي رؤيا؟ أصنعتَ الرؤيا ، ياماياكي ؟ .
«صنعها كاشاجو» ، ردَّ ماياكي .

«ماذا عن الجناة ، الذين يرتدون أقنعة؟» ، تساءلت بونيا .

«سنأخذ منهم الأقنعة» ، ردَّ ماياكي بنبر فكاهاة .

«الأقنعة رؤيا» ، قالت بونيا ، قبل أن تلتفت جمهرة الواقفين
في المعبر ، بين بوابة القصر وحديقته ، إثر سماعهم نباحاً .
هرَّ الجن من رؤية الكلب المرقط سواداً تجاوزه الأنثى الإنسية
واقفةً تتألمهم . صرخت إحدى المنكوبات من بين الجمهرة :
- لماذا استعارَ الجناة وجهَ هايكاهايكسين ؟ .

«للسخرية من الأسياد في زينافير» ، ردت واحدة أخرى .
أضافت شرحاً : «ربما يقول الجناة للأسياد : مادمتم لم تعرفوا نوعَ
هايكاهايكسين ، فلن تعرفونا» .

«لا» ، اعترض صوتٌ متشعب النبر من حنجرة أنثى . «إنها
رغبةُ الإحتجاب» ، قالت وهي تخرج ظاهرةً من جمع المنكوبين .
هزت رأسها بالصفائر الست كلَّ ثلاث على جهة .
علا صوت داميكو ، شاعر مَجْمَع الذباب :

- إن كانت هذه رغبة الجناة في الإحتجاب ، فهم يقلدون
سانيارى ، أو يقلدونك ، ياهستار .

هرَّ سانياري متقدماً من وراء زوجته هستار . خاطب الشاعر :
- كنتُ محتجباً ، وقد ظهرتُ ، ياداميكو .
فحَّ داميكو متبرِّماً من دعوى الجني الغريبة ، ومزاعمه حول
انحجابه وظهوره :

- كنتَ دائماً بيننا ، ياسانياري . جسّدك هذا الطويل في
الثوب من جلد خالتك ؛ أذناك الكبيرتان ؛ خمارك الجلد مطلياً
أبيضاً ؛ وشمُّك النقاط التسع صُفراً على صفحتي وجهك ؛
سلاحك الذي من فخذ ذئب . كل شيء فيك كان هنا ، بيننا .
كانت هستار معك هنا ، بيننا في زينايري ، بقرطيهما من أسنان
ذئب ؛ بثوبها من جلد ابن أختها ؛ بصفائرها الستّ هذه .
«تفرّقوا الآن» ، صاح ريكما بالجمهرة في بترٍ للمخاطبات
الجوّف . «نحن في الطريق لإحقاق حُكم كاشاجو» .

«خذُ هستار معك ، ياريكما» ، قال داميكو بصوت عال . «خذُ
سانياري المحتجب إلى أزقة زينايري . خُذِ المخلّصين الخفيين لن
يحذرهما الجناة لأنهما لا يُريان . فليتحربا» .
«كنتُ محتجباً قبلاً ، لكنّ ظاهراً في رؤى يصنعها جنُّ
زينايري لأنفسهم . وقد ظهرتُ الآن ، حقاً» ، قال سانياري ، ثم
أشار إلى زوجته : «ظهرت هستار أيضاً . سيظهر ، قريباً ، أولادنا
التسعة عشر المحتجبون» .

«اختفِ يوماً ، واظهر يوماً لنرى صدقَ انحجابك وظهورك» ،
خاطب المنجمُ توهتو مدّعي أحوال انحجابه سانياري .
«لقد ظهرت . تمَّ الأمر» ، ردَّ سانياري .
«ثم ماذا ، ياسانياري؟» . ساءله توهتو .
«سترون ، ياجنّ زينايري» ، ردَّ سانياري .

«اصمتوا»، صرخ ريكما . أضاف : «كن ماتشاء ، ياسانياري» .
فحَّ أمراً : «تفرَّقوا» .

نينيسو ، التي باتت قريبة مع سيدتها من عتبة بوابة القصر ،
سمعت الصوت الأمر من حنجرة ريكما . أمسكت بعضد أمه :

- هذه حظوة . إحدري ، ياشيكتان .

«ما لحظوة؟ لمن؟» ، تساءلت شيكتان .

«حظوة لريكما» ، ردت نينيسو .

«أية حظوة تعنين؟» ، تساءلت شيكتان ، فردَّت مطيئها :

- أن يسوق الأطفال الجناة بنفسه إلى المنفى .

هرَّت شيكتان هريراً الخديعة . تمتت :

- بل سيجرُّ على نفسه ضغائن الآباء .

تفرَّقت الجمهرة عن بوابة القصر . تبع الكلبُ الأنثى الأدمية

منسحبةً عبر المعبر الرمل إلى موطنها - حديقة القصر ، يتبعها بصرُ
داميكو . وثب راتو مبتعداً براكبه ، يلحق به زيديكا براكبه .

بلغ ماياكي ، وريكما ، الشجرة الهيكلَ مصنوعةً تمثالاً من

عظام ، شرقَ بوابة المعبد .

«مايتا» ، صاح عميدُ المحارين ، فانتفض جنيُّ عملاق

كالشجرة طولاً ، كان راقداً في حفرة لصق جدار المعبد ، غامراً نفسه

بالرمل حتى بطنه .

«نعم ، ماياكي» ، رد العملاق بصوتٍ أحنَّ عميقٍ .

«انفخ في بوقك مرتين» ، قال ماياكي .

في وثبة واحدة بلغ مايتا ، ذو الصدر العريض ، الشجرة . أنزل

البوق العظم المعلق إلى غصن . أطبق شفثيه الكبيرتين على قصبة

النفخ فأفرغ في البوق سيلَ الهواء من رثثيه الواسعتين ، منتفخ

الجلد في وجهه كجراب مليء رملًا .

مرتين شقَّ النفيرَ الرِّيحَ ، عبوراً من جانب المعبد الشرقي إلى مواضع ثكنات المحاربين الموزعة على تخوم زينافيرى ، بل أبعدَ ، حتى أعالي الهضبة حيث أنصتت إلى النفير طيورٌ لا كيلا العُمى بَدْ أعناقها .

أنفار قليلون خرجوا من كل ثكنة ملبَّينَ نفيرَ البوق . حُفِرَ غير عميقة في الرمل ، طويلة كخنادق ، عليها قبابٌ جلود - هي ثكنات محاربي زينافيرى ، من الحصون الرمال البعيدة ، على الجهات كلها من حدود الإقليم ، إلى القرى الضواحي ، فتحوم المدينة . أسيادُ فرق ، ومندوبو أسياد ، يتفقدون الثكنات كل يوم من أيام الجن ، إشرافاً على الجاهزية الصارمة للمحاربين ، وتدريباتهم الأقسى - تدريبات الليل . وإذ سُمعَ النفيرُ ، بالعلامة التخصيص فيه نفخاً مرتين في البوق ، قام الأسياد المعنيون بالنداء ، وحدهم ، إلى مطاياهم فركبوا ظهورها ، مواكبينَ بالقليل من الأعوان . غدَّوا الوثبَ الواسعَ نهباً للأرض الرمل بأقدامهم الحشَريَّة - أقدام الجراد ، ميمِّمينَ إلى حيث انطلق النفير .

ماياكي عرض على الأسياد ، في وصولهم إلى حَرَمِ الشجرة العظام ، حُكْمَ سلطان زينافيرى بالقصاص النفي ، فأجابوه موافقةً . وتمنى عليهم قبولَ ريكما عميداً للمسير بالمنفيين إلى الأرض المنخفضة ، فلم يتحفَّظَ أحدٌ منهم عنه . أمَّا هو فانبصر متبرِّعاً بالتحري في الأزقة عن أصحاب الأتعة .

«أعطوني محاربين هم الأكثر ضخامة في فرقكم» ، قال ماياكي .
هرَّ الأسياد طاعةً .

«سأسدُّ بهم منافذَ الأزقة حين تنتهون من جمع الأطفال المشاغبين» ، قال ماياكي .

أوكل الأسياد إلى رُقباء كي يأخذوا من المحاربين أرهاطاً ، كلُّ رَهْط يداهمون زقاقاً بشباك الصيد في أيديهم ، وبالحبال المعقودة الأطراف على حجارة تدور في القذف فتلتف الحبالُ على سيقان المطاردَين . وقد هبُّوا إلى مهمتهم باصطحاب المنكوبين الضحايا أدلاءً لهم إلى مواضع حدوث الجنايات ، بعد رسم في الرمل لهيئة إقليم زينايفري ، وتخطيطات لمنافذ المسالك الدائرية ومخارجها حول مُجمِّعات المنازل . نسخوا الخططَ منقولةً عن خرائط الرمل على صفايح عقولهم . زأروا زئيرَ التنفيذ .

كلُّ زقاق جرَّ نكبةً بأطفاله على ضحية عصرته أقدام المحاربين دهماً ، واقتحاماً للمنازل إن لجأ إليها أطفال . كشفوا الرملَ عن الأرض حيثما ظنوا أنها مخابئ غطى الأهل بالجلود على أطفالهم فيها ، وأهالوا عليها رملاً . سدَّ الجن الضخام المسالك . صعدوا سطوح المنازل القباب . فتحوا الجوالقَ الأكياس ، والمطاميرَ ، في مخازن العظام من كل مَسْكَن ، منعاً لنجاة أي طفل مختبئ .

جمَعَ المحاربون من أزقة الشَّعب أطفالاً عديداً ، قنصاً بشباكهم في المطاردات ، وبالحبال القيود . حملوهم على أكتافهم اثنين اثنين حتى عُرِض الساحة المترامية أمام المعبد . قيّدوا أيديهم ، وعصبوا عيونهم بعصابات نزعوها شقاً من ثياب الأطفال أنفسهم .

زفر ريكما على ظهر مطيته ، قرب ظل الإله كوياسي ، زفرة الرضا ، وهو يستعرض الحشدَ المقيدين يهرون أحياناً ، ويعوون أحياناً عواء الشكاة من أسْرهم ، فيبادلهم أهلوهم هريراً ، وزفيراً ، وزئيراً ، وفحيحاً حسرةً أسمى من حول جمهرات أطفالهم كلُّ أربعة

موصولون بحبل رفيع واحد ، ليحفظ المحاربون السَّيرَ بهم منتظماً فإِ
مايقدرُون .

«مالذي يجري ، ياريكما؟» ، صاح النحات ألما متسائلاً ،
موضعه العالي فوق كتف نُصب كوياسي .

رفع ريكما وجهه إلى الأعالي . ساءله بدوره :

- أين أنت؟ .

«أُصار النُصبُ مرتفعاً إلى الحد الذي لا أرى؟» ، قال ألما .

- ماذا سألتني ، ياألما؟ .

- ماذا يجري ، ياريكما؟ .

- ألا تعرف ماذا يجري في زينافيرى ، ياألما؟ .

- ماذا يجري؟ لم أعد أنزل عن موضعي فوق كتف الإله .

كوياسي ، ياريكما .

- إبقى هناك . مايجري لا يستدعي انتباهاً ، ياألما .

- لماذا جمعتم أطفالاً مقيدِين هنا ، ياريكما؟ .

- لنُلهمك تصوّرات تنجز بها النُصب ، ياألما .

- أنت لم تقترحْ عليّ ، قط ، إضافةً ، أو إنقاصاً . أرني

خيالك ، ياريكما .

- قيّدْ يدي كوياسي . ضعْ عصاة على عينيه ، ياألما .

صَمَتَ ألما . نظر إلى رأس الإله كوياسي ، من موضعه على

كتف النصب المتنامي الجِرمِ هائلاً بالإضافات المتّصلة ، ثم أعاد

بصره إلى ريكما ، في الأسفل ، وقد لامس مطيته زديكا بقدميه

حدودَ ظلِّ القدم اليسرى للتمثال . صاح :

- ماذا ستفعلون بهؤلاء الأطفال؟ .

«سنسوقهم إلى المنفى» ، ردّ ريكما .

«أين؟» ، تساءل ألما ، فردَّ ابن سلطان زينايري :

- إلى الأرض المنخفضة ، موضع صناعة مانعات الرياح .

«خذوا كوياسي معهم» ، قال ألما .

«بل تعال أنت ، يا ألما . اصنعْ نُصباً لمانعةِ رياحٍ . قد يقتدي

الصُّناع بخيالك فينجزوا واحدةً» ، قال ريكما

«على أحدٍ أن يُنجز نُصباً للرياح أولاً ، في الأرض المنخفضة» ،

عقَّب ألما .

«كيف يكون شكلُ نُصب الرياح ، يا ألما؟» ، تساءل ريكما .

«على النحات أن يبدأ بالصفير ، ومن ثم يضيف كلُّ مهندس ،

وصانع ، وعامل ، وسيد ، ومحارب ، في زينايري ، إلى صفيره

اقتراحاً . سيتراكم تمثال هائل للرياح ، ياريكما» ، ردَّ ألما .

هرَّ ريكما . أنزل بصره عن النحات إلى حشد الأطفال

المقيدين . رفع يده وخفضها إيداناً بالمسير ، فوثب الجنُّ المحاربون

بالحبال المشدودة إلى الصفوف الأمامية للمقيدين . وثب المقيدون

الأماميون فلحق بهم الذين خلفهم كلُّ أربعة في حبلٍ وصِّلته بين

رقابهم .

وثباً موزون المسافة ، هادئاً ، كي لا يتعثر المقيدون ، تقدم

المحاربون بالأطفال غرباً إلى الأرض المنخفضة ، وراء أواخر القرى

على تخوم المدينة . جاوزوا القرى إلى الفلاة مديدةً تتناهش فيها

كثبانٌ صغار بأسنان الرياح ، فيصغر بعضها أكثر ، ويكبر بعضها

أكثر ، وينمحي بعضها راجعاً بذاكرته إلى النسيان الأصل .

ساروا مقداراً ماتعصف الرياحُ بالرمْل عصفتين بلا توقف ، أو

مقداراً ما يبذرُه الوقتُ من إرثه الفراغ نصفَ قوسٍ في دورة الشمس .

أهل الأطفال المنفيين واكبوا حشدهم من جهة ، وواكب حشدهم

من جهة أخرى أولئك المنكوبون الضحايا ، والمتضامنون معهم .
آباء الأطفال المساقين إلى المنفى نشروا في أنلام الريح زئيرهم ،
وهريرهم ، فأنبئت الريح فوضى من الأصوات زوابع دائرة على
نفسها ؛ ونثر المنكوبون بفقد ذبابهم ، في أنلام الريح زمجرات بزوراً
أنبتت عزيماً من محاكاة عزيف الريح .

أمهات الأطفال المنفيين لم يتوقفن عن غنائهن مرتفعاً
همهمات ، ومنخفضاً همهمات ، على مراتب حسراتهن يرين
أطفالهن في القيود ، متعثرين كأصواتهم متعثرة بين الهرير والأنين .
النساء المنكوبات من ضرب الأطفال المشاغبين على أيديهن لم
يوقفن غناءهن أيضاً ، بنبر امتنان للقصاص من الجناة ، وبنبر تشف
لن يعوض عليهن فقدهن ذباب الاستئسال .

تبادل مواكبو الحشد المنفي ، من الجهتين ، ذكوراً وإناثاً ، زئيراً
شجاراً بالأصوات حتى بلوغ المسيرة حدود الأرض المنخفضة مقدار
ساق جني عمقاً ، على مدى شاسع ، دائري ، بانحدارات سهلة في
بعض الأحفة تنزلق منها المحفات التي عليها جذوع الشجر ،
يزحف بها الجن العمال زحفاً ، لاوثباً ، من واحة كيما إلى مشاغل
البتر والتجر تحت إشراف أمير المهندسين ليوفا ، المتصاغر اليدين من
نزف عمره ، ونائبه بوكلو ذي الإصبعين السبابة والوسطى
المقطوعتين في يده اليمنى .

على بُعد من حشد الأطفال الذكور والإناث المساقين ،
ومواكبهم الآباء ، والمنكوبين ، كانت ثلة من الإناث تترصد مسيرة
النفى ، رصداً لا يعرف مقدار الفضول فيه من مقدار التمحيص في
ثقل القصاص . شاتار وصاحبات لها تتبعن موكب ريكما منذ
انطلاقه ، من غير أن يخالطن أهل الأطفال ، أو التعساء المنكوبين ،

المتشققين الشامتين . كان في وثبهن المتمهل فيضٌ من تأمل .
يتقاربن متهامسات ، ويتباعدن صامتات إلا من همهمات الغناء
المحتبس وراء أسنانهن لا يندفع أبعد .

صنّاع ، وعمال ، سارعوا من الأرض المنخفضة ، الملاءى بجذوع
الأشجار ، والأخشاب المركومة ، إلى لقاء الحشد مستغربين ، على
غير توقع ، رؤيتهم أطفالاً في القيود يساقون ، نزولاً من منحدر وسيع
في إحدى الأحفة ، إلى معقل مصانعهم متوزعةً بالأشغال فيها
على أنحاء المكان كلها .

بطيئاً ، زحفاً بالقدمين على الأرض ، بلا وثب ، تقدم أمير
المهندسين ليوفا العجوز ، المتثاقل ، يتقدمه وثباً قصيراً نائبه بوكلو ،
الذي بادر إلى تذكير المكان بالقادم في طليعة المسيرة : «هذا ابن
كاشاجو وشيكتان» ، قال ، فبلغت كلماته مسمع ليوفا ، الذي هراً
بصوتٍ قضم الزمن أحفته .

«ما هذا؟» ، تساءل ليوفا ، فردّ بوكلو من غير التفات إليه :

- لا أعرف .

نزل ريكما عن ظهر مطيته زديكا ، مكماً المسافة الباقية بينه
وبين المشرفين ، بخيال الحيل ، على بناء مانعات الرياح : ظلل
عينيه الحجريتين من الشمس ، مستطلعاً الأبراج الخشب أنصافاً
هياكل بعد ، غير مكتملة ، ومستعرضاً على بصره الصنّاع الخذاق ،
والعمال في شغل كالنمل على صخب تسدّ الريح منه أذنيها .

هم طبقات أولئك العاملون على تحقيق الخطط أبرم توثية
خيال ليوفا ، الحالم بنظام للحصار لم يسبقه إليه فكرٌ جنّي .
أي أن يسدّ على قرية مّا ، أو مدينة ، أو إقليم بتمامه ،
بأبراجه السدود ، فيحيل قاطني تلك الأمكنة إلى جوارحها .

جامدين ، حتى الزمن الذي لا زمن من بعده .

ثمت عمال يقيمون قريباً من واحة كيما ، في حُفَرٍ عليها
أغطيةٌ جلود كمساكن . إنهم العمالُ القوارض يتخيرهم بوكلو ،
نائب أمير المهندسين ، من الجن الضخام الأسنان ، المكينين في
قضم الجذوع حتى قطعها ، وقطع الغصون الزوائد عنها ، ليتسلمها
الجنُّ الزواحف ، الذين يجرُّون محفّات عليها جذوع الأشجار زحفاً
قوياً على صدورهم ، وبطنهم ، موصولةً بحبال إلى أكتافهم ،
لاستحالة جرّ المحفات بالجذوع عليها وثباً . دأبهم نقلُ الجذوع من
واحة كيما ، مروراً بتخوم القرى الغربية ، إلى الأرض الغائرة مقدار
ساق جني عمقاً عما سواها من الأرض حولها . هناك يتسلم الجنُّ
العمال الجذوع ، فينكبّون على تقطيعها ألواحاً بشفرات من الحجر
الصوان صقلوها شحذاً .

هم يأتون بالحجر من السفح الشمالي لهضبة طيور لا كيلا ،
حيث الصخور متقلعة رقائق ، وشظايا ، فيتخذونها لحاجاتهم ، بعد
السِّنِّ والشحذ ، على ثلاثة صنوف : الرقائق المستطيلة كفوؤس بعد
ربطها إلى عصي ، والرقائق العِراض ، الرهيفة الأحفة ، كمساحجٍ
لتسوية الخشب صقيلاً ، والرقائق الطوال ، والعِراض ، لقطع الجذوع
ألواحاً مستطيلة .

الجن ، الذين ينجزون قطع الألواح ، وتسويتها ، يسلمون
ما ينجزون إلى طبقة أخرى هم الصنّاع المنفّذون ، المتأنون في تركيب
الخشب أبراجاً ، وسدوداً موصولة بالأبراج ، بحسب خرائط البناء
المرسومة في الرمل ، التي يجدّد خطوطها أمير المهندسين ليوفا
إشرافاً ، ونائبه بوكلو تنفيذاً بأصابعه ، وتدقيقاً ببصره في الهياكل
الملتحمة أخشابها ، المنتظرة ربطاً صارماً بالحبال اللّيف ، ولصقاً

بمسامير خشب أسطوانية يتدبرون لها ثقباً في الألواح تنغرز فيها .
تلاقى ريكما ، في مقدّم الموكب ، بالمهندسين وبالصناع
اجتمعوا فضولاً . رفع يده فتوقفت مسيرة المنفيين وسائقهم من
الجن المحاربين .

«لقد جئتمكم بمن تسخّرونهم على أي وجه تريدون» ، قال
ريكما مخاطباً الواقفين قبالته من فريق صانعي مانعات الرياح .
اقترب من أمير المهندسين : «إنه حُكْم سلطان زينافيرى أن يُنفى
هؤلاء الأطفال قصاصاً على شغب لا يُغتفر» .

كان السؤال الأول ، الذي نطقه لسانُ ليوفا ، بعد شرح من
ريكما عن جريمة إجهاض الذباب في الأيدي ، ليس عن كثرة
المنفيين ، أو كيف سيسخّرهم في أشغال البناء ، بل عن المؤنة :
- يلزمهم زادٌ كثير ، ياريكما . أتفكّرتم في هذا؟ .

«هاتوا الأكياس» ، صاح ريكما ، فتولى زيديكا نقلَ صوت
سيده إلى صوته هو بنبر أقوى ، واثباً تجاه خُفراء المنفيين :
- أين أكياس المؤنة؟ .

تناقلت أيدي المحاربين الخُفراء السَّيرَ بأكياس جلدٍ كبار حتى
تراكم منها هرم أمام بصر ليوفا ، ونائبه بوكلو . «كلّما نقصت المؤنة
نأتيكم بمؤنة» ، قال ريكما . توجه بلسانه إلى مطيته زيديكا :
«فليفكوا وثاقَ المنفيين ، وليرفعوا العصائب عن عيونهم» . هراً . مال
بوجهه إلى ليوفا :

- كيف ستسخرّونهم؟ .

«لدينا الكثير مما نسخرهم فيه» ، ردّ بوكلو .

انثنى ريكما . صفع الأرض الرمل بيده فأثارَ غباراً كثيراً .
رضى : «طيّبَ غبارُ الأرض المنخفضة . أنتم محظوظون» ،

متتبعاً إشارات بوكلو إلى العمال أن يتصرفوا بالأطفال .

قام عمال ، من فورهم ، بتقسيم حشد الأطفال المنفيين إلى مجاميع صغار ، قَادَ كُلُّ جماعة منهم عاملٌ إلى مواضع الشغل المتفرقة على أنحاء المكان ، وسط هريز عال ، وزئير مسنون أطلقتها حناجر أهل الأطفال حسرةً ، من جهة ، وحناجر المنكوبين ابتهاجاً ، من جهة أخرى .

«فلينصرفوا» ، صاح ريكما يحثُّ المحاربين الخُفراء على تفريق من واكبوهم حتى أحفة الأرض المنهدمة ، فانفلت الخُفراء وثباً لتبليغ الجميع بالعودة من حيث أتوا .

سار ريكما إلى جوار ليوفا المتثاقل مشياً ، يجرُّ قدميه . سار وثباً قصيراً جداً ، متفرّجاً على جماعات العمال ، والهياكل الخشب العوالي . تساءل :

- كيف ستنقلون هذه الأبراج والسدود إذا نُحِزَتْ ؟ .

«ستكون لها أجنحة كأجنحة الجراد» ، رد ليوفا بنبر دعابة .

وقف لاهثاً من ثقل أغلال العمر في قدميه . وقف ريكما أيضاً .

«أين صنّاع الأجنحة ، ياليوفا؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ أمير المهندسين :

- لقد جئتمونا بهم الآن .

«أو» ، غمغم ريكما متفهماً . «سيكبر المنفيون هنا على كل حال ، ياليوفا . قد يبرعون في صناعة أجنحة كأجنحة الجراد لمانعات الرياح» .

«ربما لن يكبروا» ، عقّب بوكلو على كلام ابن سلطان زينافيرى بنبر تورية .

«ستقتلونهم من شدة التسخير ، إذا» ، قال ريكما .

«عظام الأطفال مستطابة مضغاً في أفواه الشيوخ هنا» ، غمغم بوكلو .

«هي عظام مسمومة في أعمارهم هذه» ، قال ريكما .
«قليل من السم ينفع في شدِّ عراقيب سيقان الجن» ، قال بوكلو .

زئيرٌ كانشطار رعد واكب العويلَ القويَّ في مفاصل الخشب المنكسر : لقد انهار ، بغتةً ، نصفُ هيكل برج بعمال ستة عليه ، في الموضع الذي بلغه ريكما والمهندسان . أطلق العمالُ ، ساقطين من الأعالي ، زئيرَهم . أطلقت الأخشاب المرصوفة بالحبال عويلَ انهيار من مفاصلها . وثب بوكلو مبتعداً في طيران . دفع ريكما مطبته زيديكا بذراعيه فدحرجه مقذوفاً ، قبل القذف بنفسه ناجياً من سقطة الهيكل الثقيل .

ارتفع غبار حجب عن الأعين ، لبرهة ، فداحةً ذلك الانهيار . وإذا انجلى تبَيَّنَت نجاةُ العمال الستة مرضوضين بلا كسور لأنهم نهضوا . لكنَّ خيطاً رفيعاً ، ضعيفاً ، من الغبار البرتقالي تصاعد من خلل الانقاض الخشب ، فوثب بوكلو يزيح العوارض والألواح . هراً هريراً الحسرة من فمه ومن فم قلبه . زأر كالنائح :
- إنه ليوفا .

جرَّت روح ليوفا نفسها زحفاً كالضبِّ بين الانقاض . جرَّ خياله بأمراس طوال آلافاً من الأبراج والسدود ، خفيفة الثقل . صعد بها إلى ممالك الجن السيارة في الأعالي كالنجوم . حاصرها قبل أن يُتِمَّ «النسيانُ الأعظم» حصارَ الخلود عليه ، بإعادته ، كلالٍ جني بعد الموت ، إلى الصميم النار ، والمخاطبات الدائرية بالأسنة لهب .

توافد العمال والصناع إلى موضع الانقراض . تناقل هريـرهم خبر موت ليوفا . زأروا ، أجمعين ، زئير الأسي الخافت المنكسر . لمسوا بأيديهم جثة الميت تباعاً ، فرداً فرداً ، على عجل سرعته هريـر بوكلو ، الذي نصبته المصادفة ، في تلك البرهة ، أميراً على مهندسي مانعات الرياح .

«سيدهب لحم ليوفا تقدمة إلى طيور لاكيلا» ، قال بوكلو . «سنجفف عظامه هنا . سنطحنها كسارة تكفي ليتذوقها كل فرد فيكم منصتين إلى الغناء المقدس - غناء تارتوك لأرواح الطيور المقدسة . أما جلده فسعلقه إلى سارية فوق أول برج ننجزه» .

هرّ الجمع المحتشد . تفرقوا عائدين إلى مشاغلهم ، فيما ظل بوكلو ، وريكما ومطيته زيديكا إلى جوار الجثة .

غمغم ابن سلطان زينايري كالمعتذر عما تدبرته المصادفة بوجوده في الأرض المنخفضة . «سأعود إلى القصر» ، قال لأمير المهندسين الجديد بوكلو . أضاف : «سيغضب كاشاجو من اللانصاف في نهاية ليوفا القاسية» .

غادر ريكما الأرض المنخفضة بموكبه من الخفراء المحارين . كان في استطاع بصره أن يتقرى ، في مرآة البعيد العميق ، طيوفاً من جمعين منفصلين هم أهالي الأطفال المنفيين ، والمنكوبون ، يسرون وثباً متباطئاً في عودتهم إلى منازلهم . تساءل :

- ألم يغادروا منذ وقت كان كافياً ليبلغوا تخوم المدينة؟ لم هم بطيئون؟ .

«ثقلَ ماَّ يبطئ كلَّ جمع من الجمعين لسبب يخصه» ، ردَّ زيديكا .

«مالذي يبطئ أهل المنفيين؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زيديكا :

- يُبْطِئُهُمْ تَوَقُّعُ معجزة .

«أية معجزة؟» ، تساءل ريكما ، فرد زديكا :

- أن يلتفتوا إلى الورا فيروا أطفالهم أحراراً لآحقين بهم .

«ما الذي يُبطئ المتكوبين الضحايا؟» ، ساءل ريكما مطيته ،

فرد زديكا :

- المعجزة نفسها . أي أن يلتفتوا إلى الورا فيروا المحاربين

يسوقون آباء الأطفال وأمهاتهم منفيين إلى الأرض المنخفضة .

هر ريكما هرب المتأمل في جواب مطيته .

توقف زديكا بغتة براكبه . أدار وجهه إلى خلف منكبه :

- أنقذتني اليوم ، ياريكما .

«ماذا أستطيع أن أفعل من دونك ، يازديكا؟» ، قال ريكما

معتزلاً على امتنان مطيته . ساءله :

- لماذا توقفت؟ .

«لدي ما أخبرك به» ، قال زديكا بنبر معترف .

«لن يضيع صوتك في الوئب . سر وأخبرني» ، قال ريكما .

التفت إلى الخفراء المحاربين يشير عليهم بيده أن يسبقوه ، فسبقوه

من غير ابتعاد ، منقسمين على جهتين في المواكبة .

«ماذا عندك؟» ، سأل ريكما مطيته .

«أنا جساس شيكتان عليك» ، رد زديكا .

خمدت حركة ريكما . حذق ملياً إلى وجه مطيته الطويل

الساعدين بإفراط في الطول . نزل عن ظهره واقفاً قبالة .

«شعرت ، مراراً ، أنك لا تنقل إليّ من الأخبار إلا ناقصة ، أو

ملتوية» ، غمغم ريكما . «منذ متى تتجسس لشيكتان عليّ؟» .

«مذ أهدتني إليك» ، رد زديكا .

<https://facebook.com/groups/abuab/>

«أكنتَ تخبرها بكل ما أفعله ، وأقوله؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ زيديكا :

- تقريباً . ربما كل شيء .

«ماالأكثر سوءاً نقلتهُ عني إلى شيكتان؟» ، ساءله ريكما بصوت عميق النبر في لفظ اسم أمه .

«أنك ستستبدل ماياكي بغيره إذا قَدِرتَ على ذلك» ، ردَّ زيديكا .

«لم أحدثُ أحداً في هذا الأمر» ، غمغم ريكما مستغرباً .

«أنا خَمَنْتُ ذلك» ، قال زيديكا .

«أنتَ خَمَنْتَ ذلك؟ ماالذي أوحى إليك أن تنسب إليَّ رغبةً

لم أعلنها؟» ، ساءله ريكما ، فرد زيديكا :

- لأنه مُطاع ، وأنت لا يُرضيك من يُطاعون كثيراً .

«كاشاجو ، سلطان زيناڤيري ، مطاع أيضاً» ، قال ريكما . «لِمَ

لم تخمن أنني سأستبدله؟» .

«بمن ستستبدله إن قَدِرتَ؟» ، تساءل زيديكا بنبر هامس ، فردَّ

ريكما مقرباً وجهه من وجه مطيته :

- أتستدرجني كي تخبر شيكتان؟ .

«ليس بعد الآن ، ياريكما» ، ردَّ زيديكا . كرَّر بنبر امتنانٍ :

«ليس بعد الآن» .

دار ريكما بوجهه على الجهات متفكراً . لمح وراءه ، في البُعد ،

ثلةً من الأطياف أقرب إلى الأرض المنخفضة التي غادرها . أعاد

التحديق ببصره إلى الأفق أمامه ، حيث يسير أهلُ المنفيين ،

والمنكوبون ، في جمعين منفصلين : «مَن الذين وراءنا؟» ، تساءل .

«لم ألاحظهم قبلاً» ، رد زيديكا .

وثب ريكما ممتطياً ظهر زديكا . هرّ ، ثم تكلم :

- استمرّ في التظاهر أنك جسّاسُ شيكتان .

«سأخبركُ أمراً آخر» ، قال زديكا .

«أرى أن لديك الكثير مما تخبرني به» ، عقّب ريكما . «هاتِ

ماعندك» .

«شيكتان توفد نينيسو كثيراً إلى نساء الأسياد» ، قال زديكا .

«هكذا إذاً» ، غمغم ريكما . تساءل : «ماذا تحمل نينيسو

إليهن؟» .

«هذا مالا أعرفه» ، رد زديكا .

هرّ ريكما هريراً صاعداً من قلبه المتحرّري . شدّ صفائر مطيته

فهب زديكا وثباً طويلاً يلحق بالخبراء المحاربين .

حامت الثلة ، التي التفت إليها ريكما عمّاً قليل ، على أحفة

الأرض المنخفضة في وثب متمهل . كانت تلك ثلة شاتار وبعض

صاحباتها تتبّعن ، من قبل ، مسيرة المنفيين ، عن بُعد . ولما رجع

ريكما بموكبه من الخبراء المحاربين ، أطلقت الإناثُ التّريكات

أقدامهن في تجوالٍ لن يسألنهن أحدٌ عن غايته هناك .

تأملت الإناثُ التريكاتُ المشاغل في الأرض المنخفضة توزّعها

الصناعُ ، والعمال ، في دأبٍ لا يتوقفون عن تثبيت ألواح السدود

الموقوفة على ركائز غائرة في الرمل ، ويستكملون الهياكل العالية

للأبراج الكثر لم يُنجزَ إلا أنصافها ، أو أقل . وكنّ يستطيعون (أو

أطياف شبحية في عصف الريح هم الأطفال المنفيون ، يودعون

المشرفون على الأشغال مهمات في حمل الأخشاب ، أو

زحفاً ، وفي نقل أجربة الطعام العظام يتناولها العاملون ،

عن أعمالهم .

«أسيغزوا محاربو زيناڤيري ، حقاً ، أقاليمَ الجن بهذه السدود والأبراج؟» ، تساءلت أنثى من الثلة .

لم يبدُ على الأخيريات اهتمام بتخمين جوابٍ ، مُدَّ شغلهن سؤال آخر من صاحبة لهن :

- ما الحيوان الذي تلاعبه هايكاهايكسين؟ .

«إنه مخلوق من نوعها في شكل حيوان» ، ردت إحداهن .

«يلعق الأيدي . جرَّبتُ لمسه . ذلك مقرف» ، قالت إحداهن .

«لكنه وديع» ، قالت واحدةً أخرى . «ماذا ترين في ذلك الحيوان ، يا شاتار؟» .

«حيوان خاضع . مستكين . متملق» ، ردَّت شاتار .

«كل هذا معاً؟» ، تساءلت إحداهن ، فردَّت شاتار :

- وسهلُ استمالته .

«أنا سأتولى ذلك» ، قال إحداهن .

«بل أربع منكن سيتولين ذلك معاً» ، قالت شاتار .

كانت المحاورة تخطيطاً مختزلاً لما عقدتِ الإناثُ التَّريكات على تنفيذه في حرص صارم .

هرَّت شاتار : «فلنعدُ» ، قالت . «سيكون هذا يومنا الأول في

استمالة الحيوان - حارس هايكاهايكسين» .

عادت شاتار أدراجها بالثلةِ صاحبات إلى مدينة زيناڤيري .

توجهن ، بعد عبورهن قرىً على تخومها ، إلى موضع القصر اختصاراً من الجهة الشمال .

طنينُ الذباب العادي ، الوضع الأصيل ، الكثيف في الهواء المتخبط ، لم يحجب الطنينَ الأكثر انتظاماً بصدوره من أعماق القصر آتياً من جناح مَجْمَعِ الذباب فيه . شاتار ، وثلتها ، سمعن

الطنين نشيداً في عبورهن بوابة القصر الوسيعة .
«سيتخلى المغني تارتوك لذباب المجمع ، ذات يوم ، عن غناؤه» ،
علّقت إحدى التريكات .
«لقد تخلى عن ذلك . ذباب المجمع هو منشد القصر» ، عيّبت
واحدة أخرى .

«يليق بكاشاجو الأصم غناء الذباب» ، قالت أنثى أخرى .
هشّت شاتار بيدها تطرد ذباباً لحوحاً عن صفائرها : «كيف لا
تقدّر الريح على الإطاحة بالذباب؟» ، تساءلت ، فردت إحدى
صاحباتها :

- الذباب والريح أخوة في الحركة .
«لم أفهم . اشرحني» ، عيّبت إحدى التريكات ، فشرحت
مافالته صديقتها :

- الريح تمضي قدماً ، لكنها تقذف الذبابة عن ظهرها إلى
الوراء . تبقى الذبابة دائماً في الموضع ذاته .
«هذا غير مقنع . الصواب أن الذبابة اللاحقة تأخذ موضع
الذبابة السابقة ، فيتراءى لنا أنها لم تبارح» ، قالت واحدة منهن .
«أوقفن الشرّة» ، قالت شاتار . انعطفت عن بوابة القصر إلى
المعبر الرمل الواسع في اتجاه الحديقة .

دخلت ثلّة الإناث التريكات الحديقة زائرات ، كحال جمل
آخرين كانوا في تجوال فُرَجّة على أقفاص الذباب الصفراء
البوابات الرمال ، والجَنّ القُرْم ، وطيور كارنا الطويلات الأنوف
كالأفاعي ، مروراً بركن الأنثى الأدمية استلقى الكلب قدامها .
كانت الأدمية تملأ حوض ماء الكلب من قربة صينية .
شاتار منها بثلتها . طوت جذعها . مسدت بآذانها .

الوديع ، اللاهث ، فتناوبت أربعٌ أخريات اللمسَ ذاته ، في رقة ، وقد طوين جذوعهن حتى باتت صدورهن على قرب إصبع من الأرض .

ابتسمت الأنثى الإنسية للإناث الجنيات . هي رأت شاتاراً مراراً تقف على باب رُكنها قبلاً ، لكنها المرة الأولى لمست فيها كلبها . بل أمسكت شاتار ، في دعة ، بمعصم الأنثى الإنسية فقادتها إلى داخل ركنها المحراب مطيعةً في انقيادها . أجلستها على السرير الجلود مركومةً على الأرض الرمل . طوت جذعها بانحناء كبير عليها . جمعت شعرها البني ، الطويل ، المتماوج ، المرسل فوضى ، في راحتي يديها الكبيرتين .. يديّ الجنية . فرقت الشعر أقساماً خُصلاً ، ثم أنكبت على جذلها صفائر ، بذربة الحَذَق في أصابعها الطوال ، السريعة . أنجزت للأنثى الآدمية ثمانى صفائر ، أربعاً على كل جهة من رأسها ، ثم عقدت نهاياتها مربوطةً بعضها إلى بعض فوق قُلَّة الرأس كعُرف قُبَّة . استقامت . ساءلتها :
- ألدك حجر ترين صورتك فيه ، ياهايكاهيكسين ؟

نهضت الأنثى الإنسية بدورها . اتجهت إلى حوض مائها الذي يعلو جراباً مليئاً بالرمل ، قرب المخرج من رُكنها . انحنى عليه . تأملت صورتها فيه . هزت رأسها فتراقصت الجداول متلاطمةً . ضحكت . خرجت من محرابها متجهة إلى الكلب لم تزل صاحبات شاتار الأربع يلاطفنه ، ويكلمنه همساً . طوّقت وجه الكلب براحتي يديها . رفعت عينيه إليها ليرى رأسها في حاله من الصفائر جديداً ، مثيراً ، وطريفاً . هاهاأت جدلى .

«أتتكلم هايكاهيكسين؟» ، تساءلت إحدى الأربع اللواتي يداعبن الكلب .

«هذا الصوتُ منها ليس كلاماً» ، ردت إحداهن .

واحد من الأربعة المتعهدين حيوانات الحديقة بالطعام ، والماء جاء حاملاً في رقعة جلد قطعاً من اللحم . وضع الرقعة أمام الكلب . نهض الكلب من استلقائه الكسول . هزَّ ذيله سعيداً . بادل حافظُ الحديقة صاحبات شاتار نظرات ودودة ، ثم انصرف بجواب كبير معه إلى أقفاص الحيوانات اللواحم الأخر يرمي إليها قطعاً من لحم بخطاف خشبي ذي مقبض حتى لا تنسخ يده .

أربع من صاحبات شاتار دأبنَ ، أربعة أيام متتالية ، على إطالة زيارتهن لركن الأنثى الإنسية ، في جولاتهن متفرجات ، أو يتظاهرن بالتفرُّج ، على أقفاص الكائنات في حديقة القصر . في ليلة اليوم الخامس كان لهن ، ولشاتار وصاحبات أخريات من التريكات ، شأن آخر : لقد تجمعن وراء سور الحديقة المرتفع من قرون البهائم ، في الموضع الملاصق منه لركن الأنثى الإنسية . طوينَ جذوعهن ، واحتفرن الرملَ بأيديهن أولاً ، في حذر شديد ، ثم بأقدامهن قذفاً به إلى وراء كما يحفر الضبُّ ، وحيوانُ الفنك ، جحريهما .

انفتحت ثغرة تحت أساس جدار السور على قَدْرٍ يتسع لجسد . زحفاً منها . تَلَطَّت شاتار بالأرض في النفق القصير . أدخلت رأسها من الثغرة إلى داخل الركن المحراب مستكشفة في ظلام . ثم زحفت راجعة . انتصبت . خاطبت الأربع اللواتي تركبن ، صاحبات حديقة القصر أربعة أيام . نقرت ، في الظلام ، بلسانها ، بالبال . فمها نقرأً يحثهن على بدء المهمة .

زحفت إحدى صاحبات شاتار من الثغرة .

ركن الأنثى الإنسانية . هراً الكلب في الظلام . أقعى بعد استلقاء .
زحفت واحدة أخرى منهن إلى عمق المحراب . أكملت زحفها حتى
بلغت باب الركن من الداخل حيث الكلب يتأملها فضولاً بخيال
الحيوان المتعرّف عليها . لمسته فأناً مستلطفاً . لعق يدها فلم
تسحبها ، كاتمةً قشعريرةً سرّت في جلدها كله . زحفت ثالثة ،
فرابعة ، إلى الداخل في هدوء كالرمل تزحف به الريح إلى كل
ركن .

كانت الأنثى الإنسانية نائمة على الجلود كوّمت فراشاً لها .
ربتت إحدى الجنيات على كتفها في الظلام المتشقق من انسياب
عتمة ، أقل سواداً ، من فضاء الحديقة على أنحاء الركن ، عبر بابه ،
ومن خلل الفراغات في الجدران العظام .

فتحت الآدمية عينيها . رفعت رأسها في كسل إلى الأشباح
الأربعة لمسّنها معذرات عن إيقاظها . جمعن قربة مائها ، وجراب
الفاكهة ، وجلوداً تفرشها ، والحوض الصغير الحجر . أنزلن الستارة
المتقاصرة عن مدخل ركنها العالي السقف قليلاً . دلّنها على الثغرة
بإشارات عن كذب من بصرها لتفهم . زحفت واحدة منهن ببعض
المتاع خارجة ، فأشارت الأخريات على الآدمية أن تزحف مثلها .

في دعة جرّت الآدمية الكلب نحوها . وجّهته إلى الثغرة .
دفعت به زاحفةً من تحت السور حتى صارت في العراء الذي يلي
الحديقة . خرجت الأخريات مثلها زحفاً ، محتضنات كل واحدة
متاعاً مما تحتاجه الأنثى الإنسانية .

«هايكاهيكسين» ، همست شاتار وهي تنهضها . حضنت
الكلب بذراعيها وطوت جذعها . دفعت الأخريات الأنثى الإنسانية ،
في رفقٍ ، يرعّبها أن تمتطي ظهر شاتار . تفهمت الآدمية إشارتهن ،

لكنها سكنت برهة مستغربة . همهمت بصوت لم تفهم الجنيات
نبر اللسان فيه . ألحخن أن تفعل فرضخت طائعة . امتطت ظهر
شاتار الحاملة كلبها بين ذراعيها الكبيرتين .

انطلقت شاتار وثباً قوياً ، في الظلام ، بحمليها - الكلب
وصاحبة الكلب . لم تتوقف هي وصاحباتها إلا عند العلامات
الأوليات الهادية إلى حانة ياموز ، غرب واحة كيما . من هناك
تمهلن وثباً إلى الجهة الجنوب ، مابعد اسواق كاتراميل - أسواق
الصمت المقدس .

كل النساء التريكات ، اللواتي مزقت الحظوظ مواثيق قبولهن
شريكات لذكور يقاسمونهن ذباب الاستنسال ، تآزرن في الخروج
من مدينة زينايري وقراها ، بزعامة شاتار . استثقلن من أنفسهن أن
يبقين في مساكن أهليهن ، أو أن يخالطن الجنيات الأخريات ،
اللواتي ذللت المصادفات لهن حظوظ الاستنسال ، وقبول الذكران
بهن شريكات . اعتزلن طُرق الجن ، وأزقة الجن ، وساحات الجن إلا
عبوراً بها ، أحياناً ، في استعراض يحتقرن فيه زينايري كله ،
تصريحاً أو تلميحاً بالسنتهن . كثيرات منهن احترفن الصيد على
تخوم واحة كيما ، في أوقات لا يخرج الصيادون فيها إلى قنص .
وقد استنكفن عن دفع قسم من عظام قنائصهن خراجاً للقصر
كحال الصيادين يقتطعون لسلطان زينايري من محصولهم ، مذ
لا يعرف بأمرهن أحد . وتأبئن عن تقديم لحوم قنائصهن لطير
لا كيلا ، فكن يدفننها في الرمل .

هن التريكات بنين لأنفسهن مساكن حُفراً في الرمل
بحجارة ، درءاً من أن تهيله الريح عليها ، وغطين الحجارة بال
رمادي انتزعنه من نبات في واحة كيما ، كما جعلن اللسان

مجدولة على مداخل مساكنهن المائلة الفتحات بانحدار خفيف ،
والمسوَّهة لا تنكشف لبصر عن بُعد قفرتين من قفزات الجن .

كنَّ أعددن للأنثى الأدمية ، في ترتيب خططنهن لخطفها ،
منزلاً في الوسط بين مساكنهن في الحفَر الوسيعة ، بسقف قبة يعلو
الأرض مقدار ذراع ، مغطى بجلود عليها طبقة ليف تُثر عليها
الرمل . وفرشن أرض المنزل بورق من نبات عريض ، وكَسَوْنَ
الجدران من داخله بالقصب . لكنهن تركن باب المنزل بلا غطاء
ليف كما فعلن بمساكنهن ، بل تمهلن حتى خطفها ، وجلب متاعها
القربة ، والجراب ، والجلود الفراش ، وكذلك الغطاء الأزرق الذي
اتخذته ستارة لباب مخربها ، في حديقة قصر كاشاجو ، بعد ماكان
ثوبها ذات يوم .

غير أنهن حين أنزلن الأنثى الإنسنة منزلها صباحاً ، بعد
مسيرة الليل ، ورتبن حوائجها كحالها في مسكنها المخراب ، دعكن
ثوبها السابق ، الأزرق ، بالرمل طويلاً ليموهن لونه من الوجه الظاهر
حين غطين به باب ركنها الحديد بين الإناث الجن التريكات . ولما
استدركن أنهن جلبن حوض مائها الحجر الصغير ، ونسبن في غمرة
الهرب بها ، جلب حوض الكلب ، حفرن على جانب من باب
الركن ، قرب عتبته الداخلية ، حفرة بطنَّها حتى حوافها بجلد
ملأه ماء لا يرشح ، بعد تثبيت تلك الحواف الجلد بأوتادٍ صغار من
الغصون .

أما طعام الأنثى الإنسية من الثمار ، وماتأكله من الجراد ،
وطعام كلبها اللحم ، فكان يسيراً عليهن تدبير ذلك من شجر واحة
كيما ، وحيواناتها الصغار تُصاد برمي من الصفائح الحجر مضمونة
الإصابة قذفاً من أيدي صياداتهن الحدقات .

كان واضحاً للأنثى الإنسية ، حين دخولها ذلك المنزل الممهّد لها عن سابق تدبير ، أنها انتقلت إلى عهدة جديدة من الإقامة في أرض الجن ، مستطيلةً مسارعةً أولئك الإناث التريكات إلى خدمتها ، ورعاية كلبها ، والتخفيف عنها بغناء همهمات ، وعروض من تقليد طيور واحة كيما وعراك حيواناتها ، وافتراس الذئب للبهائم ؛ عدّاً عن تقليدهن عذيفَ الريح بحناجرهن ، وحركة الريح باستفاضة من تمويج أجسادهن النحيلات الطويلات ، كتماوج القصب بورقه على محيط البركة في واحة كيما . وقد خصّصنها بحجر صُفّاحه هو الأكثر صقالة بين حجارتهن المرايا الكامدة قليلاً ، غير الصقيلة ، تعكس وجوههن متعرّجةً ، متحدبةً أو متقعرةً . مرآة الأنثى الآدمية أرتهأ صورتهأ أقرب ما تكون إلى صورتها ، وأرتهأ يدي شاتار تفكان صفائرها الثماني ، ثم تعيدان فتلها ، في تأنّ ، تلقيناً لها كي تتولى بنفسها الفتل والضفر .

لم يكن في عيني الأنثى الآدمية تساؤلٌ قط عن معنى انتقالها على النحو الذي نقلتهُ به الإناثُ التريكات إلى موضع آخر من إقليم زينافيرى . لقد تأملت الأرض القفر من حولها وصولاً بالنظر إلى الطيف السراب منعكساً على السماء بصورة واحة كيما مقلوبةً ، شمالاً ، رماديةً شبحيةً ، ثم أعادت بصرها إلى الإناث الجنيات ، الكثر ، مبتسمة . جلست أمام باب مسكنها الجديد . فأقعى الكلب إلى جوارها . تنهّدت فتنهّدت جنّياتٌ يقلّداً مداعبةً .

في هدوء تفرقت شاتار وصاحباتها من حول الإنسان
كل واحدة منهن مسكنها الحفرة . غبنَ برهةً ، ثم خرجت
مضبوط وثباً من داخل المساكن إلى خارجها .

بوغت الإنسانية فاستوت واقفةً من مرأى الجنيات كلهن في أقنعة من صورة وجهها هي ، متفاوتة الشبه جودةً ورداءةً في الرسم ، لكنها ملامحها : عيناها بثقين في موضعين البؤييين ؛ حاجباها ؛ أهدابها ؛ أنفها ؛ فمها ؛ مع شق صغير فيه . كان ربط الأقنعة بالسيور الرقيقة إلى رؤوسهن تثبيتاً ، يجعل الرسوم على الرقاع الجلود متماوجةً فوق عيونهن الحجر الجواحظ ، ومستويةً فوق أنوفهن المظموسة الممسوحة . إنما ظل للشكل المرسوم نَسَبُه الأصل - نَسَبُ الوجه الإنسي .

تعجبت الأنثى الآدمية منهن اقتربن منها في سَير لاوثب فيه ، بل زحفٌ بأقدامهن تقليداً لمشيها في نقل قدم وراء أخرى إذ تمشي . شاتار ، التي وقفت قبالتها عن كُثب ، أخرجت من فتحة عنق ثوبها الواسعة رقعةً جلدًا صغيرة . بسطتها بين يديها : كان على الرقعة رسمٌ لوجه جنية ، من غير حصر بوجه واحدة منهن . قرَّبت الرقعة ، في رفق ، من وجه الإنسانية كأنما تستميتها القبول بارتداء الرقعة قناعاً ، فبدت الإنسانية ساكنةً بابتسامتها . ألبستها شاتار القناع . أثبتته بالسيور ربطاً من وراء رأسها . ابتعدت عنها مقدار ذراع متأملة . دارت بعينها على صاحباتها . هَرَرْنَ ابتهاجاً .

هَبَّت إحدى الجنيات إلى داخل منزل الإنسانية جالبةً الحجر المرأة . رفعت أمام عينها تربها وجهها الجديد . غمغت الإنسانية . مشت صوب كلبها . قرفصت جلوساً قبالتها . هرَّ الكلب . أن في استكانة المتودد إلى سيدته . لعقَ وجهها القناع .

لم يكن صباحُ ذلك اليوم هادئاً في حديقة قصر كاشاجو كهدوئه في أرض مساكن الإناث التريكات ، إلا من عَدُوِّ الريح بأحمالها الشبحية في الخلاء القفر . الأربعة الجن ، الموكلون

بأقفاص البهائم رعايةً ، تكشف لهم ، في دخول واحد منهم بثمار إلى محراب الأنثى الإنسية ، النفقُ الشجرةُ تحت السور . تحيَّروا . وجدوا في الجهة الخارجية من السور ، المقابلة لركنِها المحراب ، آثارَ أقدام مختلطة . تتبعوها بضع وثبات لاغير ، مذ كانت الريح أنجزت استعادة الآثار على الرمل إلى ذاكرة رمل . عادوا باحثين عنها في أرض الحديقة بلا تفهّم لمعنى الشجرة تحت السور . طووا الأرض من حول القصر ونشروها بحثاً . وصلوا حتى المعبد جنوباً . سألوا المنجمين عنها . رجعوا خائبين إلى القصر ، مترددين في إخبار أحد عن اختفاء الأنثى الإنسية . صعد أحدهم إلى جناح مجّمع الذباب ، قبل أن ينزل الأدراج يتبعه الشاعر داميكو لاهناً كالمدعور . «أين هايكا هيكسين؟» ، ساء لهم داميكو ، فردّ الذي صعد إلى مجّمع الذباب ساخراً من سؤاله :

- لو كنا نعرف لما سألناك ، ياداميكو .

«ما الشجرة التي أخبرتني عنها ، تحت السور؟» ، تساءل داميكو طافحَ الذهول من حركات يديه القلقتين . «نفق» ، ردّ أحد الموكلين بكائنات الحديقة . «هل انسلت هايكا هيكسين من النفق هاربة؟» ، تساءل داميكو .

لم يردّ أحد منهم على سؤاله الشاحب ، الباهت . تلفتوا بأبصارهم على أبهاء القصر كلها يخمّنون من الأولى بإخباره اختفاء الأنثى الإنسية . غمغم أحدهم :
- فلنخبر ريكما .

«بل نخبر شيكتان» ، اقترح واحد آخر من الأربعة .
هرّ ثالثٌ كالمستحصل اختياراً أنسب :

-- الأفضل أن نخبر نينيسو .

غمغموا معاً موافقين . وثبوا ، يتبعهم داميكو بهريه ، في اتجاه ركن شيكتان . مروا من أمام باب الركن مستطلعين داخله . كانت شيكتان هناك منشغلة ببعض الأجرة المعلقة إلى خطاطيف من قرون البهائم . عبروا من غير سؤال عن مطيتها . اتجهوا إلى باب القصر . لبثوا هناك وقتاً قبل أن تظهر نينيسو قادمة . هرعوا إليها يستوقفونها .

«أتعرفين أين تكون هايكاهايكسين؟» ، سألها أحد الأربعة .

«لا أعرف» ، ردت نينيسو . تساءلت : «مالأمر؟» .

«لم نجدّها في الحديقة» ، رد أحدهم .

«ربما تصطحبها النجمة بونيا في نزهة» ، قالت نينيسو .

«لا أعتقد» ، عقّب أحدهم نفيّاً لتخمينها . أردف : «هناك ثغرة

تحت السور ، تمتد من ركن هايكاهايكسين إلى الخارج» .

«أتلُمّح إلى أن هايكاهايكسين خرجت من الحديقة حَفراً تحت

أساس السور؟ ما حاجتها إلى حَفْرِ ثغرة للخروج؟» ، تساءلت

نينيسو .

«ذلك ، تحديداً ، مايحيرنا» ، ردّ أحد الأربعة .

«أدقّقتم في آثار قدميها خارج السور؟» ، ساءلتهم نينيسو ، فردّ

أحدهم :

- دَقّقنا . هناك آثار أقدام عديدة ، لكنها تتلاشى أبعد من

السور بثلاث وثبات . محتها الريح .

هرّت نينيسو هريراً استغرابٍ وتحير . دارت بعينيها على

وجوههم . ساءلتهم :

- من أخبرتم باختفاء هايكاهايكسين؟ .

«لا أحد سواك» ، ردَّ أحدهم .

«بل يعرف باختفائها شاعر مجمع الذباب داميكو . أنا استعلتُ منه إن كان يعرف أين تكون هايكاهايكسين» ، قال واحد آخر .

«أنا سأتولى التحري في اختفائها» ، قالت نينيسو . وثبتت ماضيةً إلى غايتها في أعماق القصر . لم تتوقف عند مستشاري كاشاجو الأربعة أرادوا إيقافها لأمرًا . عبرت البهو الأعظم ، ثم بهوًا صغيراً يليه ، حتى ركن سيدتها شيكتان الثنية العميقة في الجدار الشمال من القصر . دخلته .

«هناك ما يحير الموكلين بحيوانات الحديقة ، ياشيكتان . هم لم يجدوا ، اليوم ، هايكاهايكسين» ، قالت نينيسو .

«ما المحير في هذا؟» ، تساءلت شيكتان ، فردت نينيسو وهي تتأمل يدي شيكتان منشغلتين بفكِّ وكاءٍ عن فم أحد الأجرة :
- هناك ثغرة تحت السور ، حيث ركن هايكاهايكسين .

«ثغرة؟» ، تساءلت شيكتان ، وهي تعيد إغلاق فم الجراب .
«ماذا تعنين ، يانينيسو؟» .

لم تجب نينيسو على سؤال سيدتها ، بل تساءلت : «ألا تخافين لمس هذا الجراب؟» .

حدقت شيكتان إلى مطيتها ، التي تعرف أن ذلك الجراب ، تحديداً ، يحوي طحيناً من عظام سيقان الأجنة الموتى ، الذين لم تكمل الكرات الحجر الحواضن أنضاجهم من ذباب استنسب الـ ، كاشاجو وشيكتان ، فأجهضتهم الكرات الحواضن .

عظام سيقان الأطفال مسمومة ، قبل بلوغهم اليقظة . مات طفل طحنت عائلته عظام ساقيه ، وحفظت اللحية .

نفخ جنبيُّ بعضه في وجه جنبي آخر ، صعد وجَمَد ميتاً من فور استنشاقه . طحين سيقان الأجنة المجهضة ، التي تحتفظ شيكتان به في جراب ، مسموم ، بل أشدُّ سُمِّيَّةً من طحين عظام الأطفال . وهي كانت مشغولة بجراب من تلك الحاوية غبارَ القتل حين دخلت عليها نينيسو بخبر اختفاء الأنثى الإنسية . وإذ سألت سيدتها بنبر فضول عن الجراب ، انعطفت شيكتان عن سؤال مطيتها إلى تكرار سؤالها هي ، معيدة الجراب إلى موضعه :

- ثغرة؟ ماذا تعنين ، يانينيسو؟ .

«أعني ثغرة تستطيع هايكاهيكسين العبور منها إلى خارج السور . ذلك ماقاله لي الموكلون برعاية البهائم في الحديقة» ، ردت نينيسو .

هرَّت شيكتان بنبر مستغرب . تساءلت :

- أظننيها هربت؟ .

«لم يبدُ في طباعها أنها لا تطيق الإقامة في الحديقة» ، ردت نينيسو .

غمغمت شيكتان تتدبر تأويلاً :

- لانهرف من أين جاءت هايكاهيكسين إلى أرض زينافيرى . ربما لن نعرف أين ذهبت أيضاً .

«ماذا يجب أن نفعل؟» ، تساءلت نينيسو . «حين يُنهي كاشاجو عزلته ، ويعرف باختفاء هايكاهيكسين سيُصدم» .

«أين مطيته لِيُلَوِّثَ الجديد؟» ، تساءلت شيكتان . «أرسله يستطلع أزقة زينافيرى» .

«ليلوت معتزل كسيده ، ياشيكتان» ، ردت نينيسو .

«ليلوت معتزل؟ أين يعتزل؟ هو لم يبدُ خدمة كاشاجو بعد» ،

تساءلت شيكتان . «أخرجيه من جُحره» ، هتفت .
هرّت نينيسو مترددة :

- لن يستحبّ ليلوت تلقي الأمر مني .

«أين هو؟ اجلبيه إليّ» ، قالت شيكتان .

«في ركنه» ، ردت نينيسو . استردّت من خاطرها سؤالاً نَحَتْه

قليلاً حين رأت سيدتها ممسكة بجراب الطحين المسموم . ساءلتها :

- كم في ذلك الجراب من طحين عظام نسلك المجهُضين؟ .

حدقت شيكتان إلى مطيتها برهةً قبل أن تجيب :

- طحين من عظام عشرات السيقان .

«ألن تحاولا ، أنت وكاشاجو ، أن تتشاركا في استئصال جديد ،

بعد موت سوك؟» ، ساءلتها نينيسو .

«أحضري ليلوت» ، ردت شيكتان في تجاهل لسؤال نينيسو ،

الذي استثقلته ربما .

انطلقت نينيسو وثباً إلى الثنايا المطاوي الغائرة عميقاً في الجدار

الجنوب من القصر ، المقابل لركن كاشاجو في الشمال ، حيث

استقر ليلوت هناك ، في ركن إلى جوار أركان المستشارين ، وأمناء

الأسرار ، وبعض السُّمار الدائمين ممن لا يفارقون سلطان زينا فيري

في لياليه المعتمدة إذ لا يوقد الجن نيراناً ، والموقوفة - في هدوء - على

الأسئلة الكبار للجن عن أكوان محتملة وراء كونهم ذي الزوايا

الثلاث ، وعن قبائل سائرة بلا توقف ، في البعيد الأبعد من ممالك

الأعالي السَّيَّارة كالنجوم .

«ليلوت» ، نادى نينيسو مطيةً سلطان زينا فيري الجدار

الواقف ملتصقاً بالجدار الخلفي لركنه كالمتخفي ، محاذاً لركنه

إلى ركن سيده المسدل الستار على مدخله .

هرّ ليلوت العملاق ، ذو العين اليمنى البنية الحجر واليسرى
الرمادية ، من عمق الثنية الوسيعة ، الغائرة في الجدار . غمغم :
- ماذا تريدان ، يانينيسو؟ .

«تريدك شيكتان» ، ردت نينيسو .

تحرك ليلوت في ثقل زحفاً بقدميه على الأرض الرمل ، قبل أن
يثب وثبةً أوصلته إلى باب ركنه ، قبالة نينيسو .

ليلوت جديدٌ في خدمة سلطان زينايري ، بعد مقتل مطيته
شاكس ، لكنه على معرفة بالقصر ويقاطنيه ، مُد كان يحضر
اجتماعات كاشاجو مع سيده الأول دارديك - سيد إحدى فرق
المحاربين السبع عشرة . وقد أهدى دارديك عملاقه ، ذا العينين
المتخالفتين لوناً ، والصوت العميق كرعْد في كهف ، إلى كاشاجو
بعد فقد مطيته ، من غير أن يتسنى للمطية العملاق أن يحظى من
كاشاجو بامتطاء ، أو بتكليف في غاية من غاياته ، لأن سيد القصر
اعتزم دخول مُعْتَرِله ، فأزعم ، هو أيضاً ، أن يخلد إلى اعتزال بدوره .
وها نينيسو في طلبه برغبة سيدتها شيكتان أن يحضر بين يديها .

لَبَّى ليلوت الاستدعاءً ممتثلاً لأمر زوجة سلطان زينايري .
سُراعاً لاقاها مع نينيسو في ركنها ، وعلى عجل وافتهما شيكتان
بطلبها :

- ألقبا زينايري أعاليه أسافله . لا ترجعا إليّ من غير
هايكاهيكسين .

هرّ ليلوت هريراً المتلقي مهمته الأولى في قصر زينايري . زأر
قبل أن يثب مرتفعاً ، فلحقت به نينيسو .

عادت شيكتان إلى جراب السموم الصغير . حوّته بيديها
الكبيرتين . جرّت قدميها زحفاً ، بلا وثب ، على الأرض الرمل إلى

ياشيكتان» ، قال . مال بوجهه إلى كتفه اليمنى من غير نظر إلى الخلف : «أنت تقتحمين عزلتي» .

اقتربت شيكتان أكثر من كاشاجو الأصم . رفعت قبضة يدها اليمنى وراء رأسه . فتحت راحتها على حفنة الطحين السم . نقرت بأصابع يدها اليسرى على كتفه .

استدار كاشاجو على مهلٍ شديد في قناعه - قناع وجهه سوّك . فتح فمه عن هرير تجمّد في حنجرتِه : لقد نفخت شيكتان ، في قوة ، على الطحين السّم في راحتها ، فأرسلت سحابة صغيرة إلى وجهه سلطان زينا فيري .

رعشةٌ لا تُلحظ عَرّت جسد كاشاجو مُذ سمع بأذنيه - هو الأصم - مخاطبات دائريةً باللسنة لهب ، وتذوّق بلسانه هدير الأفلاك التي اجتازتها روحه إلى الصميم النار . نَفَسُ برتقاليّ الغبار سال من منخرينه ضعيفاً . تجمّد بفم مفتوح ، واقفاً كُنُصْبٍ حجر يرتدي قناعاً من جلد .

تراجعت شيكتان إلى قُرب من باب ركن زوجها . استرقت النظر إلى البهو فلم ترَ من يلحظها . وثبت وثبتين قويتين بانعطاف إلى باب ركنها . دخلتهُ لاهثةٌ . مرّغت يدها اليمنى في الرمل طويلاً تنظفها من الطحين السم . أعادت الجراب الملقى أرضاً إلى موقعه في عمق الركن بعد إغلاقه بالكواء . وضعت أذنها على الجدار الملاصق بالعظام المتراكبة جدارَ مُقام زوجها تنصّت ، فلم تلتقط غيرَ صوت الريح ذي اللسان الشَّعْبِ الآلاف متسللةً إلى الأبهاء من بوابة القصر الكبيرة ، ومن الشُّغرات في الجدران . أحست برداً تحت جلدها الجاسي . زارت مكّمةً فمها بيديها .

من جهة المعبد الغربية ابتدأ ليلوت ونييسو بحثهما عن

هايكاهيكسين . استوقفا أطفالاً من استثناهم حُكْمُ النفي
يستخبرونهم عن الكائنة ذات القدمين اللتين في مقدّمهما أصابعُ
قِصارٍ ، تمشي بهما مشياً بنقلهما متلاحقتين لا وثباً كوثب الجن .
سدّ ليلوت العملاق أزقةً بفتح ذراعيه يستخبر العابرين عن الأنثى
التي بأنف نافر في وجهها ، ولعينيهما أجفان من جلود رِقاق تغمض
وتفتح . دخلا الساحات الدائرية بين مجامع المساكن مستخبرين
عن الأنثى التي برجلين تنثيان من الركبتين إلى أمام ، لا إلى
خلف كأرجل الجراد .

كُل الجن في أزقة الناحية الغربية من المعبد أنكروا رؤية
هايكاهيكسين - هم الذين كغيرهم من جن إقليم زينافيرى يحفظون
صورتها محفورة في لوح الغرائب من ذكراهم الكلية . وقد ودّوا ، إذ
سئل الكثيرون منهم عن الإنسانية ، لو أنهم رأوها عابرة في أزقتهم ،
من جديد كرؤيتهم لها ، قبل أمد ، تصحبها المنجمة بونيا في
نزهاتها الصاخبة من هَرَج الأطفال محيطين بهما .

«ما الذي قد يستدرج هايكاهيكسين ، بإثارة فضولها ، إلى
مغادرة الحديقة؟» ، سأل ليلوت رفيقته نينيسو .
«كل شيء» ، ردت نينيسو . استدركت : «لا أستطيع
التخمين» .

«كانت هايكاهيكسين تخرج إلى أزقة زينافيرى في صحبة
بونيا أحيانا» ، قال ليلوت . «رأيتهما معاً» .
«أعرف» ، عَقَبَت نينيسو .

«إلى أين كانت تأخذها بونيا؟» ، تساءل ليلوت .

«مالذي في إقليم زينافيرى سوى الجن ، والقدوس ،
والمعبد ، وأرض صنّاع مانعات الرياح ، وواحة كيما ، وهضبة ...»

لاكيلا؟» ، ردت نينيسو بسؤال على سؤال مطية كاشاجو الجديد .

«أصعدت بونيا بهايكاهايكسين إلى الهضبة؟» ، تساءل ليلوت ، فردت نينيسو :

- لا يصعدوها إلا كاشاجو والأسياد في أعيادهم .

«ماذا عن حانة ياموز؟» ، تساءل ليلوت .

«حانة ياموز؟» ، تساءلت نينيسو بدورها . أضافت : «أتظن أن هايكاهايكسين زارت حانة ياموز؟ ماذا قد يفعل مخلوق من غير الجن هناك؟» .

رئت من الجهة الجنوب ، وتصافعت ، رعود حجر ، قارعة باسطواناتها اللامرئية المعادن على الفراغ الحجر ، وتمرغت بروق في رمال البروق على ساحات الأعالى .

أشار ليلوت بيده إلى آخر لهب أومض بثعبانه :

- واحة كيما مثيرة بمخلوقاتها .

«مثيرة . نعم» ، وافقت نينيسو ، من غير أن يخطر لها سبب ذكر ليلوت للواحة .

«أيحتمل أن هايكاهايكسين قد تزور الواحة؟» ، تساءل ليلوت .

هر غير واثق من تقديره . لكن ومضاً من المعاني أضاء لسانه :

- لو كنت هايكاهايكسين ، يانينيسو ، لكان لدي فضول واحد

لاغير : أين أعثر على كائن من نوعي؟ .

غمغمت نينيسو موافقة . هزت رأسها :

- لو كنت هايكاهايكسين لابتدأت حيرتك الكبرى هنا ،

ياليلوت .

«حيرتي من ماذا؟» ، تساءل ليلوت .

«حيرتك أنك لن تعرف من أين تبدأ البحث عن كائنات نوعك» ، ردت نينيسو .

«ألا تعرف هايكاهايكسين من أين جاءت؟» ، تساءل ليلوت .

«لو كانت تعرف لرحلت» ، ردت نينيسو .

«ربما أثرتُ ألاّ تعود إلى أرض نوعها» ، خَمَّن ليلوت .

غطى هياجٌ ، وهرج ، من أحد الأزقة ، على تساؤلاتهما ، لما اندفع جنٌ مختلطون في وثبٍ جامح ، قادمينَ في اتجاه نينيسو ، وليلوت الذي حاول إيقاف بعض المندفعين فصدموه ومروا .

«لَمْ يهربون؟» ، تساءلت نينيسو بصوت ضاع في الهياج .

زأر ليلوت متنحياً عن غُرُض الزقاق . ألقى بصره - هو الطويل العملاق - على مؤخَّر الحشد المندفع . تكلم بنبرٍ كأنه فوجئ :
- أرى راتو .

تطاوالت نينيسو لترى ما يراه ليلوت ، فلم تستطع بلوغ مؤخَّر الحشد ببصرها . سألت صاحبها ليلوت :

- ماذا أثاركَ من رؤية راتو ، مطية ماياكي ؟ .

«إنه يركض بأنثى على كتفه» ، رد ليلوت .

غمغمت نينيسو بنبرٍ فضول ، قبل أن يضيف ليلوت فضولاً آخر إلى خبره :

- ماياكي يحمل أنثى على كتفه .

لم يدم تساؤلُهما أكثر من لحظة ، لما تَكشَّف واضحاً أن عميد محاربي زينافيرى ، وأعوانه الأقوياء ، يطاردون جنّاً هاربين اختلطوا بغيرهم من عابري الزقاق . وكان واضحاً أن الهياج أثار عدوى التدافع في المطاردة حتى ممن هم غير معنيين ، فتلاحقوا كأنما الكلُّ يطارد الكلُّ بلا تمييز .

«قبضوا على إناث»، قال ليلوت، حين لمح، إضافة إلى الأنثيين على كتفي ماياكي، وراتو، محاربين أطبقت يدهما على ذراعي أنثى ثالثة، كلٌّ من جهة، وهي بعدُ في قناعٍ من صورة هايكاهايكسين لم يسقط عن وجهها.

هرّت نينيسو إذ جاورها راتو، الذي التفت إليها بعينين ينبضُ حجرُهما في محجريه. هتف بها وقد جاوزها وثباً:

- يوم جيد لصيد الأقنعة.

«فلنلحقُ بماياكي، ياليلوت. لقد تصيّدوا، أخيراً، بعضاً من تسبّين في نكبة»، قالت نينيسو. أردفت: «إنهن إناث»، ثم وثبت تلحق بعמיד محاربي زينافيرى، فلحق بها العملاق ليلوت.

توزّع الحشد المتخالط من جموع الأزقة، ومن الجناة، على مفارق الأزقة. لم يعد يُعرَف المطارِدُ من الراكض بلا سبب، لذا أوقف ماياكي المطاردة، مكتفياً بالإناث الثلاث، اللواتي سقط قناعا إثنين منهن في محاولة النجاة، وظلت الثالثة في قناعها بعدُ.

ربما كان في الحشد المتداخل هارباً إناثٌ أخريات من مُجهّضات ذباب الاستئصال في الأيدي الحواضن. ماياكي لم يهتم بنجاتهن منه مُذ أعلن، من فور توقفه، أن اكتفاءه بمن قبض عليهن هو كقبضه على جميعهن. نادى:

- فليُحضِر أحدكم جلاذنا رادبور. سنستنطق الجانيات في المعبد.

أنزل ماياكي الأنثى المُعتقلة عن كتفه. دار بوجهه على أتباعه فوق بصره على العملاق. ناداه:

- احملْ عني، ياليلوت، هذه الجانية.

وثب ليلوت ليصير بإزاء عميد المحاربين . رفع الأنثى المأسورة
خطفاً فاستقرت ببطنها فوق كتفه .

كثيرون من جن الأزقة تتبعوا موكب ماياكي راجعاً صوب
المعبد بأسيرات ثلاث ، قبل أن يتفرقوا في وصولهم إلى الفناء المحيط
بهيكل الإله كوياسي . وفي الموضع هناك ، أيضاً ، صرف ماياكي
أعوانه إلى ثكناتهم ، مُبقياً على القليل معه في دخوله المعبد .

راتو ، وليلوت ، ونييسو ، وثلاثة آخرون من المحاربين الضخم ،
كانوا البقية الباقية من موكب ماياكي حين انبرى للقائه خاميدس
وبونيا المنجمان ، فبادرهما عميد المحاربين سائلاً :

- أوصل رادبور؟ .

«أرسلت في طلبه؟» ، ساءله كبير المنجمين خاميدس وهو يزن
بصره هيئات الإناث المعتقلات الثلاث ، محدقاً إلى القناع على
وجه إحداهن . أضاف : «من هؤلاء؟» .

«هؤلاء أمهات النكبة في إقليم زينايفيري» ، ردّ ماياكي . عاد
إلى سؤاله : «أين رادبور؟ بعثت إليه رسولاً» .

«هاهو» ، قالت نينيسو مُدّ سمعت الزفير الزئير من حنجرة
جلاد زينايفيري الضخم ضخامة ليلوت نفسه .

لم يبطئ رادبور الجلاد وثبه في دخوله المعبد . جرّ رملاً وغباراً
من خلف قدميه المشتعلتين نهماً إلى لقاء أسرى يستنطقهم
باستنشاق ذاكراتهم . هرّ هريراً مديداً لما لجم اندفاعه : «كلهن
إناث» ، تتم . قرّب وجهه من وجوههن واحدة واحدة . أبقى بصره
ثابتاً على ثالثتهن المحتفظة بقناعها بعد : «ألك ذاكرة
هايكاهيكسين؟» ، ساءلها بصوت مستهزئ . نزع القناع عن
وجهها .

«إبدأ الآن ، يارادبور» ، قال ماياكي مستعجلاً استنطاق الأسيرات . أمسك بِعَضْدِ جلاد زينافيرى مستدرِكاً : «لا تقل لي إنك ستستكمل استنشاق ذاكراتهن إلى ذاكرتك في أربعين يوماً» . «هذه مدة لجمع كل تفصيل في ذاكرة معتقل» ، ردَّ رادبور . «لا تريد كلَّ تفصيل ، يارادبور ، بل اسمَ المحرَّضَ لهنَّ على هذه النكبة» ، قال ماياكي .

«الآن؟» ، تساءل رادبور .

«الآن» ، رد ماياكي .

فتح رادبور ذراعيه الطويلتين أمام أبصار الأسيرات الثلاث . خاطبهن بصوت بارد :

- لا أراني مضطراً إلى استنشاق ذاكراتهن . سأبدأ بالأسنان . هَرَّتْ المأسورات الثلاث ارتعاداً . جنيُّ بلا أسنان لن يأكل ، ماتبقى له من وقت مشكوك فيه ، سوى الرمل مضغاً بِلثته . فَحَحْنَ اضطراباً من تخيُّلِ الثَّكَالِ بخلع أسنانهن . نقلن عيونهن على الوجوه ، من المنجمين إلى ماياكي ، ومن راتو إلى نينيسو فليلوت ، في توسُّلٍ لم يجتذب ومضَ رَأْفَةٌ من عيني أحد . صرَّت إحدى الثلاث بأسنانهما . تكلمت :

- أنا حرَّضْتُ صاحبتَيَّ .

«سأبدأ بصاحبتيك إذاً ، لأنهما لم تعارضا» ، قال رادبور .

ارتجَّ المعبد من زئير ماياكي بغتَةً :

- ما هذا التلَكُّؤُ ، يارادبور؟ ابدأ خلع أسنانهن .

مدَّ رادبور يديه الكبيرتين فاحتوى بهما رأس إحدى الثلاث . ضمَّ رأسها تحت إبطه . أدخل إصبعه معقوفةً في فمها ثم شدَّها فأخرج سنَّيها الثَّنيَّتين العلويتين . رمى بهما إلى بونيا : «هذه حصاة

المعبد» ، قال . أفلت الأسيرة غارقةً في هريها الأني . مدّ يديه ،
من جديد ، فاطبقهما على رأس واحدة ثانيةً ، لم تنتظر أن يفعل بها
جلاد زيناڤيري مافعل بصاحبيتها . زأرت بصوت يأس :
- شاتار .

أرخصى رادبور يديه عن رأسها . غمغم :
- ماذا قلت ؟ .

انبرت نينسو ناطقةً على عجل :
- ذكرت اسم شاتار .

«شاتار؟» ، تساءل ماياكي . «أليست هي المتزعمة جماعة
الإناث التريكات؟» .

«نعم . هي شاتار» ، ردت نينسو .

التفت ماياكي إلى الأنثى المعترفة :

- أشاتار حرّصتكن على ماتفعلن؟ .

هزت الأسيرة رأسها إيجاباً بلا كلمات . أطرقت ببصرها أرضاً
خجلاً من نظر صاحبيتها إليها .

«كم عددكن؟» ، سألها ماياكي .

نينسو تعرف مصير جناة يعترفون بهدمهم الأعراف في
زيناڤيري ، أو إهانتها . وهؤلاء الثلاث ، ككل الجناة المعترفين ،
سيُعدَمُنَ رمياً بالترقوات العظام داخل المعبد ، حتى يصعد من
زفيرهن غبار برتقالي ، ناثراً في بَدَدِه أرواحهن على المخاطبات بالأسنة
لهب . وهي - نينسو - لن تنتظر اكتمال استنطاق رادبور للأسرار ،
بأسئلة عن عددهن ، ومعقلهن ، ودوافع شاتار في التحريض ،
جرائمهن . لذا اقتربت من ليلوت هامسة :
- أنا عائدة إلى القصر .

حرق إليها العملاق في استغراب . هامسها بدوره :
- ماذا عن هايكاهايكسين؟ .

«سنجدها . لا تقلق» ، ردت نينيسو . وثبت وثباً طويلاً في مغادرتها المعبد إلى سيدتها بخبر افتتاح مكيدة شاتار المروعة .
ثلاث من صاحبات شاتار كن في الطريق ، بدورهن ، إلى معقل الإناث التريكات وراء واحة كيما . لقد نجون من مطاردة ماياكي وأعوانه ، لكنهن شاهدن سقوط ثلاث في أيدي المطاردين . هنّ تخلّصن من أقنعتهن فور شعورهنّ أنهن الإناث الست بتنّ في مرمى ملاحقة تتقاصر حظوظ النجاة فيها بطرائق الخداع التي اعتدنّ سلوكها ، كإحداث شجار في الزقاق يشتت المطاردين ، أو افتعال سقوط يجعل العابرين ، واللاحقين بهنّ ، يتعثر بعضهم ببعض فيقلّتنّ .

كنّ ستاً هذه المرة . كنّ قليلات . لم يسعفهنّ التمويه بالخيل بعد ضرب عدد من الأيدي الخاضنة ذباباً . خطط قيام كثرة منهن بالشغب المروع أبقتهن ، طويلاً ، في نجاة من المتحرّين المطاردين . واحدة ، أو اثنتان ، عادةً ، كان عدد الموكلات بالمهمة ، فيما تتولى الأخريات تدبير المنفذ لنجاتهن . أمّا أن تقوم ستّ منهن بتولي الضرب على الأيدي ، معاً ، مرتديات أقنعتهن ، فذلك ما قلب الخطة عليهن قلباً لن تحتمله عظام الثلاث الأسيرات منهن ، ولخومهن ، وجلودهن : عظامهن ستجفف مؤنة للمنجمين في الأرجح ، ولخومهن ستكون وليمة طيور لاكيلا ، وجلودهن سيرتديها ، يوماً ، أطفال في الأزقة حول المعبد .

ليس ذلك حسب هو التحصيل الأخير من انقلاب الخطة على الست التريكات : رادبور سينتزع ذاكرات المأسورات استنشاقاً ، أو

سيلتقط اعترافهن ، بمنقار طرائقه في الاستنطاق ، من أكبادهن
الألياف رَمْلَةً رَمْلَةً .

حَثَّتِ الثلاث الناجيات أقدامهنَّ وثباً لا يشبه الوثبَ ، بل
طيرانَ الجراد ، في سباق مع الأقدار إلى معقل زعيمتهن شاتار .
محاربون يقودهم رادبور ، مطيئةً ماياكي ، أو ابن سلطان زينافيرى
ريكما ، أو واحد من أسياد الفرق ، سيظهرون عاجلاً في القفر الذي
استوطنته التريكاتُ .

لم تستطع الثلاث المتسابقات تثبيت صور في ذاكرتهن عمّا
سيحدث لجمعهنَّ بعد السقطة . عضضن بنواجذهن على الرمل
المعصوف من نفخ الريح تلقفته أفواههن المفتوحة لهاثاً .

«ماذا تُسمَّينَ هذا الحيوان ، ياهايكاهيكسين؟» ، ذلك
ماساءلت إحدى صاحبات شاتار الأنثى الإنسية جالسةً أمام
مدخل مسكنها الحفرة تَأْكُلُ ثماراً ، قبل وقت قليل من وصول
الثلاث الناجيات .

«ماذا تسمَّينه إنْ خَيْرَ أنت؟» ، ساءلتها صاحبة لها ، فردت

إحداهما :

- أسمىه كَالْبَاهُونْد .

- مامعنى ذلك؟

- أينبغي أن يكونَ لاسم هذا الحيوان معنى؟ .

«فيمَ تتجادلان؟» ، ساءلتهما واحدة أخرى ، فردت إحداهما :

- في منح هذا الحيوان اسماً .

- سمَّيه شاتارُ .

- لِمَ لا؟ .

نادت التي اقترحت الاسمَ على زعيمتهن :

- شاتار .

«نعم» ، ردت شاتار وهي تضيف أضاميم من الليف إلى غطاء مسكنها المموء .

- رُوسْدَانُ تريد تسمية حيوان هايكاهاي كسين باسمك .

- لا اعتراض لدي .

- ماذا تفضّلين ، ياشاتار للحيوان : اسمك أم ما اقترحتَه رَابُوكُ؟ .

- ماذا اقترحتَ رابوكُ؟ .

«كالباهوند» ، ردت روسدان . أضافت : «لكن لا معنى للاسم» .

- ألاسْمُك ، ياروسدان ، معنى؟ .

- نعم . له معنى .

- مامعناه؟ .

- بحسب ما أشاءُ له من معنى .

هرّت إحداهن منتصبّة في استقامة كخيوط . «لماذا يقفزن هكذا؟» ، تساءلت وقد أبصرت ، في البعيد ، ثلاثاً من فصيلها التريكات ، آتيات في وثبٍ يعلّون به عن الأرض كأنهن يطاولن سحائب الغبار المعصوف .

سَرَتِ الغمغمات ، والهدير الخفيض من الحناجر حين صوّبتِ الإناثُ جميعهن الأبصارَ إلى الآتيات سُرْعاً تنبئ قفزاتهن بما يُريب .

خَفَّتْ شاتار وثباً قصيراً ، متمهلاً ، للقاء الثلاث ، تستقرئن ببصرها المتفحّص . ولما صِرْنَ قبالتها انهرن أرضاً مستلقياتٍ في لهاثٍ مختنق .

«ماذا بكنَّ ، ياواواي؟» ، سألت شاتار إحداهن بنبر متطير ، مستشعرةً ما لا يُحمد . «أوصلُنَّ إلى مدينة زيناڤيري وعدُنَّ؟ أنتنَّ ريحٌ؟» ، قالت تلميحاً إلى المسافات الطوال قطعنها منذ مغادرتهن فجرًا حتى عودتهن عصرًا ، على نحو مفرط في سرعته . «اعتقلْتِ نيَكْسُو ، وبأتُون ، ووَارُو» ، ردت واواي المنهارة بنبر متأكل .

«ماذا؟» ، زارت شاتار مصدومة .
«اعتقلْنِ» ، ردت واواي في تأكيد .
«مَنْ اعتقلهن؟ ماذا فعلن؟» ، تلاحقت الأسئلة على لسان شاتار .

«عميد المحاربين ماياكي ، وأعوانه» ، ردت واواي .
نقلت شاتار بصرها على الثلاث المستلقيات رهقاً . كررت نصف سؤالها السابق :
- ماذا فعلن؟ .

«ماذا تظنينهن فعلن ، يا شاتار؟» ، غمغت واواي .
«سألتك ماذا فعلن؟ أسمعين؟» ، هرت شاتار في ضيق صاحبه الهرير من حلقة الإناث المحيطات بصاحباتهن المُرَهقات .
«أجَهَضْنَ بعضَ الأيدي من ذبابها» ، ردت واواي .
بدت شاتار متحيرة ، منهوبة القلب . دارت بوجهها على وجوه كُثر من حولها . تساءلت بصوت متخبط في حنجرتها :
- ماذا كان اتفاقنا بعد أن نفى سلطان زيناڤيري أطفالاً؟ .

لم تنطق أيُّ من فصيل الإناث التريكات ، كأن لا حاجة إلى جواب ما دمن يعرفنه بلا نقصان .
«اتفقنا أن لانجهض يداً تحضن الذباب» ، قالت شاتار في نبر

زئير تذكيراً . أردفت : «لم نعرف أن أطفالاً من زينافيرى سيقلدونا . أرايتم أيّ مصير هم فيه؟» .

هرّت واواي وهي تنهض بعد استلقاء من شدة الإعياء :
- ماذا توقّعت من أفعالنا بالحاضنين والحاضنات ذباباً؟ ماذا كنا نفعل؟ .

«كنا نشأر لأنفسنا من أقدار ظالمة في إقليم زينافيرى» ، ردت شاتار .

«هذا ما حاولنا أن نفعله اليوم أيضاً» ، قالت واواي وهي تُعيّن صاحبتيها الآخرين على النهوض واقفتين .

زارت شاتار مقتربة بوجهها من وجه واواي كأنما ستعضها :
- ظلّمنا أطفالاً ، ياواواي . لذا اتّفقنا أن نتوقف .

هرّت الثلاث الناجيات من غير تعقيب على كلام شاتار ، التي استفسرتهن بنبر عنيف :
- أتولّيتن ضرب الأيدي أنتنّ الست معاً؟ .

«نعم» ، ردت واواي .

«ياللحمافة !!» ، صرخت شاتار . وثبتت هاربة من أشباح تقتحم خيالها بالأسئلة الشفّرات تشرّم أحشاءها . زارت كما لم تزار من قبل . عادت وثباً إلى الفصيل . بادرتهنّ :

- كم سيستغرق استنطاق جلال زينافيرى لصاحباتنا؟
«أظن أن المطاردين من أعوان ماياكي هم في الطريق إلينا» ، ردت إحداهن .

«ماذا ننتظر ، إذا؟» ، صاحت شاتار .

«ننتظر ما تنتظرين» ، ردت التي خمّنت أن المطاردين قادمون .
هبّت شاتار وثباً في اتجاه مسكنها : «احملن ما تستطعن من

المؤن على عجل» ، قالت .

تفرّق فصيل الإناث التريكات ، في لُح ، كل واحدة منهن إلى حُفرتها . دخلنها . خرجن بأجرة ، وجُلود ، قَلِقَاتِ الوَثب ، مستعجلات .

«واواي» ، صاحت شاتار راکضة ببعض أحمالها صوب منزل الأنثى الإنسية : «أصعدي الكثيبَ هناك ، ياواواي . قلبي ينبئني أنهم قادمون» .

صعدت واواي كثيباً هو الأوحـد في القفر المحيط بمـعقلهن ، غير عال . غاصت رجلاها حتى منتصفيّ الساقين في الرمل لما انتصبت فوق قَلْتِه مستطلعةً أفقَ الأرض الشمال . صاحت : «لا أرى أبعد من طيف واحة كيما ، ياشاتار . الريح تطير بالرمل إلى الشرق» . نزلت تضيف صياحاً إلى صياحها :
- ماذا نفعل بهايكاهايكسين ؟

«نأخذها معنا» ، ردت شاتار .

سلكت قافلةُ الإناث التريكات الأرضَ الرمل جنوباً ، مُدّارتَيْن ، ارتجالاً من ضيق الوقت وفزع الحال ، أن يستعدن عن المسالك إلى واحة كيما ، في اتجاه القفر الأبعد وراء أسواق كاتراميل ، بانعطاف من الجنوب إلى الغرب ، حيث توجد واحة صغيرة جداً ، بلا اسم ، قد يعتمدن فيها صيد الأرانب المرقطة بنقاط رمادية وخضر على جلودها العارية من الأوبار ، ريشما يتفكرن في محلٍّ آخر يتخذنه معقلاً لفصيلهن .

سِرْنَ العصر ، فالمغيب ، فالليل كله ، بين وثب طويل ووثب قصير يراعين به حالَ الأنثى الإنسية في مشيها بجراب الثمار ، وقربة الماء ، فيما توزَّعن عنها حملَ الحوض الحجري ، والجلود . في

الفجر استرحن ، بانكشاف الجهات عليهن فارغةً إلا من الريح يثُنُّ الرمل بين أنيابها .

كشفن عن عظام في أجربتهن قضمن بعضها صامتات ، منبطحات على بطونهن كالجراد ، يدور الكلب بينهن حيناً ، ثم يرجع إلى سيدته الأدمية الجالسة ، التي تسَلَّتْ ، في صمت الفصيل الجنيات ، بالرسم في الرمل لأشكال من كائنات نوعها ، متقابلين صَفَيْنِ صغيرين ، بأذرع ممتدة من كل واحد في اتجاه من يقابله ، كأنما هم في جدال ، أو يتبادلون الوعيد .

نهضت شاتار من استلقائها . وثبت إلى حيث الأنثى الإنسية في شغل برسوم خيالها . عاينت الخطوط الأشكال من عليائها ، فرفعت الإنسانة وجهها إلى الجنية . ابتسمت لها لحظةً ، ثم مررت راحة يدها على الرمل فمحت مارسمته .

«مَنْ هَؤُلاءِ ، ياهايكاهيكسين؟» ، ساءلتها شاتار ، واثقةً أن ما من جواب . زارت ، بغتةً ، فانتفض فصيلُ التريكات واقفات على سيقانهن : لقد أبصرتُ شبحاً مختلط الشكل تماوجاً وراء شبكة الرمل المعصوف ، في بُعدِ القَفْرِ الهائل ، قادماً من الجهة الجنوب ، حيث لا يتوقعن مَنْ يلحق بهن من هناك .

«تهيَّآن» ، قالت شاتار لصاحباتها اللواتي انكبن ، من فورهن ، على إخراج عظام أسلحة من الأجرة ، وبعض شباك القنص . هرَّرن متأهبات .

لم يطل الوقت لتتضح هيئة الشبح القادم في وثبٍ متزن ، غير عجول . كانت من إناث الجن الضخام ، يتدلى من كتفها عظم طويل ، معقوفٌ ، مربوط الطرف بشريط جلد يجعله معلقاً إلى منكبها ، فيما الطرف الآخر في يدها كي لا يلتطم بفخذها حين

تثب . وإذ صارت على بُعد قفزات قليلة من فصيل الإناث التريكات ، تمهلت متفحصةً جمعهن بعينيهما المستديرتي الحجرين في وقبيهما . توقفت بإزائهن . هرّت متفاجئة من مرأى الأنثى الإنسية . ساءلتهن بلا تمهيد :

- ما هذا الكائن ؟ .

لم تردّ أيّ من جمّع شاتار على تساؤلها ، ملتزمات تحديقاً صارماً إلى الجنية الضخمة ، التي تملكها حذرٌ من ذلك الصمت .

«لستُ غريبة عن زينايري» ، قالت في تمهيد يُطمئن حذرهنّ منها . «أأنتن من زينايري؟» ، سألتهن ، مبقيةً بصرها على الأنثى الإنسية ، والحيوان الكلبِ يجوب بين الجنيات أليفاً ، أنيساً ، ودوداً .

«نحن من زينايري» ، ردت شاتار . «لم أرك قبلاً» .

هرّت الجنية الضخمة هرباً هادئاً تمهّد به التعريف بنفسها لهن :

- أنا شاتيك ، مطية تايون الزرقاء الصفائر .

غمغمت شاتار في استغراب :

- أأنت مطية زوجة ماياكي ؟ .

«نعم» ، ردت شاتيك .

«لم أرك قبلاً» ، عقبت شاتار .

«لم تدم إقامتي في أرض زينايري وقتاً طويلاً» ، ردت شاتيك .

«أنت لست من زينايري .» ، قالت شاتار .

«لست من زينايري . أنا من قبيلة تُونسو . نجوت بساً .» ،

الأولى وابنها داميكو من غزو قروود هيهمو» ، قالت شاتار .

فقاطعتها غمغماتٌ كُثر تهيباً من ذكر القروود .

اقتربت منها شاتار . سألتها مستوضحة :

- من كانت سيدتك الأولى ؟ .

- أم داميكو .

«شاعر مجّمع الباب؟!» ، تساءلت شاتار ، فردت شاتيك :

- نعم . هو .

بادلت شاتار صاحباتها نظراتٍ مغلقةٍ المعنى . عادت ببصرها ،

من جديد ، إلى شاتيك :

- كيف صرت مطيةً تايّتون ، زوجة ماياكي ؟ .

«بعد موت سيدتي الأولى ، صرتُ في عهدة سيدتي الثانية

تايّتون» ، ردت شاتيك . استرسلت توضيحاً : «أمضيتُ أحد عشر

عاماً في متاهات صحراء راموس ، هرباً بسيدتي وابنها من غزو القروود

لأرض قبيلة تونسو . ماياكي عشر علينا على تخوم إقليم زينافيرى ،

فأسكننا حديقة منزله . تدبّر للشاعر داميكو ، الحاذق في تصانيف

الذباب ، عملاً في القصر . بعد وقت على وفاة سيدتي الأولى ،

وانتقالي إلى عهدة سيدتي الثانية ، توسلتُ عميدَ محاربي زينافيرى

فرصةً للعودة إلى أرض تونسوكي أتفقّد أمرها بعد غزو القروود» .

هرّت الإناث التريكات مراراً في سماعهن الحكاية من فم

شاتيك الضخمة . ساءلتها شاتار :

- ما أخبار قبيلة تونسو بعد الغزو؟ .

«لم أجد ناجياً . لم أقترّب كثيراً من المساكن المقوّضة ،

والمندثرة . رأيت أشباح قروود يهيمو على التخوم كلها . أظنها ستنزح

في اتجاه الشمال» ، قالت شاتيك .

زأر بعضُ الجنيات استفظاعاً ، واستهواً من فكرة أن تنزح

القروود في اتجاه الشمال .

زحفت شاتيك بقدميها على الأرض الرمل ، بلا وثب ،
مقتربة من الأنثى الإنسية . غمغمت :

- بها شبه من قروود هيمهو .

نبح الكلب مرة واحدة ، بنبر قصير من حنجرتة فضولاً . هرول
صوب شاتيك يستقرئ وجودها بيدي خياله ، فتراجعت شاتيك
وثباً إلى الوراء .

«ما هذا الحيوان؟» ، ساءلتهن الجنية الضخمة .

«حيوان» ، ردت شاتار .

«أَجْزُمُ أنكن لا تعرفن نوعه» ، قالت شاتيك محدقة إلى لسان
الكلب متدلياً من فمه اللاهث ، ساكناً قبالتها . نقلت بصرها إلى
الأنثى الإنسية . أضافت : «وأجزم أنكن لا تعرفن مالكائن هذا» .

«هي هايكاهايكسين . هي أنثى» ، قالت شاتار .

«ما هذا الاسم؟» ، تساءلت شاتيك .

«هو اسمها» ، ردت شاتار .

«ما معناه؟» ، تساءلت شاتيك .

«الكائن الناطق بصوت غير مسموع» ، ردت شاتار . «أأنت
على دراية بلغة أهل زينافيرى؟» .

«على دراية ، لكن ليس إلى الحد الذي أعرف ماذا يعنيه

الاسم هايكاس» ، ردت شاتيك .

«هايكاهايكسين» ، قال شاتار مصوبةً لفظ شاتيك .

غمغمت شاتيك تعقياً :

- إنه اسمٌ يشبه اللهات .

«أظنك عائدة إلى منزل سيدتك تايون» ، قالت شاتار .

ببصرها على صاحباتها .

«نعم» ، ردت شاتيك . أتبعَت جوابَها بسؤالٍ : «إلى أين أنتن ذاهبات؟» .

«إلى مجَمَع الذباب» ، ردت شاتار في تورية تفهَمت منها صاحباتها لعباً .

«هل من مجمع ذباب آخر ، في زيناڤيري ، غير الذي في قصر كاشاجو؟» ، تساءلت شاتيك ، فردت شاتار بنبر هازئٍ :
- نعم . مجمع ذباب لا يديره الشعراءُ الجنُّ ، بل كائنات مثل هايكاهايكيكين .

تلقفت شاتيك منطقَ اللعب في ردِّ شاتار . عاينت ببصرها الحيوانَ الكلب ملاطفاً سيدهته الإنسانية لِعَقاً ليديها بلسانه . هرت مستأذنةً مواصلةً مسيرها : «أراكنُ في مدينة زيناڤيري» ، قالت . «اجلبنَ هذه الكائنة معكن . سيكافئكن كاشاجو بسخاء» .
«أليَتخذها شريكةً للاستنسال؟» ، ساءلتها شاتار بنبر خُبثٍ .
«مَن؟» ، تساءلت شاتيك غير متفهمة مقصد شاتار .
«كاشاجو» ، ردت شاتار .

أبدت شاتيك من وجهها استغراباً :
- أنا واثقة أنه سيضمها ، مسروراً ، إلى مخلوقات حقيقته . أمّا أن يتخذها شريكةً للاستنسال فهذا مزاحٌ أقبله منك .
«ماذا لو أعطيناك هذا الحيوان الذي مع هايكاهايكيكين ، لتأخذه إلى حديقة عميد المحاربين ماياكي؟» ، ساءلتها شاتار كأنما تتقصّد أن تُبطئ شاتيك عن المغادرة ، فيما كانت تُلقي ، خلسةً ، على صاحباتها بنظرات فيها إيعازٌ بالاستنفار والتأهب . طوت جذعها حتى قاربت الكلبَ بصدرها . لمست جلده بيدها .
«تعالِي» ، غمغمت تحثُّها على لمس الكلب مثلها .

«أتريديني أن أفعل؟» ، ساءلتها شاتيك ، فردت شاتار :
- لن تُتاح للجن فُرصٌ ، في أعمارهم ، كي يلمسوا حيواناً
كهذا . نعم . تعالي المسية .
تلفتت شاتيك من حولها بقلب أدركه بعضُ الحذر من نبر
الصوت في حنجرة شاتار . غمغمت :
- لي بضغُ سنين وأنا في الفلوات ، والقفار . أحنُّ إلى راحة
في زينافيرى .
استقامت شاتار . غمغمت بدروها :
- حَقُّك أن تستعجلي العودة إلى مسكن سيدتك . ألن
تلمسي هذا الحيوان؟ .
لَبَّت شاتيك الضخمة دعوة شاتار الصادرة عن لسانها بنبر فيه
توسُّل لطيف . طوت نفسها محدِّقة أولاً إلى الأنثى الإنسية
المحتضنة عنق الكلب ، ثم مدت يدها ، في حذرٍ ثقيل ، إلى الوبر
القصير في الجلد المرقط بياضاً وسواداً .
في خفَّة كالومض ضربت شاتار رقبة شاتيك ، المنحنية على
الأنثى الإنسية وكلبها ، بعظم صلب . هرت شاتيك هريراً مختنقاً
من فداحة الضربة الغادرة قبل أن يكبسها بالضرب صاحباتُ شاتار
المتأهبات للبرهة تلك في النداء الصامت لنظرات زعيمتهن ، طوال
محاورتها مطية زوجة ماياكي . ارتفعت أذرعهن ونزلت بالأسلحة
العظام ، القوية ، على رأس شاتيك ، وسط نباح الكلب المضطرب ،
وغمغمات الأنثى الإنسية وهمهمات مضطربة ككلبها ، متباعدة
من ضراوة انقضااض الجنيات التريكات على الجنية الضخمة .
لم تتمكن شاتيك ، في غمرة الكبسة المفاجئة ، من امتداد
سلاحها المعلق إلى منكبها ، لكنها ، في محاولة لدفع المهاجمين ،

عنها ، ركلت ثلاثاً منهن فاردتهن مهشّمتِ الصدور فوق قلوبهن ،
قبل أن تسقط صريعةً .

ما من خاطر آخر عَرَضَ لخيال شاتار حين التقت شاتيك إلاّ
قتلها في ذلك القفر ، تخلّصاً من شاهدة على وجود الأنثى الإنسية
مع فصيلها من التّريكات . ولما انطرحت شاتيك أرضاً ، انبرت هي
وصاحباتها إلى مَعَسٍ كلّ جارحة في جسدها الضخم إمعاناً منهن
في الإجهاز عليها ، حتى رأين ، أخيراً ، خيطين من الغبار يرتقاليّاً
تنزفهما من منخريها الثقبين .

أهالت الإناث التريكات رملاً على جثة شاتيك ، وجثث
صاحباتها الثلاث القتيلات . حملن متاعهن ، وتوزّعن بعض متاع
الأنثى الإنسية عليهن . حدّقن مليّاً إلى عينيها الملتمعتين ترقرق
فيهما ماءٌ من أثرِ البَغْتَةِ في قَتْلهن الأنثى الضخمة .

لم يعتذرن بعيونهن الحجر لعينيها الرطبتين . هَرَرْنَ للريح
امتناناً على ما ستفعله من استعادتها آثارهن إلى ذاكرةٍ رملٍ .

الفصل السابع (زمجرات في القصر)

زأر ماياكي غضباً . صفع الأرضَ في الفناء المحيط ببوابة القصر . أثار غباراً تنشقُّ بقوة . أنشدَ كلمات الوعيد في سجعٍ من لغة زينافيرى :

- لن تنجو شاتار .

راتو ، الذي كلفه ماياكي مع أعوانٍ بملاحقة فصيل الإناث التريكات ، بعد اعتراف أسيرةٍ منهن بالجرأتهن ، عاد بلا أثرٍ منهن في يديه ، أو معرفةٍ إلى أثرٍ لهن في القفار .

وصل إلى معقلهن المهجور . تفقد المساكن الغربية الحُفَر في الرمل لم يزل على مداخلها المائلة بقايا ليفٍ موَّهنها به . حاول استقراء أثرٍ ما ، مع صحبه الحذاق في استراداتٍ من ذاكرة الرمل ، لكن الريح ذات الأمشاط سَرَّحت الأرضَ فسوَّتها ملساء ، أو منطويةً تلافيفَ رملاً تحضن الأثر ثم تلدهُ خالداً مفقوداً .

في انكسار ، بنبرٍ من الصوت مخدولاً ، أطلع راتو سيده على جراب المهمة الفارغ : «قَطْعاً هناك من سبقنا إلى تحذير شاتار من قدومنا إلى معقلها ، ياماياكي» ، برَّر راتو خيبتَه من فشل المداهمة .

«لم يدم استنطاق الجلال رادبور للمعتقلات إلاَّ برهات» ، قال ماياكي مستغرباً رحيل فصيل شاتار عن منازلهن في الوقت الضيق بين القبض على الفاعلات ومداهمة راتو لمعقلهن .

«اعتقلنا ثلاثاً، لكن كم كان عددهن، في الأزقة، ياماياكي؟»،
سأله راتو. «من نجون منهن، يوم المطاردة، اتجهن إلى معقل شاتار
من فورهن»، غمغم راتو. «لا شيء آخر يفسر سرعة إخلائهن
لمنازلهن، والفرار إلى ما لا ندري أين». هز رأسه ببعض التعجب:
«منازلٌ حُفِرَ لا تشبه إلا حفرة مايتا، بواق زينافيرى، لكنها أعمق
بكثير». استدرك: «رأيتُ قشورَ ثمار على باب حفرة».

«أياكلن ثماراً؟»، تساءل ماياكي. ضرب جبينه براحة يده.
هرّ: «أخطر لك، ياراتو، ماخطر لي الآن؟». «تفكرتُ في هايكاهايكسين»، ردّ راتو.
«ذلك هو»، غمغم ماياكي. فحّ فحيحاً طويلاً: «أهن خطفن
هايكاهايكسين؟».

هرّ السامعون من حوله استنكاراً لفعلة شاتار.
جاوزت نينيسو سيدتها شيكتان، مقتربة من عميد المحاربين:
- لماذا يخطفن هايكاهايكسين؟ ماذا يصنعن بها؟.
انبرى راتو مجيباً بنبرٍ دعابة:
- ربما يخططن لبناء حديقة تخصهن.
زأر داميكو منفلاً من بين الجمع بحسرتة الصاعقة المستعادة
بعد إنصات:

- شاتار تتعمّد ابتزازي.
تبادل الجميع نظرات استفسار. كلمته شيكتان:
- لم تبتزك شاتار، ياداميكو؟.
«ساومتني على منحها ذباب استنسال»، ردّ داميكو.
«ساومتك على ماذا؟»، تساءلت شيكتان، فردّ داميكو:
- على ذبابٍ مقابل هايكاهايكسين.

«ما هذا التدبير الفارغ؟» ، قال ماياكي . «أيمنحك ماليس لهن؟
أين كنت ستخبئ هايكاهيكسين إن منحناها لك؟» .
«لم يكن الأمر مفهوماً لي» ، رد داميكو . «لكن إن كن هن من
خطفنها فهذا ابتزاز» .

«ماذا إن أعطيتهن ذباباً ، ياداميكو؟» ، تساءلت شيكتان . «لا
ذكر يرغب فيهن شريكات» .

«ربما سيستنسلن بعضهن من بعض» ، ردّ داميكو .
علت الهرهرات في الحناجر استكراهاً للفكرة الفظة
اللامصدقة .

«أي نسل سيكون نسلهن إن تشاركن في ذلك؟» ، تساءلت
نينيسو .

هرّ راتو مستحضراً ، من جديد ، نبر الدعابة تعليقاً على الموقف
المربك للأسئلة :

- ربما يحصلن على نسل من نوع هايكاهيكسين .
«لا نسل لأنثى من الجن مع أنثى» ، هرّ سانيارى . صاح من
موضعه بين الجمع : «الأمر خدعة . هنّ لم يخطفن هايكاهيكسين .
هايكاهيكسين تسترشد بهنّ إلى غيبتهن» .

«ماذا تفعل في زينافيرى ، ياسانيارى؟» ، صرخ به ريكما .
«خذ عتاهتك ، وبلاهتك ، إلى إقليم آخر» .

«هايكاهيكسين ستحتجب» ، غمغم سانيارى في يقين ،
وإصرار واضحين من نبر صوته الخفيض . «هي أيضاً ستتبعني» .
دار داميكو حول نفسه : «سأفعل شيئاً» ، قال كالمحرّض خياله .
«عليّ أن أفعل شيئاً» .

«لوعته تعضه من جديد» ، علقت نينيسو على حال داميكو .

اقتربت شيكتان من الشاعر مواسيةً :
 - ألم تملّ رؤية هايكا هيكسين في حديقة القصر؟ كدت تُقيم
 في الحديقة لا في جناح مجمع الذباب .
 صفع داميكو الأرض . استنشَقَ غباراً . وضع راحة يده اليسرى
 على عينيه يحجبهما . هرَّ بنبرٍ تهديد :
 - ويلٌ للذباب . ويلٌ للمجمّع .
 «ماذا الآن؟» ، تساءل ليكمورا ، أمين خزائن العظام في
 القصر ، وهو يتبع ببصره الشاعر منصرفاً وثباً كالومض . «سيغضب
 كاشاجو حين يعرف باختفاء هايكا هيكسين» .
 دنت شيكتان من ليكمورا جرّاً بقدميهما في الأرض الرمل بلا
 وثب . سألتُهُ سؤالاً باغته قليلاً :
 - أضحك أن بعض الصيادين يتغافلون عن دفع الإتاوة للقصر
 عن عظام قنائصهم؟
 حدّق إليها ليكمورا المغطى الرأس بخمارٍ جلد ، متفحصاً
 سؤالها برهةً ، قبل أن يُجيب :
 - ليس في علمي شيء من هذا ، ياشيكتان . لم أسمع بصياد
 تخلف ، قط ، عن دفع ما يتوجب عليه للقصر .
 هرّ ماياكي بنبرٍ كأنّ لم يستسغ من شيكتان أن تسأل ليكمورا
 عن تصاريّف شؤونه كأمين على خزائن العظام في القصر . عاد
 بالمحاورّة إلى أصل الأسباب ، التي جمعتهم في الفناء أمام البوابة :
 «أنصرفُ النظرَ ، مؤقتاً ، عن ملاحقة شاتار ، ياميلدان؟» ، سأل أحدَ
 أسياد فرق المحاربين .
 «لا أظنها غبية لنعود ، بعد افتتاح أمرها ، إلى إثارة شغب .
 لكنّ فلنبقَ حذرين» ، ردّ ميلدان .

وثب ماياكي متطياً ظهرَ راتو . «رومسو أوبا . ستفقدان معي الحصونَ الرمال شرقاً» ، قال بإشارة إلى سيدين من أسياذ فرق المحاربين . «سنمكت أياًماً هناك» . حدّق إلى شيكتان : «عسى أن يكون كاشاجو أنهى خلوته حين نرجع» .

«متى تفقّدت الحصونَ الرمال ، آخر مرة ، ياماياكي؟» ، ساءلته شيكتان متصنّعةً ، باستدارة إلى مدخل البوابة ، أنها ستنصرف ، فردّ ماياكي :

- لا أخبرك ، عادةً ، حين أتفقّد الحصون ، ياشيكتان .

«لماذا لا يتفقدها أماروك ، أمين سر كاشاجو في شؤون

الحصون؟» ، ساءلته شيكتان .

نزل ماياكي عن ظهر مطيته راتو بزفير انتفخ منه الجلد حول منخريه الثقبين . غمغم : «اسمعي ، ياشيكتان ، أماروك ، كغيره من أمناء أسرار كاشاجو ، الذين لا يتولون بأنفسهم الإشرافَ على الشؤون بتفاصيلها في زينايفري . يأتيهم محصلو الأخبار ، ومنقّذو التدابير ، ومتفقّدو تخوم الإقليم وحدوده ، بسجلاتهم المحفوظة - كلٌّ يحفظها في ذاكرته . أمناء الأسرار يستخلصون منها ، بحسب اختصاصهم ، أحكاماً ودروساً ، وتقديرات ، وتوصيات ، إلى كاشاجو ، كلما سُئلوا عن أحوال الحصون ، وخزائن العظام ، وتجارة القصر ، والأعياد وما يتصل بها ، والمناسبات غير المتفق عليها أعياداً مؤكّدة مفروضة» ، قال ماياكي في نفس لم يقطعهُ . استرسل : «ها أنا ذاهبٌ لأتفقّد الحصون ، وسأتي أماروكُ بتقديرات في أحوالها يرفعها إلى كاشاجو» .

«لماذا لا ترفع تقديراتك إلى كاشاجو بنفسك ، ياماياكي؟» ،

ساءلته شيكتان ، فردّ عميد المحاربين :

- أسئلتك كثر هذا اليوم ، يا شيكتان . اجمعوها . أضيفي إليها ، واحملها إلى كاشاجو حين يُنهي عزله .

هرّت نينيسو تلفت نظراً سيدتها إلى وجوب اكتفائها بذلك القدر من محاورة ماياكي ، مذ أحست نفاذ صبر في زفيره .

هرّ ريكما أيضاً في اقترابه من عميد المحاربين . كلمه :

- بي رغبة في مواكبك إلى الحصون الرمال .

«إبقِ أمام ركن كاشاجو . عليه أن يكتفي بهذا القدر من

خلوته» ، قال ماياكي . وثب ممتطياً ظهر راتو من جديد .

عاد ريكما إلى داخل القصر وثباً قصيراً ، هيناً ، من وراء أمه ، على بُعد منها ، متجهةً إلى جمْع من الإناث اللواتي يُستأجرْنَ للاستئسال ، وهنّ يتبادلن جدالاً ذا نبر محتدم ، قرب الأدرج إلى جناحهن في الطبقة العليا من القصر البناء من جماجم الحيوان .

«ماذا يجري؟» ، سألتهنّ شيكتان .

«بعض الإناث هنا لا يلتزمْنَ حصصهن ، فيقبلن عروضَ

الذكور الطالبين استئسالاً على حساب غيرهن» ، قالت إحدى اللواتي ترجع أثمان استئجارهن إلى خزنة القصر عظماً .

هنّ يقبلن الذكور ، الذين لا يحظون بإناث في زينا فيري ،

شركاء في الاستئسال مداورة كل في دورها ، لبحسب ما يرغب

الذكر أن يختار منهن شريكة لوقت محدد ، مقداره بلوغ وليدهما

الخروج تاماً من الكرة الحجر الحاضنة . لكل واحدة دور في

الترتيب : ذلك هو نظام الخدمة في الجناح ، بتوافق يلتزمه من غير

إشراف أحد .

كان واضحاً أن عدداً منهن خالف ذلك الالتزام ، فقبلن

مشاركة ذكور اختاروهن بإهمال التراتب الحسابي دورياً . جدالهن ،

ذلك اليوم ، أخرج الخلاف غير المعهود إلى علن في القصر ، فأغلظَ بعضهن لبعض في التوبيخ ، والاستنكار ، وتهذُّد بعضهن البعض بالثأر .

شيكتان استغربت تلك الحال . «ماذا يجري؟» - كان ذلك سؤالها واقفةً إلى جوار مطيتها قُبالة الإناث المؤجرات .
«تُروكي ، لِيُناُنِدا ، بُوس ، لا يلتزم الحصص المخصصة لهن في التناوب على قبول الذكور الطالبين . يأخذن حصصَ غيرهن في الدَّور المتعاقب» ، قالت إحدى المستأجرات .
«أين الاتفاق بينكن ، إذا؟» ، ساءلتها شيكتان ، فردت تلك المتحدثة :

- اسألِيهِنَّ .

وثب ريكما وثبتين قصيرتين أوصلتاه إلى جوار أمه . شاركنهن المحاورة :

- مَنْ لا تلتزم بالنظام تُصَرَّف مطرودةً .
«ذلك ما يهدِّدُننا به» ، عقَّبت إحدى المستأجرات . «هؤلاء المتملَّصات من حقِّ الدور المتعاقب يتمنين أن يُصَرَّفْنَ من الخدمة في القصر» .

همَّ ريكما بالتعليق فاستوقفته أمه :

- دُعِ شُؤُونُ الإناث لِلإناث .

«هذا شأن يخص القصر» ، قال ابنها .

«أنا أنثى ، وأنا من القصر» ، قالت شيكتان .

حدق إليها ريكما مستشعراً فظاظةً في نبرِ لسانها . غمغم :

- أنا من القصر أيضاً .

«لستَ أنثى» ، قالت شيكتان في تعليقٍ لا منفذ إلى فهمه ،

فرد ريكما بتهكم لا منفذ إلى فهمه :

- أنا أنثى أيضاً إن أردتُ ، ياشيكتان .

تجاهلته أمه . عادت ببصرها إلى الإناث المؤجّرات . ساءلتهنّ :

- من منكن الثلاث اللواتي لا يلتزمن النظام الدّوريّ؟ .

خرجت ثلاث من بين الجمع وثباً رشيقاً ، خفيفاً ، مرتفعاً وقصيراً في الآن ذاته ، كأنهن في رقص .

«أتفتعلن ، حقاً ، الخروج على النظام الدوري في الحصص كي تُصرفن من الخدمة في القصر؟» ، سألتهن شيكتان .

«ليس ذلك تحديداً» ، قالت إحدى المتمرّدات على الحصص الدورية . «نحن مرغوبات أكثر من غيرنا» .

«ذلك لا يجعلكن استثناءاً» ، علّقت شيكتان .

«إن نكن مرغوبات من الطالبين أكثر من غيرنا ، فنحن استثناء» ، ياشيكتان ، ردّت الأنثى المؤجّرة .

«ماذا لو طُردتن من الخدمة في القصر؟» ، تساءلت شيكتان ، فردّ ريكما مقتحماً سؤالها :

- سيعملن شريكاتٍ للذكور الطالبين استئناساً على حسابهن .

«ماذا؟» ، همهمت نينيسو مستهجنةً أن يلجأن إلى ذلك .

«هذا ، تحديداً ، ما تهددنا به هؤلاء الثلاث . إمّا أن يَكُنَّ استثناءً فيحصلن على حصص من صاحباتهن ، أو يدفعن بالقصر إلى طردهن فيعملن ، في زينا فيري ، لحسابهن» ، أكدت إحدى المؤجّرات الحانقات عليهن .

قرّبت شيكتان وجهها من وجه إحدى المتمرّدات على نظام الحصص الدّورية . ساءلتها بنبرٍ فيه وعيدٌ مُضمّر :

- أحقاً تفكرن بالعمل لحسابكن في زيناڤيري؟ .
«ولمَ لا؟» ، تساءلت المتمرّدة .

«أتقولين : لمَ لا؟» ، صرخت شيكتان باستفطاع لردّ المتمرّدة .
«منذ متى تعرض إناث ، في زيناڤيري ، أنفسهن للدُّكور الطالبين
استنسلاً ، خارج جناح القصر؟ أم أنتن تمهّدن لخروج من يشاء من
إناث زيناڤيري إلى الأزقة يعملن لحسابهن؟» . طوت نفسها .
صفعت الأرض الرمل غضباً وتنشقت الغبار . همهمت : «أأنتن من
طلّاع ماشڤير الأعمى؟» . التفتت إلى مطيتها نينيسو هاتفةً بها :
«أحضري أعواناً محاربين يأخذون هؤلاء المتمرّدات إلى المنفى . هن
لسن أفضل من أطفال زيناڤيري الجناة» .

غمغمت نينيسو متردّدة . تنبّهت شيكتان إلى تردّدها :
- مابك ، يانينيسو؟ أحضري بعض المحاربين .

أمسك ريكما بعصا نينيسو يستوقفها : «لاتذهبي» ، قال .
«كاشاجو هو الذي سيقدر ماذا يفعل هؤلاء الإناث إن ظلّن على
تمردهن» . حدّق إلى الثلاث المؤجّرات منفصلات مقدار وثبة عن
صاحباتهن الحانقات عليهن : «ستجلبن على أنفسكن ما لن
تحتملنه» . أشار عليهن برأسه أمراً : «عُدنّ إلى النظام في الحصص
الدورية كالآخرات . هيّوا ، اصعدنّ الدرج إلى جناحكن قبل فوات
الأوان» .

أمسكت شيكتان بمعصم ابنها تنزع يده عن عضد مطيتها :
«دع نينيسو» ، قالت في هدير . زفرت من أعماقها : «ماذا تفعل هنا ،
ياريكما؟ ألسن محارباً؟ عُدي إلى المحاربين» .
سحب ريكما يده من قبضة أمه . زأر فالتفتت إليه أبصار كثيرة
من أبهاء القصر :

- عودي أنت إلى زائراتك من نساء الأسياد . لست كاشاجو .
 لهث قلب شيكتان من نبر الزفير في فم ابنها . تداركت
 ارتباطها فأومأت للإناث المؤجّرات جميعاً : «عُدْنَ إلى جناحكن» ،
 قالت . لبثت برهة ترقبهن منصرفات وثباً موزوناً على الأدراج إلى
 الطبقة العليا ، في صمت . غمغمت : «سأكلمك ، ياريكما ،
 منفرداً» .

ابتعدت مطيتها نينيسو ، ومطية ابنها زيديكا ، عنهما تاركين
 الأم وريكما في خلوة .
 مشت شيكتان بابنها وثباً متمادي القصر ، تكاد كتفها تلاصق
 كتفه :

- لماذا تكلمني هكذا أمام الإناث المؤجّرات؟
 «لِمَ تتصرفين هكذا ، ياشيكتان؟» ، ردّ ريكما .
 «كيف تصرّفت؟» ، ساءلته شيكتان .
 «تستبقيين خروج كاشاجو من عزلته» ، ردّ ابنها .
 «طبعك الغاضب ، ياريكما ، يُريك كل شيء مبالغاً فيه» ،
 عقبت شيكتان على ملاحظة ابنها . توقفت : «كاشاجو في عزلته
 منذ وقت» ، حدّقت إليه : «القصر ليس فارغاً إن غاب كاشاجو» .
 «كاشاجو وراء تلك الستارة المسدلة على باب ركنه» ، قال
 ريكما . «لو كان يسمع لتناثرت رملاً من هبوب صرخته» .
 «لو كان يسمع ماذا؟» ، ساءلته شيكتان .
 «جدالك مع ماياكي ، وحكمك على الإناث المؤجّرات» ، رد
 ريكما .

«يُغضبُك كلُّ أحدٍ في القصر إلا ماياكي» ، عقبت شيكتان
 على النبر التقدير في ذكر ابنها اسم عميد المحاربين .

«قويٌّ مدبّرٌ» ، ردَّ ابنها . «ماياكي بلا أهواء كالتي أراها في عيون أسياذ الفرق» .

«هكذا إذا!!» ، علّقت شيكتان على تقريرها لعميد المحاربين . «ربما لا ترى الكثير» ، غمغمت بنبرٍ فيه تلميح لم يفهمه ريكما . ساءلها :

- ما الذي لأراه؟ .

«كل أحد في القصر لديه أهواء ، حتى مطيتي نينيسو» ، قالت شيكتان .

«ما الأهواء الخفية في قلب نينيسو؟» ، سأل ماياكي أمه .

«الوفاء الكبير» ، ردت شيكتان .

«ما الذي يجعل الوفاء هوىً يُحذَر؟» ، سأل ريكما أمه .

«الوفاء بلا حدود ، يجعل من صاحبه شديد الرقة إزاء من يدين له بالوفاء ، فإن مُسَّ في مشاعره سهواً ، أو عمداً من هو وفيُّ له انقلب مجروحاً بلا حدود» ، قالت شيكتان . أضافت :
«المجروحون في مشاعرهم يثارون ثأراً عنيفاً قاتلاً» .

«أأسأت سهواً ، أو عمداً ، إلى نينيسو؟» ، ساءلها ابنها .

«ليس بعد» ، ردت شيكتان . تأملت ابنها :

- أأسأت إليك ، ياريكما؟ .

تأملها ابنها بدوره صامتاً . نقل بصره على أبهاء القصر ، والعاشرين منها وإليها فرادى ، أو ثللاً ؛ والواقفين زُمراً في أحاديثهم الخفيضة كأنهم يتجنبون إحداث ثلم في خلوة سلطان زينافيري الأصمِّ وعزلته الحجرية . غمغم من غير كلمات . هرَّ هريراً خافتاً .
مديداً .

«لم تجبني» ، قالت شيكتان .

«عم؟» ، تساءل ريكما متجاهلاً ماسألته .

«متى ستتولى مقام عميد المحاربين؟» ، سألته أمه .

فتح ريكما مستغرباً سؤالها :

- لدينا عميد للمحاربين . ما تلميحك هذا؟ .

«ألم تتصاغريدا ماياكي قليلاً؟» ، تساءلت شيكتان .

«يداه فتيتان» ، ردَّ ريكما .

تجاهلت أمه رده . غمغمت :

- فكرر بالأمر .

«لن أفكر بالأمر . التفكير في هذا يخص كاشاجو» ، رد

ريكما . هرّ : «لماذا طلبتني في خلوة؟ لا أراك تعرضين عليّ ما

يستوجب اختلاء منك بي» .

رجعت شيكتان إلى سؤال لم يُجب عليه ابنتها :

- بِمَ أسأتُ إليك؟ .

«لم أَرِ احتجاجاً منك على اتخاذ كاشاجو لسلوك شريكة» ،

قال ريكما .

«هكذا إذا!!» ، غمغمت شيكتان . «ماذا كان علي أن

أفعل؟» .

«لا أعرف . لكن لم ألحظ رداً منك عليه» ، قال ريكما .

«لماذا لم تعارض ، ياريكما؟ كانت سوك ملكٌ رغبتك» ، قالت

أمه . أردفت : «تعال» .

وثبت شيكتان وثباً قصيراً ، رزناً ، في اتجاه ركن زوجها المُسدل

الستارة الجلد على مدخله . جاورت المدخل إلى الركن متصنّعةً

تنصّتاً إلى زوجها :

- ما الذي يدور في خلد كاشاجو الآن؟ .

لم يردّ ريكما ، مبقياً بصره على أمه التي أجابت هي عن سؤالها :

- لا تعرف . لا أعرف . ربما يتهياً لشريكة جديدة .

غمغم ريكما مشيحاً بصره عن أمه إلى أرجاء القصر الشاسع يدخله زائرون من غير داع ، أو يزور زائرون زائرين مثلهم ، على اجتماع في الأحاديث يقرضونها أحياناً في وثبهم ، ووقوفهم .

«أترين ، ياشيكتان ، أنهم يكثرون هذه الأيام» . قال ريكما لأمه في إشارة إلى الجموع الصغيرة ، والفلول متفرقين على الأبهاء . «ليس عليك أن تسألني ماذا يدور في خاطر كاشاجو ، بل في خواطر هؤلاء عن كاشاجو» . هرّ هريراً عالياً .

«لن يسمعك كاشاجو» ، قالت شيكتان تعقياً على هرير ابنها المتصنّع عالياً . أدارت بصرها على الجن في القصر . «لفتت الأنظار إليك» .

«هم يرصدوننا كلّ برهة . عيونهم لا تفارقنا ، ياشيكتان ، منذ اعتزال كاشاجو . كان فيها فضولٌ ، والآن لأرى ذلك الفضول ، بل أرى قلقاً ، وبعضَ الهواجس أيضاً» . قرّب أذنه من الستارة على مدخل ركن أبيه : «لماذا أطلّ عزلته؟» . تساءل بنبرٍ متوجّس . «هو في رؤيا» ، قالت شيكتان .

«ما الرؤيا الطويلة هذه؟» ، تساءل ريكما ، فردّت أمه :

- يداعب طيفٌ سوّك .

هرّ ريكما محدّقاً إلى أمه في تبرّم من وقفته معها أمام مدخل ركن أبيه . مدّ يده في حذر إلى الستارة . لمسها لمساً خفيفاً بأطراف أنامله ، فاحتوت أمه معصمه بيدها تستوقفه :

- ماذا تفعل ؟ .

«لا شيء . أتحسّس هذه الستارة» ، ردّ ريكما .
بلَغَتْهُمَا ، بغتةً ، صوتُ المنجّمة بونيا الطويلة ، قادمةٌ وثراً
عجولاً يرافقها خاميدس . عاجلتها بسؤال :
- أكاشاجو يعتزم الخروج من عُزلته ، ياشيكتان؟ أم
يكلمكما؟ .

التفتت شيكتان إلى بونيا مستثقلةً مدهمتها خلوتها بابنها .
ردّت : «ليس بعد» ، بنبرٍ كأنما تصرفها ، فلم تلجم بونيا استعجالها :
«لديّ ما أعرضه» .

قاطها خاميدس بلسانه نيابةً عن لسانها :
- لدى بونيا ما تعرضه على كاشاجو . لا أوافقها .
هرّت بونيا من كلمات خاميدس الذي بدا كمن يعفي نفسه
من تورّط لا يريده .

«أرايتما كاشاجو خارجاً من ركنه؟» ، سأل ريكما المنجمين
لَفَتاً لنظريهما إلى أن أباه على حاله من الاعتزال بعدُ .
«ظنّاه يحدثكما» ، قالت بونيا بصوتها النّقر من لسانها على
سقف فمها .

قربت شيكتان وجهها من وجه بونيا :
- ما الذي يستعجلك إلى لقاء كاشاجو؟ .
في غمغماتٍ متداخلةٍ انضم مايشا وأمه وصاحبته ، وسانياري
وزوجته هِستار إلى شيكتان ومن معها ، قادمينَ كأنهم كانوا في
محاورة مع المنجّمة قبل إسراعها إلى شيكتان وابنها . كانت
الكلمات تتدحرج ، طوال الوثب ، من فم مايشا تحديداً :
- لا تدّعي كاشاجو يصغي إلى هذيان بونيا ، ياشيكتان .
«ما الذي يجري؟» ، تساءل ريكما مستاءً من الجمع تحلّق عليه

وعلى أمه أمام مدخل ركن أبيه . برز العملاق ليلوت ، مطية
كاشاجو الحديد مستغرباً اللغظ بدوره . بادل ريكما نظرات استياء
مثله : «ماذا يجري؟» ، تساءل ذو الصوت العميق كرعذ في كهف .
أضاف : «هل أبعدهم ، ياريكما؟» .

«سأرى ما عند بونيا ، ياليلوت» ، ردت شيكتان عليه قبل
ابنها ، محدقة إلى وجه المنجمة .

غمغمت بونيا ترتب خواطرها في سياق واضح ، مترددة قليلاً :
- أفضل لو كشفت لكاشاجو ماعندي ، أولاً . أخشى أن
تُستثاري مما سأقوله ، ياشيكتان .

«جربيني . سألجم نفسي» ، قالت شيكتان .
«لن تحتلمي ما ستقوله بونيا» ، قال مايشا محتتماً .
«وماذا جاء بكما ، يامايشا ، وسانياري؟» ، سأل ريكما الجنين
في فحيح .

احتدّمت شيكتان . هرّت :
- ألن نسمع ماعند بونيا؟ تكلمي ، يابونيا .
زفرت بونيا فانتفخ الجلد حول منخريها الثقبين . استهلت
فكرتها الصفعة :

- تخامرني شكوك حول الفردوس الشمس .
«ماذا؟» ، تساءلت شيكتان وابنها بنبر واحد .
«من رتب سياق إيماننا بذهاب أرواح الجن ، في «النسيان
الأعظم» ، إلى الصميم النار ، والمخاطبات بألسنة لهب؟» ، تساءلت
بونيا .

«إنها تهين النسيان الأعظم» ، غمغم سانياري في إشارة إلى
الموت .

«لا أهين شيئاً» ، قالت بونيا في حزم . «ما علاقة «النسيان الأعظم» بما أعتقده الآن من رحلة أرواح الجن؟ «النسيان الأعظم» ، حاضنة كالكرة الحاجر الحاضن ذباب المستنسلين ، لا غير» .
«ما فكرتُك ، حقاً ، يا بونيا؟ أسمعيني شيئاً أفهمه» ، قالت شيكتان . أدارت وجهها على سانياري ، ومايشا مهددةً :
«لا تقاطعها» .

«بونيا تثير الهلع» ، قالت هستار زوجة سانياري .
فحّت بونيا في وجه هستار :
- الهلع هو الذي يصنع ذاكرة الجن .
«الهلع ممّ؟» ، تساءلت هستار ، فردت بونيا :
- الهلع من أن يخرج الجن من مساكنهم ، ذات يوم ، فلا يجدوا أنفسهم في زينايري .
- فحّت هستار في استهزاء :
- ألدَى أحد منكم هلعٌ كهذا؟ .
«لن تكمل بونيا فكرتها وهؤلاء هنا» ، غمغم ريكما مقرباً رأسه من رأس أمه .

«ليلوت» ، نادى شيكتان مطية زوجها العملاق .
هرّ ليلوت ملبياً :
- أنا هنا .

أدارت شيكتان بصرها على سانياري وزوجته ، ومايشا ، في تهديد واضح بتكليف العملاق أن يطردهم . أعادت بصرها إلى بونيا تحثها على الكلام في صمت .
«كلُّ جنّي سيأخذ كوكباً ، أو نجماً ، أو نيزكاً ، أو مجرة تخصُّ روحه وحدها . ستكون لأرواحنا خاصيّة المعدن الذي هو

معدن الكواكب ، والنجوم ، اللواتي تستقرُّ عليها . ستكون أرواحنا
لهباً في النجوم اللهب ؛ جليداً في الكواكب الجليد ؛ رياحاً في
المجراتِ الرياح ؛ رملاً في النيازك الرمل . فردوس الجن الأوحـد ، بعد
عبور «النسيان الأعظم» ، هو ما سيصـيرونه لغةٌ من لغة معادن
الكواكب ، وعناصر نشأة النجوم» ، قالت بونيا .

هرهر ريكما بنبر متحير :

- تجعلين الحياة حفرة بين أقدام العابرين ، يابونيا .

«لم أفهم» ، غمغمت بونيا . «ما شأن الحياة بما بعد النسيان
الأعظم؟» .

«كل حفرة في أرض الجن تقابلها حفرة في سمائهم» ، قال
ريكما . «أليس كذلك؟» .

«أنت تدور بي ، ياريكما ، في وثب يقلب خيالي رأساً على
عقب» ، ردت بونيا . «الحياة ليست إلا ماهي هنا . ليست حفرة .
ليست كثيباً . لا تُعامل سوى أنها أقلُّ أو أكثر» .

«أقلُّ من ماذا؟ أكثر من ماذا؟» ، تساءل مايشا غمغمة لم
يستطع لجمها .

«لا أعرف» ، ردت بونيا .

تقاطر جنٌ كثر من الحاضرين في أبهاء القصر إلى المجتمعين
أمام ركن كاشاجو . خرج همسهم عن حدوده إلى أصوات واضحة :
«هل أنهى كاشاجو عزلته؟» . «ما الأحكام التي عاد بها إلينا؟» .
كانت التساؤلات تغدو ، رويداً ، رويداً ، أجوبة يقينية عن وجود
سلطان زينافيرى محاطاً بحشد يحجبه ، حتى إن بعضهم سأل
بعضهم : «أترون كاشاجو؟» ، فردوا : «نكاد نراه» .

زارت شيكتان مستاءة من ذلك التهافت على ركن زوجها .

صاحت : « لا تلتموا علينا . تفرّقوا » . ثم أردفت صيحتها بنداء إلى العملاق : « ليلوت . قفْ على مدخل ركن كاشاجو » ، مذ استشعرت أن بعض المتقاطرين قد يندفعون داخلين على سلطان زينافيرى ، من تراحمهم .

سدَّ العملاق ليلوت مدخل ركن السلطان بجسده الضخم ، ملتصق الظهر بالستارة المسدلة .
هرَّ ريكما متذمراً :

- جمعت علينا الكثيرين ، يابونيا .
« لا شأن لي في اجتماعهم عليكم . هم يريدون كاشاجو » ،
ردت بونيا .

التفت ريكما إلى خاميدس :
- قلت في قدومك أن لدى بونيا خواطراً لا توافقها . أين خواطرها؟ لم أفهم شيئاً .
« أنا لذيّ رؤى تُفهم ، ياريكما » ، قال سانيارى مقتحماً سؤال ابن سلطان زينافيرى .

هاج ريكما . عوى أولاً قبل أن ينطق برّمه :
- أعفونا من خواطركم ، ورؤاكم .
« فليقلْ سانيارى مالمديه » ، غمغمت بونيا .
التقط سانيارى دعوة بونيا . تكلم على عجل :
- في غيبتى كانت الأجساد مجنّحة . كان الجن في حروب لتثبيت الأمكنة تمهيداً لظهور أسيادهم المحتجبين . كل قبيلة في الأعالي تنتظر سيّدها . الحروب ، في غيبتى ، لم تكن على أرض الجن ، بل في سماء أقاليم الجن . كانت الأسلحة العظام ، والأسلحة الحجر ، والقرب المليئات رملاً تتساقط من الأعالي ،

والقتلى تتذرى جثثهم معادن لا نعرفها في زينا فيري .

«أكان كل ذلك في غيبتك ، ياسانياري؟ ماذا في ظهورك؟» ،
سأله خاميدس مستهزئاً ، فبادلته سانياري استهزاءً :

- ماذا تتمنى أن تكون لو لم تكن منجماً؟ .

«أن أكون النسيانَ الأعظم» ، ردَّ خاميدس .

«لو سألتني ، ياسانياري ، ماذا أتمنى أن أكون ، لقلتُ أن أكون
الزمن» ، قالت بونيا . أردفت : «الزمن أكثر قوة من النسيان
الأعظم» .

«لا هذا ، لا ذاك ، أقوى من ظهوري هنا ، الآن» ، قالت
هستار . «ظهوري يعني أنني موجودة في رؤيا كل جنبي» .

«ماذا لو كفَّ الجن عن رؤاهم؟ أكنتِ اختفيتِ؟» ، سألهما
مايشا .

«سأبتعد من هنا» ، قال ريكما . «أو سأقتل أحداً» . زأَرَ .

«كلُّكم يريدو ماشفير ، أو تبشُّرونَ به» .

صمت الحشد أجمعين . تلاصق البعض محدقاً إلى ريكما
في اتهامه الموزَّع ربحاً عليهم .

لم يبدُ حرجٌ على ريكما في ما قال . صاح :

- كاشاجولن يخرج من عزلته اليوم . انصَرِفوا .

غمغم الحشد . ظلوا في أمكنتهم .

اقتربت شيكتان من خاميدس . سألته في إلهاءٍ للحشد عن
تهمة ابنها لهم :

- أظنُّكَ قابلتَ ماشفير .

«نعم» ، ردَّ خاميدس . «مرة واحدة» .

«كيف هو؟» ، سألته شيكتان .

«أعمى ، في راحتي يديه ثقبان لا يقدرُ على حُصن ذبابة فيهما» ، ردَّ خاميدس .

«أيعرف الجن جميعاً ، في زينافيرى ، مذهبَ ماشفير؟» ، سألتَه شيكتان .

«لا أعرف» ، ردَّ خاميدس .

«ماذا تعرف من مذهبه؟» ، سألتَه شيكتان ، فردَّ كبير

المنجمين :

- يدَّعي أنَّ المكانَ الخطأَ صالحٌ لما يُراد منه أن يكون ، والمكانُ الصوابُ هو الأصلح لإقامة إله خطأ . ويزعم أن كل الأمكنة صوابٌ إذا خَلَّتْ ، أو كانت مهجورة . قلتُ له : اذهب وحدك إلى القفار المهجورة ، فردَّ أنه لن يترك الأمكنة في شقاء الخطأ ؛ سيحررها من عبوديتها بإعادتها مهجورة . وأنه لن يترك الجن في شقاء وجودهم مجموعات ؛ سيحررهم بالعزلة فرادى في القفر . ويزعم ، أيضاً ، أنَّ الرمل معذبٌ في إقليم زينافيرى ، وكذلك الريح معذبة .

«أكان يزعم ماشفير كلَّ هذا وهو بين يديك ، ياخاميدس؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ كبير المنجمين :

- كان بين يدي كاشاجو .

«كيف نجا ماشفير من كاشاجو إذا؟» ، تساءل ريكما .

«خَالَه كاشاجو معتوهاً مُدَّ تعودنا قليلاً ، في زينافيرى ، على معْطوهِين مثل سانباري ، وهستار ، ومايشا» ، ردَّ خاميدس .

فحَّ مايشا مستهجنًا :

- لن أقودَ منجمينَ إلى أبي .

«لن تقود أحداً إلى أبيك» ، قال سانباري . «ستمضي وحيداً» . التفت إلى أم مايشا في صباغ وجهها الأسود : «متى

ستقتلينه؟» . قَرَّبَ وجهه من الأنثى الأخرى التي مع مايشا : «أم أنت ستقتلينه في الطريق إلى أبيه؟» .

حدّثت أم مايشا إلى سانباري ، مسترسلة في همهماتِ الغناء الخافت ، فأضاف سانباري سؤالاً إلى سابقه :

- ألم تسأمي المشي وراء ابنك؟ أنت تكذبن عليه .
هرّ مايشا غاضباً :

- سأخفيك في غيبةٍ لا ظهورَ لك بعدها ، قبل الذهاب إلى أبي .

«اهدأ ، يامايشا» ، قال سانباري بصوت ودود . «أنت قوي . أنت مؤمن أنك قويٌّ بأبيك . لكل قوي حلقةٌ من المقرّبين يكذبوا عليه . مهمتهم أن يكذبوا ليحفظوه متّزناً حتى حلول لحظة انهياره . إن لم يكذبوا عليه يكونوا منافقين» . قَرَّبَ وجهه من مايشا يسدّد إلى قلبه آخر كلماته : «الكذبُ عَظْمَةُ القوة» .

«ما عَظْمَةُ الضعف ، ياسانباري؟» ، ساءله خاميدس ، فردّ سانباري :

- هذه الأنثى الأخرى ، التي مع مايشا .
«أتعني هذه التي بلا نَسَب؟» ، ساءله خاميدس ، فردّ سانباري :

- نعم . هي التي أعني . ألا يدّعي مايشا أنها المشيئةُ ؟ .
زاحم ريكما كلا من مايشا وسانباري بكتفيه يفصلهما الواحد عن الآخر . توسّطهما :

- على كاشاجو ، بعد الخروج من عزلته ، أن يجعل على بوابة القصر حرساً لا يسمحون بدخول من يشاء . هذا القصر لم يعد قصرَ حاكم ، بل باتَ متنزّهاً للبطالين بثراتهم .

«هذه بعض مهمة القصر ، ياريكما» ، قالت أمه . «فليشرثا الجوارح
هنا كيفما شاؤوا ، لا في ساحات زينافيرى» . التفتت إلي
خاميدس . سألته : «لا أرى لك أشغالا كثيرة . تبدو خاملا» .

هرّ خاميدس بنبر اعتراض على وصمه بالخامل :
- أنا منكبٌ على البحث في سيرة الخطأ : كيف بدأ ، وترعرع ،
واسئلهم ، وأعتنق ، وفرض كنظام .
«هذا كثير» ، عقبت شيكتان .

«لدي أكثر» ، قال خاميدس . «أرتب البراهين على أن خداع
النفس ضرورة لتجاوز المأزق» .

«هذا علم يعرف أصوله كل جنّي» ، قال مايشا . «لكن فسّر لي
معنى اعتزال كاشاجو كل هذا الوقت» .

«العزلة تصحيح للعدالة المتهاونة في توزيع النور على
الأفلاك» ، ردّ خاميدس .

«أهذه حقيقة تجرّها جرّا لتجلس إلى جوارك في المعبد ،
ياخاميدس؟» ، ساءله مايشا .

«يرضىني أن تجلس الحقيقة ، أبداً ، إلى جوارى» ، ردّ
خاميدس .

«كيفما كانت؟» ، ساءله مايشا .

«أنا أقبل الحقيقة إلى جوارى كيفما كانت» ، قال سانيارى
واثباً بلسانه إلى حديثهما .

«حتى لو كانت هزيلة ، ياسانيارى؟» ، ساءله مايشا ، فردّ
سانيارى :

- لا حقيقة هزيلة إن كانت قادرة على صناعة الشك .

«أقترح» ، إذا ، ترتيب كون الجن على سِت زوايا» ، قال مايشا .

«ما معنى ذلك؟» ، ساءله سانيارى .

دفع ريكما سانيارى ، ومايشا ، يديه كُلاً إلى جنب فأسقطهما فوق بعض المحتشدين من حوله وأمه . «أنتم شؤم» ، قال ، غير مكثف بالإشارة إليهما بعينيه ، بل عبر ببصره على خاميدس ، وبونيا ، وهستار أيضاً . نضنض بلسانه خارج فمه : «أستطيع أن أتذوق الشؤم في هذه الأبهاء كما يتذوق كاشاجو الكلمات» . اقترب من كبير المنجمين . ساءله مستذكراً برهة ماضية لم يتم إنصاجها بتساؤلاته :

- أخبرتنا ، ياخاميدس ، أنك حاورت ماشفير بين يدي كاشاجو؟ .

«نعم» ، ردّ خاميدس .

«وأن كاشاجو تركه طليقاً؟» ، تساءل ريكما .

«نعم . تركه طليقاً» ، ردّ خاميدس .

«لماذا؟» ، تساءل ريكما ، فردّ كبير المنجمين :

- لاعتقاد كاشاجو أن ماشفير معتوه .

«مثل من؟» ، تساءل ريكما .

«مثل سانيارى ، ومايشا» ، رد خاميدس .

زأر ريكما :

- إلى متى ننتظر كي نعرف أن مايشا ، وسانيارى ، ليسا معتوهين ، بل كل منهما هو ماشفير أيضاً؟ .

هرّ مايشا ، وسانيارى ، من نفس القلق مسّ قلبيهما . هرّت شيكتان . استدارت بونيا إلى حلقة الجن تكاثفت من حولهم : «سأرجع إلى المعبد» ، قالت .

غمغم مايشا :

- أستركين بونيا مسترسلة في إشهار معتقدها الجديد ،
يا شيكتان ؟ .

«أهو مُعتقَدُ بِحقِّ؟» ، تساءلت شيكتان . حدّقت إلى
خاميدس : «إن كانت رؤيا بونيا عن فردوس جديد للجن معتقداً
تُشهره ، فماذا يترتب على ذلك؟» .

«لا أوافقها» ، كرّر خاميدس تنصّله من مزاعم بونيا .
«لا توافقها . لكن ماذا يترتب على بونيا من ذلك؟» ، كرّرت
شيكتان تساؤلها .

«أن لا تداعب طيفَ الذئب الأبيض بعد الآن . أن لا
تستشرف رؤيا . أن لا تستنزل على نفسها حلمًا تصنعه» ، قال مايشا
مستبقاً أيّ رد من كبير المنجمين .

شدّ ريكما أمه من ذراعها : «كاشاجو لا يسمع هذا الصنخب .
لكن لم يعد الهواء كافياً ليتنفّسه . لقد استنفد هذا الحشدُ الهواء من
قُبالة ركنه» ، قال . وثب مصطدماً ببعض الجن ابتعاداً بأمه عن ركن
أبيه . هتف بصوت عالٍ : «إن اقترب أحد منك ، ياليلوت ، اقتله» .

زأر ليلوت العمّلاق في وقفته أمام مدخل ركن سلطان
زينافيري بنبر وعيد ، فتفرّق المحتشدون وثباً متردداً ، بأسئلتهم ذاتها
في الأفواه يتبادلونها عن عزلة كاشاجو التي طالّت ، وعن أحوال
القصر في غيابه الصامت الصاحب .

تكاثرت الأسئلة . تلاطمَ الهمسُ عزيماً موصولاً بعزيف الريح
تنفذ من البوابة ، ومن الفتحات في جدران القصر إلى أبهائه . ستة
عشر يوماً ، منذ ذلك الاحتشاد أمام ركن كاشاجو ، تبادلَ أسياد
الفرق الإقامة في القصر مع أعوان محاربين ، يعيّنون شيكتان على
تصريف الشؤون الصغار ، بعيونٍ على الستارة التي تخفي سلطان

زينافيري ، المقتدر في تصريف الشؤون الكبار .

عينا ريكما كانتا ، أيضاً ، على ركن أبيه ، في قلقه المتدرج ، وعلى أمه في انتقالها بين أبهاء القصر ، محاطة ، أبداً ، ببعض نساء الأسياد وبناتهم .

واضحاً كان اشتغال شيكتان ، بتصميم هادئ ، على تدبير المقاصد للمقاصدين ، فلا يغادرها واحد من أمناء أسرار كاشاجو المقتدرين إلا ويحضر آخر تستلهمه شيكتان تقدير الأحوال ، وإبرام الأحكام . وكمثل الحركة في اجتماع الأنفار بالأنفار ، داخل أبهاء القصر ، والثلل بالثلل ، ترويحاً للشروح والتأويل في احتجاب كاشاجو ، كانت حركة نينيسو ذهاباً وإياباً بين سيدتها ، وبين المدينة ، يرافقها العملاق ليلوت .

«أتمهد شيكتان القصر ، بهذا التثبيت لاقتدارها على تصريف الشؤون ، لحيء ماشفير؟» ، ساءل ريكما مطيته زديكا بنبر خلط من الجد والهزل ، في رقابته لسلوك أمه ومطيتها ستة عشر يوماً بعد خلوتهما المنتهكة أمام ركن أبيه .

«أهذه رؤيا ، أم لك عينا ريح؟» ، رد زديكا بتساؤل .

هر ريكما . حدق إلى مطيته :

- لم تزل ، بالطبع ، جسّاس شيكتان عليّ . هي تثق بك في هذا ، يازديكا .

«لم أزل» ، أكّد زديكا بصوتٍ مترددٍ النبر «لكنها لم تعد تسألني عن خفاياك» .

«ما تثقها هذه بك ، إذأ؟» ، تساءل ريكما ، فردّ زديكا :

- ثقة مقلقة .

«ماذا تعني؟» ، ساءله ريكما ، فردّ زديكا بنبرٍ متأناً :

- أتعذرُني إن صارحتك ، ياريكما ؟ .

« صارحني » ، ردَّ ريكما . « سأصغي إليك » .

« ربما صرفتُ شيكتان قلبها عن الظنون فيك » ، قال زديكا .

« أصارت تثق بي ؟ » ، تساءل ريكما باستخفاف .

« خُذ الأمر على هذا النحو ، ياريكما » ، قال زديكا متمهلاً

في كلماته . « ربما لم تعد شيكتان متوجسة منك مذ هي متيقنة من

استمالة الكثير من الأسياد » .

هرَّ ريكما كأثما نخزته الفكرة . تساءل :

- بِمَ تَعِدُهُم لتستميلهم ؟ .

« تَعِدُ نساءهم ربما . لا أعرف ، ياريكما . انظر من حولك إلى

نساء الأسياد لا يخلو تجوال شيكتان في موضع من القصر ، أو خارج

القصر ، منهن ، ومن بناتهن » ، قال زديكا . أضاف : « ألا ترى

نينيسو داخلة على أمين خزائن القصر ، خارجة من عنده ؟ » .

« أراها » ، هرَّ ريكما .

« ماذا تظنها تفعل ، ياريكما ؟ » ، تساءل زديكا . « تخرج بجلود

ملونة ، وشرائط من جلود فهود البوابات الرمال ، وأجربة صغار لا

أعرف ماذا فيها . هي توزع هدايا شيكتان على نساء الأسياد » .

« أرى ذلك » ، غمغم ريكما متصنعاً دهاءً .

« هل استشارت شيكتان في تناوب الأسياد على الإقامة في

القصر ؟ » ، سأل زديكا سيده .

نُحِزَ ريكما مرةً ثانية في موضعٍ ما من قلبه . هرَّ متجنباً أن

يحكم عليه خياله بالغفلة . استظهر تبريراً :

- كاشاجو أطلَّ عزلته ، والأسياد حريصون على الهدوء في

القصر .

«لكن شيكتان هي التي تبذلُ الأحكام ، وتصرفُ الشؤون ، وهم يتغاضون» ، قال زيديكا .

اهتز ريكما في وقفته . غمغمَ بنبرٍ عجلةٍ :

- يكفي . سأفتحُ خلوةَ كاشاجو .

لم يقتحم ريكما خلوة أبيه . ماياكي عاد ذلك اليوم إلى القصر مع صاحبيه رومسو ، وأوُّبا ، السيدين من أسياد الفرق ، بعد تفقدِّهم بعضاً من الحصون الرمال . دخل القصر وثباً يجاوره راتو ، وأعوان محاربون ، متجهاً إلى البهو الأعظم . توسَّطَ البهو بهرير فيه نبرُ الاستفسار ، فتقاطر عليه أمناء أسرار كاشاجو ومعاونوهم . بادروهم من فوره ، وهو يدور بعينيه على أرجاء القصر مزدحماً بالجماعات الصغار المتهامة :

- أين كاشاجو؟ .

أشار أمناء أسرار كاشاجو برؤوسهم إلى ركن السلطان المسدل الستارة على مدخله .

هرَّ ماياكي هريراً خافتاً ، مديداً ، مرفقاً بإشارات التساؤل والاستغراب من يديه ، ومن التفاتاته ، فهرع إليه ريكما وثباً عالياً ، كالعارف تماماً ما الذي أثارَ حيرة عميد المحاربين . هتفَ :

- لم يخرج من عزلته بعدُ ، ياماياكي .

فحَّ ماياكي من رثيته اللتين ضاقتا عتياً :

- أين شيكتان؟

«ليست في القصر» ، ردَّ ريكما .

«لم يحدث هذا قبلاً . لم يختلِ كاشاجو بنفسه طويلاً كخلوته

هذه» ، غمغم ماياكي . أردفَ : «هل حاولت شيكتان الدخول على كاشاجو؟» .

«لا»، رد ريكما .

نادى ماياكي مطيته :

- راتو . أريد أسياد الفرق ، جميعاً ، في الساحة قرب الإله
كوياسي . فلينفخ مايتا في بوقه مرة واحدة .

«ما المُقلق ، ياماياكي؟» ، ساءله دايجيك ، أمين سر تجارة
القصر مع القوافل .

«وجدنا نفقاً تحت أحد الحصون الشرق» . رد ماياكي . وثب
وثباً قصيراً ، متمهلاً ، في اتجاه ركن سلطان زينافيرى . وقف على
بعد أشبار قليلة من الستارة الجلد ترتعش أحياناً من نفَس الريح
الحرّة في دخول القصر من حيث شاءت . مدّ ذراعهُ الطويلة
فلامسها بأطراف أنامله . أدار وجهه على الجماعات الصغار في
الأيهاء باتوا يتوافدون صوبه ، في أمل منهم أن يحظوا بما يلجم
تمادي حيرتهم ، ويكبحوا اقتحام الظنون عقولهم بمخالبها خَمْشاً .
قَرَّب ماياكي رأسه من الستارة . وضع أذنه عليها برهةً قَطَعَهَا
صوتُ شيكتان قادمةً وثباً عجولاً :

- ماذا تفعل ، ياماياكي؟ .

«سأخرج كاشاجو من عزلته» ، ردّ ماياكي من غير أن يلتفت
إليها .

قَرَّب ريكما نفسَه من ماياكي مغمغماً :

- دَعْنِي أدخل معك عليه .

«لا أحد يدخل على كاشاجو في عزلته» ، صاحت شيكتان .

فحَّ ماياكي ، مستديراً بعينيه إلى شيكتان ، فحيح الوعيد .
ضمَّ طرف الستارة بِجُمُوع يده اليمنى فأزاحها . وثبَّ داخلًا ، فوثبَ
ريكما يتبعه .

توقف ماياكي على بُعد وثبة من كاشاجو ، المنتصب في النور
المغبرّ يتخلّل الفراغات بين الجدران الجماجم . لم تُخطئ عيناه في
استقراء الجلد المنكمش على عضل ذراعي سلطان زينافيرى ،
الملتفت نصف التفاتة إلى الوراء بالقناع من صورة سوّك على وجهه .
« كاشاجو » ، غمغم ريكما رافعاً يده كأنما يلفت بصر أبيه إليه
ليخاطبه ، فأمسك ماياكي بيده . أنزلها . مشى زحفاً بقدميه في
الأرض الرمل . هرّ هريراً متقطعاً ، مصحوباً بزفير التوجّس .
« لن يرضى كاشاجو عن هذا ، ياماياكي » ، قالت شيكتان
واقفةً على مدخل الركن .

لم يعرّها ماياكي التفاتاً . استمرّ في مشيه الرّحف بقدميه .
قارب كاشاجو عن كُتب . خمدَ خريه .
« كلّمه » ، قال ريكما .

نفخ ماياكي زفيراً خشناً من حنجرتّه وهو يتقرى ببصره الجفاف
الرماديّ ازداد دكنةً في جلد عنق سلطان زينافيرى ، وفي كل موضع
آخر يُرى من جسده في الثوب الذي بلا كمين . أنزل بصره إلى
يديه المتصلبتيّ الأصابع منعقفةً كأنما تهّم بالقبض على شيء ما .
زأر زئير الفجيعة .

اختلطت السماء بالأرض في زينافيرى . زحف الخبرُ عليها
بأقدام الريح ، بلا نوحٍ مُذ الجن لا ينوحون ؛ بلا تدبيرٍ للأحزان
تقاليدٌ مُذ الجن يكتفون بالغناء الخفيض إناثاً وذكوراً . ماياكي لم
يتباطأ ريثماً تكتمل دورة البلاغ بموت كاشاجو على أركان الإقليم ،
بل أجرى مراسم ترتيب الحقيقة الثانية لجسد كاشاجو باتفاق مع
شيكتان ، وريكما ، وأسياد الفرق : أوكل رادبور بسلخ جلده في أناةٍ
إذ بات شديد اللصوق بلحمه اللّيف المنكمش . نُشرَ الجلدُ على

حبل في مدخل القصر ليجف . حُمِلَ اللحمُ إلى طيور لاكيلا ،
وعُلِّقَت العظام - كلُّ عظمة بخيطٍ جلد إلى جانب من ركنه
المهجور .

ماياكي - الذي أوعز ، منذ وصوله من تفقُّد الحصون الرمال ،
باجتماع الأسياد في ساحة الإله كوياسي ، كي يتأولوا معاً عثورَ
الراصدينَ على نفق تحت حصن في الشمال - صار في همٍّ آخر
يتداوله معهم : معضلة شغور القصر من سلطان .

انتقل تدبير الاجتماع ، في اليوم التالي على توزيع جسد
كاشاجو أقاليم ثلاثة كحاصل المصائر في أجساد الجن بعد الموت ،
إلى البهو الأعظم في القصر ، بحضور أسياد الفرق جميعاً ، وعميد
المحاربين ، والغطاريف الأقوياء ، والمنجمين الأربعة ، وأمناء أسرار
كاشاجو ، وزوجة السلطان ، وابنه . نشروا حرساً من حولهم يحجبون
حلقتهم عن كل متطفل ، أو مسترقٍ عليهم سمعاً ، ثم سدّد كلُّ
خياله تسديد المعقول على المعقول في شأن من يرث كاشاجو على
التصريف والأحكام .

لم يكن الأمر ، على أية حال ، ليخرج عن التزام المجتمعين
بإناطة القوة ، والسيادة ، في القصر إلى أهل القصر ، وقد رأوا أن
يستتبّ التقديرُ على قبول جامع ، سلس ، هيِّن ، في تحصيل الولاء
والطاعة .

خاميدس ، كبير المنجمين ، تولى استهلالَ العبور إلى المخاطبات
بالسنة الأحكام الكبائر : «عاد كاشاجو إلى ركنه الآخر في النسيان
الأعظم . شعبه الآخر معه - شعب الشمس . الأقاليمُ الكُثر
الأخرياتُ معه - أقاليم اللهب السيارة في أرجاء كون الجن . ستة
جلود طباقاً على جسده هناك . طبقاتُ لحمٍ فوق طبقات لحم تحت

جلوده الستة . عظام تحت اللحم تُغلف عظاماً ستّ طبقات . هادئ لا يتفكر في شيء . رزين كالفراغ» ، قال خاميدس . أدار وجهه إلى ريكما ابن سلطان زينايري : «نسله هنا» . نقل بصره إلى شيكتان : «حافضة عهدا بشراكة في نسله هي هنا» . صمت برهة في العزيف الملجوم للريح لم تكمل هبوبها العاصف من البوابة إلى البهو الأعظم ، بل تشعبت جداول على المخارج الثغرات في جدران القصر .

غمغم ميلدان ، سيد إحدى الفرق السبع عشرة :

- أودعت الريح وريثها في القصر .

تحركت ضفائر أهل الحلقة باهتزاز خفيف . تحرك لسان

خاميدس من جديد :

- أنبئت ، البارحة ، أن قاطني المساكن ، إلى الشرق من

المعبد ، عثروا على طائر لا كيلا متجولاً في زقاق هناك . لم يعهد

أحد ، في زينايري ، هبوط طيور لا كيلا من الهضبة إلى الأرض

الرمال .

هرهت حناجر الواقفين تعجباً .

«ماذا فعلوا به؟» ، تساءل نوكاك ، سيد إحدى الفرق .

«لم يزل هناك . لم يمسه أحد» ، رد خاميدس .

«كيف يتجول الطائر الأعمى؟» ، تساءل نوكاك .

«مَحَجَّرَا عَيْنَيْهِ فارغان ، لكنَّ فيهما ريحاً» ، ردت بونيا بصوتها

النَّقر من لسانها على سقف فمها .

هرَّ نوكاك مُذ فاته تأويل المعنى في كلمات المنجمة الجاحظة

العينين الحجر البنيتين .

«الآن نعهد إلى شيكتان إعلان اسم وارث القصر» ، قال

خاميدس محدداً مجرى المعنى من وقوفهم في البهو الأعظم .

غمغمت شيكتان بلا كلمات . أدارت وجهها على أسياد
الفرق قبل أن تستقر ببصرها على ماياكي :
- أمهلوني ريثما يهدأ قلبي .
«ماذا؟» ، غمغم ريكما مستنكراً ذلك التأجيل في إعلانه
وريثاً .

نظرت شيكتان إلى ابنها نظرة التأكيد على التأجيل ، باطمئنان
من قلبها إلى أن الأسياد الذين استمالتهم بزوجاتهم ، لن يعترضوا
إلاً ماياكي الذي أبدى تساؤلاً بصوت خفيض :
- إلى متى؟ .

«إلى أن يهدأ قلبي» ، كررت شيكتان وصف التبرير في دواعي
التأجيل .

«فليهدأ قلبك قريباً ، ياشيكتان» ، قال ماياكي . هرّ كأما يعود
بخياله إلى استفسارٍ أجّله . سأل الأسياد : «ماذا عن النفق تحت
أحد الحصون؟» .

قاطعته ريكما مستشعراً حيلةً من أمه في تأجيلها تورثه :

- فلينتظر النفق ، ياماياكي . ماذا عني؟ .

«ماذا عنك؟» ، تساءل ماياكي .

«لِمَ هذا التأجيل في إعلاني وريثاً؟» ، ردّ ماياكي .

نظر ماياكي إلى شيكتان :

- قلب شيكتان سيهدأ ، ياريكما . حين يهدأ قلبها سيبدأ

صخب قلبك .

«قلبه هادئ» ، ردّ ريكما . «هادئ كإقليم زينافيرى الهادئ» .

جال ببصره على المنجمين ، أولاً ، فالأسياد : «فليُحَسَم الأمرُ
الآن» .

«سُحسَم حين يصير لك نسل ، ياريكما» ، قالت شيكتان .
فوجئ ريكما بالشرط أضافته أمه إلى شرطها الأول ، وهي
تومئ برأسها للأسياد استجلاً لموافقتهم ، فوافقوها بهز رؤوسهم .
وثب ريكما ليصير قبالة عميد المحاربين :
- أتؤيد شيكتان ، أنت أيضاً ، ياماياكي ؟ .

ظلّ مايياكي على صمته . أدار وجهه على الأسياد في الحلقة
متردداً في أن يعارض موافقتهم على شرط شيكتان ، أم يضمّ
موافقته إليهم أيضاً . هراً . حدّق إلى المنجمة بونيا :
- ماذا ترين في نزول طائر لاكيلا إلى أزقة زينايفري ، يابونيا ؟ .
«سأتيك بجواب إذا اتجه الطائر ، في تجواله ، إلى المعبد أو إلى
تمثال الإله كوياسي» ، ردت بونيا .

«ماذا إن اتجه إلى القصر؟» ، تساءل نيدج ، أحد أسياد الفرق .
«سيصير من مخلوقات حديقة القصر إلى جوار طيور كارنا» ،
ردت بونيا .

زأر ريكما زئيراً مكتوماً من حنقه على المحاورات التي لا تعنيه :
- ماذا عني ؟ .
تقدم ليلوت العملاق من الحلقة بغتة ، في وثب بطيء
كالزحف . تساءل مستبقاً أن يرد أحد على ريكما :
- ماذا عني ؟ .

نظرت شيكتان إلى سيد ليلوت الأول دارديك ، الذي أهدى
المطية إلى كاشاجو . ساءلته :
- ماذا عن ليلوت يادارديك ؟ .

«فليعد إليّ» ، رد دارديك سيد إحدى الفرق .
هراً ليلوت ، الذي لم تتدبّر له المصادفة أن يمتطيه سلطان

زينافيري . أدار بصره إلى نينيسو الواقفة على بُعد وثبتين من حلقة
المجتمعين إلى جوار بعض الأعوان الحرس . رفع صوته لتسمعه مطية
شيكتان :

- أتقبلين بي ، يانينيسو ، شريكاً في ذبابة استنسال ؟ .
هرّت نينيسو متفاجئة . وجهت بصرها تلقاءً إلى سيدتها
شيكتان . ردّت ردّها كأنما تلقنته :

- سأفكر بالأمر حين يهدأ قلب شيكتان .
صفع ريكما الأرض براحة يده . أثار غباراً تنشقّه في هياج :
- ربما سيكون شرط نينيسو الثاني هو أن تنتظر ردّها ، ياليلوت ،
إلى حين خروج وليدي من الكرة الحجر الحاضنة .
«ولم لا؟» ، تساءلت شيكتان . «سيخرج الزمنُ ناضجاً لك في
القصر كوليدك ، أنثد ، ياريكما» .

في نبر خيبة ، فحّ ليلوت متراجعاً عن حلقة الأسياد . لكنّ
ريكما ألحف ، ثانيةً ، على ماياكي بسؤاله الذي تجاهله عميد
المحاربين قبلاً :

- أنؤيد شيكتان ، ياماياكي ؟ .
«تدبّر لك شريكة ، ياريكما» ، ردّ ماياكي بنبر هادئ .
«استنسل . سينصت القصر إلى لسان كاشاجو في فمك ،
وسينصت إلى لسانك في فم وليدك» . استعاد تساؤله الذي لم
يحظّ بإتمام تداوله بين الأسياد : «مالنفق ذاك ، تحت الحصن؟» .

«كيف كان؟ كيف عثرتم عليه؟» ، ساءله ميهانيس ، سيد
إحدى الفرق .

«حصل انهدام» ، ردّ رومسو ، الذي رافق عميد المحاربين في
تفقد الحصون الرمال . «انهدم النفق . انهدم جزء من الحصن فوقه .

<https://facebook.com/groups/abuab/>

كان آخر النفق ينتهي أسفل الحصن ، أما امتداده في الفيافي ، من حيث جاء ، فلا نعرف .

«زعمَ رادبور الجلال ، مراراً ، أنه استنشق من ذاكرات من استنطقهم ، من أتباع ماشفير ، رؤى أنفاقاً لم يتعدّها حصولاً على سرّ منهم . لا رادبور ، لا المنجمون ، تأوّلوا معنى لتلك الصور الرؤى» ، قال ماياكي .

«هل النفق ، تحت الحصن ، من صنّع ماشفير؟» ، تساءل ميهانيس باستنتاج حذر .

فحّ أوبا ، الذي رافق بدوره ماياكي في تفقّد الحصون : «لامعنى لذلك» ، قال . «ماشفير أعمى» .

«الأعمى لايهمه النفق المظلم لأنه أعمى . لكن ماذا عن أتباعه؟ أصيّرهم ماشفير عمياناً يقودهم في أنفاق؟» ، تساءل ميلدان سيد إحدى الفرق .

«ما حاجة ماشفير إلى نفق إن كان من صنّعه؟» ، تساءل ميهانيس .

«لربما يريد أن يفاجئ زينافير من تحت رمالها» ، علّق لالاك سيد إحدى الفرق .

زمجر ريكما ياساً من حسم إعلانه وريثاً تلك الساعة . وثب إلى ظهر مطيته زيديكا على نحو لايفعله داخل القصر ، هاتفاً : «سأتي بشريكة» ، قال بصوت فيه نبر الوعيد . لكز مطيته خارجاً من القصر على عجل ، تاركاً عميد المحاربين وأسياد الفرق في تأويلهم لمعاني نفق تحت أحد الحصون . «خذني إلى القرى غرباً ، يازيديكا» .

في الطريق إلى ضواحي مدينة زينافير غرباً ، أوعز ريكما إلى

زيدىكا أن يبطئ وثبه . جمعت الريحُ في عصفها العزيف على
خياله رملَ الرية كثيباً . باح لمطيته بمشاغل قلبه :
- ماذا حدث لكاشاجو؟ .

«ربما هي الحسرة على سوك ساقته إلى النسيان الأعظم» ، ردَّ
زيدىكا الطويل الساعدين بإفراط .
هرَّ ريكما غير مقتنع :

- هذا من تصاميم الحيل .
«من تصاميم الحيل؟» ، تساءل زيدىكا . «ماذا تعني؟» .
«تنبئني الرية أن لشيكتان يداً في ماجرى لكاشاجو» ، قال
ريكما .

غمغم زيدىكا بنبر حيرة :
- ألا تبالغ في ربتك ، ياريكما؟ .
«رأيت بعينيك ، يازيدىكا ، ما فعلته شيكتان ونينيسو بسوك
ومطيتها» ، قال ريكما . زار زئيراً خافتاً : «لم لم تدخل شيكتان على
كاشاجو في خلوته حين أطل ، فاستكثر بعزلته الهمس في القصر
بين الجن؟» . شدَّ ضفائر مطيته فأوقفه عن وثبه القصير الهادئ :
«ماذا عن تأجيل التوريت؟ هذا من تصاميم الحيل في عقل
شيكتان» . زفر زفيراً انتفخ منه الجلدُ حول ثقبى منخريره : «عليَّ أن
أستميل ماياكي» .

عبر زيدىكا براكبه ثلاث قرى ذوات ساحات دائرية تحفُّ بها
المنازل ، متوجّهاً إلى الرابعة ، الصغيرة ببيوتها الغائرات أنصافها في
الأرض الرمل . وقف جنُّ في الدرب ، أمام أبواب مساكنهم ،
يستعرضون الراكب ومطيته . حام أطفال حولهما . هرَّوا ، وعووا ،
وزمجروا لاهين . هرَّ زيدىكا . عوى ، وزمجر مُدعياً ، قبل أن يُشيرَ

ريكما عليه بالانعطاف إلى سور رمل يفصل المسكن الذي يحيط به عن بيوت القرية . دخل ريكما بمطيته من البوابة الوسيعة . تلقَّفه صوتٌ من تحت سقيفة من الجلد مرفوعة أمام باب المسكن على أربعة أعمدة .

«ريكما» ، نادته فتاةٌ مرَّحبةٌ تثب قادمة بفتى من خلفها .
نزل ريكما عن ظهر مطيته . ردَّد اسمَ الأنثى القادمة صوبه :
«أَسْمَا . لِمَ لا تزورين القصر؟» .

توقفت الفتاة قبالة ريكما ومطيته . ردَّت :
- زرتُ القصرَ مرَّةً ، حين وُزِّعَ جسدُ سوَّك جلدًا ، ولحمًا ، وعظامًا .

غمغم زيديكا مستفسراً ، ببصره على أَسْمَا يتفحَّصها :
- كم تشبه سوَّك .
«يُدُّ أنثى واحدة ، ويد ذكر واحد ، ، حضنتا ذبابة استنسال سوَّك ، وأَسْمَا ، ، ردَّ ريكما . نظر إلى الفتى الذي جاور الفتاة :
- متى ستنضم إلى المحاربين ، ياديكتو؟ .
«سننضم معاً ، ديكتو وأنا ، إلى فرقة نوكاك السيد» ، ردت أَسْمَا .

«لِمَ لا تنضمين إليَّ؟» ، ساءلها ريكما .
هرَّت أَسْمَا هريراً خفيضاً :
- أصرتَ سيدَ فرقة ؟ .
«بل سيد الفرق كلها» ، رد ريكما ، أضاف : «قريباً» . رنَّت الكلمةُ مع زفيرٍ أطلقه . دار ببصره على الساحة : «أين كُومات؟ أين كالُونكي؟» .
كان واضحاً أن ريكما يستفسر أختَ سوَّك عن أبيها ، وأمها ،

محدّقاً إليها بعينيّ الرغبة الصريحة في انضمامها إليه .
«هُما في صيد» ، ردت أسما ، مستشعرة في نبر صوت ريكما
عَرَضاً .

«سأخذك إلى القصر . شاركييني نسلي ، يا أسما» ، قال ريكما
مُلَقياً عَرَضَهُ مكشوفاً على قلب الفتاة ، وخیالها .

في أناةٍ تخيّرٍ شاعرٍ مجمّع الذباب داميكو ذبابة ذهبية لريكما
وأسما . وفي أناةٍ أنجزت الرسامة أردو نحتاً نافراً لوجه الفتاة على
لوح علّقه ريكما إلى جوار لوح آخر عليه رسمٌ سوّك ، في ركن أبيه
الذي اتخذهُ مُقاماً ، وأسكنَ الفتاةَ ركنَهُ هو إلى يمين ركنه الجديد .

انتقلت الذبابة الذهبية ، بعد حَضْنٍ معلوم في راحتي يدي
ريكما ، وأسما ، إلى كرةٍ حجرٍ سُدَّ ثقبُها ، وأُرْكِنَتْ ناحيةً من مُقام
ريكما الثنية العميقة في الجدار الشمال للقصر .

مراراً تهيأ لريكما ، في وقوفه داخل ركنه يستنزل حلماً على
خیاله من صناعته ، كفعل الجن بصناعة أحلامهم عمداً دقيقاً ، أن
الذبابة تُريه نفسَهَا في الكيان الصلب الحجري ؛ تكلمه ؛ ترشق
خیاله بصورةٍ نحتٍ من حجرٍ أسود للجنين المنتظر . وكلّما همّ ريكما
في إمعانٍ النظر إلى النحت أهو لجنين أنثى ، أم لجنين ذكر ،
حجبت الذبابةُ نفسَهَا ، وتلاشى النحت المحفور متذرياً رملاً أسود
في عبور الريح من بوابة القصر إلى أبهائه ، فالأركان الثنايا في
الجدران .

شيكتان ، أيضاً ، كانت تستنزل على خیالها حلماً تتصنّع
تفاصيله من نسجٍ رغائبها ، في مُقامها إلى يسار ركن ابنها ريكما ،
مدى أيام من استقرار ذبابته في الكرة الحجر الحاضنة ، وتسرد
حُلُمها - حلم الجن الذين لا ينامون على مطيتها نينيسو : «كلما

أُقصيتُ صورة ريكما عن اجتماع الأسياد ، في الحلم ، ظهرت صورة
سوك على ظهر مطيتها ناكولي . فإن لم تظهر صورتها ظهر الأسياد
مبتلين يقطرون ماءً في البهو الأعظم .

«استبدلي حلمك هذا بغيره . اصنعيه مرغوباً ، لامقلقاً ،
يا شيكتان» ، عقبت نينيسو . «بل الأفضل أن تتوقفي عن صناعة
أي حلم» .

كان الحلم المحكم الذي لا يتصنعه خيال شيكتان ، يجري في
واقع القصر تديره هي رينما يُنضجُ الزمن نسلَ ابنها في الكرة الحجر
بحسب اقتراحها في تأجيل التوريث . لم تكن في حاجة إلى
استئزال حلم ، عن سابق تصوّر بتفصيله ، على خيالها : الأسيادُ
يُلبّونها إن دعتهُم . تستشير ماياكي في تصريف الأمور وتشير عليه
بالتصريف . تستعلم من أمناء أسرار كاشاجو وقائع تجارة القصر مع
القبائل ، وتحصيل الإتاوات من العظام للخزائن ، ومُنعة الحصون
الرمال ، وبأس المحاربين في أهبتهم الدائمة . أمّا المنجمون فكانوا
رهن إشارتها تستقدمهم إلى القصر في تأويل حركات الريح هبوباً
إلى أبهاء القصر ، وفي اتجاهات خروج الجراد من فراغات الجدران
بعد دخوله ، وتأويل عصف الذباب وخمود حشوده ؛ أو تزورهم في
المعبد آناء ظهور طيف الذئب الأبيض عليهم فيداعبونه متوهّمين
مستوهمين لا يرى ذلك الطيف سواهم .

لكن قلب شيكتان لم يكن كواقع القصر في اقتدارها الظاهر
على إدارته بسلطانها إدارة هادئة . كان قلبها يتمرد على اطمئنان
بصرها في النظر إلى شؤون إقليم زينافيرى من حولها ، منكمشاً من
فكرة أن ينجز الوقت لابنها خروج وليده من الكرة الحجر الحاضن .
ربما لاشيء سيوقف ريكما ، آنثذ ، من استرداد ماهولهُ موروثاً من

أبيه ، ولن تستطيع هي اعتراض الأعراف ، والتأجيل عليها بشروط الحيل .

«كم تبقى لوليد ريكما من وقت لتُنَجِّبَه الصخرَةُ؟» ، سألت شيكتان مطيتها نينيسو في خلوة جَرَيَا فيها وثباً رقيقاً في مسالك حديقة القصر ، بين أقفاص فهود البوابات الرمال .
«لا أعدُّ الأيام» ، ردَّت نينيسو .

توقفت شيكتان ، في تجوالها ، أمام المسكن المحراب ، أقيم لسُكنَى الأنثى الإنسية لصقَ جدار . نظرت إليه خالياً مهجوراً على حساله لم يُمسَّ ، أو يُهدم ، أو يُسكن : «أيُّ نسلٍ كانت هايكاهيكسين؟» ، تساءلت . «أيُّ حجر حواها جنيناً؟» . حدقت إلى نينيسو . همست : «التقطي ذبابةً وضيعة» .

اختلست نينيسو براحة يدها ، خطفاً سريعاً كَرَشَق ضفادع واحة كيما الحشرات بالسنتها ، ذبابةً من الجو . قَرَّبَت يدها المضمومة من أذنها تتسمَّع الطنينَ الحانق . تساءلت :
- ماذا أفعل بها ، ياشيكتان ؟ .

كحال يدها الشديدة السرعة في خطف الذبابة من الجو كانت حال نينيسو ، في وقت من عصر ذلك اليوم ، وهي تتسلل في خلصة من سهو الأعين عنها ، إلى ركن ريكما ، بعدما تصنَّعت دخولاً إلى ركن سيدتها شيكتان برهةً ، تستطلع من مدخله أبهاء القصر ، وتجوُّال الجن فيه ، على قُرب أو بعد . هرعت إلى الكرة الحجر . نزعت سداة الجلد عن ثقبها فأودعتها الذبابة العادية ، الوضيعة النَّسَب ، وسدَّت الثقب . خرجت بعد تفحص ، بانعطافٍ إلى ركن شيكتان من جديد . أعادت ، من مدخل مُقام سيدتها ، استقراء أعين العابرين لتطمئن إلى أنها لم تُلَحَظ ، فاطمأنت .

سريعاً ، قبل نضوج الوقت المعلوم لولادات الجن بالأيام عداداً ،
انفلقت الكرة الحجر عن جنين ريكما ، وأسما ، مسخاً هلاميً
الأعضاء ، له رأسٌ ذبابةٌ ذهبيٌ ، وجناحان كجناح الجراد . تحبَّط
المسخ في دَبَقِ هلامه قليلاً ثم خمد .

أسما عثرت على المسخ في دخولها ركن ريكما تستجلب له
جِرَابَ عظام . زارت هلعاً . تردد الزئير ، بعد ذلك ، في أرجاء القصر
من الحناجر كلها أسفاً على فَقْد ابن سلطان زينايفيري نسله البكر ،
الجهيـض .

زار ريكما كما لم يزأراً قبلاً ، لاعلى فَقْد وليده حَسْبُ ، بل
فقدته فرصة العبور إلى وراثة القصر .

فَحَّت شيكتان تأسياً لابنها ، فلم يُقنعه فحيحُ أمه . تلبَّد قلبه
بسحائب ذبابٍ . صفع الأرض الرمل . أثار غبار تشقَّقه . سارع إلى
الشاعرين في جناحهما العالي . تخيَّر ذبابةً أخرى ، حمراء ، بعينين
زرقاوين لاحتضان جديد في يده ويد أسما . لكنه لم يَخْلُد هذه
المرة إلى الإكتفاء بما سينجزه الوقت عادلاً في سيرورته بذبابة ريكما
إلى إحقاق الوعد به سلطاناً على زينايفيري . قرر البدء بالنفاز إلى
حيلة أمه لينخرها ، أو ليرتب انتقالاً للإرث إليه في موعدٍ لن تُوْجِله
مصادفةً غدر الكرة الحجرية فتُجهض جنينه .

قصد ريكما عميد المحاربين ماياكي في معسكره الشاسع ،
غرب الهضبة الحمراء ، المديد بالخيام الجلود قباباً فوق حُفَرٍ قليلة
العمق يتشاركها كلُّ محاربين خيمةً واحدة .

كانت استعراضات التأهب المتواصل تجري متفرقة في أرجاء
المكان تدريباً بالمنازلات ، والمطاردات ، والمعاركات ، وصنوف الوثب
اتِّقاءً من رمي ، والاختباء تمويهاً تحت الرمال ، والمخادعة بالزحف

كالجراد على البطون . تعبئة لا تكل ، وأهبة لا يملأها المحاربون في حضور سيدهم ، أو في غيابه عن معسكره الأكبر بحشده القوي من معسكرات الأسياذ السبعة عشر .

سأل ريكما عن عميد المحاربين فدل على موضعه شرق المعسكر ، في نهايات خيام المحاربين الأقرب إلى سفح الهضبة . كان ماياكي مجتمعاً تحت سقيفة من الجلد ، على أعمدة تخفق بها الريح خفق قلب هائج ، بأربعة من السعاة بالأخبار ، والأوامر ، بين مضارب الفرق المتواصلة استعمالاً بعضها من بعض . ويلايو ، قياف البروق ، الذي كان في الجمع الصغير ، بدوره ، إلى جوار راتو ، ومطايا السعاة ، لفت بصر ماياكي إلى ابن سلطان زينافيرى قادما على ظهر مطيته زديكا ، في وثب قصير متأن .

هر ماياكي معلناً ختام لقائه بالسعاة ، الذين وثبوا إلى ظهور مطاياهم منصرفين . زحف بقدميه في الرمل أشباراً ، بلا وثب ، إلى لقاء ريكما ، من غير أن يخرج من تحت السقيفة الجلد الظليلة ، فبادل ريكما من مبعده بعد :

- أيأتي ويلايو المحاربين ببروق؟ .

«إن كان في جرابك رعد ، ياريكما ، فقد يهديك ويلايو برقاً» ، رد ريكما .

نزل ريكما عن ظهر مطيته . اقترب من ماياكي . أشار بيده إلى قمة الهضبة :

- سمعتُ بعثور جن ، شرق المدينة ، على طائر آخر من طيورنا المقدسة متجولاً في الأزقة .

«هذه رؤيا ، في الأرجح» ، عقب ماياكي .

اقترب ريكما من ماياكي حتى كاد أن يلامسه . هامسه :

- أتمنحني حظوةً اختلاء بك ، ياماياكي ؟ .
زفر ماياكي في هدوء ، متفحصاً عيني ريكما . ردّ :
- أمنحك .

سار ماياكي وريكما وثباً قصيراً ، رزناً ، مبتعدين عن
مطيتيهما ، وعن قياف البروق ، في اتجاه أهضام الهضبة الحمراء .
اعتليا كشيئاً غير عال . أشرفا من قُلْتِه على منابع الريح ، وشلالات
الريح منسكبةً من أوقيانوسها الخفي بمكايل الوجود .
«ماذا عندك لي؟» ، سأل ماياكي ابنَ سلطان زينافيرى ، من
غير أن يرفع بصره عن الأفق الشمال .
«أخامرك ، ياماياكي ، أن شيئاً جرى لسوك؟» ، سأل ريكما
عميدَ المحاربين .

التفت ماياكي بوجهه إلى ريكما يزنُ سؤاله الذي بدا فارغاً .
ردّ :

- جرى لسوك أنها غرقت .
«نعم . غرقت» ، غمغم ريكما . «لكن ، أخامرك أنها لم تسقط
في الماء سهواً بمطيتها؟» .
أبقى ماياكي بصره المتفحص على عيني ريكما . ردّ :
- لم يخامرني شيء من هذا . لم أفكر في الأمر أبعد من
غرق .

«فكّر الآن» ، قال ريكما .
«أفكر ، عادةً ، بحصون زينافيرى ؛ بأحوال المحاربين ؛ ببقاء
القصر منيعاً ، متأنياً في صناعة الأحكام» ، رد ماياكي .
هرّ ريكما يصحح لنفسه مسارَ المحادثة بتلميحٍ ما قد يثير ريبةً
في عقل عميد المحاربين . ساءله :

- ماذا جرى لكاشاجو فجأة؟ .

«إلى أين عليّ أن أتبع خيالك ، ياريكما؟» ، ساءله ماياكي .
فردّ ابن سلطان زينايفيري عليه بسؤال :

- أين أنت في الوسط بيني وبين شيكتان؟ .

زفر ماياكي مدركاً أن وراء التلميح على لسان ريكما تصريحاً .
ردّ :

- أنا في الوسط من إقليم زينايفيري .

«أنت في وسط زينايفيري ، الآن؟» ، ساءله ريكما ، فرد
ماياكي :

- حيثما أكنّ يكنّ وسط إقليم زينايفيري .

زفر ريكما يتهيأً لاجتذاب مافي أعماقه إلى لسانه . انتفخ
الجلد من حول منخريه الثقين . نفخ على يده الحاضنة ذبابته :

- لماذا قصدتُك ، ياماياكي؟ .

«لتكونَ دليلي إلى الريبة» ، ردّ ماياكي .

تحرك ريكما بقدمين زحف بهما على الرمل فوق قُلَّة الكثيب .
ألقي كلماته رشقاً مثيراً :

- أنا وزيديكا شهدنا غرق سوّك ومطيتها ناكولي .

هرّ ماياكي منزلق القلب إلى حافة الحيرة من كلمات ابن
سلطان زينايفيري . ساءله :

- أتركتماهما تغرقان؟ .

«أغرقتا عمدًا» ، قال ريكما .

«عمدًا؟!!!» ، فتحّ ماياكي بصوت محتبس .

«شيكتان ونييسو أغرقتا سوّك ومطيتها» ، ردّ ريكما في

همس .

زأر ماياكي متصادم الصفائر بجانبى رأسه . قَرَّب وجهه من
وجه ريكما . ساءلُه بنبر مسنون :
- أحاولت منعهما؟ .

«كان قد فات الأوان ، ياماياكي . كنا على الضفة المقابلة من
بركة النبع» ، ردَّ ريكما .
«لماذا كتمت الأمر؟» ، ساءله ماياكي بلسانٍ غاضب ، ملبَّد
بالخيرة أيضاً .

«تساوى لديَّ الكتمان والتصريح . لا أعرف حتى اليوم أيهما
الصواب» ، رد ريكما . حدق إلى ماياكي : «ماذا كنت تفعل لو أنك
ريكما ، ياماياكي؟» .
هرَّ ماياكي مرتاباً . ظلَّ صامتاً ، فبادره ريكما بالسؤال الآخر
المقلق :

- أظنُّ أن شيئاً ما حدث لكاشاجو .
«ماذا في خاطرك ، ياريكما؟» ، ساءله ماياكي . «دخلنا على
كاشاجو في ركنه معاً . مامن أثر يثير ريبه كان هناك» .
«كان الأثر في مكان آخر ، ياماياكي» ، قال ريكما . «ألا ترى
تودُّ شيكتان إلى نساء الأسياد ، والأسياد؟ ألا ترى هذا التأجيل
الفارغ ، بشروط شيكتان ، في نقل إرث القصر إليَّ؟ ظنوني أكثر من
خيام معسكر» ، قال ريكما .
زأر ماياكي زئيراً خفيضاً ، متقطعاً :
- أتتهم شيكتان؟ .

حدق إليه ريكما صامتاً ، تاركاً لخيال عميد المحاربين ترتيب
يقين . انخفض . صفع الرمل على الكثيب فأنارَ غباراً تنشقّه .
استقام من غير نظر إلى ماياكي :

- ماذا لو أقمتَ معي في القصر؟
«أقيم معك في القصر؟!» ، تساءل ماياكي مستغرباً عرضَ
ريكما . «مالداعي؟» .

«تقيم معي في القصر أنت وأهلك ، في ركن يجاورني ،
ياماياكي . أقاسمك خزائن المون ، ومحاصيل القصر من موارد
الإتاوات» ، قال ريكما بصوت مثير النبر .

«عندي مايكفيني ، ويكفي معسكري من خزائن المون ،
ياريكما» ، ردَّ ماياكي همساً .

«ماذا لو قدرتَ ، بإمكانات إضافية ، من توسيع معسكرك حتى
حدود أرض مانعات الرياح؟ ستكون لديك ، ياماياكي ، خزائن
تكفي لأجور أضعاف مالديك من المحاربين» ، قال ريكما . وزَّعَ
الإشارات بيده المضمومة على ذبابته على الجهات من حوله : «إن
أخضعنا الأقاليم التي هناك ، ستكون حظوظك من الأسلاب ،
بكثرة محاربيك ، مالن تتخيلها ، ياماياكي» .

فحَّ ماياكي بلا ردٍّ . أبقى بصره على بعض الجهات حيث أشارَ
ريكما بيده . تتم :

- أين شيكتان من عرضك هذا ، ياريكما؟ .

«شيكتان» ، غمغم ريكما في حلق واضح . قرَّب رأسه من
رأس عميد المحاربين :

- هيْدُس يتردد كثيراً على شيكتان .

«أسياد الفرق كلهم يترددون على شيكتان . وسيبقى الأمر
كذلك إلى حين انتقال الإرث إليك» ، عقبَ ماياكي .

هرَّ ريكما بنبرٍ فيه تحذير :

- ستستبدلك شيكتان .

«بمن؟» ، غمغم ماياكي . «أتلُمِّح إلى هيدس؟» ، تساءل .
«نعم» ، ردَّ ريكما .

«ذلك صعبٌ تدبيره ، ياريكما ، حتى لو أقنعت شيكتان
سيدين آخرين بضمٍّ محاربيهما إلى فرقة هيدس» . قال ماياكي .
وثب وثبة قصيرة يمهّد بها لنزوله عن قُلَّة الكثيب . التفت إلى ابن
سلطان زينافيرى : «لن يقع الأسياد في فخ كهذا» .
«الأسياد» ، قال ريكما الكلمة في زفيرٍ قوي . «لقد استمالتهم
شيكتان» .

«ليس بعد» ، ردَّ ماياكي . أكمل نزوله عن الكثيب .
لحق به ريكما . جاوره على الأرض الرمل في العراء على
حفاف المعسكر . خاطبه :
- ما يقلقني ، يا ماياكي ، لا يقلقك . شيكتان ستلفق تأجيلاً
بعد تأجيل .

«لِمَ ستفعل ذلك؟ أنت وريث كاشاجو» ، قال ماياكي .
«أصدّقني أنها أغرقت سوك؟» ، ساءله ريكما ، فرد ماياكي :
- ماذا تتوقع مني؟
«لا أعرف» ، رد ريكما . «أنت في الوسط بيني وبين شيكتان» .
«إلى أين تريدني أن أثب من الوسط بينك وبين شيكتان ،
ياريكما؟» ، ساءله عميد المحاربين .

«اجعلْ وثبتك في اتجاه زينافيرى» ، قال ريكما .
«أنا في زينافيرى» ، عقّب ماياكي .
«لكنك لا ترى زينافيرى» ، قال ريكما .
حدّجه ماياكي بنظرة ثقيلة . وأصل وثبه صوب الخيام وهو
يتمتم بصوت يسمعه ريكما :

- ما بينك وبين شيكتان ستحسمه الأعراف .
«لست قلقاً ، ياماياكي . أحسدك» ، قال ريكما .
توقف ماياكي عن سيره الوثب القصير . نفص عن صفائه
رملاً علقته وهو يكلم ريكما :
- ستكون الأمور على مايرام . انتبه إلى ذبابتك .
«إن كانت هذه الذبابة هي التي ستورثني القصر فأنا لا
أريدها» ، قال ريكما . رفع يده المضمومة على الذبابة أمام بصر
ماياكي . أرخى أصابعه .
«ماذا تفعل ، أيها الأخرق؟» ، صرخ ماياكي بابن سلطان
زينافيري ، وهو يرى الذبابة الحمراء طليقة حرة . زار : «ماذا
فعلت؟» ، قالها بنبر الحسرة على أن لاجني ترتخي قبضته على
ذبابته إلا ويفقد حظه في الاستئصال نهائياً .
زار ريكما بدوره . رد : «حررت الذبابة . حررت شيكتان من
شرط أن يكون لي نسل لأرث كاشاجو . أنا حر» . حدق إلى
ماياكي المنتفخ الجلد حول منخريه من ذهوله : «سيكون إقليم
زينافيري هو نسلي ، ياماياكي» . وثب وثباً طويلاً حتى بلغ مطيته
زيديكا . اعتلى ظهره وانطلقا منصرفين .
جمد ماياكي في موضعه . أدرك راتو ، وويلايو ، أن ريكما
صب على قلب عميد المحاربين رملاً ذهباً . هرعاً إليه . توقفوا
قبالته .
«ماذا جرى؟ لماذا سكنت هكذا جامداً؟» ، ساءل راتو سيده .
«حرر الأحمق ذبابته» ، غمغم ماياكي بنبر ثقيلٍ من العجب
فيه .
«أطلقها؟!!» ، تساءل ويلايو بصوتٍ فحيح .

لم يردّ ماياكي المندهش سائراً ببصره وراء طيف ريكما على
ظهر مطيته .

«كيف سيستحصل إرث القصر بلا نسل؟» ، تساءل راتو . «لِمَ
فَعَلَهَا؟» .

«أظنّه يدفع المجابهة مع شيكتان إلى طريق اللاعودة» ، ردّ
ماياكي . وثبّ متطياً ظهرَ راتو ، رافعاً صوته : «اتبع البروق في قصر
زينافيري ، ياويلابو» ، ثم ابتعد عن مطيته صوب المعسكر .

«أخبرني ريكما ما يقلق ، ياراتو» ، قال ماياكي لمطيته في المعبر
الرملي بين خيام المحاربين . «إنه يعرف من أغرق سوّك ومطيتها» .
هرّ راتو متفاجئاً . غمغم بصوتٍ فيه نبرُ الإجفالة :
- مَنْ أغرق سوّك؟ .

«يزعم أن شيكتان ، ونينيسو ، أغرقتا سوّك ومطيتها» ، ردّ
ماياكي . «ولديه شكوك في أن يكون ماجرى لكاشاجو مُدبراً» .
«أصدّقته؟» ، تساءل راتو ، فردّ ماياكي :
- محيرٌ هذا الذي يجري بين شيكتان وريكما .

رجع راتو إلى سؤاله ذاته :
- أصدّقته؟

«أنا في الوسط بين التصديق والتكذيب» ، ردّ ماياكي .
«كيف بدا كاشاجو حين دخلتَ عليه؟» ، سأل راتو سيده ، فردّ
ماياكي :

- كان واقفاً في ثبات ، مستديراً قليلاً بوجهه ، في قناع سوّك ،
إلى الوراء .

«إلى مَ كان ينظر؟» ، ساءله راتو ، فردّ ماياكي :

- إلى طيف سوّك ، ربما . كيف لي أن أحمّن؟ .

«منذ متى يعبرُ الجنُ النسيانَ الأعظمَ واقفين؟» ، تساءل راتو .
فرد ماياكي بتردد في صوته :

- ربما رتبت المصادفة لسلطان زينافيرى عبورَ النسيانِ الأعظمِ
واقفاً ، ياراتو . بل ربما كان ملتفتاً إلى شبحه الذي غادر قصره ،
زينافيرى .

«أليديك شكوك حول شيكتان ، ياماياكي؟» ، ساءل راتو
سيده .

«شيكتان حذرة في ماتفعل . نينيسو هي سرُّها» ، ردَّ ماياكي .
«ماذا لو استنشق جلاد زينافيرى ذاكرةَ نينيسو؟» ، تساءل
راتو .

«كيف له أن يفعل؟» ، ردَّ ماياكي .
هرَّ راتو لايَعرفُ أين يَثْبُتُ بيقينه . غمغم :
- أسرار القصر هي للقصر ، ياماياكي .
ألقي ماياكي بصره إلى البعيد ، وراء خيام معسكره ، متتبِّعاً
ريكما الذي لم يعد يُرى في حجاب الأفق المختلط رملاً معصوفاً :
- خرج ريكما خائباً من لقائي .
«أيقلقك ذلك؟» ، ساءله راتو فردَّ سيده :
- ليس بعد .

كانت هيئة ريكما ، فوق ظهر مطيته ، مرئية ، متجانسة
الأبعاد ، وراء حجاب الأفق الذي لم يخرقه بصر ماياكي . كانت
همته واضحة الحزم في خطتها . وقد مضى ، متتبِّعاً عصفاً قلبه إلى
معسكرات الأسياد على تخوم زينافيرى ، من الجهات كلها .
لأسياد الفرق استقلالهم بعامة ، حتى إن كانوا يتلقَّون من
القصر أجور المحاربين ، فيما يقْدرون ، هُم ، على تحصيل مداخيل

لخزائنهم من صيد جماعاتهم المرتبطة بهم برابط وظائف المحاربين تحت إمرتهم ، أو من مجامع ذباب في نواحيهم ، لكنهم لم يقيموا مجامع ، إذ تركوا الأمر حكرًا على القصر . وكان في مستطاعهم القيام بأنفسهم إلى تجارة مع القبائل تخصّصهم في أسواق كاتراميل . لقد ظلوا على رباط النظام معقوداً مع القصر كمرجع في كل تحصيل للموارد ، مذ كان ذلك الرباط هو المنعة الحقّة لهم كقوة واحدة ، مرهوبة برمزها السلطان على إقليم زينافيرى . أمّا المنعة الأخرى ، الخاصة بأحاسيس الأسياد وفرقهم ، فكانت هضبة طيور لاكيلا المقدسة استقروا بيقينهم على أنها حافظة الحظوظ القوية ، ومجلبّة المصائر كما تُرتجى . ربما لا يقيمون ، كأجمعين الجن في زينافيرى ، إلاّ إنشغالاً فاتراً من يقينهم بجدوى المعبد كمنفذ للنجاة من مآرق الوجود ، أو بجدوى الإله كوياسي - غير الثابت على تصوّر في بناء النحات ألما - كتسليم بالمشيئة . ذلك ليس في حسابهم على كل حال .

قصر سلطان زينافيرى ، وهضبة طيور لاكيلا العُمي ، هما أصرتا وحدة الفرق بأسيادها ، على تبعية في أحكام الخطط للأقوى بأتباعه : عميد المحاربين ماياكي . وريكما ، الذي يعرف ذلك كإبن سلطان عليه أن يرث القصر ؛ أن يكون هو القصر ؛ أن يكون الكفة الثانية قبالة كفة طيور لاكيلا في ميزان الحقائق على أرض زينافيرى . لكنّ بينه وبين القصر شيكتان ، بنازع لم يفهم سببه من أمّ تستأخر توريثه ، وتؤجله ، بل ربما تفرّغه من حقّ ابنها فيه .

لن يشغل ريكما نفسه بنوازع أمه ، بل بحيلتها في التأجيل ، لذا توجه إلى ماياكي يستميله ، فخرج من عنده خائباً ، فألقى أن يستكمل ماقد يهبّه قدرة النّخر في خططها من جوف الخطط .

سيداً سيداً زارَ ريكما الفرق بعروض تثير الغبارَ مستطاباً ،
استثنى : عرضَ القرعة عليهم مَنْ يَقْزُ منهم يتولَّى حُكْمَ القصرِ ،
مناصفةً ، لأمدٍ معلوم ، مع ريكما ، فيقاسمه ، في هذا الأمد ، كل
مداخيل القصر من العظام ، والجلود ، والطرائد الحية ، وفهود
البوابات الرمال الحُكْر ، قبلاً ، على حديقة كاشاجو . يقاسمه ،
مداخيل مجمع الذباب ، والإناث المؤجرات ، وإتاوات الصيد ،
وتجارة القصر مع القوافل في أسواق كاتراميل .

كل سيد عرضَ عليه ريكما مقترحه المثير ، المغربي ، استنزل ،
على خياله حلمًا ، في سَبَقٍ من تصوُّر الأمانى ، يُريه خزائنه
ملأى ، طافحة ، بل فائضة فيضاً عظيماً ، وفي ذلك ما فيه من
استطاعة واحدهم أن يستأجر المزيد من المحاربين ، فيوسِّع على
نفسه ، في آتى إقليم زينافيرى ، حصصه من المغام إن غزوا ، أو
خاضوا حرباً فكسبوها .

ريكما خصَّ هَيْدَسُ ، السيد الأكثر سعةً بمعسكره الفاره بعد
ماياكى ، بالوعد أن يكون عميدَ محاربى زينافيرى إن ضمَّ إليه فرقة
أخرى . انتشى هيدس . تحيَّنَ خطفَ المنصب إن استكملَ ريكما
نقل الإرث إلى نفسه سلطاناً على القصر .

أياماً لم يعدَ ريكما إلى القصر ، في مطارحاته العروضَ على
الأسياذ كُلِّ في معسكره أو داره المحصنة بسور يضم حداثقه . ولما
رجع ، بعد غيبته ، كانت أسما ، حظيَّته ، هي الأولى نشرت بزئيرها
نبأ الفجيعة من إقدام ريكما على إجهاض ذبابتها الثانية عمداً .

لم يعتذر ريكما إليها عمّا فعل . أو عزَّ إلى مطيته زيديكا أن يملأ
لها جرابين من عظام الجن القُزْم ، المكرمة مذاقاً ، وحفنة من أسنان
موتى العائلة هي الأثمن في أسواق كاتراميل ، وأن يمنحها صورتها

النحت على اللوح الحجر ثم يصرفها إلى مسكن أهلها .
ارتعشت عينا شيكتان الحجر في محجريهما حين تَلَقَّتْ النبأ ،
بعد حرث أسما بزئيرها هواءَ القصر ، وفضولَ جَوَّابي القصر . هي لم
تكن هناك ، في برهة الزئير الفاجع ، الموحش ، لكنها إذ رجعت من
جولة لها ، كان صدى الزئير جارياً بجداوله مع الريح منسلّةً عصفاً
حرّاً إلى الأبهاء ، تردّده حناجرٌ في نقل الخبر من لسان إلى لسان .
غصّت شيكتان بكلمة «ماذا؟» ، إذ نطقتهما . تلعثت . تعثر
لسانها بالكلمات فتدحرجت غمغمات مقصوصة الحروف من
أذيالها . أيّ خبلٍ دفع ريكما إلى تهشيم حظه في عبور الإرث إليه؟
أم ذلك تعجيل الوعيد بمجابها لم يتحسّب لها خيال شيكتان؟ .
«ماذا ترين في هذا ، يانينيسو؟» ، ساءلت زوجة السلطان
مطيبتها وهي ترى المتوافدين المنجمين ، وأمناء أسرار كاشاجو ،
وبعض الغطاريف والأعوان ، فيما تصاعد صخبُ الإناث المؤجّرات
ينزلن السلالم من جناحهن العالي إلى البهو الأعظم ، مذهولات
من إجهاض جنّي ذبّابته عمداً .

«ذلك يجفّلني» ، ردّت نينيسو . «هو يائس ، ربما» .

«لطالما لم أعرف ماذا يضمّر ريكما . وها أظنه الآن أغلق على
نفسه ضدّ كلّ فهم ، يانينيسو» ، قالت شيكتان . «ماذا تعتقدين أن
في استطاعته أن يفعل؟» . عرضت على خيالها اللحظة العاصفة
من خطتها القاتلة وهي تنفخ سماً على وجه كاشاجو . غمغمت :
«سأفعلها ثانية» .

«ماذا ستفعلين؟» ، ساءلتها نينيسو ملتقطّةً من غمغمة سيدتها
كميناً .

لم تجبها شيكتان . سارعت إلى البحث عن ابنها ، فأخبرت

بوجوده في مجمع الذباب . تحيّرت ملتفتةً إلى أبهاء القصر برهةً ،
والى عيني نينيسو برهةً . صعدت الأدراج تتبعها مطيتها إلى الجناح
العلوي من القصر . دخلت المجمع لترى ابنها ومطيتها ، والشاعرين ،
وكبير المنجمين خاميدس . هتفت به :

- أية ذبابة تُغوي الآن ، ياريكما ؟ .

هرّ ريكما . ردّ ساخرًا :

- أخيرّ الذباب بين القرعة وبين القبول طوعاً .

«ألدّيك ، بعدّ ، ماتعرضه على الذباب؟» ، ساءلته أمه في
سخرية بدورها .

«لي عرض لك ، ياشيكتان» ، قال ريكما . «سأجمع الأسياد
في رُكنك ، وأخيرهم بيني وبينك» ، أكملَ نبرّ هادئ . غمغم : «لا
تأجيل بعد الآن» .

تنفست شيكتان كأنما أفرج ريكما عن قلبها المعتقل في حيرتها
من أمره . ردت :
- ليكن .

«غداً» ، قال ريكما يحدّد موعدَ اللقاء في ركنها ، فردت
شيكتان :

- أمهلني ثلاثة أيام .

صمت ريكما صمتَ القبول ، فيما استدارت شيكتان مغادرةً
جناح مجمع الذباب ، متجاهلةً سؤالَ عقلها عما يفعله ابنها في
المجمع مُدّ لا حظّ له باقياً في استنسال .
عند أسفل الدرج نزولاً إلى البهو الأعظم ، همست شيكتان
إلى مطيتها :

- جدي لي ماياكي . سألتقيه في المعبد ، يانينيسو .

قبل العصر بقليل عادت نينيسو إلى سيدتها : « سيوافيك ماياكي في المعبد » ، قالت . خرجتا من القصر . امتطت شيكتان ظهرَ مطيتها غير مهتمة بأبصار ثلل الجن الجوالين ، والزائرين ، والمتطفلين ، يحاولون أن يزِنوا في عينيها مدى استثقالها لما فعله ابنها بذبابته .

توهتو ، وكاساك ، المنجمان ، كانا الوحيدين في المعبد ، يخاطبهما ماياكي مصحوباً بمطيته راتو . انصرف عميد المحاربين عنهما وعن راتو حين رأى شيكتان داخله من البوابة الواسعة ، متجهاً وحده إلى محراب المعبد ، الذي أتخذ ذات يوم ، مقاماً لسُكنى الأنثى الإنسية . انفصلت شيكتان عن مطيتها . وافته وحدها . دخلا المحراب مُتْهامسَيْن .

« طلب ريكما اجتماعاً للأسياد في القصر ، لنحسم توريثه » ، بادرت شيكتان عميدَ المحاربين بحديثها .

« قبل أن أعرف أيَّ شيء ، يا شيكتان ، أوضحي لي قصدك من تأجيل التوريث . أكنتِ تنتظرين أن يُقدِّم ريكما على ما فعل ؟ » ، ساءلها ماياكي .

« لم يخطر لي قطُّ أن يفعل ذلك ، ياماياكي » ، ردَّت شيكتان . « لِمَ أجمَلتِ التوريث ، إذاً ؟ » ، ساءلها ماياكي . « ريكما جنِّيُّ حاقِد ، من غير أن يفصح مرَّةً على مَنْ يحقد بالتحديد » ، ردَّت شيكتان .

« لا أرى في هذا عذراً كبيراً للتأجيل ، يا شيكتان » ، عقَّب ماياكي .

« لا يُصادم » ، قالت شيكتان .

« من تريدينه أن يُصادم ؟ » ، ساءلها ماياكي ، فردت شيكتان :

- خطف كاشاجو منه سوڤ ، ولم يدافع عن رغبته .
«لم يخطفها كاشاجو . طلبها فقبلت سوڤ» ، قال ماياكي .
«لم يكن في مكنة سوڤ أن ترفض ، ياماياكي . ذلك ليس قبولاً ، ولم يفعل ريكما شيئاً» ، قالت شيكتان . غمغمت مضيفة :
«أنا أعرفُ به منك» .
«أقنعيني أكثر» ، قال ماياكي ، مبدئاً لها ، في لطفٍ من النَّبر ،
عدم اقتناعه بعد بأسباب تأجيلها توريث ابنها .
«لا أحد يعرف مايدور في خَلده» ، شرحت شيكتان آخر
أعذارها في التأجيل .
«لماذا دعا الأسياذ ، بعد إجهاضه ذبابته؟» ، تساءل ماياكي ،
فردت شيكتان :

- لديه عروض ، أو مقترحات .
«احذريه الآن» ، قال ماياكي غمغمةً .
«بات بلا أمل في نسل . لن يربح القصر» ، عقبت شيكتان .
«ريكما نسلك ، لا نسل آخر لك ، ياشيكتان» ، قال ماياكي .
«سأستنسل» ، ردت شيكتان بنبر واثق .
فوجئ ماياكي بردها . تأملها . انعطف بخياله عما أثارته فيه
إلى سؤال غير متوقع :
- كيف غرقت سوڤ؟ .

«إلى ماذا تلمح ، ياماياكي؟» ، ساءلته شيكتان .
لم يجبها ماياكي على تساؤلها . سار بلسانه إلى سؤال آخر :
«ألا تساورك ريبة في عبور كاشاجو إلى النسيان الأعظم بلا
تمهيد؟» ، ساءلها ماياكي بتلميحٍ إلى أن موت سلطان زينافيرى ربما
كان مدبراً ، فردت شيكتان :

- أخفى نفسه معتزلاً . أخفى وجهه في قناع كقناع سوك . ربما قتله طيفُ سوك .

هرَّ ماياكي . أدارَ خيالَ لسانه إلى جهةٍ أخرى :

- من ستتخذين شريكاً تستنسلين معه ؟ .

حدّقت إليه شيكتان متمعنة في أعماق عينيه الحجريتين .

ردّت في همس :

- ماذا عنك ؟ .

بوغت ماياكي . تشبّت خياله إذ كررت السؤال عليه بهدوءٍ في

النبر :

- ماذا عنك ؟ .

قلّب ماياكي حجارةَ أفكاره متصادمةً في قرعٍ بارد . زحف

لسانه إلى الكلمات :

- أنت تفاجئيني ، ياشيكتان . هذا عرض لا يُرمى هكذا .

« كيف عليّ أن أرميه ، إذاً ؟ . ربما كان عليّ الجيء إليك بذبابة

في يدي » ، عقبت شيكتان . اقتربت منه زحفاً ثقيلاً بقدميها في

الرمل :

- ماذا عنك ؟ . الأسياد قادمونٌ لاجتماعٍ بعد ثلاثة أيام .

أعطني ماأفاجئهم به .

« داهمتني ، ياشيكتان ، فتشّتُ . هذا عرض ثقيل عليّ » ، رد

ماياكي .

« ما الثقيل عليك في زينا فيري ، ياماياكي ؟ . لا وقت . أعطني

جواباً » ، قالت شيكتان .

لم ينطق ماياكي . دار ببصره على أنحاء المحراب بلا تعيين . هرَّ

هريراً خافتاً .

«أين أنت في الوسط بيني وبين ريكما؟» ، ساءلته شيكتان بنبر فيه استياء من تردده ، وتحديق بقلب نافذ الصبر .
«ريكما ، أيضاً سألني السؤال ذاته» ، رد ماياكي .
«أسبقني ريكما إليك؟ ماذا كان عرضه عليك؟» ، ساءلته .
أدرك ماياكي أنه تعجل في التصريح بزيارة ريكما إليه . تتم :
- أنا في حيرة .

«ابقَ حيث تشاء» ، قالت شيكتان . «لا يهمني ما عرضَ عليك ريكما أو على الأسياد . لن يريح القصر» . استدارت كي تنصرف .
سألتها من غير التفات إليه : «أراك في اجتماع الأسياد» .
«لن أحضر» ، رد ماياكي .

جمدت شيكتان في موضعها بظهرها إليه . هزت هزيراً خافتاً ، طويلاً ، قبل أن تثب في اتجاه مطيتها نينيسو . تجاوزتا مغادرتين المعبدة في وثب طويل .

تقاطر الأسياد إلى ركن شيكتان بعد الثلاثة الأيام حددها ريكما للقائهم بطلب من أمه . توزعوا حلقة مفتوحة على الركن الواسع بظهورهم إلى الجدران ، فيما ظلت مطاياهم على مبعدة وثبتين من مدخل مقام زوجة السلطان صفًا يحجب عن جوائي القصر أن يروا جمعهم .

وقف ريكما وأمه في القوس المفتوحة من حلقة الأسياد داخل الشنية الركن في الجدار الشمال من القصر . ابتدرتهم شيكتان متحدثتة :

- اشترطت أن يهدأ قلبي قبل نقل الإرث إلى ريكما . لم يهدأ قلبي بعد . لكنني أتنازل عن هذا الشرط . أما الشرط الآخر فقد أخل به ريكما في طيشٍ يُذهل .

«تَعْنِينَ إِجْهَاضَ الذَّبَابَةِ» ، عَقَّبَ رِيكَمَا .
«كَانَ هُوَ الشَّرْطُ الثَّانِي مَامِنْ شَرْطٍ آخَرَ يَلِيهِ» ، قَالَتْ شِيكْتَانُ .
«نَحَرَّتْ حَظُّكَ ، يَارِيكَمَا» .
تَقْدَمُ رِيكَمَا نِصْفَ وَثْبَةٍ بَطِيئَةً إِلَى مُنْتَصَفِ الْحَلْقَةِ الْمَفْتُوحَةِ .
دَارَ بِوَجْهِهِ عَلَى السَّبْعَةِ عَشَرَ الْأَسْيَادَ : «أَنَا وَرِيثُ كَاشَا جَو .
سَيُشَارِكُنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، بِالْاِقْتِرَاعِ ، حَكْمَ الْقَصْرِ لِأَمْدٍ مَعْلُومٍ
يَعْقِبُهُ اقْتِرَاعٌ جَدِيدٌ . مَا يَدْخُلُ خَزَائِنَ الْقَصْرِ سَيُصْرَفُ مَنَاصِفَةً بَيْنِي
وَبَيْنَ شَرِيكِي» .
زَارَتْ شِيكْتَانُ مُسْتَفْظَةً عَرْضَ ابْنِهَا . وَثَبَتْ إِلَى مُنْتَصَفِ
الْحَلْقَةِ بِدَوْرَهَا :
- مَا هَذَا السَّخْفُ؟ لَمْ تَمْلِكِ الْقَصْرَ بَعْدُ لِتُوزَعَ خَزَائِنُهُ عَلَى مَنْ
تَشَاءُ .
هَرَّ رِيكَمَا . أَدَارَ عَيْنِيهِ ، مِنْ جَدِيدٍ ، عَلَى وَجْهِهِ الْأَسْيَادَ .
سَاءَ لَهُمْ :
- أَتَقْبِلُونَ عَرَضِي؟ .
هَرَّ الْأَسْيَادُ تَبَاعًا بِلَا كَلِمَاتٍ ، لَكِنْ بَنْبَرٍ وَاضِحٍ التَّيِيدِ .
«الْقَصْرِ لَيْسَ لَرِيكَمَا» ، غَمِغَمَتْ شِيكْتَانُ فِي اسْتِيَاءٍ قَوِيٍّ .
«رِيكَمَا وَرِيثُ كَاشَا جَو ، يَاشِيكْتَانُ» ، قَالَ هِيدَسُ ، الْمُوْعِدُ
بِمَنْصِبِ عَمِيدِ الْحَارِبِينَ .
«وَرِيثُ بِلَا نَسْلِ وَرِيثُ لَا يَرِثُ» ، رَدَّتْ شِيكْتَانُ بَنْبَرَ حَقْدٍ .
«مَاذَا عَنكَ ، يَاشِيكْتَانُ؟» ، سَاءَ لَهَا هِيدَسُ . أَضَافَ : «رِيكَمَا
وَرِيثُكَ أَيْضًا ، لَا وَرِيثَ آخَرَ لَكَ» .
«بَلْ سَيَكُونُ لِي وَرِيثٌ آخَرٌ» ، قَالَتْ شِيكْتَانُ . زَفَرَتْ . وَضَعَتْ
يَدَهَا فِي شِقِّ ثَوْبِهَا عِنْدَ الصَّدْرِ فَأَخْرَجَتْ حُقًّا حَجْرِيًّا صَغِيرًا .

نزعَت غطاءه في حذر ، ثم أمسكت بطرف شعرة سلَّتها من جوفِ الحُقِّ .

حلَّقت ذبابة مربوطة إلى طرف الشعرة الطويلة ، زرقاء بجناحين أحمرين ، وعينين ذهبيتين .

هرَّ الجمعُ كله مستغرباً مشهد يد شيكتان مرفوعة أمام أبصارهم بالذبابة تخفق بجناحيها خَفَقَ النزوع إلى حريتها .

«سيشاركني أحدكم هذه الذبابة» ، قالت شيكتان .

عمَّ الصمتُ المترقِّبُ إلا من جداول الريح بعزيفها المتهدِّل في أرجاء القصر ، قبل أن يتلاحق زفيرُ الاستثارة ، رويداً رويداً ، من أفواه الأسياد :

ما أعلنته شيكتان كان مدوِّحاً . ريكما نفسه ترنَّحَ خياله من الرُّكلة اللامرئية لإعلانها الجسور . تَمَالَكَ الحَذَرُ الذي أرخى عَصَبَ حيلته من المفاجأة . غمغم بصوت ممعوس في حنجرتة : «عَرَضُكَ ليسَ كَعَرَضِي ، يا شيكتان» ، قال . لهث مكملأً : «أنا أبذل لهم أن يشاركوني حُكْمَ القصر واحداً بعد آخر . أمّا أنت . . .» . صمت . دار ببصره على وجوه الأسياد وقد اختطفتهم شيكتان بمفاجأتها ليتكهنوا من سيكون المختار . همَّ بالكلام فقاطعتُه أمه :

- أتقبلون اقتراحاً تحت قدمي الإله كوياسي؟ مَنْ يَفْزُ يكن

شريكي .

هرَّ الأسياد هريراً عميقاً ، واتبعوا الهريرَ بأنفاس من رئة الرغبة . «هذا لا يَعدُلُ ما عرضتُ عليكم» ، هتف بهم ريكما . «ستختار شيكتان واحداً لآسواه . ما أمرُ بقيتكم إذا؟» .

تبادل الأسياد نظرات فيما بينهم ، يوازنون - بحق - بين العَرَضين المتصادمين . لكنَّ شيكتان قوَّضت ترددهم الذي أثار بريقاً

خافتاً من الرضا في عمق عيني ابنها الحجريتين . تمادت في توسيع عرضها : « يعرض ريكما على كل منكم شراكة في الحكم لأمد معلوم . أمّا أنا فأترك الأمد كله لكم . لن أبقى حظاً واحداً فيكم محتكراً حظوظ الآخرين . ستتوالى القرعة بينكم . سأخذكم واحداً بعد آخر شريكاً . نسلكم - نسلي سيرث القصر حتى ضياع آخر عظم بُني منه هذا القصر » .

زأر الأسياد بائزان من أصواتهم لهفةً . تقحمت الريحُ بغبار نار قلب ريكما . التفّ بوثة قصيرة من وراء أمه . أخرج من جعبته عظم ساق ثور هوى به على جمجمة شيكتان ، في ملح خاطف أمام أبصار الأسياد ، الذين لم يخطر لهم ، قط ، ولم يخمّنوا ماهو فاعلٌ حقاً حين سلّ العظم من الجعبة .

هوت شيكتان أرضاً بأنفاس من غبار برتقالي لم يصعد أعلى من ذراع ، ثم تلاشى .

« أنا القصر » ، قال ريكما منتشياً .

هزّهر الأسياد مذهولين . تقافزوا وثباً قصيراً في مواضعهم لا يعرفون تدبيراً لحكم على ما شهدوه . تمالكوا أنفسهم ناظرين ، في تحديق ثقيل ، إلى ريگما ، الذي سارع إلى اقتطاف البرهة الثقيلة ، التي لجمتهم ، قبل أن يتحرّروا من المفاجأة الصادمة :
- ماذا تنتظرون؟ فلنقترع .

لن تعرف نينيسو ، الواقعة حجاباً مع مطايا الأسياد بين ركن سيدتها وأبهاء القصر ، ما الذي شدّ بصر قلبها إلى الورا ، فاستدارت . رأّت الحركة مختلطة في ركن سيدتها من غير أن ترى سيدتها . أنزلت بصرها المصوّب من المدخل إلى أعماق الركن أرضاً . تهشّم صوتها في فمها الذي انفتح عن لسانٍ مذهول ،

أخرس ، إذ رأت ساقبي شيكتان المنطرحة على الأرض الرمل ، من
الشغرات بين سيقان الجن المتحلّقين حولها . هبّت مندفعة إلى
داخل الركن فصدّمتها ريكما مطيحاً بها .

«أنت» ، قالت نينيسو بصوت خرج ، أخيراً ، مقذوفاً كنبض
قلبها . سلّت عظماً طويلاً ذا كعبرة من غمد لفافة كان يتدلى من
حزامها . أغارت بكيانها على ريكما تروم تزيقه .

تداعى الأسياد هائجين إلى نجدة ريكما بالعظام مشرّعة في
أيديهم ، فتراجعت نينيسو ، وهي تلوّح بالسلاح في وجوههم
دفاعاً . خرجت من الركن الثنية الوسيعة . نادى الأسياد على
مطايهاهم لينقضوا عليها ، ويسدوا طريقها إلى الهرب ، فانبرى لها
المطايا بأسلحتهم ، إلّا زيديكا الذي تصنّع انشغالاً بالدوران حول
نفسه . صدمت نينيسو أكتاف بعضهم في اندفاعها عليهم ،
وصدموها . ركلت بعضهم ورُكّلت . تشقّق الغبار بين الأقدام
وتلاحم . ضاقت حلقة المطايا على نينيسو برهة قبل أن تتخلخل
الحلقة مزقها العملاق ليلوت قرعاً بسلاحه على أسلحة المطايا
الآخرين يصدّهم عن مطية شيكتان المرهقة ، التي غمرت عينيّ
ليلوت بامتنان من عينيها لامتنان يعدلّ البوح الذي فيه .
استشرست دفاعاً عن نفسها .

«ماذا تفعل ، ياليلوت؟» ، صرخ به سيده دارديك .

لم يلتفت ليلوت إلى دارديك . صكّ بزئيره العالي زئير المطايا
دُهِشوا من دفاعه عن نينيسو ، لكنهم جبّهُوه . سقط اثنان منهم
مطحونين العنقين . سقط ليلوت من ضربة على ساقه ، ثم استوى
واقفاً . تتابعت عليه الضربات وتلاحقت من الجن المطايا ، فيما انشغل
اثنان بحصر نينيسو أمام ركن ريكما ، الذي هبّ صارخاً بهم جميعاً :

- اغتقلوا نينيسو . لا تقتلوهما .

كان في بال ريكما من طلبه اعتقال نينيسو حيّة أن ينبش عن خزانة عقلها على أسرار أمه ؛ أن يعرضها على الجلالاد رادبور فيستشق ذاكرتها التي فيها مافي ذاكرة شيكتان القتيلة . لذا هرع إلى الإثنين المحاصرين نينيسو قبل أن ينضم المطايا الآخرون إلى حصارها ، إلاّ زيديكا ، بعدما هشموا كل عظم في جسم ليلوت العملاق بكثرتهم عليه .

«نينيسو» ، ناداها ريكما . «لن نؤذيك ، يانينيسو . دعي سلاحك أرضاً» .

«أنت؟» ، هرّت نينيسو الكلمة لاتجد سواها عارية تجمع كلّ حقدٍها عليه ، وحنقها منه . دخلت أعماق الركن ، فتباطأ محاصروها ولم يدخلوا خلفها .

وقف ريكما على باب الثنية الركن . كلمها :

- ترفّقي بنفسك ، يانينيسو . لن نؤذيك .

ألقت نينيسو سلاحها أرضاً ، في زفير انتفخ منه الجلد حول ثقبَي منخريها . انحنت . صفعت الأرض الرمل فأثارت غباراً تنشقته . زارت زئيراً طويلاً . أمسكت بيدها اليسرى رأسها من الخلف ، وأمسكت ذقنها باليمنى . صرّت أسنانها المفرطة ضخامة وهي تلوي رأسها ، في عنف ، بشدّ فجائي متعاكس من يديها . قرع صوت الكسر من عنقها . هوت منتحرةً .

زأر ريكما زئير الخذلان . لم تمنحه نينيسو لذة العبور إلى ذاكرتها المتدحرجة معها ، مغلقةً ، إلى المخاطبات الدائرية بالسنة لهب ، في ماوراء برزخ «النسيان الأعظم» .

عاد ريكما إلى الأسياد مختلطين في البهو الأعظم بمطاياهم ،

على بُعد قليل من ركنه . «فلنقتَرع» ، صاح بهم . «هيدس لن يقتَرع . هو عميد المحاربين الآن» . استدار إلى زيديكا : «هاتِ جراباً من ركني فيه ست عشرة كُعبرة من كعابر الذئاب الصغير . ضعْ لطخة من عصارة جوف الجراد علامةً على واحدة منها» ، قال . أشار على الأسياد أن ينتقلوا إلى ركن شيكتان من جديد .

غَطَّتْ عيون الأسياد المقترعين بعصائب جلد ، وأديرَ جرابُ العظام الكبار عليهم واحداً واحداً أدخلوا أيديهم فيه ، واستخرجوا كلُّ كعبرة . نُزعت العصائب من عيونهم . هَرَّ نَيْدُجٌ مسروراً : كانت العظمة المستديرة ، التي حَوَّتْها يدهُ ، تحمل لطخة صفراء على بياضها .

داميكو ، الذي هبَّ مع شريكه توكا ، وجنَّ آخرين ، إلى البهو اجتذبتهم جلبةُ العراك بين نينيسو ومطايا الأسياد ، استرعاه غياب ماياكي عن البهو بماجرياته الثقيلة . تبرع ، من تلقاء نفسه ، بالبحث عنه بحثاً لم يطل ، إذ ألفاه قادماً على ظهر مطيته من الساحة الغرب ، المديدة ، وراء تمثال الإله كوياسي ، يصحبه كبير المنجمين خاميدس ، الذي سبق داميكو إلى عميد المحاربين بالأنباء ناقصةً عما يجري بالتحديد ، لكنْ مثقلةً قلقاً بحدوث مالم يشهده قصر زينافيرى قبلاً .

نزل ماياكي عن ظهر مطيته أمام بوابة القصر . عبر الجماعات في الأبهاء شقاً لصفوفها المتداخلة حتى الجدار الشمال ، حيث مُقام ريكما الذي شغله أبوه قبله : كانت جثتا شيكتان ونينيسو ممددتين أرضاً أمام مدخل المَقام ، والأسيادُ - بعدُ - في شغل من تدارس الخطط ، منفصلين كل ثلاثة أو أربعة ، يتهامسون ، أو يطلقون النبرَ صريحاً بالكلمات على ألسنتهم المتلمسة مذاق النهج الجديد .

تقارب الأسياد إلى جوار ريكما لما رأوا ماياكي يتفحص جثة شيكتان لم تزل الشعرة في قبضة يدها بالذبابة استعرت طنينها نزوعاً إلى النجاة من قيدها . دار من حولهم يتفحصهم أيضاً : « من فعل هذا؟ » ، هتف بصوتٍ تقارع في نبره الحيرة ، والدَّهش ، والاستنكار . وثب ريكما نصف وثبة . صار قبالة ماياكي . ردّ :
- هذه أقدار القصر .

« آية أقدار هذه ، ياريكما؟ من قتلهما؟ » ، ساءله ماياكي .
أدار ريكما وجهه إلى الأسياد . سألهم بدوره في نبرٍ من السخرية مضمرة :
- من قتلهما؟ .

بادله الأسياد نظراتٍ صامتة ، من غير أن يتبرع أحدهم بجواب .

« أتري ، ياماياكي؟ » ، غمغم ريكما . « لا أحد يعرف ماذا جرى » . اقترب منه بوجهه حتى تداخلت أنفاسهما . همس : « أنا القصر » ، ثم تراجع وثبتين قصيرتين منضمّاً إلى جمع الأسياد المترقبين مجرى المخاطبات . كلّمه ، من بُعدِه ذاك : « ما خبر الغيمة في سماء الهضبة ، ياماياكي؟ » .

كان خبر ظهور غيمة فوق هضبة طيور لا كيلا سيكون - قطعاً - شغلَ العقول في زينافيرى ، لولا تشاغلالات الألسنة بوقائع تنهياً للعصف من داخل القصر على زينافيرى . سمع الجنّ ، في إقليمتهم ذاك ، بالغيوم كسماعهم بقروود هيهمو ، لكن لم يروها قط . بروق ورعود تتجاور في فراغات السماء فوقهم ، من تصادم الجيوش الغالبة والمقهورة في رياح الأعالي . بروق ورعود قرع بالحجارة الشفيفة في أيدي جنّ ممالك الأعالي . لا مطر قبل الوميض والهزم ؛ لا مطر

بعدهما . جفافُ صاخب من صوت وألسنة نار ناطقة بالصوت . سحبٌ غبارٌ عادةً في سمائهم ، ورملاً تهيلهُ السَّماءُ بأيديها على شقوقها . جن زيناڤيري يعرفون ذلك ، أمّا تلك الغيمة السوداء المتسلّلة صغيرةً ، متماسكةً ، لم تشتّتْها الريحُ العَصوف ، فكانت بلاغاً يُحتسب رؤيا .

«أكانت الغيمة قريبة من معسكرك ، ياماياكي؟» ، ساءله ريكما من جديد . لم ينتظر جواباً . أشار بيده إلى أحد الأسياد : «هيدس هو عميد المحاربين الآن» .

هرّ راتو الواقف خلف سيده مغضباً ، فالتفت إليه ماياكي بإشارة تهدئة . أعاد النظر إلى الأسياد يتقرّى وجوههم بأنامل بصره الخشنة :

- إلى أين يأخذ ريكما إقليم زيناڤيري؟ .

زأر ريكما . ردّاً بلسان صاخب :

- إلى أين كان ماياكي يأخذ زيناڤيري بتردّده ، في الوسط الحفرة بيني وبين شيكتان؟ .

«كنتُ أبقي زيناڤيري في موضعه» ، رد ماياكي .

«هو في موضعه معي هنا» ، عقّب ريكما . أبقى بصره على عيني ماياكي وهو يخاطب الأسياد :

- من منكم يريد معسكر عميد محاربينا السابق؟ .

زمجر راتو ملجوماً ، فبادله سيده زمجرةً . تقدّم هيدس من ريكما . هامسه :

- لا تفعل هذا . دُع معسكره له .

تمايل ريكما في وقفته : «هذه حكمة عميد محاربينا الجديد هيدس . معسكرك لك ، ياماياكي . لكنك تلتزمنا في الخطط» .

حطَّ ببصره على الجثتين : «أحضروا من يوزع الأجساد على
حظوظها في النسيان الأعظم» ، زمجر منادياً : «زيدكا ، فليأتِ
الأعوان بالعظام النفيسة من خزائن القصر» . فتح ذراعيه أمام
الأسياء : «سنولم لكم في البهو هنا ، أمام ركني» ، قال . تتبَّع
بعينيه عميد محاربيه السابق ماياكي وراتو مغادرين . رفع صوته قَدْرَ
مايستطيع : «أين بونيا؟» .

«ماذا تريد من بونيا؟» ، ساءله كبير المنجمين خاميدس ،
مقرباً في تهيب .

«ستكون بونيا شريكتي» ، ردَّ ريكما بصوت أراده واسعاً على
جداول الريح الحرة جارية في أنحاء القصر .

ذهل خاميدس . اضطرب في وقفته مرتعش الكيان ، مُدَّ أَرَعَدَ
ريكما برغبته المجنونة أرواح المنجمين الأسلاف ، الذين هم وحدهم
يستنسلون جنأ منجمين . وقد خال خاميدس أنه سمع زمجراتهم
في المخاطبات الدائرية باللسنة لهب ، هناك وراء الأعالي الأبعد من
«النسيان الأعظم» .

«أريد بونيا» ، كرر ريكما رغبته . دار ببصره على وجوه
الأسياء ، ومطايهاهم ، ومن انضمَّ من جَوَّابي القصر إلى الحشد
المنتظر وليمةً أمام مدخل ركنه . بسطَ لهم تبريره : «مَنْ يُجهِضُ
ذبابته عمداً لا يستنسل . هذا حُكْمُ وجودنا . حُكْمُ القاعدة أن
لا يستنسل مثلي بعد الآن . بونيا قد تُصلح خطأ القاعدة» . صمت
يتأمل الوجوه .

هرَّ البعضُ تأييداً . جمداً آخرون لا يتدبرون لأنفسهم موقفاً .

«أهذه رؤيا ، ياريكما؟» ، ساءله أمين أسرار الحصون الرهال .

أماروك .

التفت ريكما إلى خاميدس الواجم :
- أتعُدُّ رغبتى رؤيا ، ياخاميدس ؟
ظلَّ خاميدس مشتت القلب بعقلٍ ثَقْبٍ لا تثبت فيه رمالٌ
فكرته .

«جئني بالمنجمة بونيا ، ياخاميدس . جئني بأقرا نك المنجمين
إلى الوليمة» ، قال ريكما . مدَّ ذراعه صوب بوابة القصر إشارة
منه إلى كبير المنجمين بالإنصراف إلى مهمته . نادى : «زيدىكا .
أبعد هذا الحشد الزائد» ، فهبَّ زيدىكا ، ومطايا الأسىاد ، إلى صرْفٍ
من يعرفون أنهم ليسوا مرغوبين في وليمة سلطان زينافيرى
الجدىسد .

انصرف الفضوليون ثللاً ، وأنفاراً . عادت الأبهاء الصغار واسعة
من حول البهو الأعظم ، الذى أحضر الأعوان أجرية العظام إليه .
تقارب الأسىاد . خفضوا أجسادهم كما فعل ريكما حتى كادوا
يلمسون الأرض ببطونهم كالجراد . هرَّهروا وهم يفتحون الأجرية
هرير الخيال مستحضرين مذاق العظام النفائس بين الأسنان . هرَّ
زيدىكا قادماً في وثبٍ قصير إلى سيده المنبطح :

- سانىارى ، ومايشا ، لا يريدان الإنصراف . ماذا نفعل بهما ؟
«أحضرهما» ، ردَّ ريكما . جال ببصره على الأسىاد أثبتوا
جسومهم ، فى الاستلقاء ، على مرافق أذرعهم : «سأعيدهما إلى
حيث ينبغى أن يعودا» .

بعد برهات قصار حضر زيدىكا بزوجة سانىارى ، وبه ،
وبمايشا ، وأمه ، والأنثى صاحبتة التى بلا نَسَب . رفع ريكما وجهه
إليهم منبطحاً إذ مثلوا على قرب منه . غمغم :
- ما الثياب الغربية هذه التى عليك ، يامايشا ؟

لمس مايشا صدره براحة يده متحسناً ثوبه الجبال بفراغات كثيرة فيها . ردّ :

- هذه ثيابي المقدسة في الرحلة إلى أبي .
« ما بك تصفي قداسةً على ثيابك ، أيضاً ، يامايشا؟ » ، ساءله
ريكما .

« كل شيء مقدس في الرحلة إلى أبي » ، ردّ مايشا . أكمل :
« الثياب مقدسة . الرمال مقدسة . الرياح مقدسة . النمل والجراد
مقدسان . الذباب مقدس . المساكن ، التيه ، المنهارون ، الأقوياء ،
العظام ، الكراهية ، الرضا ، التعب ، كلها مقدسات ، ياريكما .
الغبار ، وآثار الأقدام ، والشر ، والمعارك مقدسات » .
هرهرَ ريكما طويلاً . ساءله :
- ماذا عنّي ؟ .

« عنيتُك في الذي قلت » ، رد مايشا .
« ما الفرق بيني وبينك الآن؟ » ، ساءله ريكما ، فرد مايشا :
- سأعود بجواب من أبي .
« أنت لن ترجع » ، قال ريكما .
« إن لم أرجعُ تكنُ مشيئة أبي » ، قال مايشا .
« ماذا عن هذه الأنثى التي تتبعك مع أمك؟ » ، ساءله ريكما ،
فردّ مايشا :

- هي المشيئة تتبعني .
« سأحررك من أبيك ، ومن الرحلة إلى أبيك ، ومن القبائل
التي ستخذلك ، والتي لن تخذلك » ، قال ريكما . حوّل بصره في
استلقائه إلى سانباري الواقف مع زوجته هستار . ساءله :
- ماذا أفعل بمايشا؟

«أوقفه ثابتاً أمام أبيه» ، ردَّ سانياري .

«كيف؟» ، تساءل ريكما .

«علَّقه من ذراعيه إلى الشجرة العظام ، تحت بوق مايتا» ، ردَّ سانياري .

هرَّ مايشا . زمجرت أمه لأول مرة .

«ماذا أفعل بسانياري ، يامايشا؟» ، سأله ريكما .

«أعدّه محتجباً في الرمل تحت الشجرة العظام . أعدْ هستا» محتجبةً» ، قال مايشا بنبرٍ حقد .

«أكانت كلماتك صحيحة عن جنٍّ سيتبعونك إلى أييك ، يامايشا؟» ، ساءله ريكما فردَّ مايشا :

- صحيحة كالريح .

«ماذا لو قادتني كلماتك الصحيحة إلى الخطأ؟» ، ساءله ريكما .

«لا تستخدمها على نحوٍ خاطئ» ، ردَّ مايشا .

«كيف نستخدم كلماتٍ صحيحة على نحوٍ خاطئ؟» ، تساءل ريكما ، فرد مايشا :

- حين لا نثق بها .

هرَّ ريكما . قضمَ عظماً طحنه بأناة بين أسنانه ، قبل أن يكمل المحاورة :

- أتقبلُ حُكمي فيك ، ياسانياري؟ .

«حُكم؟!» ، تساءل سانياري . «أأنا هنا لتُصدرَ حكماً عليّ؟» ، غمغم دائراً بعينيه على الأسياد ماضينَ في قضم العظام بزمجراتٍ خافتة استمتاعاً . «أنا قديم بلا عمر» .
هرَّ مايشا :

- تشبه الوقت مثلي ، ياسانياري .

استقام ريكما واقفاً على ساقيه . نادى : «زيدىكا» ، فهرع زيدىكا إليه . «أحضر من يأخذ مايشا إلى الشجرة العظام فيعلقه إليها من ذراعيه تحت البوق . ولتُحفر الأرض عميقة قرب الشجرة العظام» . نظر إلى سانياري وزوجته : «اردموا الرمل على هذين . سيحتجبان» .

تعالى الهمهمات ، والغمغمات ، بنبر متوسل من لسان سانياري وزوجته ، ومايشا وأمه ، والأنثى التى تصحبهما ، فيما استلقى ريكما ، من جديد ، لا يصغي إلا إلى طحن العظام بين الأضراس .

بعد برهاتٍ تَخَالَطَ طحنُ العظام في أفواه الأكلين بما يشبه العويل في أفواه سانياري ، ومايشا ، ومن معهما ، حين جُرُوا مقيدين من الأقدام سحلاً على أرض القصر جرهم أقوياء من المحارين يتقدمهم زيدىكا .

التقى المنجمون ، القادمون من المعبد إلى القصر ، بمطية ريكما يتقدم المجرورين سحلاً بالحبال مربوطة إلى أقدامهم . ذهلوا . «ما هذا ، يازيدىكا؟» ، سألته كبير المنجمين ، فردَّ زيدىكا من غير أن يتوقف :

- فاضت المشيئة فأغرقت سانياري ، ومايشا .

تبادل المنجمون نظراتٍ مستفسرة في مالم يفهموه من ردِّ زيدىكا . أكملوا وثبهم القصير ، القلق ، في اتجاه القصر ، بعيون لا تنى تلتفت إلى وجه بونيا ، مستطلعة ثقل المحنة في عينيها الحار ، البنيتين .

بعد انتهاء الأسياذ من الوليمة ، صعد ريكما وبونيا ،

وحدهما ، إلى مجمع الذباب . اختارا واحدةً بيضاء الجسم ، بيضاء العينين والجناحين ، وضعها ريكما ، من فوره ، في يد بونيا . نفخ على قبضتها المضمومة : «سيكون لي نسل ، يابونيا» ، قال فهِرَّت المنجمة في انكسار .

هَرَّ داميكو في انكسار . هَرَّ توكا الأخرس ، أو المتخارس ، بنبرٍ خامل .

نزل داميكو الدرج إلى منتصفه ، من الطبقة العليا ، وراء ريكما وبونيا . استعرض بعينه الأبهاء أُفْرِغَتْ من الجَوَّابِينَ إلَّا الأسياد ، ومطاياهم ، وبعض الأتباع . لكن الجمع ما لبث أن تفرق ، كلٌّ إلى تدبيرٍ ما ينبغي تدبيره من شؤون العهد الجديد ومواريثه الجديدة ، فيما خرج ريكما ، وبونيا ، وأمناء أسرار أبيه - أسرارهِ ، وأعوانه إلى حديقة القصر في نزهة .

لم يكمل داميكو الشاعر نزوله الأدراج وهو في منتصف السلم بعدُ . رجع إلى جناح المجمع في الطبقة العليا . وثب وثباً هادئاً في اتجاه شريكه توكا المنهمك بربط ذباب جديد إلى خيوط من شعر الجن . أمسك بمعصمه . كلَّمه :

- أية ذبابة كنت تختار ، ياتوكا ، لو شاركتك جنية في الاستئصال اليوم؟ .

تلقت توكا من حوله في غمغمة بلا كلمات ، يستعرض الحُقق الكثار ، والآنية الحجر المجوَّفة ، المسدودة المنافذ . أبقى خِطْيُ ذبابتين في يده ، وهو يزحف بقدميه زحفاً ثقيلاً ، ناظراً إلى عظام طوال متوازية الرصف في سقف المجمع . أشار بعينه إلى كتلة حجرٍ رقيقة ، مجوَّفة ، حتى غدت شفافة تقريباً ، هي عينُ جنيٍّ أبقى منها قشرها بعد الحُفَر ، يمكن رؤية ظليِّ ذبابتين فيهما ، تدوران

متجاورتين على محيط داخلها .

مدّ داميكو عظماً رقيقاً ، مستوياً ، إلى الحجر الصغير - العين ،
المعلّق بخيط من الجلد إلى عظام السقف . أنزله . تأمل شبح
الذبابتين في جوف الكتلة بلا تمكن من تحديد ألوانهما . ساءل
شريكه :

- هل اختيارك هذا نهائي ، ياتوكا ؟ .

هرّ توكا محدّقاً في اهتمام إلى داميكو ، كأنما يستخبره ، من
عينيه ، إن كان قد قرر ، أخيراً ، أن يتخذ شريكه للاستئصال .
تفهّم داميكو نظرة توكا . وضع العين الحجر على مصطبة
مسطحة ، قصيرة . قرّب وجهه من وجه شريكه في الجمع . همس :
- لست أبكم ، ياتوكا . لماذا تتصنّع الحرس ؟ .
أبدى توكا استغراباً من ملامح وجهه . زمجر فانتفخ الجلد من
حول منخريه الثقبين .

«كلّمني ، ياتوكا» ، قال داميكو بصوت رقيق .

أطرق توكا متفكّراً . زمجر زمجرة خافتة ، ثم عاد إلى تدبيره
في تعليق الذباب بخيطٍ شعرٍ إلى أوتاد مغروزة في مسطبة .
دار داميكو من وراء توكا . طوّق عنقه بذراعيه ، واعتصره قدّر
مايستطيع .

حاول توكا جهده أن يحرر عنقه من ذراعي داميكو لجوءاً إلى
الركل من دون جدوى . أسرف في مد يديه إلى الخلف ليمسك
برأس داميكو فلم يفلح . تلوّى في عنف عساه يتحرّر بإرخائه ذراعي
داميكو ، لكنه أخفق . رويداً رويداً ، في ترثج جسميهما مصطلحين
بالمصاطب ، والأرفف ، زفر توكا زفيره البرتقالي دفقةً خفيفةً ورا ،
دفقة خفيفة .

أرعى داميكو ذراعيه عن عنق توكا فسقط الشاعر الأبرم ، أو
المتخارس ، على أرض مجمع الذباب . وثب إلى حيث وضع العين
الحجر الحاوية في جوفها ذبابتين . مدَّ رقعةً من الجلد ، طويلة ، على
مسطبة . وضع العين الحجر عليها ، وطوى بعضها على بعض حتى
غدت عصاة لفها على عضده الأيسر . ربطها من طرفيها ربطاً
محكمًا . جلب من ركن في المجمع سلاحه - عظم الزرافة كما
يزعم . هوى على الحُقق ضرباً فهشمها أجمعين على الأرفف ،
والمساطب ، بأجساد الذباب معموسةً فيها . هشم الحجارة المجوَّفة ،
الرقيقة الجدران . كسر الأوتاد كلها حيث علَّق الذباب إليها بنخيوط
من شعر الجن . سحق براحتي يديه ذباباً أنى قَدَرَ على سحقه .
انقلب المجمع ركاًماً من العظام المكسورة ، والحقق المكسورة ، والآنية
الحجر المكسورة . زمجرَ ملء حنجرتي ، ثم اندفع وثباً إلى خارج
المجمع .

لم يكد داميكو ينزل الدرجة الأولى من السلم حتى ألقى
جاراته الموجَّرات يهرعن من جناحيهن المجاور إليه . بُهتَنَ إذْ أبصرن
جوف المجمع والجثة المنطرحة ، والذباب الناجي طليقاً حراً يطنُّ في
الأنحاء . أطلقنَ عواءً مجروحاً من الدهول هزَّ سقف القصر .

قبل أن يتفهَّم عقلهن المزلزل ماجرى ، كان داميكو قد بلغ
الدرجة الأخيرة من السلم . تبعته الإناث المؤجَّرات نزولاً عاجزات
عن ربط سبب بمعناه ، أو ربط معنى بنقيض أسبابه . صرخن
بأصوات متصادمة ، ونبر صاعداً هابط :

- من فعل هذا ، ياداميكو؟ .

التفت داميكو إليهن . فتح ذراعيه محلّقاً في وثبه الطويل ،
الجامح :

-- سأعثر على هايكاهايكسين .

سبعة أيام ، بعد اختفاء داميكو ، عجز الجن في زينافيرى عن استعادة ذبابة واحدة من تلك المُتَنَشِّئة على الوساطة إلى استنسال الجن بوضعها في الكرات الحجر الحواضن . ذباب إقليم زينافيرى العادى ، الوضع ، الكثير بأسرابه ، التَّهَم ما تبقى من الذباب الجليل المُحْتَد ، الذي صرف أجيال من شعراء المجمع المتعاقبين اختصاصات عقولهم في استنباط أنواعه ، وتنشئة أعراقه على إسعاد الجن بتوريثهم نسلًا .

ذهول كبير أحنى السماء ، أو قَصَمَها ، فوق زينافيرى . لكنَّ خبر هلاك الذباب الجليل وفناؤه ، لم يَكُنْ وقعُهُ مذعراً في موضع من أرض زينافيرى ، إلى الجنوب البعيد من أسواق كاتراميل . أربع إناث حملنَ الخبر إلى صاحباتهن : « لا ذباب للاستنسال بعد الآن ، ياشاتار » ، قالت إحداهن للأثنى الطويلة ، المتزعمة فصيلَ الإناث التريكات ، اللواتي نزحن من مساكنهن القديمة بعد انكشاف أمرهن في إجهاض الأيدي الحاضنة ذبابها . لكنهن ظللن متسللات فرادى ، أو أنفاراً قليلة لا يُثَرْنَ الشُّبْهَة ، ولا يعمدن إلى تكرار ما كُنَّ يفعلنه قبلاً ، بل يستطلعنَ الأنباء ، ويتزوَّدنَ من زينافيرى بالأقاصيص للفصيل في عرائهن البعيد .

زمجرت شاتار بنبر رضىً في صوتها الصغير . زمجرت أكثر إذ أبلغتها القادامات من زينافيرى بانقلاب المواثيق القديمة في القصر على نفسها ، وتفسُّخ الأعراف بالمزاج العاصف من السلطان الجديد على الأعراف .

« قتل ريكما أمه شيكتان » ، قالت إحدى القادامات . « ريكما يستنسل المنجمة بونيا » . هَرَّتْ الأربع المتجسِّسات على زينافيرى

معاً : «ماياكي اعتزلَ القصر لا يخرج إليه من معسكره» ، قُلْنَ .
أضفنَ في همسٍ مهيب : «ظهرت طيور لاكيلا في أزقة القرى» .
هرهرات ، وزمجرات ، وفحيح ، وعواء ، تقلبت في حناجر
الإناث التريكات مع أنفاسهن . وثبت شاتار بضع وثبات إلى حيث
انشغلت الأنثى الإنسية بأرنبٍ قنيصة ، مرقطة رمادياً وخضرةً ، فوق
حجر صفيح ، تسليخها ، وتطعم كلبها كبد الأرنب . حدقت إليها
من عليائها وقد اعتادت أن ترى يدي الإنسانة ملطختين بدماء
القنائص يتصيدنها من الواحة الصغيرة ، القريبة . انحنت عليها .
نادتها باسمها : «هايكاهيكسين» ، فرفعت الأدمية وجهها إلى
شاتار مبتسمة .

«زمجري مثلي» ، قالت شاتار للأنثى الإنسية . حركت يديها
أمام فمها تريدها أن تقلدها .
ضحكت الأنثى الإنسية . زمجرت في حياءٍ .

الفصل الثامن (نهايات مؤجلة)

لا المنجمون ، لا المتفكرون من نجباء الجن في العضلات الكبار ، اهتدوا إلى تغليب المعقول على اللامعقول من نزوح طيور لا كيلاً أسراباً متفرقة ، عن الهضبة الحمراء إلى الساحات ، والأزقة ، في أرض زيناڤيري . ما من سبب واضح أُلجأ الطيور المقدسة إلى ترك مجاثمها العريقة فوق القمة العالية . أسلاف تلك الطيور حطّت أسراباً على القمة في عهد السلالة الثانية من سلالات جن زيناڤيري التسع ، قادمة من مجهول لم يجدوا تعريفاً له إلاّ بإسناده إلى أساطيرهم عن ممالك الأعالي . حُسِمَ الشكُّ في موطنها الأصل : هي من هناك . لا يتأتّى لطيور عُمَي مثلها ، برؤوس جماجم عظام لا لحم عليها أو جلد ، أن تهتدي إلى الهضبة إن لم تكن من معاقل ممالك الأعالي السيّارة كالنجوم . طيور عُمَي تخيّرت ، بعد طيران متقن ، موضعاً هو الأكثر مواءمة لطباعها في العزلة ، تتأمل أحوال ممالك الجن الدفينة في منابع الرمل ، بمحاجرها الفارغة من العيون .

طائر له جسم حي ، بلحم ، وجلد ، وريش ، ومشى ، ينتمي به إلى أحياء الأرض الرمال ، وله رأس كجمجمة ميت ينتمي به إلى العالم الذي وراء «النسيان الأعظم» . لربما ترك عينيه في موطنه الأصل رهناً على أنه سيرجع إليه بعد كشوف في العوالم الأسافل ، أو هو لا يحتاجهما مُدّ تقدّر مصادفات الوطن الجديد على تدبير

خيال ذي عينين له يُقدّسُهُما جن زيناڤيري ، فيقدمون له لحوم
قنائصهم تقدمةً من امتنانهم على وجوده مُشرفاً من القلّةِ العاليةِ
على الوجود في عزيفه المتصل من حنجرة الريح .

لم تكن الهضبة حمراءً أنّ هبوطها عليها ، بل رمادية على
صُفرة معتكرة كرمل الأرض في أقاليم الجن . باتت الطيور تلك
تنشق الرمل المعصوف عليها ، ومن ثم تزفره أحمر من ثقبوب
مناخيرها على أنحاء القمة ، ومن ثم نزولاً حتى أهضامها . ولما
أنجزت الذّهان الزفير على جرّمها كله عادت صاعدة إلى الأعلى ،
جائمةً لا تطير ولا تريم .

لم يخطر على بال أحد من جن زيناڤيري أن الطائر المقدس ربما
يرتب لنفسه عودة إلى موطنه الأصل ، بنزوله متجولاً في ساحات
زيناڤيري ، وأزقتها ، وتشكّكوا يوماً بعد يوم ، أن يكون ذلك التجوال
الغريب تهيئةً للهجرة . لكن أسياد الفرق حملوا إلى المنجمين في
المعبد ، زائرين فرادى ، أسئلة في مراتب العلامات .

عميد المحاربين الجديد هيّدس كان أول الوافدين إلى المنجمين
باتوا ثلاثة ، بعد انتقال بونيا إلى القصر . ساءل كبيرهم الواقف
على مدخل المحراب ، الذي قطنته الأنثى الإنسانية ذات يوم :
- أأنت على قلتي ، ياخاميدس ، من أمر طيور لاكيلا ؟ .

«ليس أكثر من خراب مجمع الذباب ، ونزوح ماياكي
ومحاربيه إلى تخوم الأرض المنخفضة» ، رد خاميدس .

هرّ هيّدس محدّقاً إلى عيون المنجمين الآخرين ، توهتو ،
وكاساك ، المصغين ببعض الشرود في وجهيهما . سألهما أيضاً :

- ماذا في بال ماياكي من نزوحه إلى أرض مانعات الرياح ؟
ريكما غير متوجس من أمر ماياكي .

قَرَّبَ كاساك ، الأقصر بين الجن ، نفسَه بنصف وثبة من هيدس . ساءله بدوره :

- لِمَ عزل ريكما عميدَ المحاربين ماياكي ؟ .
« لا شأنَ لي في ذلك إن كُنْتَ تُلَمِّحُ إلى شيءٍ مَّا ، ياكاساك » ،
ردَّ هيدس . رجعَ بالكلام إلى مستهلِّ سؤاله : « ماذا تعني طيور
لاكيلا ، بحقٍّ ، لجن زينافيرى ؟ » .

« هذه الطيور بصرُ الإقليم من قمة الهضبة » ، رد كاساك .
غمغم توهتو غيرَ موافق . عَقَّبَ :
- أسيغدو إقليم زينافيرى أعمى ما دامت الطيور تنزح عن
الهضبة ؟ .

« لم ننشغل بطيور لافيلا على أنها بصر إقليم زينافيرى ، أو
عماء » ، قال خاميدس . بسط الصورة أكثرَ شرحاً بسؤال صغير :
« كم كائناً أبصرته لهُ جسمٌ حيٌّ ، وجمجمة ميتة ؟ لا كائن يجمع
عالمين كطيور لافيلا . نصفه الأسفل في الحياة ، ونصفه الأعلى في
ماوراء النسيان الأعظم » .

« لم يتأوَّل لي أحدٌ منكم نزوح طيور لافيلا » ، قال هيدس .
« لدينا الكثير لتأوَّله ، ياهيدس » ، قال توهتو . « نزوح طيور
لاكيلا . خراب مجمع الذباب . إختفاء هايكاهايكيكين . ظهور
الغيوم » .

« علامات » ، تتم كاساك .
« ما العلامات ؟ ما مقاصد العلامات ؟ » ، تساءل هيدس .
« أشم روائح رمل مستخرج من منابع الرمال الدفينة . شيء ما
يجري تحت أرض زينافيرى » ، ردَّ كاساك بصوته الزفير . التفت إلى
توهتو : « قَرَّبَ مجيء طيف الذئب الأبيض . سنُحضِرُ بونيا لتداعبه » .

كان على هيدس أن يتوجَّس من نزوح ماياكي بمحاربيه إلى أرض مانعات الرياح ، بحق ، لا من نزوح طيور لا كيلا إلى ساحات زينافيرى ، والأزقة بين منازلها . مِرَقُّ من أخبار متأخرة وفدت مع الراصدين إلى القصر : ماياكي أخرجَ بعض البروج الأسوار - مانعات الرياح من الأرض المنخفضة إلى العراء ، من حول الوهدة الشاسعة . وقطع رتلٌ من محاربيه الطرقَ بين أواخر تخوم زينافيرى جنوباً ، ومحا العلامات السبع المرشدة إلى حانة ياموز ، في تدبير واضح إلى منع أي عبور صوب واحة كيما - منجم الصيد الذي يمدُّ إقليم زينافيرى بعظام القناص وجلودها .

من أرض البهو الأعظم ، بتحديث إلى فتحة السقف في القصر ، كان ريكما يترصد غيوماً تتلاحق ، متعالقةً بخطافات لا تُرى ، عنيدة كأنما تتقدّم الريح فلا تلحقها الريح لُثِثَتِها .
خمولٌ اللاتدبير ، وترقّبٌ باهت ، تناسجا في حركاته ، ونظراته إلى الأسىاد ، الذين ظاهرهم القلقُ واثباً في وثوبهم متخاطبين للإعداد لنقل المعسكرات إلى جهات جديدة ، لكنهم مترددون لم يحسموا من أين يبدؤون ، مادام سلطان زينافيرى الجديد لم يحسم شكل صراعه الخفي مع ماياكي .

«أهذا تمرّد؟» ، تساءل نيدج ، شريك ريكما في حكم القصر .
غمغم آخرون من الأسىاد غمغمات ليست تأكيداً ، أو نفياً ، بل تردداً في نقل الأحكام إلى حافة مازق .
«ماذا نُعدُّ قطع طرق إلى واحة كيما ، وإخراج مانعات الرياح من الأرض الانهدام؟» ، تساءل نيدج يستدرج الآخرين إلى توصيف بلا لبس .

«هل فيكم من يصدّق مانعات الرياح؟» ، ساءلهم ريكما .

«دأبُ المهندسين ، والصنَّاع ، كافٍ لإقناعي بتصديق ما يفعلون» ، ردُّ رومسو .

«من منكم كان يتفقد ما ينجزه الصنَّاع؟» ، ساء لهم ريكما .
صمت الأسيادُ إلا سافتار . ردُّ بصوتٍ هامس :
- ماياكي .

«ماذا يُقلقكم ؟ فرقكم من المحاربين مجتمعةً أكثر من محاربي ماياكي» ، قال ريكما .

تطلع عميد المحاربين الحديد هيدس إلى سقف القصر ، جائلاً ببصره على نسيج الغيوم من فتحته الواسعة . تساءل من غير أن يلتفت إلى سلطان زينايري :

- ما الذي سيتبقى منا إن نشبت حرب بيننا وبين ماياكي ، ياريكما؟ .

هرهر ريكما . حدَّق إلى شريكه في حكم القصر نيدج . ساءله :

- ماذا ترى؟ .

«للمنتصر حقٌ يحترمه المهزوم ، ويشرَّعه لنفسه قانوناً» ، ردُّ نيدج بصوت فيه زفرة .

أبدى ريكما استغراباً من رد نيدج الغامض . سألَه :

- إلى أين تأخذنا؟ .

«غزو الجن للجن حقٌ يتعهده الإله كوياسي» ، رد نيدج .
تبادل الأسياد نظراتٍ مستغربةٍ سياقَ الأحكام المُقَحَّم من لسان نيدج في الحادثة بينهم .

فحَّ ريكما :

- أهذه رؤيا ، يانيدج ، في تدبير الأحكام؟ .

زأر نيدج زئيراً خفيفاً . جال ببصره على أنحاء القصر يزُنْ
سلطته الجديدة فيه . تكلم :

- الغزو من حقوق الجن ، ومواثيقهم . إنه عقدُ بينَ الجن يبادر
الأقوياء ، عادةً ، إلى تظهيره إنْ أهمل .

«ماذا إن لم يبادر الأقوياء إلى تنفيذ حقهم في العقد - حقَّ
الغزو؟» ، تساءل ماكالوني ، فردَّ نيدج :

- يبقى حقاً مؤجلاً .

«لم أسمعك محدثاً على هذا النحو ، يانيدج» ، قال هيدس .
فاستبقَ نانسُ الردَّ قبل أن يتكلم نيدج :

- إنه يتهيأ لتدبير الأحكام . هذا حقُّ نيدج كنصف سلطان .

غمغم ريكما متعضاً من ذلك التصريح بحقيقة حاله في
الميثاق الجديد بينه وبين الأسياد . غمغم نيدج أيضاً ، لكنْ من
موضع الرضا . استرسل في السياق المُقَحَّم من حديثه الغامض :

- الخضوع حقٌّ يحفظه الميثاق للخاضع . والخاضعون ، كي
يعيدوا الاعتبارَ إلى وجودهم المنهزم ، يتمثلون طباعَ المنتصر في
التشريع . إنهم يصيرون ، بتمثُلِ طباعِ المنتصر ، منتصرين .

زأر هيدس برماً : «ماذا عن مجمعِ الذباب ، ياريكما؟» ، ساءل
السلطان ، في استعادة منه للمجتمعين إلى تدارس الأحوال ، بعدما
مال نيدج بهم ، في منطقهِ اللبس ، إلى خمول .

«سنعيد ترميمه» ، ردَّ ريكما . التفت إلى نيدج : «أليس
كذلك ، أيها الشريك؟» .

«لا بقايا كي نرُمُّها ، ياريكما» ، ردَّ نيدج . «لا ذباب» .

فحَّ ريكما :

- ثمَّ ماذا إذا؟ .

حرك نيدج يده خَطْفاً . ضمَّ راحتها على ذباب من الفلول
المتجولة في القصر :
- عندنا هذا .

«منذ متى يتخذ الجن هذا الذباب الوضيع النسب وسيطاً في
استنسالهم؟» ، تساءل هيدس ، فردَّ نيدج :
- سنلقنه طباع الرِّفعة .

«أراك شاحباً ، يانيدج ، من كثرة مافكرت بترويض المآزق ،
منذ اشتركت في حكم القصر» ، عقب هيدس على كلام نيدج في
سخرية .

زمجر نيدج مستثقلاً سخرية هيدس . ماحكة :
- أراك فتحت الطرق إلى واحة كيما ، وأعدت مانعات الرياح
إلى أرض صنّاعها ، مُد صرت عميداً للمحاربين .

تحاكك زئيرٌ خافت وفحيحٌ في الوسط بين نيدج وهيدس .
فحَّ ريكما بدوره يلجم وثبَّ قلوبهما إلى الكلمات . نادى :
- زديكا . أين الرسّامات؟ أهنَّ يَصوِّرْنَ الغيوم؟ .

«يَصوِّرْنَ بونيا في حديقة القصر» ، ردَّ زديكا مقترباً وثبتين من
بين مطايا الأسياد . «أرادت بونيا أن يصورنها على مدخل مسكن
هايكاهيكسين» .

«أين تُراها الآن؟ أين اختفت هايكاهايكسين؟» ، تساءل
هيدس .

«ربما هي التي تقود الغيوم إلينا» ، عقب نيدج .
في البعيد ، جنوباً من أسواق كاتراميل ، كانت الأنثى الإنسية
ترصد بعينيها البنيتين تشابك الغيوم متقلبةً في عراك هادئ . لم
تكن الريح ، ذلك اليوم ، زفيراً هائلاً كعهدها من فم الوجود . أقلَّ

عَصْفاً بَدَتْ فِي خَفْضِهَا الرَّمْلَ وَرَفَعَهُ ، وَتَرَأَتْ الْآفَاقَ ، فِي
الْجِهَاتِ ، أَقْلُ كِدْرًا ، حَتَّى كَانَ فِي مَسْتَطَاعِ الْإِنَاثِ التَّرِيكَاتِ أَنْ
يَلْمَحْنَ الظَّلَالَ الْبَاهِتَةَ لِأَعَالِي الْبُؤَابَاتِ الرَّمَالِ إِلَى الْأَسْوَاقِ تَأْتِيهَا
الْقِبَائِلُ ، عَادَةً ، بَعْدَ عِيدِ الْعَاصِفَةِ الزَّرْقَاءِ .

كَانَتْ مَسَاكِنُ الْإِنَاثِ التَّرِيكَاتِ الْجَدِيدَةِ ، بَعْدَ نَزْوَحِهِنَّ مِنْ
جَنُوبِ وَاحِدَةٍ كَيْمَا ، عَلَى تَطَابُقٍ فِي الْهَيْئَاتِ مَعَ مَسَاكِنِهِنَّ الْقَدِيمَةِ :
حَفَرٌ غَيْرٌ عَمِيقَةٍ ، مَنْحَدَةٌ الْمَدَاخِلُ قَلِيلًا ، مُمَوَّهَةٌ بِالْأَلْيَافِ ، لَا يُلْحَظُ
فَارِقُهَا عَنِ الرَّمْلِ إِلَّا عَنْ كَثْبٍ ، عَلَى نِظَامٍ مِنَ الْأَقْوَاسِ كُلُّ عَشْرِينَ
مَسْكَنًا مَوْزَعَةً عَلَى قَوْسٍ تَلِيهِ قَوْسٌ ، وَتَوَاجَّهَهَا قَوْسٌ . وَفِي يَوْمِهِنَّ
ذَاكَ كَانَ أَكْثَرُهُنَّ فِي شَعْلٍ ، مِثْلُ الْأَدْمِيَّةِ ، بِتَرَائِبِ الْغَيُومِ ،
مَتَهَيَّيَّاتٍ قَلِيلًا مِنْ خَفْضِ الرِّيحِ بَعْضَ جَمُوحِهَا . لَكِنَّهُنَّ كُنَّ
مُسْتَرْسَلَاتٍ ، أَيْضًا ، فِي عُرُوضِ الْخِيَالِ يُبْدِيهِ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ
تَأْوِيلًا لِلْغَيُومِ ، وَتَفْسِيرًا لِأَحْوَالِ قَصْرِ زَيْنَافِيرِي بِمَوَائِقِهِ الْجَدِيدَةِ ،
وَيُسْرِيْنَ عَنْ خَوَاطِرِهِنَّ بِعَاقِبَةِ خَرَابٍ مَجْمَعِ الذَّبَابِ .

«مَاذَا سَيَفْعَلُ جَنُوبُ زَيْنَافِيرِي بِأَنْفُسِهِمُ الْآنَ؟» ، تَسَاءَلَتْ
إِحْدَاهُنَّ ، فَرَدَّتْ أُخْرَى :

- سَيَعُوْضُونَ عَنِ الذَّبَابِ بِالنَّمْلِ الْأَزْرَقِ .

«هَلْ كَانَ النَّفْخُ بِالْأَفْوَاهِ عَلَى الْأَيْدِي الْحَاضِنَةِ ذَبَابًا هُوَ الْوَسَاطَةُ
الْحَقِيقِيَّةُ لِإِنْفِصَاجِ الْأَجِنَّةِ فِي الْكَرَاتِ الْحَجَرِ ، أَمْ الذَّبَابُ؟» ،
تَسَاءَلَتْ وَاحِدَةٌ مِنَ الْفَصِيلِ الْمَخْذُولِ .

«غَيْرُ مَفْهُومٍ . كُلُّ هَذَا التَّدْبِيرِ فِي اسْتِنْسَالِ الْجَنِّ غَيْرُ مَفْهُومٍ» ،
عَرَضَتْ وَاحِدَةٌ تَقْدِيرَهَا لِلْأَحْوَالِ . اسْتَرَسَلَتْ مَتَصَنِّعَةً حَرَكَاتٍ
سَاخِرَةً : «ذَّبَابٌ مُخْتَارٌ . إِنْطَبَاقُ الْأَيْدِي عَلَى الذَّبَابِ . نَفْخٌ عَلَيْهِ .
نَقْلٌ مِنْ يَدٍ ذَكَرَ إِلَى يَدٍ أُتْنَى . أَيْدَاعُ الذَّبَابِ الْكَرَاتِ الْحَجَرِ ، وَغَلَقُ

الثقوب حتى انفلاق الكرات» . غمغمت : «لماذا حجارة كُرات؟» ،
التفتت إلى الأنثى الإنسانية تُداعبُ كلبها جالسةً ، وترصد الغيوم
بوجه مرفوع إلى الأعلى : «أيستنسل نوع هايكاهيكسين على هذا
النحو الزري؟» .

«كيف تتخيلين تناسل نوعها؟» ، ساءلتها إحدى التريكات ،
فردّت المتحدثّة :

- يرسمون في الهواء ، نفخاً بأنفاسهم ، أشكالاً كأشكالهم .
يتكاثف الهواء حتى يصير كائناً على صورتهم تماماً .

«تُرشي ، أنت منجمة العهد الجديد في زينافيرى» ، عقّبت
إحداهن على تصوّر صاحبتهما للخلق .

«لماذا لا تنفخ كل واحدة منّا أنفاساً في كرة حجر؟ فلنجرب» ،
اقتрحت أخرى .

- أينبغي أن يكون الحجر كُرة؟ .

- كل حجر يصلح للنفخ فيه . لن نخسرن شيئاً .

توزعت الإناث التريكات يجتلبن حجارة من العراء حيثما
يعثرن عليها . جلبنّها صغاراً في أكثرها لا يوجد سواها ، مسطحةً ،
مستويةً ، بل صقيلة جداً أحياناً من تدبير الريح حتّى نَحْتاً . وتولّينَ
بمقاب من أنياب الذئب إنشاءً ثقوب فيها قَدَر ما استطعن عُمقاً .
ولما هممن بالنفخ في الثقوب بادرتهنّ شاتار باقتراح أثارهن :

- فلتشارك هايكاهيكسين كلّ واحدة منكن نفخةً في
حجرها .

هرهت الإناث التريكات ، وزمجرن سروراً . حملن حجارتهن
الصغار إلى الأنثى الإنسانية . نفخن في ثقوبها بإشارات منهن أن
تقلّدهن نفخاً منها كنفخهن ، فقلدتهن بعينين تلتمعان فضولاً

مَرَحاً . سَدَدَنَّ الثَّقُوبَ عَلَى الْأَنْفَاسِ فِيهَا بِأَلْيَافٍ لَدَنَةٍ كَوَّرْنَهَا بَيْنَ أَصَابِعِهِنَّ ، وَوَضَعْنَ حِجَارَتَهُنَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ حَجَرَهَا عَلَى جَانِبٍ مِنْ مَدْخَلِ مَسْكِنِهَا .

كُنَّ كَمَا فِي لَعِبٍ ، يَتَعَزَّيْنَ بِاخْتِرَاعِهِنَّ السَّادِجَ لِحُظُوظٍ وَفِيَّةٍ مَا حَرَمْتَهُنَّ مِنْهُ الْحُظُوظُ الْغَادِرَةُ فِي زِينَا فِيرِي . لَمْ يَأْخُذِ التَّدْبِيرُ الطَّقُوسِيَّ الْمُتَصَنِّعَ ذَاكَ مِنْهُنَّ إِلَّا وَقْتاً لَأَثْقُلَ لَهُ فِي مِيزَانِ الْوَقْتِ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعْنَ إِلَى تَأْمُلٍ فِي أَحْوَالِ الرِّيحِ الْمُتَكَاسِلَةِ قَلِيلاً ، وَأَحْوَالِ الْغُيُومِ مُسْتَشَاطَةً نَهَمًا إِلَى التَّهَامِ السَّمَاءِ قَضْمًا ذَرِيعًا .

«مَا الْغُيُومُ؟» ، تَسَاءَلَتْ إِحْدَى التَّرِيكَاتِ .

اِثْنَتَانِ مِنْ مَخْبِرَاتِ الْفَصِيلِ التَّرِيكَاتِ قَطَعَتَا عَلَيْهِنَ اسْتِرْسَالٌ قُلُوبَهُنَّ فِي تَقْلِيلِ ظَاهِرِ الْحَادِثَاتِ عَلَى بَاطِنِ الْمَعَانِي . هَتَفَتَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَهَمَا بَعْدَ تَثْبَانٍ وَثْبًا طَوِيلًا ، بَعِیُونَ عَلَى السَّمَاءِ الْغُيُومِ :

- إَقْلِمِ زِينَا فِيرِي مَوْشِكَ عَلَى حَرْبٍ .

تَمَطَّتْ أَعْنَاقُ الْإِنَاثِ التَّرِيكَاتِ مِنْ سَرْدِ مُخْبِرَتَيْهِنَّ لَوَقَائِعِ الْخِلَافِ فِي الْإَقْلِمِ : مَا يَأْكِي يَقْطَعُ الطَّرِيقَ إِلَى وَاحِدَةٍ كَيْمَا عَلَى أَيِّ مَوْكَبٍ ، أَوْ صِيَادِينَ ، وَيَتَأَهَّبُ بِمَانَعَاتِ الرِّيحِ لِحِصَارِ الْمَعْسَكَرَاتِ ، بَلِ الْقَصْرِ رِمَا . لَمْ تَبْدَأِ الْمَجَابَهَةَ بَعْدُ - هَكَذَا قَدَّرْنَا الْأَثَارَ اللَّامَنْظُورَةَ لِلصِّيُورَاتِ .

لَرُبَّمَا لَمْ تَشْغَلِ الْمُخْبِرَتَانِ خِيَالَ صَاحِبَاتِهِمَا بِوَمِیْضِ الْحَرْبِ الْمُحْتَمَلَةِ قَدَّرَ مَا شْغَلَتْهُمَا بِمَا جَرَى لِمَا يَشَا ، وَسَانِيَارِي .

«مَا يَشَا مَعْلُوقٌ مِنْ ذِرَاعِيهِ إِلَى الشَّجَرَةِ الْعِظَامِ ، شَرْقَ بَوَابَةِ الْمَعْبَدِ . أُمُّهُ ، وَالْأَنْثَى الَّتِي تَصْحَبُهَا ، مُسْتَلْقَتَانِ أَرْضًا ، تَحْتَ قَدَمِيهِ ، تَأْكُلَانِ الرَّمْلَ» ، قَالَتْ إِحْدَى الْمُخْبِرَتَيْنِ ، فَسَبَقَتْهُمَا الْآخَرَى إِلَى النِّصْفِ الْآخَرِ مِنْ وَقَائِعِ الْقِصَصِ الْفَضَارِيِّ : «سَمِعْتُ بِأَذْنِي أَنْيْنَ سَانِيَارِي ، وَهَسْتَارَ ، تَحْتَ الرَّمْلِ مَوْوُودَيْنِ» .

زمجرت الإناث التريكات استفظاعاً . ساءلتهما شاتار :
- مَن الأحكام؟ .

«من ريكما» ، ردّتا .

«ما الذي فعلاه؟» ، تساءلت شاتار . «ماذا فعلت هستار؟» .

«لا نعرف» ، ردّتا ، ثم رفعتا وجهيهما إلى السماء مرصوصة

بحجارة الغيوم البيض .

بونيا ، التي صحبها المنجمون الثلاثة ، توقفت عن وثبها قبل العبور إلى بوابة المعبد ، مُدحان موعد ظهور طيف الذئب الأبيض ، بتقدير النسب المتراصّة من أبعاد الوقت ، والنسب المتخلخلة ، واستنباء الأرقام الواضحة بأعشارها ، وكذلك الأرقام الغُشّ - الأرقام الأسياد الخلفيين في مُعسكر الحساب . هي لم تغادر القصر منذ خروجها من المعبد صَفِيّة لريكما جاهر بها شريكة للاستنسال . هالها أن ترى مايشا معلقاً على ذلك النحو إلى الشجرة ، وتعثر نبض قلبها بعضه ببعض إذ سمعت أنين المؤوؤدين سانياري وزوجته هستار ، فيما استرسل المغني تارتوك بصوته الأزيز إنشاداً ، ترافقه زوجته وابنتاه قرعاً بأيديهن على رؤوسهن ، واقفين مع البوّاق مايتا إلى جهة من البوابة .

عوت بونيا عواء خفيضاً . خفضت جذعها لتلمس رأسي أم مايشا والأنثى التي معها ، فرفعتا وجهيهما المعفرين رملاً إليها ، في استلقائهما شبيهتين بالجراد . عَوّتا .

هرهر مايشا بصوت خفيض مرهق ، منكمش الجلد من طول تعليقه جائعاً إلى الشجرة . استقامت بونيا لا تدري أتكلّمهم أم تُؤثر الصمتَ عاصباً بالنواجذ على حواشي الريح الغضوب . التفتت إلى خاميدس :

- ألا نستطيع أن نفعل شيئاً؟ .

هرّ خاميدس هريّر العاجز :

- فلنداعب ، أولاً ، طيف الذئب الأبيض .

أكمل الأربعة المنجمون وثبهم ، داخلين من البوابة الواسعة إلى
عَرْض المعبّد شاسعاً باستدارات جدرانهِ العظام . توقفوا في الوسط ،
رافعين وجوههم إلى الفراغ المتصبّب بياضاً في السماء تراءت لهم
من فتحة السقف ، التي تصل جداولَ الريح من الأعلى بنهرها
الجاري من البوابة .

« ما الغيوم؟ » ، غمغم كاساك مردداً السؤال لا يهتدي إلى يقينٍ
يستعير منه رداً .

فحّت بونيا وهي ترفع قبضة يدها اليسرى المضمومة على
ذبايتها أمام أبصارهم :

- ما الذبابة هذه؟ .

جرّ خاميدس قدميه جرّاً ثقيلاً يرهقُ الجنّ إذ يفعلون ، كأنه
يمشي حاملاً المعبّد على كتفيه . تقدم بطيئاً حتى بلغ المحرابَ الجوّرةَ
المتطاولة في الجدار .

وثب الثلاثة الآخرون وثباً قصيراً ، موزوناً ، فدخلوا المحراب
خلف خاميدس .

« إنه هنا » ، غمغم كبير المنجمين . رفع يديه فوق رأسه يداعب
ما لا يرى . مدّ الآخرون أيديهم يمسّدون بها جسدَ الخفيّ ناعماً ،
متطاولاً ، لولبيّ الحركة بدليل تحرّك أيديهم لولبيّاً .

« إننا ننقل زينافيرى إلى إله آخر » ، قال خاميدس كالمحدّث
نفسه بصوت متأنّ في نبره . « إله حوله جنّ مجنّحون في كهفه .
قضاة مجنّحون . خلّق أمام الكهف مجنّحون ، تائهون ، حائرون

أَطيعون شرائع لم يَقُلْها أم يعصونه؟ إله لم يبشر خَلْقَه بشيء ، ولم يَعِدْهم بشيء . لم يصطفِ رُسُلًا منجِّمينَ إليهم . إله ينتظر من خَلَقَه أن يرتجلوا ما يريدون وما لا يريدون . خلقَ بلا خصائص ينتظرهم أن يرتجلوا خصائصَ لأنفسهم .

وضع الأربعة المنجمون أيديهم بعضها فوق بعض : «أتحسُّونَ نبضَ قلبه؟» ، سألتهم بونيا في إشارة إلى طيف الذئب الأبيض اللامرئي .

زأر خاميدس زئيراً خافتاً . سحب يده من بين الأيدي . رفع وجهه في تحديق إلى سقف المحراب : «جنُّ مجنَّحون يدخلون على إلههم فلا يخرجون ، وإن خرجوا لا يعودون» . خفض نفسه . صفع الأرض الرمل فأنثَارَ غباراً تنشَّقه الأربعة معاً . وثب خارجاً من المحراب . دار على نفسه مزمجرأً : «إننا ننتقل بإقليم زينا فيري إلى إله آخر ، من حوله جن مجنَّحون يرتبون السماء الأخرى ، بحجارتها الملساء خلف منابع الرمال ، على عَجَل . إله عجول لا يحب الأناة في شيء . إلهُ العجلة هو . يؤمن به خَلْقَه على عجل ، وينكرونه على عجل . يَبْجُلُونه على عجل . إلهُ يُهين ويُهان . يُخَذَل على عجل ، وَيَخَذَل على عجل . يُلَقَّن كما يُلَقَّن . يَخْدَع ويُخْدَع . يُحَاصِر ويُحَاصَر . يستغيب حين يُستَغاب . يغضب حين لا يجد غاضباً . يتذمَّر حين لا يجد متذمَّراً . وهو في حيرةٍ لِمَ الجنُّ المجنَّحون مجنَّحون؟ لِمَ المجهول قويُّ في عصيانه ، رقيق في وحيه الذي يُستوحى؟» .

لحق الثلاثة المنجمون الآخرون بكبيرهم خاميدس ، دائرين معه من حول أنفسهم في وثبٍ راقص .
«إلهُ طباعه طباع كل مكان ؛ طباعُ كل كائن . يأسى

للخسارات كلها لأنها خساراته» ، قال خاميدس . «يُقامر بالمعقولات كلما تراكمت المعقولات في خَزْنَتِهِ الحجر» . زمجرَ بصوت عالٍ : «جِنَانٌ مُجَنَّنَحَان ، هائلان ، يُخَفِّيَانِ الإله بأجنحتهما الثمانيّة . يحجبانه عن خلقه من الجن ، ويحجبان خلقه عنه . لا معنى لأن يُرى أو يَرى . خلقه ذوو أجنحة لا يَرون ولا يُرون . به ، أو من دونه ، هم خلقه . بهم ، أو من دونهم ، هو إلههم» .

استلقى خاميدس ، فجاءةً ، على الأرض الرمل . تمرغ عليها كفعل الصيادين الجن بعد اقتناص الطرائد . نهض . نفَضَ نفسه هذاً شديداً فتذرَّى من صفائره الرملُ ومن ثيابه . قفز صاعداً هابطاً في موضعه . زأر : «إلهُ أن يحب أو يكره أمران لا يعنياه . أن يُطاع أو يُعصى أمران لا يعنياه . إلهُ في محنة . إله يلتزم وجوده في محنة . خصيصه جلاله أنه محنة . إلهُ محنةٌ مُدٌّ كانت المحنة أصل الإيمان بعدل الخسارة» .

تراخى خاميدس كأنه أنجز نقل الثقل عن كتفيه إلى كهف الإله الآخر في الرؤيا . غمغم :

- إقليم زينا فيري لم يعد هنا .

هرَّ كاساك القصير :

- إنه الآن بين أقاليم الأعالي السيارة كالنجوم .

فحَّت بونيا . نفخت على يدها اليسرى المضمومة على الذبابة ،

ثم فتحتها فطارت الذبابة .

زمجر الثلاثة المنجمون ، محدّقين إلى بونيا استغرقتها سكينه رخيّة . تقدموا منها . لمسوها كلُّ لمسةً عطوفة براحة يده . غمغم خاميدس :

- أنا ذاهب إلى ماياكي . لن أرجع .

دارت بونيا بعينيهما على فراغ المعبد تلاحق ، في اللامرئي ،
طيفَ الوحي الذئب . غمغمت بدورها :

- أراك ، أيها الطيف ، في مكان آخر . لن أعود إلى هنا .
خرج الأربعة المنجمون من المعبد وثباً طويلاً ، عجبواً ، حاملين
على عواتقهم أجربة تتلاطم فيها العظام وتتصايح بأصوات همس .
استأخر ريكما عودة بونيا من زيارة المعبد في مغيب يوم
زينافيري . أرسل مطيته زيديكا يتفقدوها فعاد زيديكا خائباً لم يعثر
عليها .

أمضى السلطان الجديد ليله واقفاً ، لافي مُقامه هو بل في مقام
بونيا الثنية ، التي شغلته أسما أخت سوك مرة ، وشغلّه هو قبل
انتقاله إلى ركن أبيه . استذكر ، حانقاً بعدُ على تأخر بونيا ،
ماجريات القصر الأصغر والأكابر . عضَّ خياله عضاً رقيقاً على
قلبه من التنازل الفاضح عن سلطته الكاملة على القصر مقابل أن
يهزم أمّه في المجابهة حيلةً بحيلة . لكنه لحظة وقوفه في أعماق
الركن المعتم ، لم يحس بانتصار على شيكتان : غلبها بانتصارٍ
مهزوم .

هرّ إذ تسللت المرارة إلى لسانه ، فتناهى إليه هريّر من جوار
ركن أبيه ، تبعته كلمات من فم نيدج - شريكه في حُكم القصر :
- أهذا أنت ، ياريكما؟ .

زحفاً ثقيلاً بقدميه على الأرض الرمل تقدم ريكما من عمق
الركن إلى بابه ، ثم وثب باستدارةً فبلغ ركنه هو - ركن كاشاجو
سابقاً . نادى شريكه القابع في ركن شيكتان الذي كان لها قبل
قتلها :

- هلاً خرجت ، يانيدج؟ .

في زحف ثقيل بقدميه خرج نيدج من ركنه المجاور لركن السلطان سابقاً ، وابنه السلطان لاحقاً . بادره :

- اتحبذ أحاديث الليل ، ياريكما؟ كان كاشاجو يحببها فيجتمع في ظلام البهو الأعظم سُمَّارٌ كثر .

فحَّ ريكما في الظلام لا يرى أحدهما فيه من الآخر إلاَّ خطوطاً سوداً ذائبة على لوح سواد . سأل شريكه :

- بيم يوحى لك القصر في السكينة هذه؟ .

«لا سكينة ، ياريكما . ألا تسمع زفيرَ الريح؟» ، ردَّ نيدج .

«بِمَ يوحى لك زفير الريح مختلطاً بزفير القصر؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ نيدج :

- أن أبقى ساكناً حتى يُريني النهارُ حدودي في هذا المكان .

«ما حدودك مُذ صرتَ شريكى؟» ، ساءله ريكما ، فردَّ نيدج :

- هي المتقدمة حين تتراجع حدودك ، ياريكما ؛ والمتراجعة حين تتقدم حدودك .

«أأبصرني خيالك أنني تراجعُ ، يانيدج؟» ، ساءله ريكما ، فرد شريكه :

- لا تتراجع أنت ، بل يتراجع القصر .

«ما الفرق بيني وبين القصر؟» سألَ ريكما ، فرد نيدج :

- أنت تعرف أنك في القصر ، لكن القصر لا يعرف أنك فيه .

«أأكلُ سلطتي على القصر والقصرُ لا يعرف أنني فيه ، يانيدج؟ ما تخبُّطُ الكلمات هذا على لسانك؟» ، قال ريكما بنبرٍ خشن ، فردَّ

نيدج :

- أنتَ بصرُ القصر . ضعْ عصاَبة على عينيك لن يرى القصرُ شيئاً .

«ها هو الظلام عصابة على عينيّ، الآن، يانيدج، لكن المشيئة التي تتدبّر بي تصرف شؤونه كلّ نهار، وكلّ ليل أيضاً، لا يحجبها حجاب»، قال ريكما .

«هي المشيئة التي يرى بعينيها كلّ قادر على امتلاكها، ياريكما، وليس القصر»، عقّب نيدج .

زمجر ريكما زمجرة خافتة :

- ها أعدتني إلى الدّرج الأول، يانيدج : ما الفرق بيني وبين القصر؟ .

«أنا»، ردّ نيدج .

«ماذا؟»، تساءل ريكما بنبر خافت . «لم أفهم» .

فتح نيدج . صمت مقلّباً ردهً ذاك على مقادير فهم ريكما له .

«لم أفهم»، كرّر ريكما استيضاحه .

«أنا أيضاً»، رد نيدج .

«لم تفهم ماقلت؟»، ساءله ريكما، فردّ نيدج :

- ألم يحدث لك مرة أنك قلت شيئاً لم تفهم مرادك منه ،

كأنما سبقك لسانك متعثراً، من عجلته، بفكرتك؟ .

«لا أتذكر»، رد ريكما .

«تذكّر الآن أنّ هذا قد يحدث»، قال نيدج .

هرهر ريكما في الظلام كأنّ لم يقنعه عذر نيدج في تدبير

المخرج . أدار المحادثة إلى تفصيل آخر من أحوال وقت زينايري .

- مَنْ من السادة سيبدأ مواجهة ماياكي بمحاربيه؟ .

«تقضي الخطط أن تبدأ الفرق كلها، مجتمعة، مواجهة

ماياكي»، رد نيدج .

«ماذا لو أننا في خطأ من التقدير، وأنّ ماياكي لا يريد مواجهة

حقاً؟» ، تساءل ريكما ، فردّ نيدج بنبر فيه استغراب من تردد ريكما في التقدير :

- لِمَ قاطع القصر ، إذا؟ لِمَ نزع بمحاربيه إلى جهة الأرض المنهدمة ، وقطع طرقاً إلى واحة كيما ، وحرك مانعات الرياح ؟ .

«يعني ذلك لزماً أن نحاربه» ، غمغم ريكما .

«نعرض عليه أن يرجع طائعاً» ، قال نيدج .

«من يتوسط في هذا بيننا وبينه؟» ، سأله ريكما ، فرد نيدج :

- المنجمون .

جرّ ريكما قدميه جرّاً لا يثب بهما في الظلام . ابتعد عن نيدج ، الذي تراجع بدوره إلى عمق ركنه .

«شيكتان» ، غمغم ريكما حروف اسم أمه مطحونةً ، بنبرٍ خافت مختنق في حنجرته ، يستحضرها : «أتسخرين من انتصاري عليك ، يا صاحبة الظلّ الحيلة؟» ، زفر متطلعاً من باب ركنه إلى الجهة الجنوب من القصر لا يرى منها شيئاً . «أروح نينيسو هناك إلى جوار ركن زيديكا؟ ألم تغادر روحها إلى المخاطبات الدائرية بالسنة لهب ، ياشيكتان؟ ، أهـي تخاطب زيديكا؟ لم تترك لي نينيسو فرصة لأخذ منها خبايا قلبك . أم أخذت كل شيء - أخذتُ القصر؟» .

جر ريكما قدميه من أعماق ركنه صوب الباب . كلم نفسه بلسان أعماقه : «أكان في اقتداري كسب الأسياذ بمقترح آخر غير إشراكهم معي في الحكم ، ياشيكتان؟ أهـ لو قتلتهم واحداً واحداً . هم كانوا العقبة أمامي لأتسلّم ماهو لي . جعلتهم عقبةً باستمالتهم إليك ، ياشيكتان» . زفر حاقدًا : «تنازلتُ فربحتُ» . لوى عنقه يساراً ينظر إلى ركن نيدج : «هاهو من يقطن ركنك ، ياشيكتان .

أيوملك أن يتبادل الأسياد السُّكنى في ركنك ، ياشيكتان؟ أنت فعلت هذا . كلُّهم سيتبادلون الوقوف ، تباعاً ، في الموضع الذي كنت تقفين فيه . سيعلقون أجربة أسلحتهم ، وطعامهم ، في المواضع التي علَّقت إليها أجربتك قبلاً . سيفصفعون الأرض الرمل يستنشقون غبارها حيث كنت تستنشقين . مزقة أنت الآن» .

صمت ريكما برهة . تنفس عميقاً من منخرية الثقبين : «من هذا الذي إلى جوارك؟» ، ساءلها بلا كلمات من لسانه . «أوه . كاشاجو . هذا أنت . أتسألها شيئاً؟ كأنني سمعتك تقول لها : لِمَ قتلَتي؟ كيف خطر لك أنها قتلتك؟ أتخيفها؟ هيهُ . شيكتان ، ردِّي . أأنت قتلت كاشاجو؟» . مطَّ عنقه كأنما يقرب وجهه من شبح أبيه : «هي التي أغرقت سوك ، وأغرقت نينيسو مطيتها ناكولي . اقتُلها ، ياكاشاجو ، قبل أن تقتلك ثانيةً . واحذر نينيسو . إنها أبداً وراء شيكتان» .

فحَّ ريكما : «لم تساعدني ، ياكاشاجو . انتحرت في عزلتك . ربما نفخت سوك عليك . خنقتك روحُ سوك . خذلتني ، وها أنا أخذلك أيضاً . انظر إلى ركن شيكتان . نيدج يقيم فيه . أكنت تخيلت ، في أكثر برهات روحك انهياراً ، أن سيداً من أسياد الفرق سيشاركك القصر؟ إن ماتوا ستشارك أرواحهم شبحك في القصر . خذلتني . خذْ مني خذلاناً أكبر . خذْ سلاحاً واطحن عظام شيكتان» . هرَّ ساخرأ : «أهديتُ عظامها للمغني تارتوك . أهديتُ عظام نينيسو لقياف البروق ويلابو ، وأهديتُ نصف هذا القصر للحيلة التي انتصرتُ بها على حيل شيكتان . ربحُ قاس . ربحُ لا يُطاق» .

أصدرَ ريكما عواءً خافتاً : «أين النهار؟ ربما عليّ الذهاب

بنفسي إلى ماياكي ، وأن أحضره إلى القصر ؛ أن أحضر الأسياذ
فأحاصرهم في ركن ؛ أن أفنيهم ؛ أن يجمع ماياكي فِرَقَهُم كُلُّها
تحت إمرته . زمجرَ : « أين النهار؟ » .

في الشعاعات الأولى من الشمس محتجبةً ، بعدُ ، في حصنها
خلف الأفق الرمل ، أطلق ريكما مطيته زيديكا إلى المعبد ثانيةً ،
يستطلع الغياب المريب للمنجمة بونيا ، فعاد زيديكا بالخبر المريب :
- لا بونيا . لا أحد من المنجمين هناك .

« ماذا؟ » ، غمغم ريكما . دار نصف دورة حول نفسه يلاحق
ذبابة القلق حائمةً حوله : « فليَنفُخْ مايتا في بوقه . أريد الأسياذ
جميعاً هنا » .

« لحظةً ، يازيديكا » ، قال نيدج يؤخره في الذهاب . « لماذا نطلب
الأسياذ؟ » .

هرَّ ريكما بنبر ممتعض :
- علينا أن نحسم أموراً اليوم .
« ألم نتفق أن نعرض على ماياكي العودة طائعا؟ » ، ساءله
نيدج .

« بلى . وقد اقترحتُ أن نُجد وسيطاً » ، رد ريكما .
« ليكن المنجمون وسطاءنا . قلتُ لك ذلك » ، عقَّب نيدج .
« لم نتفق بعد » ، قال ريكما . « هم ليسوا في المعبد ، على أية
حال » .

دار نيدج بوجهه على أبواب الأركان المجاورة لركن ريكما .
تساءل :

- أين بونيا؟ .
« لم ترجع بعد » ، رد ريكما .

هرّ نيدج بنبر فيه استغراب :

- هي لم تعدّ . والمنجمون ليسوا في المعبد!! لم أعرف أن
المنجمين يقضون الليل خارج معبدهم .

«ها هم يفعلون» ، عقّب ريكما . أعاد بصره إلى زديكا :

- ماذا تفعل هنا ، يازديكا؟ لم أسمع نفير البوق .

النفير الذي أطلقه مايتا من البوق العظم مديداً ، عميقاً ،
متصلاً ، بلغ الحدود الأقرب إلى الأرض المنخفضة ، حيث أمضى
المنجمون بعضَ ليلهم ساكنين على تخومها . في الفجر أكملوا
قدومهم إلى معسكر ماياكي المنتشر في الأنحاء كلها . راصدون من
الحاربين هرعوا إلى لقاءهم . واكبهم بعضهم كالخفراء لهم حتى
أحفة الأرض الوهدة الوسيعة . تركوهم يكملون وثبهم إلى عُرضها ،
حيث بروج مانعات الرياح وسدودها موزعة على الجهات . بل رأوا
بعضها خارج الأرض المنخفضة لم يعرفوا كيف أخرجها الصنّاع
والعاملون . لكن هزّتهم الفجأة لما أبصروا عديداً من طيور لاكيلا
العمي جوابة في المسالك الرمل بين مجاميع المشاغل المنفصلة
بعمالها ، لا يُعيرها الجائلون لقضاء مهماتهم اهتماماً يُستحقّ ،
كأنهم ألفوها ، فيما تتوالى لفتاتُ الذاهبين والأيّبين إلى السماء
يقيسون بأبصارهم أسوار الغيوم ، وحصونها البيض . أحسوا نفخاً
مشوباً ببردٍ مكتوم في الريح ، فانكمشت جلودهم قليلاً .

كبير المهندسين بوكلو ، الذي تولّى إدارة المشاغل ، وتفصيل
الأعمال ، بعد موت ليوفا غارقاً في رمل عمره ، لاقاهم وثباً يحيط
به بعض الأطفال المنفيين ، قادماً من مجثمه بين الرمال الخرائط
محاطةً بسياج من القصب القصير ، المرصوص كجدار كي لا
تبعثرها الريح . ساء لهم وهو على بُعد وثبات منهم :

- ألم يعترضكم الرواصدُ الجوّالون من محاربي هيدس ،
سائلين إلى أين أنتم ذاهبون؟ .

«لم نلتق أحداً في الطريق إلى هنا» ، ردّ توهتو .

حدّق بوكلو إلى بونيا :

- ألسـت شريكة ريكما في ذبابته؟ ماذا تفعلين هنا؟ .

فتحت بونيا راحتي يديها أمام بصر بوكلو . مازحته :

- علّمني كيف أتسلق بيديّ معاً برجاً من أبراج مانعات
الرياح .

وجم بوكلو قليلاً من مرأى يديها فارغتين . لم يستوضحها أمر
ذبابـة ريكما . عبّر بلسانه إلى سؤال آخر :

- ماذا تفعلون هنا؟ .

«مامن إقليم يُدعى زيناڤيري نرجع إليه» ، ردّ خاميدس .

هرّ بوكلو . استعصت التوريّة عليه . تساءل :

- أهذه رؤيا ، ياخاميدس؟ .

«لا» ، رد خاميدس .

«مسا الأرض التي حولنا ، من هنا حتى أسواق كاتراميل ،
وأبعد؟» ، تساءل بوكلو .

«هي الأرض المفقودة» ، رد خاميدس .

فحّ بوكلو حاملاً مايقوله كبير المنجمين على محمل الدعابة .
ساءله :

- أين زيناڤيري ، إذاً؟ .

«بين الممالك السيارة في الأعلى» ، رد خاميدس رافعاً إصبعه

السبابة اليمنى إلى الغيوم : «لزيـناڤيري ، هناك ، حصونٌ حجر ، لا
حصونٌ رمال» .

أبقى بوكلو بصره على الأعالي بحدائقها الغيوم . رفع يده
اليسرى ، الناقصة السبابة والوسطى المكسورتين ، إلى الاتجاه الذي
أشار إليه خاميدس . ساءله :
- هناك ؟ .

« نعم . هناك » ، رد خاميدس .

« أنت تضيف مهمة أخرى ، يا خاميدس ، إلى مشاغل
ماياكي » ، قال بوكلو . « كيف يصعد بمانعات الرياح إلى الأعالي
ليحاصر زينافيرى ؟ » .

« فليحاصر الظلال الأثار لإقليم زينافيرى . إن أخضعها خضع
زينافيرى الأعالي » ، رد خاميدس . تلفت من حوله : « أين
ماياكي ؟ » .

« هو في الجهة الجنوب من الأرض المنخفضة » ، رد بوكلو ، مشيراً
بيده اليسرى المكسورة الإصبعين إلى الأفق تراءت في نهاياته أشباح
أبراج . أضاف : « يختبر واحداً من سدود مانعات الرياح » .

وثباً طويلاً عبر المنجمون الأرض المنخفضة ذراعاً عن كل
محيطها من الرمال . بلغوا الجهة الجنوب بعد وقت يُحسب من
نوافل الوقت لا من أسسه . كان عمال كثير ، حشد ، يوجههم
الصنّاع الحذّاق ، بالعلامات الخرائط في أصواتهم ، كيف يلحمون
الأجزاء الكثر للأبراج بالسدود بينها واقفة على عجال ضخام ،
بأعمدة نافرة من أجنتها تتداخل كالأضلاع وتتواشج .

كان الزفير ، والهدير ، قوين تمازجهما الزمجرات الخفيضة
أيضاً ، من حناجر العمال يرفعون أجزاء مانعات الرياح بعضها إلى
بعض ، فتتشابك عرّضاً كسدود . تعالت الأصوات قرقعات هائلة
من تصادم الأخشاب بالألواح ، والأسطوانات بالجدوع إذ تلتحم .

كادت بونيا تصمُ أذنيها بيديها لولا أن سحبها كاساك من ذراعها
مُدَّ عثر على ماياكي ممتطياً ظهر راتو يجول به أمام البرج الأول من
البروج اكتملت ، أو كادت ، ملحقاته من السدود العراض عن
جانبه . حشد كبير من الأولاد المنفيين كانوا متحلقين نصف حلقة
من حوله ، يتولى محاربون إبقاءهم مجتمعين لا يتشتتون .

استرعى المنجمون بصرَ ماياكي قادمين إليه وثباً موزوناً . هرَّ
مستغرباً . ولما جاوروه بادرهم :
- ماذا تفعلون هنا؟ .

«هجرنا المعبد» ، ردَّ خاميدس .

فحَّ ماياكي وقد ازداد استغرابه :

- أتعني أنكم لن ترجعوا؟ .

تطلع خاميدس من حوله إلى الخلاءات الرمل توزَّع فيها
المحاربون ثللاً حتى الأقاصي الأبعد . أعاد بصره إلى ماياكي :
- سنقيم معبداً بين مانعات الرياح .

هرَّ ماياكي من المزاح في كلمات خاميدس . مرَّ ببصره على
وجوه المنجمين الآخرين في رضى . كلمهم بدوره مزاحاً : «ستكون
منازلكم على رؤوس البروج» ، قال . خفض نظره إلى يدي بونيا
المفتوحتين . تفاجأ : «أين نسلُ ريكما؟» .

«في الأعالي» ، ردَّت بونيا بإشارة إلى ذبابة طليقة لا تُرى ،
قبل أن تلتفت إلى لغط خفيف ، منفصل عن زفير العمال
وهريهم . صاحت مندهشة :

- تركناك البارحة تغني قرب الشجرة العظام .

هرَّ المغني تارتوك مصحوباً بزوجته ، وابنتيه ، وقياف البروق
ويلابو . ردَّ :

- نحن هنا الآن .

«سِغْنِي لطيور لاكيلا» ، عَقَّبَ ماياكي محدّقاً ، في رضىٍّ ،
إلى تارتوك : «سأضع طيوراً على سطوح الأبراج كلها ، وعلى أحفّة
السدود العراض» .

«أبقى مكاناً شاغراً لبعض البروق أيضاً ، ياماياكي» ، قال
ويلابو ، فعَقَّبَ ماياكي :

- إقليم زينايفيري كله سيمتلئ بروقاً . سيمتلئ القصر .

تلمل راتو ، مطية ماياكي ، يقاطعه في الحادثة ، ويحشه
بغمغة على وجوب متابعة العمل .

«اعذروني» ، قال ماياكي . همّ بالانصراف عن المنجمين فوثب
إليه خاميدس بسؤال لم يستطع تأجيله :

- كيف انقصاد مهندسو مانعات الرياح وصنّاعها لك ،
ياماياكي؟ أراهم منصاعين ، موالين .

«يعرفون أنهم لن يخسروا شيئاً» ، ردّ ماياكي رداً فيه لبسٌ
خفيف . أشار بيده اليمنى إلى حشد الأطفال المنفيين : «سيكون
هؤلاء اختبارنا الأول» .

تبادل المنجمون نظرات تتأوّل خطط ماياكي ، الذي هرع به راتو
جائلاً على الصنّاع يستوضحهم ، ويحثهم على الإسراع ، يواكبه
خُفراء ضخامٌ .

صعد من الأرض المنخفضة برج آخر على عِجال ، تمتدُّ عن
جانبه أضلاعٌ ألواح طويلة ، يجره عاملون بحبال ، ويدفعه من
الخلف عاملون . أداروا البرج إلى جوار الأول . دفعوه فاشتبكت
الأضلاع بتلك الأخريات النافرة من جانبي البرج الأول . اكتمل
سور بينهما ، وسوران من جانبيهما لم يلبث أن ألحقت بهما

عوارضٌ مسطحة ، متراسة ، فاكتملت دائرة مزلّعة ، عالية . دفع العاملون الأطفال إلى وسطها ، ولحم العمال الشقّ الباقي بباب ضيق قرعته الريح نطحاً فصرت مفاصله .

تباطأ صخبُ الأطفال المنفيين . خفتت صيحاتهم الأزيز من غير أن تتلاشى . وضع ماياكي عينه اليمنى ، من فوق ظهر مطيته ، على ثقب صغير جداً في الباب كان قد سدّ بسدادة كالإصبع . رأى الأطفال متقاربين ، مترقبين ، بطيئين في الحركة على خمول ، بوجوه إلى الأعالي المستشاطة بياضاً بغيومها . انتظر خمودهم كلياً ، ساعة أو أكثر في وقفة مطيته الثابتة ، فلم يكتمل خمودهم كماأموله من صناعة المانع . نزل عن ظهر راتو . وثب إلى لفيف الصناع الحذاق . أشار على بعضهم أن يتبادلوا استراقَ النظر من الثقب إلى الأطفال المحاصرين ليتأوّلوا الحقائق لم تُنجز بليغة .

دُعِيَ كبير المهندسين بوكلو ومعاونوه هـ لينضموا إلى المستقصين ثَغرة لم يفهموها في الخططِ التصاميم .

وضع الصناع أعينهم ، واحداً واحداً ، على الثقب ، ثم عادوا مجتمعين يتدارسون الخلل ، في همس ، على مقربة من بوكلو .

أعاد ماياكي النظر ، من الثقب ، إلى الأطفال ، فألفاهم على الحال تلك الخاملة قليلاً ، لكن من غير جمود كامل . خفّ راجعاً ، في وثبتين ، إلى لفيف الصناع وكبير مهندسيهم : «ماالخلل ، يا بوكلو؟» ، ساءله؟

«الخلل من فوق» ، رد بوكلو . «تصدّم الريحُ الجدرانَ السدودَ بينَ البروج فترتدُّ ملتفةً إلى الخلف . لكنّ بعضها ينشقُّ على أحفة السدود منقلباً إلى داخلها . ذلك لايساعد على شلّ الحرجة كلياً» . «أيمكن وضع سقوف فوق طوق السدود تحجب الريح من

الأعلى؟» ، تساءل ماياكي ، فردّ بوكلو :
 - أتئى لنا أن نفعل ذلك ، ياماياكي ؟ .
 «أينفع لو جعلنا المسافة بين طوق السدود أكثر ضيقاً؟» ، تساءل
 ماياكي ، فردّ بوكلو :
 - ربما . لكن ما المكان الذي ستقسّم حصارك عليه ، موزعاً
 مانعات الرياح على قطع صغار من أجزائه ؟ .
 أدرك ماياكي المنطق في ردّ بوكلو . أحسّ نخزاً على جلده من
 خشية الإخفاق . اقترب من بوكلو . أمسك بذراعه يدعوه إلى
 خلوة . وثباً مبتعدين قليلاً عن المنجمين والصناع . هامس ماياكي
 كبير المهندسين :
 - أهذه بداية إخفاق ؟ .
 «ليس بعد» ، رد بوكلو .
 «ماذا ستفعل؟» ، ساءله ماياكي ، فرد بوكلو :
 - لا أعرف .
 فحّ ماياكي فحيحاً طويلاً ، مثبتاً عينيه على وجه بوكلو . أتبعَ
 الفحيح بزفير . صرخ :
 - راتو .
 وثب راتو ملبياً نداء سيده .
 «أخضّر بعض أمري فصائل المحاربين» ، قال ماياكي .
 حضر أربعة من أمري الفصائل . هروا منتظرين أن يعرفوا لمَ
 استدعاهم .
 حرّك ماياكي ذراعه اليسرى في إشارة واسعة الطوق ، يحصر
 بها مواضع من الأرض المنخفضة :
 - أطلقوا الأطفال المنفيين جميعاً ، أحراراً . فليواكبهم بعضُ

الخفراء حتى منتصف الطريق إلى القرى ، ويتركوهم يكملون الرجوع إلى أهليهم .

غمغم أمرو الفصائل طاعةً . وثبوا منصرفين إلى قضاء ما أمروا به .

حدق ماياكي إلى عيني بوكلو ، مستجمعاً تصميم خياله على خُطَّة :

- سأخذ مانعات الرياح أحاصر بها المعسكرات كما هي .
«ستبطل حركة من ستحاصرهم ، ياماياكي . لكن ذلك قد لن يكفي» ، عقّب بوكلو .

قرب ماياكي وجهه من وجه بوكلو :
- تصنع أنك تدبرت حلاً للخلل بإضافة بعض الألواح إلى هياكل الأبراج .

«أتريدني أن أتصنع ذلك؟» ، ساءله بوكلو مستغرباً ، فرد ماياكي :

- من سيعرف سواك وسواي بالأمر؟ .
«ماذا إن رغب الصنّاع في تجريبها؟» ، رد بوكلو بسؤال .
«لن أنتظر أن يجربها أحد . سأخذ مانعات الرياح بلا تجريب» ، قال ماياكي .

«ماذا عنهم؟» ، تساءل بوكلو .
«من تعني؟» ، غمغم ماياكي .
«أسياد الفرق» ، رد بوكلو .
«أيعرفون أن في مانعات الرياح خللاً لم يُصحح؟» ، تساءل ماياكي .
«لا» ، ردّ بوكلو

«ماذا أنتظر إذا؟» ، قال ماياكي . زمجر : «سأمزقهم هَلْعاً» .
في حديقة قصر السلطان ، كان ريكما على جدال مع أسياد
الفرق ، واثبين من حوله بين أقفاص فهود البوابات الرمال :
- ما الطريق الذي لم يقطعه ماياكي ، بُعدٌ ، إلى واحة
كيما؟ .

«قطع الأربع الطرق إليها ، وجعل من حول الواحة كمائن
كثراً» ، ردَّ هيدس .
زمجر ريكما :

- ألدیه من المحاربين مالم نعرف عددهم؟ .
«ضمَّ عديداً من أقرباء محاربيه في عبوره القرى إلى الأرض
المنخفضة» ، رد هيدس .

«أجرى كلُّ هذا وأنتَ عارفٌ؟» ، ساءله ريكما مغتاضاً .
«لم يجرِ ذلك وأنا عارف أنه يجري . عرفتُ فيما بعد» ، ردَّ
هيدس بنبر يدفع التقصير عنه .

توقف ريكما عن وثبه . دار ببصره من حوله : «زيدىكا» ، نادى
مطيته بنبر محتدم . «ألم تظهر بونيا؟» .
«لا بونيا . لا المنجمون» ، رد زيدىكا .

مدَّ ريكما يده بغتة فأطبقها على عضد شريكه نيدج :
- لماذا يجري كل شيء في بطء؟ .
«ما الذي يجري في بطء؟» ، تساءل نيدج .

«أدبَّرت شعراء يرممون مجمع الذباب؟» ، سأله ريكما ، فرد
شريكه :

- ليس بعد .
«ماذا تنتظر؟» ، زمجر ريكما .

«الأمر ليس سهلاً» ، رد نيدج .
«متى كان حُكم زينافيرى سهلاً؟ أم استسهلته؟» ، ساءله
ريكما في نبرِ توبيخ .
«سأخترع شعراء إذاً ، وأنصب منجمين أيضاً . أين منجمونا؟
ربما غادرونا إلى ماشفير الأعمى» ، قال نيدج .
«سأبوء الصيادين الحُذَّاق مناصبَ المنجمين في المعبد» ،
عقَّب ريكما . «دعُ أمر المنجمين لي» .
«لك ولي» ، قال نيدج بصوت الشريك المذكَّر ريكما بالعهد .
فحَّ ريكما في وجه نيدج . أدار بصره إلى هيدس :
- أعطِ نيدج فرقتين يقودهما إلى الأرض المنخفضة الآن .
فحَّ نيدج بدوره :
- هيدس سيقود مايشاء من الفرق إلى الأرض المنخفضة . هو
عميد المحاربين .
زمجر ريكما فجوابته فهوْدُ البوابات الرمال في أقفاصها هريراً :
«دعوني مع هيدس» ، قال ريكما للأسياد . «رتَّبوا خططَ
المجابهات . حان الوقت» .
انصرف الأسياد متجهين إلى القصر على عجل .
«اقترِبْ» ، قال ريكما لعميد المحاربين الجديد هيدس . كان
يتطلع باهتمام إلى واحد من فهوْد البوابات الرمال أبيض الجلد ،
مرقَّطاً دوائرَ رمادية . «انظر إلى عينيه ، ياهيدس» .
«هما كعينني هايكا هيكسين ، لولا أنهما زرقاوان» ، قال
هيدس .

وقف الفهد ، بعد حَوْم ، قبالتهما في قفصه العظام متشابكةً
كالأضلاعِ صُنْعاً . نقر ريكما بأنامله على القضبان الملتوية . غمغم :

- ماذا لو تراجعْتُ عن ميثاقِ مشاركة الأسياد ، دورياً ، في حُكم القصر؟ .

«أحذرْ ، ياريكما ، قد ينقلبون عليك» ، رد هيدس .

هرَّ ريكما حنقاً فهِرَّ الفهد .

زمجر ريكما فتراجع الفهد حائماً بين جدران قفصه .

تطلع سلطان زينافيرى الحديد إلى وجه عميد المحاربين الجديد .
ثَبَّتَ عينيه على عينيه تجذبهما إلى نجدةٍ من الخطط تُرضي نزوعه إلى نقض الميثاق . تساءل هامساً :
- ماذا أفعل ؟ .

«ماذا تفعل؟» ، تساءل هيدس بنبر كصدىٍّ من سؤال ريكما .
أضاف : «لامخرج . ستبقى على ميثاقٍ أنت وطَّدت حُكمه في القصر» .

كشر ريكما عن أسنانه في غضب يتأكله صامتاً :

- سأعزل نيدج أولاً . أين ستكون ، ياهيدس ، إن فعلتُ؟ .

«أين سأكون؟» ، تتم هيدس متبلبلاً من عوارض تراجع ريكما عن عهده . حوَّلَ بصره عن عيني سلطان زينافيرى إلى المعبر الواسع صوب بوابة القصر . أردف : «لاتعزلْ نيدج . إنه موقف لم تعد قادراً على صنعه» .

«سأصنعه» ، دمدم ريكما من باطن حنجرتة . زفر : «كيف أستعيد ماياكي؟» .

«اسألْ شريكك نيدج في مخرج لاستعادة ماياكي» ، رد هيدس .

«ماذا لو رددنا إليه منصبه؟» ، ساءله ريكما مختبراً ، فرد هيدس :

- أعدّه إليه .

«ماذا عنك؟» ، ساءله ريكما ، فرد هيدس :

- لا مشكلة عندي .

«ماذا لو رفض نيدج مقترحي؟» ، تساءل ريكما .

«مقترحك؟ أتعني إعادة ماياكي عميداً للمحاربين؟» ، قال

هيدس .

«أبعد من ذلك . أن يحكم ماياكي القصر وحده سنة» ، رد

ريكما .

أطال هيدس النظر إلى تخطيط ريكما ظاهراً في مقترحاته المخارج

المبتذلة من مأزقه . استصغره ، لكنه أثر رداً في سياق المنطق :

- إن لم يقبل نيدج ، تعرض مقترحاتك على اقتراح الأسياد

عليه .

«ماذا لو خسرت؟» ، تساءل ريكما .

زمجر هيدس كأنما يذكر ريكما أنه في وهم من صناعة الخطط

الركيكة :

- لقد خسرت ، ياريكما ، على كل حال .

«من أنا الآن؟» ، زأر ريكما .

«سلطان زينافيرى» ، رد هيدس مخففاً عن ريكما حصار خياله

المطحون .

«سأبعثر زينافيرى ، إذا» ، قال ريكما .

فلول من الذباب صدمت وجه ريكما هائجةً في طينها .

هاجت الفهود ، فجاءةً ، في الأقفاص ، حائمة مذعورة ، في هديرٍ

متّصل . عوت الذئاب الصفر . تخطيط الجن القزم في أقفاصهم

الصغار يفرّون من جهة فيها إلى جهة . مدت طيور كارنا الطويلة

الأعناق كالأفاعي أعناقها من الفراغات الضيقة في جدران أقفاصها ؛ أدارتها لولباً في الهواء ، ودائرياً ، كأنما تهرب رؤوسها مغادرةً جسومها الحبيسة . جراد كثيف غطى الأرض الرمل متراكباً طبقات ، زاحفاً من المعبر الواسع في مدخل الحديقة صوب بوابة القصر .

تراجع ريكما وهيدس عن قفص الفهد مبهوتين من ذلك الغمر الصوت متنافراً ، موحشاً ، مذعوراً ، مُرعداً قلقاً ، جاوبت به الحيواناتُ الحيواناتِ في الحديقة إنذاراً ، وتحذيراً ، بالعواء والهرير ، وصدم الأقفاص بجسومها طلباً للهرب .

بعد برهات من الصرير الطاحن صادراً عن أرواح الحيوانات الحية ، حمد الصوت في حناجرها ، وسكنت جسومها منشلةً ، فيماعلا عزيف الريح كما لم يعلُ قبلاً في زينايفري .
«لنعدُ إلى القصر» ، غمغم ريكما مبليلاً .

هرَّ هيدس موافقاً فلم يصل هريره إلى سمع ريكما : دويٌّ صاعقٌ ، عميق ، ثقیل ، باهظُ الارتداد ، شقَّ الأرجاء مرقاً كثياب الجن قبل رتقها . توالى الصدى موجاً خفيفاً أول الأمر ، لحقه موجٌ جامح ، فموجٌ هائلُ الهيج هاذ قلبَ الريح أعاليها أسافلاً ، وأدارها على نفسها برؤوس من الرمل تسعى إلى عض أذيالها خبلاً .

تمايلت الأقفاص في الحديقة لولا ثقل العظام متراكبةً فيها ، والفراغات في الجدران لا انقلبت ، إلا الأقفاص الصغار الحاوية جناً قُزماً ، مفرطي الضلالة فإنها انقلبت متدحرجةً ، فاقتنص الجنُ القُرم حظَّ المصادفة . تفرَّقوا هارين يصيئون كالعقارب في اتجاه سور الحديقة . صعدوا السور المرصوص من قرون البهائم . تبدّدوا .

سحاب أحمر ارتفع في السماء شمال شرق زينايفري . راه

ريكما وهيدس من موضعهما ذاك ، لكنهما لم يخمنا سببه مُدَّ حجبََ عنهما القصرُ منبعَ السحاب . هرعاً وثباً قوياً إلى الشرق علَّهما يبصران ، بالتفاف من حول جدران القصر ، موضعَ الدوي المهول .

ما سمعه ريكما ، وهيدس ، ولم يرياه ، سمعه ورآه جنُّ كثير من مواضعهم في الجهات شتَّى : نيزكُ قضمَ الحافةَ الجنوبَ من هضبة طيور لا كيلا . رفع التراب ، والرمل ، والحجر أبراجاً إلى السماء ثم أهالها على الأنحاء غباراً أحمر ، لن يهدأ راكداً على الأرض إلا بعد يوم ونصف اليوم من أيام الجن .

سيزعم ألما النحات أنه أول من رأى النيزك . ظنَّه انشطار غيم رمادي من بحر البياض في السماء . كان على كتف نُصب الإله كوياسي . تزلزل النصبُ فهوى ألما جارفاً ، في سقوطه ، عظاماً كثيراً من هيكل إلهه . أعانته طبقات العظام التي هوى فوقها على لجم سقوطه عنيفاً من علياء النصب ، فنجا بكسور قليلة في ذراعه اليسرى وقدميه .

كثيرون غيره سيروون ، لاحقاً ، أنهم كانوا أوائل من رأوا النيزك أبيضَ مرةً ، أسودَ مرةً ، رمادياً مرةً ، أحمرَ مرةً ، مُكتنفاً بصواعقَ أقواسٍ حول جِرمه مرةً . قيَّاف البروق ويلا بولفت الأبصار بزمجرةٍ عنيفةٍ إلى الهضبة ، من موضعه على حافة الأرض المنخفضة .

مياياكي ، وبوكلو ، والصنَّاع ، والعمال ، انشلت حركاتهم في التفاتهم إلى الهضبة البعيدة وقد تفلَّع الجزء الجنوبي من قمتهَا مرتفعاً سحاباً من هشيم الحجر والرمل إلى السماء ، ثم تمدد السحابُ فوقها سقفاً دائرياً ، وانتشر ليغطيها منحدرًا من السفوح في الاتجاهات كلها غباراً أحمر .

انشقت حنجرة تارتوك بغناء صاحب النهر ، فجوابته زوجته
وابنتاه بقرع عنيف على رؤوسهن الحليقة يخال لمن يراهُنَّ ، في
الحال تلك ، أنهن يطردن ذباباً أنسل من أذانهن إلى الأحفاف فوق
الأمدة . أمير المهندسين الحديد ، بوكلو ، الذي خلف الأمير المقتول
ليوفا ، لم يصرفه الدهولُ عن جمع لسانه في سؤال إلى ماياكي :
- أعتقد أن إلهاً آخر يختبر خططَ الإله كوياسي ؟ .

بفم مفتوح التفت ماياكي إلى بوكلو : «أتكلمني؟» ، ساءله ،
فأعاد بوكلو السؤال ذاته عليه .

«لا أعرف إن كان يختبرها أم يبدلها» ، رد ماياكي .

«أنت تؤمن بإله آخر ، إذا؟» ، عقب بوكلو .

«اسأل المنجمين ، يابوكلو» ، قال ماياكي ، ناظراً من خلفه إلى
المنجمين الأربعة متقلصي الأعناق ذهولاً ، بأبصار خاشعة إلى
الهضبة في البعيد الأقصى من معالم الأرض الرمل منبسطة ، إلا
من كثبان متفرقة .

«هجروا معبدهم» ، قال بوكلو . «هجروا إلههم» .

«جاءوا بمعبدهم معهم» ، عقب ماياكي .

«هل المعبد ، في زينافيرى ، هو معبد الإله كوياسي
ياماياكي؟» ، تساءل بوكلو . أردف : «لم أسمع المنجمين يطلبون من
أحد ذكر كوياسي في معبدهم» .

«هم لا يذكرونه» ، قال ماياكي .

«أيؤمنون به؟» ، تساءل بوكلو . «هو نصب قرب المعبد ،

لا أكثر . من يمر به يتذكره ، ومن يبتعد عنه يسهو عنه» .

«إله لا يُذكر إله استثنائي» ، عقب ماياكي . أرجع خياله ، من

المحاورة الطارئة إلى الحال التي هم فيها من الحيرة الدهول .

صوب البرج الأول من أبراج مانعات الرياح . أبعد عمالاً عن أسفل
سُلمه وارتقاه حتى أعلاه . وقف إلى جوار سارية رُفعت عليها رُقعة
من جلد الأمير الراحل ليوفا . خفقَ الجلدُ العَلمُ خفقاً شديداً .
صرَّ ويلابو بأسنانه الكبار . وثب قاصداً جهةَ الهضبة رافعاً
صوته بنبر عويل :

- هناك من يسرق البروق .

هرَّ النجمون هرباً مختلطاً بزمجرات خفيضة . تقدّموا وثباً من
البرج الذي صعدته ماياكي . رفعوا وجوههم إليه .
«ماذا ترى؟» ، ساءلته بونيا .

«لا شيء غير الغبار الأحمر» ، رد ماياكي بصوت عال من
علياء البرج .

اقترب أمير المهندسين بوكلو من النجمين . لمس كتف
خاميدس متمتماً :

- انفجرت الهضبة .

نظر إليه خاميدس متمهلاً في التعقيب . جاوزه ببصره إلى
صحابه الثلاثة الآخرين : «ما تقدركم؟» ، ساءلهم ، ثم سبقهم
إلى الرد : «دخل إقليم زينافيرى حيّزه المتحقّق ، المحفوظ له ، بين
ممالك الأعالي السّيارة كالنجوم» . عوى .

على نحو كعواء خاميدس تبادلت الإناث التريكات عواءً
متقطع النبر هيبّةً ، من موضع مساكنهن في الجنوب الأبعد من
أسواق كاتراميل . نبج كلب الأنثى الإنسانية بصوت متكسر كأنما
يزجر نفسه بنفسه ، دائراً من حول سيده ، التي انتصبت مستغرقة
في استقصاء ذلك الدوي الصارم من إشارات الغيظ فيه . هي ،
كالإناث التريكات ، لم تبصر سقوط النيزك ، أو ارتطامه بالهضبة

مُذُّ الهَضْبَةُ لَا تُرَى مِنْ خِلَالِئِهِنَّ يَحْجِبُهَا الْبُعْدُ وَالْأَفَقُ الْمَعْتَكِرُ مِنَ
الرَّمْلِ مَعْصُوفاً فِي الْهَوَاءِ . لَكِنَّ الرِّجَّةَ الْمَصْحُوبَةَ بِزَيْثِ السَّمَاءِ فِي
كَهْفِهَا ، أَرَعَشَتِ الرَّمَالَ مِنْ حَوْلِ الْمَسَاكِينِ ، وَمِنْ تَحْتِ الْأَقْدَامِ عَلَى
الْأَرْضِ الرَّمْلِ .

بَرْدٌ غَيْرُ صَارِمٍ ، إِنَّمَا غَيْرُ مَعْهُودٍ فِي زَيْنَافِيرِي ، مَسَّ أَسْنَانَ
التَّرِيكَاتِ الضَّخَامِ ، الْمَفْتُوحَاتِ الْأَفْوَاهِ مَتَهَيَّيَاتٍ ، مَجْفَلَاتٍ ، حَنِينٍ
ظُهُورَهُنَّ فِي تَأْهُبٍ لَا يَعْرِفْنَ أُيْهَرِينَ ، أَمْ يَنْبَطِحْنَ جَائِمَاتٍ أَرْضاً .
تَحَرَّكَتْ شَاتَارٌ زَحْفاً بِقَدَمَيْهَا عَلَى الْأَرْضِ الرَّمْلِ بِثَقَلٍ كَبِيرٍ ،
صَوَّبَ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةُ . وَقَفَتْ إِلَى جَوَارِهَا مَتَطْلَعَةً إِلَى حَيْثُ تَتَطَّلَعُ
بَعَيْنَيْهَا الْمَلْتَمِعَتَيْنِ ، الْبَنِيَّتَيْنِ ، الْخَجُولَتَيْنِ ، حَيْثُ الْمَسَارِبِ الْأَوَّلِ
الْبَعِيدَةِ مِنْ غَمَامٍ أَحْمَرَ مِنْفُوشٍ ، تَتَذَرَّاهُ الرِّيحُ بِمَذَرَاتِهَا فَلَا تَسْتَحْكُمُ
ذَرِّيَّتَهُ .

«أَأَحْسَسْتُ بِمَا أَحْسَسْتُ ، يَا هَايْكَاهِي كَسِينٌ؟» ، تَسَاءَلَتْ
شَاتَارٌ . أَلَوْتَ عُنُقَهَا صَوَّبَ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةُ ، الَّتِي لَنْ تَفْهَمَهَا عَلَى
أَيَّةِ حَالٍ .

عَقَدَتْ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةُ ذِرَاعَيْهَا مَتَصَالِبَتَيْنِ فَوْقَ صَدْرِهَا اتِّقَاءً
مِنْ تَسَلُّلِ الْبَرْدِ الْخَافِتِ إِلَى جِلْدِهَا . قَلَّدَتْهَا شَاتَارٌ بَرَهَةً قَبْلَ أَنْ
تَنْحِنِي الْإِنْسَانَةَ رَافِعَةً كَلْبَهَا عَنِ الْأَرْضِ . ضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا تَتَّقِي
بِهِ وَتَقِيهِ ، فَقَرِبَتْ شَاتَارٌ كَتَفَهَا مِنْ كَتَفِ الْإِنْسَانَةِ الَّتِي تَقْصُرُهَا
بِكَثِيرٍ . لَأَصْبَقَتْهَا مَتَدَفِّئَةً .

أَرَخَتْ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةُ ذِرَاعَهَا الْيَسْرَى عَنْ كَلْبِهَا . طَوَّقَتْ بِهَا
خَصَرَ شَاتَارٍ تَجَذَّبُهَا فِي رَفَقٍ لَتَتَمَاسًا مَسْتَدَفِّئَتَيْنِ .

فَصِيلَ الْإِنَاثُ التَّرِيكَاتِ عَمَدَنَ ، كُلَّهِنَّ ، إِلَى تَلَامُوقٍ ، إِلَى
صُورَةِ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةِ وَزَعِيمَتِهِنَّ ، اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ مَعاً ، بِأَذْرَعٍ لَنَفْسِهَا

على الأعناق احتضاناً يستدفئن . تفحصن ، بقلوبهن المدّهنة برداً ،
غمامة الأفق الشمال الحمراء تشعب ، وترسّب بعد علوّ ، غامرة ما
يتراءى لهن من المعالم الشبحية وراء بوابات أسواق كاتراميل
العالية .

أرخت الأنثى الإنسية ذراعها عن خصر شاتار . أنزلت كلبها
أرضاً . رفعت راحة يدها أمام نثرة بيضاء شاردة ، مرت سراعاً بنفخ
الريح عليها فلم تلتقطها . وجهت بصرها إلى السماء . بضع نثرات
أخريات ، متباعدات جداً ، عبّرْنَ لمحاً ، ثم ذبنّ قبل بلوغهن
الأرض .

نثراتٌ ثلجٌ كانت تلك . طلائع متفرقات لا يلحظن ، أو يدبّن
قبل أن يلحظن . الإناثُ التريكات ظننّها ، بلا استرعاء كبير
لانتباههن في حالهن تلك من المهابة ، هبرات من أجنحة الجراد ،
أو قشوراً من نبت الليف في الواحة الصغيرة قريباً من مساكنهن .
لكنّ جنياً آخر في بيداء لم تتفق الجهاتُ على تخمين موضعها ،
استلقى على صدره أرضاً ، في هلع لا يعرف كيف يتقيه لما لامسته
نثراتٌ من نثيث الثلج على جلد وجهه وكتفيه العاريتين ، ذائبةً من
فورها .

داميكو الهائم على وجهه في الفيافي ، هو الذي استلقى على
الأرض الرمل يأساً من النجاة بجلده من نذف الثلج المتباعد : لقد
تقشّر دهانُ السماء الأبيض متساقطاً رقائق صغيرة تخفضها الريح ،
وترفعها ، وتدور بها ، قبل بلوغها الأرض أنصاف ذائبات ، أو
ذائبات . رُوّع داميكو من البلل المتفرق عليه في مواضع رسو النثرات
التجأ منها هرباً إلى جهات أربعين تائهاً بخياله . ولما أيقن بالعجز
عنيفاً عن تفادي القشور الباردة البيض ، استلقى . دفن وجهه في

الأرض . زفر لاهثاً فتناثرت ذرات رمل من حول منخرية الثقبين .
لبث شاعر يجمع الذباب برهات على حاله ، تقشعر المواضع
العارية من جلده كلما نخزتها نثرة في السقوط أحسّها تغور حتى
عظامه في غلافها اللحم الليف . نهض يائساً ، متصاك الساقين .
أدار وجهه على الجهات يتلمس ملجأ ، فأعادته الجهات إلى موضعه
خائباً . تراخى ، لكنه أزمع أن لا يستسلم للخيبة الساحقة ، وللهلح
المحكم ، الموصد لا ثغرة فيه . وثب متعثراً وثبات قصاراً إلى حيث
لا يدري ، مُدّ اختلطت الأرض عليه فتقشرت أنجهااتها كالسماء
تقشّر بياضها رقائق لم تشهد لها قبلاً أية سُلالة من سلالات جن
زينافيري .

عوى داميكو مراراً في متاهته المستقيمة . تلمس العصابة
الجلد ، التي طوّق بها عضده ، ملفوفة على حُقّ فيه ذبابتان انتقاها
قبل تنكيله بجمع الذباب تهشيماً ، وتحطيماً . وضع أذنه على
عضده متنصتاً إلى طنينهما الخافت كنبض قلبه المتخافت .

بعد مسيرة متباطئة ، مثقلة بالعجز ، مقدار ساعة من زمن
الجن ، توقف النثيث الأبيض ، المتفرق . خلع داميكو مئزره . مسح
به كتفيه وعنقه ، وذراعيه ، ثم إئترز به ثانية . بحث بعينه في
الأرض ربما يجد عظماً لقيّة ، مُدّ لم يتموّن بعظام في هربه المفاجئ ،
المُرتجل . أمسك بجرادة كبيرة من حشد الجراد على الأرض الرمل
بطيئاً حتى الشلل في زحفه ، بخيال كخيال داميكو . رفع الجرادة
في يده أمام عينيه ، مستذكراً صورة الأنثى الإنسية تاكل جراداً .
فتح فمه . قضم رأسها في حذر بالغ مبلّغه قرفاً . مضغ رأس
الجرادة . زمجر . بصق المضغة مستفظعاً مذاقها . استلقى يحشو فمه
بالرمل ويبصقه تنظيفاً لم يسبقه إليه أحد . زأر بصوت مخسور ،

فجأوبه صوتٌ وهَوَهٌ خَشْنَةٌ ، عميقةٌ بُعْدًا . تأمل مصدر الصوت .
لمح ، في البعيد ، نتوءات بارزة لم يَخْفَ عليه ، بإدامته النظر إليها ،
أنها بقايا الأجزاء العليا من بوابة مدفونة من هبوب الرمال عليها .
توجه نحوها زحفاً بقدميه ، لاوثباً .

ارتعد داميكو بعد النقلة الخامسة من قدمه اليسرى بأثر عميق
في الرمل ، حين برز له ، من وراء النتوءات الثمانية ، رأسٌ لم تحتمل
مفاصله مرأى تفصيله المذعر . خارت ساقاه . تصككت مفاصله ،
وطقطقت أسنانه رعدةً .

ربما يكون داميكو من قلائل الأقلين ، من الجن ، رأوا قرود
هيهمو . قبيلته - قبيلة تونسو أبيدت مَغْرُوءَةً من قرود هيهمو . نجت به
وبأمه مطيئتها شاتيك ، متبوعةً بقرد طاردهم كالموتور المنتقم . لن
ينسى شاعر مجمع الذباب أنياب القرد ؛ هريره المسنون ؛ خَمْشُهُ
الهواء بأظافر يديه الطوال على بُعد أنملة من جلودهم .

أبقت السنون المنصرمة من عمر داميكو تفاصيل المطاردة لا
تمحو خلجة صوت منها ، ولاتنتقص عدد التواءات المطية شاتيك
في وثبها المتعرج تتفادى لحاق القرد بهم . وهاهو ، في متاهته
المستقيمة ، يرى رؤوس القروود تتوالى ظهوراً من وراء رأس القرد
الأول ، حمر العيون ، رمادية اللون ، لم تفتح أشداقها بعد عن
الأنياب الذهبية .

تراخى داميكو . تقوَّس ، ووجم خامداً .

الأطفال المنفيون ، الذين أطلق ماياكي سراحهم من الأرض
المنخفضة ، كانوا متراخين أيضاً بالعيون متهيبَةً من قشور السماء
متفرقة السقوط تستقر على رؤوسهم فيهبزونها مقشعريين . واقشعروا
أكثر إذ رأوا طيور لاكيلا المقدسة يتناهش بعضها بعضاً في الأعراء ،

ويهشم بعضها ، بمناقيرها الحجرية الكبار ، جماجم بعضها العارية من الجلد واللحم ، الفارغة المحاجر من العيون .

رسامات زيناڤيري تولّين ، من مدخل مكنهن في المسكن الفسطاظ لا يبارحنه خوف البَلَل ، رسم الغمامة الحمراء ، والجزء المقصوم من كتف الهضبة . ثلاث منهن شغلن ألواحهن بالألوان الحجر خامدة اللون ، خابية ، تلتقط صور المساكن ، والجن المجفلين المذعورين ، في المدى الذي يستطيع بصر الرسامات استجلاءه من الأرض الممتدة حتى الهضبة . أما رابعتهن فأثرت رسم طيور لاكيلا المنتشرة في نزوحها أسراباً تتهارش ، وتتصادم بأجنحتها الثقالة الطوال ، كأنها ترى بعيون قلوبها المختزنة عصراً من القهر لم تصرفه في صيد ، أو شجار ، فإذ هي في السانحة الدهرية من إطلاق سراح طباعها الأول - طباع الجحيم مقدسة كالفردوس أختها . ولربما لو مُنحت الرسامات أن يرينَ قدراً صافياً من الأفق لامعتكر فيه من رمل معصوف ، أو غمام أحمر ينتشر ويترسب ، لرأينَ قياف البروق ويلاَّبُو يصعد وحده ، من دون سائر الجن في زيناڤيري ، مطلع سفح الهضبة الجنوب ، كأنما هي فرصة خياله الأخيرة لالتقاط برق هو الأنقى نظاماً بين البروق بدوائره اللهب ، وشباكه اللهب محيطاً بأشكال فهود لهب ، وجن نارين لهم أجنحة صواعق ، كل صاعقة بثلاثين شعبة .

ويلاَّبُو ، في ارتقائه السفح ، لم يأبه كثيراً للنثار الأبيض من قشور السماء غدا مصبوغاً حمرة ، بل لأولئك الأشباح الخارجين ، منهكين إعياء في خروجهم من بين الرم والهشيم التراب ، والرمل ، والشظايا الحجرية . أشباح خدّهم الهلع الصاعق من ارتطام النيزك بكتف الهضبة ، على الأرجح الأكيد ، فخرجوا من بقايا أكنية

متفَلَّعة ، ، ممزقة ، كشف عنها طائرُ السماء ذو البراشن الحجر ،
والريش الحجري . كانوا يتبعون ، في حالهم المذهلة ، شيخاً شبحاً
سبقهم خروجاً ، واضعاً يده على كتف أنثى تُعينه على تلمس
سيره .

لم تعبر صورُ خيالٍ ويلابو في برهته تلك ، بل حروفُ كلِّ
حرف خَدَّر في باطن اللسان . زفرَ قِياْفُ البروق الحروف من حريق
في حنجرتِه : « ماشفير » .

هي أنفاق ماشفير تلك الآثار المحفورة ، البقايا المتفَلَّعة ، الظاهرة
بعض أحفَّتْها الأسطوانية . لن يعرف أحدٌ مبتدأ حَفَرها ، والمسالك
التي شقَّتْها في باطن الأرض الأعمى كماشفير للوصول إلى سفح
الهضبة .

ماذا كان المتמרّد الأعمى يهيئ لزيفافيري من هناك؟ ذعرٌ
وأسئلة عضّ بعضها بعضاً ، نزلت نثراً ناراً من خيال ويلابو إلى
أحشائه . تلفت من حوله فإذا هو في وسط بين مخارج الأنفاق
المتراذمة كأنه واحد من كشف عنهم النيزك مغبرّين حمرةً .

لم يكن للنكوص جدوى إن أراد ويلابو نكوصاً على عقبيه -
عقبَي الجرادة . كانت الأرض متصالحة مع السماء بأناقة الحيلة
تعهدّها غبارُ الهضبة الأحمر ، والقشورُ الثلج .

اندفع ويلابو ، كذعره ، مرتقياً السفح إلى حيث تقود الأنثى
سيدها الأعمى زحفاً ثقيلاً بقدميها ، وقدميه المنهكتين من فجاءة
الصدمة الصاعقة - صدمة النيزك . وثباً ارتقى ويلابو الهضبة لم
تخمد فيه ، بعدُ ، عضلةٌ يقينه في تصيّد برق . عبر كثيراً من
مريدي ماشفير المرتثين لايعيرون شيئاً من حولهم انتباهاً ، مخدّرين
فرغهم الهول .

بلغ ويلابو مطرحَ ماشفير المتعثر . قارَبَه من خلفه . ناداه
سائلاً :

- إلى أين أنت صاعد ، ياماشفير؟ .

أدرك ماشفير الأعمى من نبر الصوت أن سائله ليس من
مريديه . التفت إلى مصدر الصوت بطيئاً ، بفم مفتوح عن أسنان
سود . ساءله :

- ماذا ترى ، أيها الغريب؟ .

«أرى الخوف» ، رد ويلابو .

«أنت أت إلينا ، إذاً» ، قال ماشفير ، ذو العباءة القصيرة حتى
ردفه ، العاري الصدر .

ارتعش ويلابو من نثار الثلج ساقطاً بطيئاً . استقر بعضه على
خديه وأذنيه . استعاد سؤاله الأول :

- إلى أين أنت صاعد؟ .

«إلى قمة الهضبة» ، رد ماشفير .

«ما الذي ينتظرك هناك؟» ، ساءله ويلابو ، فرد ماشفير
بسؤال :

- لِمَ تصعد الهضبة في يوم كهذا ، أيها الغريب؟ .

«لا أعرف . ربما هو فضولي كي أرى ما ستصنع على قمة
الهضبة» ، رد ويلابو .

«بل تعرف ، أيها الغريب . هما سيَّان الآن صعودك الهضبة ، أو
نزولك إلى زينافير» ، قال ماشفير . أردف : «تعال . دعني أتحسس
وجهك بيدي . أرني ذاكرتك» . رفع وجهه إلى السماء وهو يد
ذراعه اليمنى إليها كأنه سيمسك بها بأصابعه الطوال . «أرني ،
ذاكرتك ، أيها الفراغ الأبيض» .

لم يتقدم ويلاؤ أكثر . لم يتراجع . رفع وجهه إلى الأعالي . ارتعد إذ سقطت نثران من الثلج على عينيه الحجريتين .

ماياكي مسح عن عينيه نثراً من الثلج بطرف ثوبه . حشر نفسه إلى جوار أمير المهندسين بوكلو في جوف برج من مانعات الرياح اتقاءً . بسط العمال ، والصناع ، ألواحاً على أعمدة قصار ، وانبطحوا تحتها على امتداد الأرض المنخفضة .

لم يكن ريكما والأسياذ في حاجة إلى اتقاء الثلج البطيء بعد ، ينثُ نثيلاً خفيفاً ، متباعداً ، وهم في البهو الأعظم من قصر السلطان . وقفوا حلقة تعادل قطر الكوة الواسعة في السقف العالي ، على محيط البقعة التي يتساقط عليها الثلج من الكوة في عمق البهو . كان القليل من النثرات يلبث أبيضَ برهةً قبل أن يذوب ، فيما الكثير يذوب أولَ بلوغه الأرضَ الرمل ، أو يتلاشى في منتصف المسافة بين الكوة وأرض البهو .

«أفكر في إغلاق كوة سقف القصر» ، قال نيدج . أضاف بنبرٍ مستخفٍ : «مانفعُها؟» .

«أنفكر في إقفال الجهات على الريح ، يانيدج؟ أتريد من في القصر من الجن خامدين متجمدين؟» ، تساءل ريكما .

«ألا تكفي البوابة ، والفراغات في الجدران ، لدخول كفاية من الريح لانحمد معها أو نتجمد؟» ، ردَّ نيدج بسؤال .

«لماذا لم نعيّنك أميراً على أرض مانعات الرياح؟» ، غمغم ريكما . أدار وجهه على الأسياذ : «نيدج مهندسُ رياح» .

«لا حاجة للأرض المنخفضة إلى أمير ، الآن . مانعات الرياح آتية يجرّها ماياكي» ، عقّب نيدج .

«ليس في هذه الأحوال» ، قال عميد المحارين هيدس .

«أليس هذا الوقت هو الأنسب لمباغطة ماياكي؟» ، تساءل نيدج .

«لديه خطط» ، عقب ريكما ساخراً ، من غير نظر إلى نيدج ، بل إلى الكوة العالية في سقف القصر .

«ما خططك أنت ، ياريكما؟ لا تحركُ ساكناً ، كأن تمرد ماياكي لا يعنيك» ، قال نيدج . «تنحّ لأهل الخُطط» .

زمجر ريكما مقرباً وجهه من وجه نيدج :

- تنحّ أنت إن لم يعجبك ماأفعله .

«أنا شريكك . سأضع خططاً أضيفُ إليها إن شئت ، ياريكما» ، قال نيدج .

فحّ ريكما :

- تذكر ، يانيدج ، أنك شريكي لأمد معلوم .

«طالما أنا شريكك الآن ، فأنا شريكك ، ياريكما . فلنباغت

ماياكي» ، غمغم نيدج .

«اذهب . داهمه بحارين سيخورون قبل الوصول إلى أرض

مانعات الرياح» ، قال ريكما . هرّ محدّقاً إلى هيدس : «أيوم كهذا جيد لمعركة؟ لِمَ لا تتكلم؟» .

«أرى سلطانين يتكلمان . لا داعي لي . سأستمع» ، رد هيدس .

«سلطانان؟!!» ، تساءل ريكما مستهجنّاً نطق هيدس باللقب

هكذا موزّعاً ، فاستدرك هيدس :

- بِمَ نَصِفُ وضع الحكم بين شريكين يديران قصر زينافيرى؟ .

«نصفه بالقول : أنت السلطان ، أيها السلطان ريكما ،

يا هيدس» ، قال ريكما ممتعضاً .

«ماذا نسَمِّي نيدج؟» ، ساءله هيدس ، فرد ريكما :

- نسميه نيدج .

«ما لقبه؟» ، تساءل هيدس ، فرد ريكما :

- ظلُّ ريكما .

زمجر نيدج . حرك قدميه في موضعهما رفعاً وخفضاً :

- لستُ ظلك .

«كما تشاء ، يانيدج . لن تكون ظلي» ، قال ريكما . تراجع عن

حلقة الأسياد إلى حلقة المطايا يحيطون بهم . استلَّ من حزام مطيته زديكا عظماً ثخيناً ، معقوفاً . تقدم ثانية صوب حلقة الأسياد يحدقون إليه متوجِّسين .

خَمَّن هيدس وعيداً في حركة ريكما بالسلاح في يده . التفت بوجهه إلى نيدج المتوجس مثله .

هرَّ الأسياد لما مدَّ ريكما يده بالسلاح إلى نيدج قائلاً :

- لا أرى سلاحاً معك اليوم . خُذْ هذا .

لم يفهم أحد تورية ريكما الملتبسة قبل أن يفصح أكثر :

- خذ هذا السلاح . سأتبعك وحدي إلى ماياكي .

«أهذه خطة جديدة ، ياريكما؟» ، تساءل نيدج بنبر ساخر .

نظر إلى هيدس : «ما تقدير عميد المحاربين؟ أسنهم ماياكي؟» .

«سنباغته» ، عقَّب ريكما ساخراً بدوره من نيدج . «لا نحتاج

إلى جيش لمعركة في يوم كهذا . اثنان يكفيان» .

استدار نيدج يهيمُّ بالانصراف برماً من المحادثة الفارغة .

زمجر ريكما بنبر ينتثر استياءً :

- لماذا يُدير ظليَّ ظهره إليَّ؟ .

تجاهل نيدج كلمات ريكما . لم يلتفت إليه . وثب نصف وثبةٍ

منصرفاً ، بغمغمة واضحة الحروف :

- لستَ ظلك .

عوى ريكما واثباً بدوره يلحق بشريكه في حكم القصر .
صرخ : «لستَ ظلي . لن تكون» . هوى بالسلاح على قذال نيدج
من ورائه .

ترنج نيدج مصعوقاً ، لكنه لم يسقط .
زمجر الأسياد كلُّ بنبر مستنكر . وثب هيدس إلى ريكما
ليردعه عن ضربة أخرى . كانت وثبته متأخرة ، إذ هوت يد ريكما
بالسلاح ، من جديد ، على قحف نيدج ، في طنين من لسانه يكرر
الكلمات : «لستَ ظلي . لن تكون» .

ترنج نيدج أكثر من غير سقوط ، مطلقاً فحيحاً مختنقاً .
دفع هيدس سلطانَ زينافيرى فقفزَ به مقدار وثبة ، حنقاً لما
فعل بنيدج . تعثر ريكما . عاود هيدس دفعه متقصداً أن يطرحه
أرضاً .

هبَّ من بين الجن المطايا واحد ضخم شاهراً سلاحه . ضرب
على عاتق ريكما ضربةً سُمعَ منها طَحْنُ عظام .
«توقَّف ، ياتيكو» ، صاح أحد الأسياد بالجنِّي مطية نيدج
المنتقم لسيده .

«لا تتوقَّف ، ياتيكو» ، صرخ هيدس شاهراً سلاحه بدوره ،
متهيئاً لمن يريد اعتراض مطية نيدج ، الذي أَمَالَ جسده الضخم
قليلاً ليُحْكِمَ الضربة الثانية على ساق ريكما . بُتِرَتِ الساق
بتمامها . هوى ريكما في عواء سدَّتِ الريحُ منه أذنيها .

كان واضحاً ، بالرغم من الهرج في حركة الأسياد وزمجراتهم ،
أن لا أحد منهم يتهياً لردع مطية نيدج عن الدفع بهياجه إلى خاتمة
قاتلة ، إلا هيدس . اعترض بجسده المطية ، حاجزاً بينه وبين

ريكما ، رافعاً إحدى ذراعيه : «توقف ، ياتيكو» ، قال . نشر صوته
واضحاً على الأسياذ مثاقيلَ تخصُّ كل واحد بمقدار لا يزيد عن
الآخر مثقالاً : «نادوا مطاياكم» . التفت ببصره إلى ريكما المنهار :
«لكل مطية ضربة» .

هرهر الأسياذ . لم يزنوا التبعات بميزان الخوف ، أو الرهبة . كلُّ
أوعز إلى مطيته أن يسدَّ ضربة إلى ريكما .

زيديكا ، مطية ريكما ، بدا كالمحتنق بغمه المفتوح لا يتنشق
الهواء ولا يزفره ، محدقاً إلى المطايا تناوبوا على ضرب ريكما كلُّ
بسلاحه ، حتى باتت أعضاؤه الممزقة تكاد تنفصل لولا أعصاب
خارجة من اللحم الليف المتفلع لم تزل تربطها ، ولولا شرائط من
جلده .

لم يتحرك زيديكا . خذله خياله عن فعل هرب ، أو مجابهة .
ظل مصعوقاً على حاله حتى ناداه هيدس :
- إنه دورك ، يازيديكا .

شهق زيديكا للمرة الأولى وقد أفاق معتصراً في ذهوله . زحف
بقدميه على الأرض الرمل حتى بلغ جثة ريكما الممزقة . التقط
سلاحه العظم المعقوف الذي اختطفه منه سيده . رفع السلاح
عالياً . تأمل الجثة في استجلاء لموضع ما فيها يهوي بسلاحه عليه .
تردد فحَّته صوت من الأسياذ :
- اضرب ذاكرته .

ضرب زيديكا سيده على أسنانه بالسلاح . تراجع زحفاً
بقدميه ، فبادره هيدس :

- جرَّ ريكما إلى الأرض المكشوفة تحت كوة السقف .
جرَّ زيديكا سيده من أطراف جثته ، المتعالقة الأعضاء بشرائط

جلد وعصب ، إلى الأرض المكشوفة دائرةً تحت الكوة الواسعة في سقف القصر . اهتز من نثيث الثلج المتراقص حول كيانه في النزول من الأعلى . ترك الجثة على الأرض المبتلة مما ذاب فوقها من نثار السماء ، وما لم يذُب بعدُ أبيضَ رقيقاً . تراجع على عجل في وثبٍ جانبيٍّ عالٍ .

وقف الأسياد جميعاً حلقة من حول الأرض المكشوفة دائرياً تحت الكوة العالية تلقي السماء منها بزرّها الأبيض ، وفي حلقة مثلهم اصطف مطاياهم من ورائهم .

رويداً رويداً رقدت نثرات الثلج متجاورة فوق جثة ريكما . في الجنوب البعيد ، وراء أسواق كاتراميل ، كان الثلج أخفّ ، بعدُ ، في نزوله متفرقاً تُدريه الرياحُ علواً ، وخفضاً ، وتدويراً ، قبل وصول رقائقه إلى الأرض الرمل مُنهكةً . شاتار ، وفصيلها من التُريكات ، ترقبن حتى الظهر الأبيض عودةً بعض صاحباتهن الصيادات بثمار ، وقناص ، للأنثى الإنسية وكلبها من الواحة الصغيرة ، القريبة .

لم يكن قلقات من تأخرهن في أحوال من البرد لم يعهدنها . كُنّ ، جميعاً ، بطيئات في الحركة ، خاملات الخيال لا يهتدين إلى مقارنة لرقائق الثلج بشيء حصل قبلاً في إقليم زينافيرى . جراد ، أسراباً سُحباً بلا نهايات ، يعبر سماء زينافيرى مراراً في الشهر الواحد من أشهر الجن . ذبابٌ وضع لا تهدأ حشوده يدور زوابع مع الرياح حولهن . نمل أزرق ، مهاجر ، يغزوهن بين وقت ووقت . لكنّ الثلج أمرٌ آخر - خَمْشٌ بارد بأظافر باردة على جلودهن تحت الثياب الجلود لا تغطي إلا مواضع قليلة من أجسادهن في أرضهن الرياح الحامية .

كُنَّ خَارِجَاتٍ بِأَنْصَافِهِنَّ ، لَا غَيْرَ ، مِنْ مَدَاخِلِ مَسَاكِنِهِنَّ
الْحُفَرِ ، يَتَّقِينَ بَعْضُ الْجُلُودِ ، وَاللَّيْفِ ، فَوْقَ رُؤُوسِهِنَّ ، مَا يَقْدِرُنَ
عَلَى اتِّقَائِهِ مِنَ النَّثِيثِ الْأَبْيَضِ ، إِلَّا الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةُ ، الَّتِي لَفَتَ
كَتْفَيْهَا وَعَنْقُهَا بِسِتَارَةٍ مَدْخَلَ مَسْكِنِهَا - ثَوْبُهَا الْأَزْرَقُ الْقَدِيمُ ، جَالِسَةٌ
عَلَى جُلُودِ ، وَقَدْ أَقْعَى كَلْبُهَا إِلَى جَوَارِهَا ، بَعِينِينَ مِنْهَا وَمِنَ الْكَلْبِ
عَلَى الْأَفْقِ الشَّمَالِ غَائِصًا بِأَسْوَارِهِ الْخَفِيَّةِ فِي أَنْهَارِ الرَّمَالِ .

هَرَّ الْكَلْبُ . انْتَصَبَ عَلَى قَوَائِمِهِ . نَبَحَ نَبَاحَ النَّبْرِ التَّرْحِيبِ ، ثُمَّ
عَدَا عَلَى مَهْلٍ عَدْوً مِنْ يَسْتَقْبِلُ وَافِدِينَ .

ظَهَرَتِ الْأَرْبَعُ الْإِنَاثُ الصَّيَادَاتُ ، قَادِمَاتٌ يَثْبُنَ فِي إِعْيَاءٍ
وَاضِحٍ ، فَارِغَاتُ الْأَيْدِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ، فَارِغَاتُ الْأَجْرِيَّةِ مُدٌّ كَانَتْ
تَتَأَرَّجُ خَفِيفَةً عَلَى خُصُورِهِنَّ لَا أَحْمَالَ فِيهَا إِلَّا الْأَسْلِحَةَ ، الظَّاهِرَةَ
الْمُقَابِضَ مِنْ فَتَحَاتِهَا .

نَهَضَتْ بَضْعُ إِنَاثِ تَرِيكَاتٍ مِنْ مَجَاثِمِهِنَّ ، ضَامَّاتُ أَيْدِيَهُنَّ
تَحْتَ أَبَاظُهُنَّ ، مِنْكُمُشَاتُ الْأَجْسَادِ ، يَتَفَحَّصْنَ صَاحِبَاتِهِنَّ
الرَّاجِعَاتِ مِنَ الْوَاحَةِ .

فِي تَرَاحٍ نَهَضَتْ شَاتَارُ ، أَيْضًا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبَارِحَ مَدْخَلَ
مَسْكِنِهَا .

وَصَلَتْ الْأَرْبَعُ الصَّيَادَاتُ لَاهِثَاتُ إِعْيَاءٍ ، بِأَفْوَاهٍ مَفْتُوحَةٍ عَنْ
خَبَرٍ يَتَقَدَّمُ وَيَتَرَاوَعُ فِي حَنَاجِرِهِنَّ . أَتَجَهَّنَّ بَعِيُونِهِنَّ إِلَى الْأُنْثَى
الْإِنْسِيَّةِ ، وَبِإِشَارَاتٍ مِنْ أَيْدِيَهُنَّ إِلَيْهَا أَيْضًا ، قَبْلَ أَنْ يُعْدُنَ تَوْجِيهِ
تِلْكَ الْأَيْدِي صَوْبَ الْوَاحَةِ : «هَايْكَاهِيكْسِينَ هَنَّاكَ» ، قُلْنَ فِي
غَمْغَمَاتٍ مَتَدَاخِلَةٍ .

هَبَّتْ شَاتَارُ إِلَيْهِنَّ فِي وَثْبٍ قَوِيٍّ بِالرَّغْمِ مِنْ إِعْيَائِهَا .
سَاءَ لَتَهُنَّ :

- أَوْجَدْتُنْ هَايْكَاهِيكْسِينَ أُخْرَى؟ .

«عَدَدٌ مِنْ هَايْكَاهِيكْسِينَ هُنَاكَ» ، رَدَتْ وَاحِدَةً . ثُمَّ تَجَاذَبَتْ
الرَّابِعُ خِيوطَ الْخَبْرِ مُلْتَفّاً بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ : «كُثُرُ هُمْ . ثَمَانِيَةٌ .
لَهُمْ أَجْسَادُ هَايْكَاهِيكْسِينَ ، فِي ثِيَابٍ غَرِيبَةٍ» ، قُلْنَ . وَزِدْنَ الْإِثَارَةَ
الْغَامِرَةَ بِوَصْفٍ مُلْغَزٍ لَمَّا قَامَ بِهِ جَمْعُ الْإِنْسِيِّينَ :

- صَنَعُوا بَرُوقاً . أَنْبَتُوها مِنَ الْأَرْضِ وَجَلَسُوا حَوْلَهَا .

«صَنَعُوا بَرُوقاً؟!!» ، هَرَّتْ صَاحِبَاتُهُنَّ مِنْذَهَلَاتٍ .

«أَنْبَتُوها مِنَ الْأَرْضِ لَهَا أَلْسِنَةٌ تَتَمَايَلُ» ، رَدَتْ إِحْدَى

الصَّيَادَاتِ .

زَمَجَرَتْ شَاتَارٌ مَتَهِيبةٌ . تَطْلَعَتْ إِلَى الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةِ مَتَفَحِّصَةً
فِيهَا بِلَا تَحْدِيدٍ لَمَّا تَتَفَحَّصُهُ ، وَهِيَ تَسْأَلُ الصَّيَادَاتِ :

- أَرَأَيْكَ سِرْبُ هَايْكَاهِيكْسِينَ؟ .

«لَا» ، رَدَتْ الصَّيَادَاتِ . «احْتَمَيْنَا بِبَعْضِ الشَّجَرِ حِينَ ظَهَرُوا

قَادِمِينَ مِنَ الْجَنُوبِ . كَانُوا حَذَرِينَ . تَفَقَّدُوا الْجِهَاتِ مِنْ حَوْلِهِمْ .

جَمَعُوا أَلْيَافاً وَغَصُوناً يَابِسَةً ، وَأَوْرَاقاً ، ثُمَّ أَنْبَتُوا فِيهَا الْبَرُوقَ ،

وَجَلَسُوا حَوْلَهَا حَلْقَةً» .

«أَلَمْ يَلْحَظُوا كَيْنَ رَجَعْتَن؟» ، سَاءَلَتْهُنَّ شَاتَارٌ ، فَرَدَّتْ

إِحْدَاهُنَّ :

- رَجَعْنَا زَحْفاً فِي الرَّمْلِ .

وَتَبَتْ شَاتَارٌ وَثْباً قَصِيراً صُوبَ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةِ . انْحَنَتْ عَلَيْهَا

مَشِيرَةً بِيَدِهَا إِلَى جِهَةِ الْوَاحَةِ :

- ظَهَرَتْ كَائِنَاتٌ مِثْلُكَ فِي الْوَاحَةِ ، يَا هَايْكَاهِيكْسِينَ .

تَطْلَعَتْ الْأُنْثَى الْإِنْسِيَّةُ بِإِمْعَانٍ إِلَى حَرَكَاتِ شَاتَارٍ ، مَتَذَوِّقَةً

بِبَصَرِهَا إِثَارَةً فِي صَوْتِهَا الصَّفِيرِ .

«سنأخذ هايكاهايكيكين لتراهم» ، قالت شاتار للصيادات
الباديات الرَّهَق من البرد .

لم يكن الفضول القوي في قلوب الإناث التريكات كافياً
ليذهبن إلى الواحة مع شاتار ، من شدة إعيائهن . أنفأرُ منهن ، لا
غير ، واكن الأنثى الإنسانية وكلبها ليشهدن ما سيكون حين تلتقي
بكائنات من نوعها . لفنْ أقدامهن ، قبل الذهاب ، بجلود ، وغطين
رؤوسهن بجلود ، تتقدمهن واحدة فقط من الصيادات ، لترشدن
إلى موضع الغرباء على التحديد .

بطيئات تقدمن في الأرض الرمل ، بالتواءات في المسير وثباً
قصيراً بين القليل القليل من الكثبان المضمحلة أو بقاياها . وقد
سعت مرشدتهن جهدها أن تأخذهن إلى جهة يحتجن فيها بمطالع
الشجر ، والجنُب القصار من نبت السَلَم الشائك ، عن الجهة التي
حلَّ فيها النوع الغريب - نوع الإنسان .

حين بلغن مطالع الواحة المستطيلة ، الصغيرة ، حذرتهن
مرشدتهن من الوثب ، مشيرةً عليهن بالزحف أرضاً ، فجذبن الأنثى
الإنسية من كتفها لترحف مثلهن ففعلت .

عند جذوع الشجرات الأول ، غير الكثيفة ، تفرقن كل واحدة ،
أو اثنتين ، خلف جذع من تلك الضخام ، العريقة ، المتشرة اللحاء
الخشن من تسلق السنين عليها . لم يبذلن جهداً للبحث عن
الغرباء ، مذ بدت لهن الكائنات الثمانية من نوع الأنثى الإنسانية ،
من المدى المفتوح تحت الغصون المتهدلة بأوراقها الطوالِ النُصال ،
جالسين من حول بروقهم المتراقصة بالسنتها ، يرمون إليها ، بين
حين وحين ، ليفاً ، أو أغصاناً طعاماً يسعّرها .

لا يوقد الجنُّ النيران . لا يستخدمون النار . صاحبات شاتار

الصيدادات ، اللواتي عدن من الواحة إثرَ ظهور الكائنات تلك فيها ،
خَمَّنَ بالوصف التقريب لما شاهدنَ من إشعالهم النارَ أنهم إنما
يستنبتونَ بروقاً ، مُدَّ هُنَّ لَيَعْرِفْنَ مِنَ النارِ إِلَّا البروقَ . وقد رأت
شاتار وصاحباتها ، الكامنات خلف جذوع الشجر ، البروقَ الصغار
المتمايلة مروّضةً وسط حلقة الإنسيين .

هرَّتْ الأنثى الإنسية لأول مرة كما يهرُّ الجن إِذْ أبصرت أنفاراً
من نوعها . تأملتهم جاثية على ركبتها . نهضت لا تلتفت إلى
شاتار المسكة بطرف ثوبها كي تعيدها مختبئةً . نبج كلبها . انفلت
راكضاً صوب الأنفار الثمانية البشريين . لحقت به سيدته وهي
تدمدم كلمات أذهلت شاتارَ وصاحباتها - هُنَّ اللواتي لم يعهدنها
تتكلم قبلاً إِلَّا غمغمات وهمهمات بلا حروف .

أسقطت الإناث التريكات بعضَ الحذر عن قلوبهن لما بلغت
الأنثى الإنسية الأنفارَ الذين من نوعها ، وقد هبُّوا واقفين أول الأمر
من نباح الكلب ، ثم مهرولين صوبه وصوب سيدته بأذرع ملؤها
ضراعةُ العثور على مفقود . عانقوها تخفق ثيابهم العباءات السود ،
الطويلة ، في كل عناق ، وتتماوج الخمر الرمادية على رؤوسهم .
تبادلوها حَضْناً . ضموا الكلب إلى صدورهم واحداً بعد آخر
مسترسلاً في لعق وجوههم وأيديهم .

لبثوا على حال اللقاء المتوقِّد كনারهم دقائقَ مُكْتَئِزَةً تَرَفّاً ، قبل
أن تهدأ حركاتهم من قولِ قائلة لهم الأنثى الإنسية ، فالتفتوا بوجوه
متفحّصة صوب جهة الجذوع التي احتجبت بها شاتار وثلثتها
مختبئات .

هرَّتْ ثُلَّةُ التريكات من أبصار الأدميين متجهة إلى مخبئهن ،
وقد أدركن أن الأنثى الإنسية دلتهم عليهنَّ . أظهرن أنصاف

جذوعهن من وراء جذوع الأشجار في تردّد حذر .
ظنت شاتار أنها تسمع اسمها للمرة الأولى في زينافيرى ،
حين نادتها الأنثى الإنسية ، متلفّظة الحروف على نسق نقلتها الريحُ
مدلّلة إلى الأسماع . «شاتار» ، قالت الأنثى الإنسية بصوت مديدٍ
النبر ، رخيٍّ ، رقيق .

زأرت شاتار زئيراً خافتاً بانتشاء من حنجرتها . أخرجت كامل
جسدها من وراء الشجرة ، فأخرجت صاحباتها أنفسهن ظاهرات .
لوّحت الأنثى الإنسية لهن بذراعها تحثّهن أن يقتربن .

زحفت ثلّة الإناث التريكات بأقدامهن في الأرض الرمل
والقشور من سَقَط الشجر . تبادلن النظرَ فضولاً مستثاراً . هرّرنَ ، ثم
وجمّرنَ إذ أبصرنَ أنفاراً آخرين ، أربعة عشر في الأرجح ، يظهرن
بغثةً من خلف جماعة الأنثى الإنسية ، في ثياب عباءات صُفر ،
وخُمُر على الرؤوس ، كأنما كانوا كامنين هناك ، قبلاً ، تحت الرمل .
دبّ هياج في أصحاب الأنثى الإنسية . اضطربوا . تصادموا إذ
أعمتهم الإجفالة في طلبهم النجاة هرباً ، وتبادلوا نبراً عويلاً من
الأصوات تتشقق جفافاً في حناجرهم .

سُراعاً طوّق المهاجمون ، ذوو العباءات الصفر ، جمّع الأنثى
الإنسية . استلّوا حناجرَ من أحزمتهم . ارتفعت أذرعهم بها
وانخفضت في الطعن ذريعاً بلا هواة ، حتى انطرح الثمانية من
صحاب الأنثى الإنسية أرضاً مجندين بلا حراك .

تلاصقت ثلّة شاتار مصعوقات الأعماق . هررن بأفواه مفتوحة
من الهول . تراجعن إلى الخلف زحفاً بأقدامهن في الأرض الرمل ،
مبقيات أبصارهن على الأنثى الإنسية جاثية تحضن كلبها ، في
يأسٍ نائحٍ خارٍ بساقيها مخدّرتين ، عاجزتين عن حملها .

نبح الكلب بين ذراعيها نباحاً يُجاوب به نوحَ سيدته الخافت .
تقدم أحد المهاجمين منهما . خطف الكلب من ذراعيها ، ممسكاً به
من جلد قذاله . رفعه عالياً تتخبط قوائمه في الهواء . مرَّ شفرة
خنجره على عنق الكلب . انبثق الدم نافراً مع النفخ من الخنجرة
المقطوعة . رمى به أرضاً . دار الكلب على نفسه . تمرَّغ في الرمل
مبتلاً بنثيث الثلج عليه . زحف على بطنه أشباراً ثم حمد .

رفع أحد المهاجمين الأنثى الإنسية من ظفائرها المجدولة ضمَّها
قبضاً براحتيه ، فأستقرت واقفة على ساقيهما المخدولتين . مسح
خنجره بكتف ثوبها . أعاده إلى حزامه . طوَّق عنقها بحبل قصير
كان معلقاً إلى عاتقه . جرَّها جرّاً خشناً .

مضى الأربعة عشر نفرأ ، متجاورين في ثيابهم العباءات الصفرة
تحقق قوياً ، إلى الجهة الجنوب الشرق ، تتبعهم الأنثى الإنسية
منقادةً في رَسَنِها الحبل .

تمالكت ثلَّة شاتار قواهن المتذرذرة كقشور . تمالكنَ خيالَ الهربِ
المرتضُ فيهن . رجعن على أعقابهن وثباً متعَثراً ، هزلاً ، متعباً ،
إلى مساكنهن .

لم تخرج أيُّ من صاحباتهن من الحُفْرِ المساكن للقاتن . كُنَّ
كما في سُبَات ، طريحات على مداخل المساكن بأنصاف جذوع في
أجوافها وأنصاف جذوع خارجها .

أوتِ الراجعاتُ بأثر الفجيعة حرثَ أعماقهن حرثاً إلى الحُفْرِ ،
مستلقياتٍ فيها استلقاءً استسلاماً للحدَرِ البارد .

طوت شاتار نفسها أمام مدخل مسكنها متقوِّسةً ، تكاد تلمس
الأرض بصدرها . صفعت الأرضَ الرمل اكتست بياضاً براحة يدها
الخاملة الحركة . تنشَّقت غباراً لم يصعد من الأرض البليلة بل من

رمال النعاس ، الذي لا يعرفه الجنُّ إذ هم لا ينامون . خرَّت منطرحة
على بطنها . لحظت البياضَ ، بأخر ما فيها من رَمَقِ البصر ، يتكاثف
وينسدل . هرَّت هريراً لم يُقاطعه صوتُ الريح التي لجُمَتْ .

تمرَّغ وجه شاتار في البياض حين التفتت به ، في ثقل طاحن ،
إلى الموضع الذي وضعت فيه حجرها على قُرب من مدخل حُفرتها
المسكن ككل إناث فصيلها وضعن حجارةً ثَقَبْنَها ، وتسَلِّين بالنفخ
هن والأنثى الإنسية في ثقبوها اقتداءً منهن سخريةً بالجن إذ
يستنسلون من الكرات الحجر الحواضن .

ظنت شاتار ، المنحدرة بخيالها المتلاشي إلى بياضه المحو ، أنها
سمعت صوتاً خفيضاً ، هامساً . أصغت بما فيها ، بَعْدُ ، من سَمَعِ
قلبها المتباطئ نبضاً : انفلق شيءٌ مَّا ، صُلبٌ ، أو تصدَّع ، بصوتٍ
دفين ، تحت طبقة الثلج ، في موضع حَجَرِها .

غابة سكوغوس

مملكة السويد

٢٠١٤ - ٢٠١٥

صدر للمؤلف

- ✽ كل داخل سيهتف لأجلي ، وكل خارج أيضاً (شعر)
- ✽ هكذا أبعثر موسيسانا (شعر)
- ✽ للغبار ، لشمدين ، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك (شعر)
- ✽ الجماهرات (شعر)
- ✽ الجندب الحديدي (سيرة الطفولة) (سيرة)
- ✽ الكراكي (شعر)
- ✽ هاته عالياً ؛ هاتِ التّفير على آخره (سيرة الصبا) (سيرة)
- ✽ فقهاء الظلام (رواية)
- ✽ بالشّباك ذاتها ؛ بالشعالب التي تقود الريح (شعر)
- ✽ أرواح هندسية (رواية)
- ✽ الريش (رواية)
- ✽ البازيار (شعر)
- ✽ الأعمال الشعرية (شعر)
- ✽ معسكرات الأبد (رواية)
- ✽ طيش الياقوت (شعر)
- ✽ الفلكيون في ثلثاء الموت : عبور البشروش (رواية)
- ✽ الفلكيون في ثلثاء الموت : الكون (رواية)
- ✽ الفلكيون في ثلثاء الموت : كبد ميلاؤس (رواية)

- * المجابهات ؛ المواثيق الأجران ؛ التصارييف ، وغيرها (شعر)
 * أنقاض الأزل الثاني (رواية)
 * الأقرباذين (مقالات في علوم النظر)
 * المثاقيل (شعر)
 * الأختام والسديم (رواية)
 * دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة) (رواية)
 * كهوف هايدراهُودَاهُوس (رواية)
 * المعجم (شعر)
 * تَأْدْرِيمِيسْ (رواية)
 * موتى مبتدئون (رواية)
 * الساللم الرملية (رواية)
 * شعب الثالثة فجرأ من الخميس الثالث (شعر)
 * لوعة الأليف اللاموصوف المُحير في صوت سارماك (رواية)
 * ترجمة البازلت (شعر)
 * هياج الإوز (رواية)
 * التعجيل في قروض النثر (نصوص)
 * حوافر مهشمة في هايدراهُودَاهُوس (رواية)
 * السَّيْل (بلغتُنْ ، أخيراً ، عُمَرُ الأربعاء) (شعر)
 * السماء شاغرة فوق أورشليم (رواية)

- ✽ عجرفة المتجانس (شعر)
- ✽ السماء شاغرة فوق أورشليم « ج ٢ » (رواية)
- ✽ آلهة (شعر)
- ✽ حورية الماء وبناتها (رواية)
- ✽ شمال القلوب أو غربها (شعر)
- ✽ سجناء جبل آيايانو الشرقي (رواية)
- ✽ سوريا (شعر)

نبذة عن حياة الكاتب سليم بركات وأعماله

روائي وشاعر وأديب كردي سوري من مواليد عام ١٩٥١ في مدينة القامشلي ، سوريا ، قضى فترة الطفولة والشباب الأول في مدينته والتي كانت كافية ليتعرف على مفرداته الثقافية بالإضافة إلى الثقافات المجاورة كالآشورية والأرمنية . انتقل في عام ١٩٧٠ إلى العاصمة دمشق ليدرس الأدب العربي ولكنه لم يستمر أكثر من سنة ، ولينتقل من هناك إلى بيروت ليبقى فيها حتى عام ١٩٨٢ ومن بعدها انتقل إلى قبرص وفي عام ١٩٩٩ انتقل إلى السويد .

أعماله تعكس شخصية أدبية فريدة ، كما كانت أعماله الشعرية الأولى تنبئ بمولد أديب من مستوى رفيع . . . وبالفعل أتت أعماله التالية لتقطع أشواط وأشواط في عالم إبداعي لم يعتد عليه قرأء الأدب المكتوب باللغة العربية .

كما جاءت أعماله مغامرات لغوية كبرى ، تحتوي على فتوحات في الدوال والمعاني والتصريفات . طبعاً أضيف إلى ذلك أن سليم عمل على إحياء الكثير من الكلمات العربية التي كانت ميتة تماماً واستطاع توظيفها ضمن قالب حيائي فريد .

أقاليم الجن

هم ساكنو الخرائب والمهجورات، ويسمّونهم «العُتَمَار» إن كانوا كالإنسان من ساكني المنازل التي لا تحفظ الأساطير هندستها. ولهم لقب «الخافياء» المستترين عن الأبصار، يزاحمون الإنسان في الحيز المحجوب من الوجود. لكنهم يظهرون له عياناً، في أحوال، أشراً حذافاً في الأخاديع القاتلة، أو المفوضية إلى الجنون؛ ويظهرون له، في أحوال، أخيراً يدلونه على الكنوز، ويرؤضون له السحر في تحقيق الأماني. «لا تخلو أساطير الأمم وخرافاتهم من الجن بترتيب الخيال للضرورات اللازمة في بناء النقائص، والمتعارضات، وتطبيقات الثنائية اللانهائية من أمثلة الظلام والنور، والخير والشر، والظاهر والباطن، كمخارج للأقدار من مغاليقها، والتنبيه إلى أبوابها المفتوحة والموصدة.

إرث هائل من الأقايصيص. لكنّها أقايصيص لم تبلغ، في أيّ معتقّد، مبلغ البناء مطوّلاً في شؤون هذه المخلوقات: هم تنقّ، مجزوءات في سياق اعتماد الخرافة على تقريب ما لا يُعقل، أو تأويل المستغلّق، أو التخمين في أحوال المجهول الملغز.

أبو عبدو البعل

<https://facebook.com/g>

